عمارة المساجد وتطورها في العالم الإسلامي

إعداد

د. أحمد عبد المعطي الجلالي

أستاذ الفنون والعمارة الإسلامية

بكلية الهندسة - جامعة عين شمس



اهداءات ١٩٩٦

د/ محمد محمد الجوادي

مدرس القلب بطب الزقازيق

عمارة المساجد وتطورها في العالم الإسلامي

إعداد
د. أحمد عبد المعطي الجلالي
أستاذ الفنون والعمارة الإسلامية
بكلية الهندسة - جامعة عين شمس

قال تعالـــى :

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

" انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليـــوم الآخــــــر "

" وأن المساجد لله فلا تدعـو مـــع اللـــه أحـــــــدا "

صدق اللــه العظيـــم

تعد عمارة المسجد على رأس العمارة الاسلامية ، لذلك أردت دراسة هذا الموضوع دراسة تحليلية هندسية منذ ظهور الاسلام ، وحتى نهاية العصر التركى فى مصر وبلاد الشام والعراق والهند وايران وتركيا وشمال افريقيا والاندلس .

وقد شملت هذه الدراسة التعرض للنواحى التاريخية لكل أقليم بشكل موجز مختصر ثم التعرف على تخطيط مساجد كل منها واستخلاص تطورها ، مع الاهتمام بالنواحى الهندسية من طرق انشائها والتأثيرات التى تعرضت لها .. الى غير ذلك . ومن ثم كان من الضرورى تفنيد أراء بعض المستشرقين وعلماء الغرب الذين ارجعوا تخطيط المسجد والكثير من العناصر المعمارية والزخرفية الاسلامية الى الفنون المسيحية .

عمارة المسجد وتطورها فى العالم الاسلامى

الفهرس

صفحة

عمارة المسجد وتطورها فى العالم الاسلامى

اولا : مقدمـــة :

للمبانى الدينية أهمية كبيرة منذ اقدم العصور وفى مختلف الحضارات . وكـــان لها فى العصور الوثنية مكانة مقدسة مبنية على الخوف والرهبة من القــوى والمظاهـــر الطبيعية المختلفة التى اعتبرت آلهة ، صنعت لها التماثيل وأنشئ لها المعابد الـتى قام على خدمتها العديد من رجال الدين والكهنة من صفوة القوم ذوى النفـوذ القــوى . وكان لزاما على الشعب ان يقدم لهذه الالهة الهدايا والقرابين لتحميهم وتبعـد عنهـم الشـرور .

وعندما جاءت الديانات السماوية نجد ان بعض معابدها احتفظ ببعض العناصـر القديمة كالمذابح وأماكن رجال الدين وغير ذلك مما كان له اثر واضح فـى تخطيطهـــا المتأثر بالمعابد الوثنيـة .

أما الاسلام فجاء غير معترف بالقرابين وبالكهنوت . ولذلك كان تخطيط المسجد منذ بدايته بسيطا خاليا من عناصر المعابد القديمة ، كما أن تصميمـه لم يتأثر بأى مبـنى من مبانـى الحضارات التى عاصرتـه .

واكتفى المسلمون بأن يقيموا الصلاة تحت سقيفه أو مظلـة واحدة تحميهـم مــــن حرارة الشمس ... يحيطها حاجز أو سور ليحميها من الحيوانات الضالـــة ويحفـــظ لها نظافتها ... بل واكثر من ذلك فقد اتيحت الصلاة فى أى مكان من الارض شريطـة ان يكون نظيفا طاهـرا .

كان المسجد منذ انشائه مكانا للصلاة والاجتماع والتشاور والدرس لجميـــــــع المسلمين ... لذلك وضع تخطيطه على أساس استيعاب أكبـر عـدد مــن المسلميـــــن يجتمعون فيه على الاقل خمس مرات كل يوم للصلاة والتشاور فى امور الدنيا والدين .... لذلك فقد شعت منه احكام هذا الدين فأضاءت العالم بنـوره .

وكلمة مسجد لغويا هو المكان الذى يسجد فيه وهى من الفعل سجد ، والسجود هو أهم حركة فى الصلاة حيث يكون فيها المسلم اكثر قربا من الله عز وجل ، ولذلك أطلـق هذا اللفظ على بيت الصلاة . أما كلمة جامع فهى صفة للمسجد حيث كان مكانا للاجتمـــاع وسمى المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة بالمسجد الجامع أو بالجامع فقط .

ثانيا : العوامل التى أثرت على عمارة المسجد

تعودنا عند دراسة أى فن من الفنون القديمة أن نبحث عن العوامل التى أثرت على هذا الفن وميزته عن غيره ـ هذه العوامل اما طبيعية تشمل جغرافيـة وجيولوجية ومناخ الاقليم الذى ظهر فيه هذا الفن ، واما عوامل انسانيه تشمل الدين والحالة الاجتماعية والتاريخ ٠

لذلك يجب أن نلقى نظرة سريعة على هذه العوامل المؤثرة فى الفنون الاسلامية عامـة وعمارة المسجد خاصـة ٠

العوامل الطبيعيـة :

نظرا للرقعه الشاسعه للعالم الاسلامى كان لابد من وجود بعض الاختلافات فى تصميم المسجد من اقليم لاخر نتيجة لهذا العامل الطبيعى ٠

ولكن يجب أن نقرر أن هذه الاختلافات لم تمس الخطوط الرئيسية لعمارة المسجد التى احتفظت بها طوال عشرة قرون (اللهم الا فى العصر العثمانى حيث ظهرت لنـا تصميمات جديدة) ـ وما هذه الاختلافات الا اختلافات بسيطة تنحصر فى التفاصيـل والزخارف والنسب وطرق الانشاء ٠

كان لابد من استعمال المواد البنائية المحلية فالبناء بالطوب غير البناء بالحجر، فمثلا نجد القباب والاقبية أول ما ظهرت كانت فى عمارة الطين والطوب لسهولة بنائهـا بهذه المواد ٠

أما المناخ فكان من العوامل الهامة فى عمارة المسجد وكان من نتيجة هـذا العامـل :ـ

١ ـ ظهور الافنية الداخلية فى المساجد ويطلق عليها الصحن وتعتبر كرئـة تساعد على تلطيف الجو من الشمس المحرقة والعواصف الرملية والضوء القوى ٠

٢ ـ قلة الشبابيك وصغر مساحتها فى واجهات المساجد حيث امتلأت بالحشوات الجصيه والحجرية المفرغة باشكال زخرفية وذلك لاضعاف حدة الضوء داخل المسجد ٠

٣ — فى بعض الاقاليم الممطره كشمال افريقيا وبلاد الشام نجد سقوفا مائلة خشبية مغطاه بالقرميد لتصريف مياه الامطار •

٤ — انتشرت المآذن البرجيه ذات القطاع المربع فى شمال افريقيا والاندلس حيث ان شدة الاضاءة أقل بكثير من الهند وايران ومصر والتى نجد بها المآذن المثمنه والمستديرة القطاع •

٥ — فى البلاد ذات الطقس البارد نجد أحيانا لأروقة الصلاه أبوابا تغلق شتاء كما فى بلاد الشام ولكن فى مصر والهند وايران فتحت هذه الاروقه بأكملها على صحن المسجد بدون أية ابواب •

العوامل الانسانيــة :

— تختلف الحالة الاجتماعية من عصر لاخر ومن اقليم لاخر، فحياة التقشف التى ظهرت فى بداية الامر أثرت على العمارة الدينيه كما فى المساجد الاولى والتى كانت بدائية لحد كبير — وفى بعض الفترات الاخرى دلت الحياة الاجتماعية على البذخ والترف كما فى عصر هارون الرشيد وظهر تأثير ذلك واضحا فى مساجد هم التى أصبحت تحفا فنيه رائعة بما احتوت من فسيفساء وزخارف مختلفة •

كذلك نتيجة للعامل الاجتماعى وجدنا اماكن الصلاه فى بعض المساجد تبتعد عن الشوارع الخارجيه منعا للضوضاء ولتجعلها بعيده عن انظار الماره وذلك بعمل المداخل الملتويه (الباشوره) وبعمل الزيادات •

— أما بالنسبة لعامل التاريخ فعندما فتح المسلمون البلاد ذات الحضارات الكبيرة اخذوا يشاركون أهلها فى البناء واقتبسوا منهم الكثير وظهر هذا جليا فى عماره المسجد كالافنية وطرق الانشاء الى غير ذلك — كما نجد نتيجة لهذا العامل انتقال تصميم المئذنه السوريه البرجيه الشكل الى شمال افريقيا والأندلس ، وانتقال فنون سامرا الى مصر فى جامع احمد بن طولون — كما اننا لاننسى التأثير البيزنطى على عمارة المسجد عندما جاءت الامبراطورية العثمانية حيث ظهرت لنا تصميمات للمسجد لم تكن معروفه من قبل •

وهكذا انتقلت الفنون الاسلامية بوجه عام نتيجة للتجارة وللحروب الصليبية وعن طريق اسبانيا وصقلية وغيرها الى اوربا خلال العصور الوسطى .

ـ أما عامل الدين فكان العامل الاول الذى أثر على الفن الاسلامى عامـة وعمارة المسجد خاصـة .

أخذ الفنان الاسلامى الأسس والتعاليم الدينية التى قام عليها الاسلام وحاول تحليلها وتطبيقها فى اعماله الفنية المختلفة .

لذلك يجب أن نلقى نظرة سريعة على بعض هذه التعاليم الدينية وانعكاسها علـى عمـارة المسـجد :

* وحد الدين الاسلامى شعوب تلك المنطقة الشاسعة الاطراف بالرغم من تعدد اصولها واصبحت شعبا واحدا يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة ويمارس عادات وتقاليد تكاد تكون واحدة يحكمهم خليفة واحد ودستور واحد هو القرآن الكريم .

ـ نتيجة للتوحيد الذى دعا اليه الدين الاسلامى والبعد عن الوثنية نجـد أن الفنان ابتعد عن محاكاة الطبيعة وعمل التماثيل واتجه الى فن الزخرفة وابدع فيهـا كل الابداع مستخدما عناصر هندسية ونباتيه جعلها الفنان مجردة لاقصى حد ، كما ان الخط العربى أصبح من العناصر المميزة للزخرفة الاسلامية ... ولذلك امتـلأت جدران المساجد بتلك الزخارف وبآيات قرآنية تذكر الانسان دائما بعبادة ربـه ..

ـ أدى التوحيد الى ان تكون عمارة المسجد بسيطه كل البساطه وتخطيطه يكـاد يكـون واحدا موحدا فى المشرق والمغرب الاسلامى ... وربما كان ذلك ايضـا لقوة الفن الاسلامى الذى جعل الفنان ينسى ذاته فخلق اسلوبا واحدا لعمـارة المسجد فى جميع الاقاليم وجميع العصور .

* دعا الاسلام الى النظافه والوضوء قبل الصلاه .. لذلك عملت النافورات فى المساكـن وداخل أفنية المساجد ، كما ابتعدت دورات المياه عن الاماكن الطاهرة فوجـدت خارج المسجد أو فى مستوى آخر .

* الاسلام دين ودنيا دعـا الى العلم وكان لذلك أثره على تصميم المسجد فعلاوة علـى وظيفته للصـلاه فهو منذ انشائه مدرسه بل جامعه يلتف فيها الدارسون حول اساتذتهم

على شكل حلقات للتزود من مختلف العلوم الدينية • وكما سنرى فيما بعد أن المسجد أصبح يؤدى أكثر من وظيفة • • • لذلك كان موقع المسجد دائما يحتل المركز التجارى للمدينة •

* الاسلام دين يدعو الى التواضع والمساواة والاخاء • • لا فرق بين عربى واعجمى الا بالتقوى • • وانعكس هذا على عمارة المسجد فالجميع عند الصلاة يقفون صفا واحدا متجاورين متحابين : الفقير بجانب الغنى ، كما انعكس هذا على الاهتمام ببيت المال ووضعه داخل المسجد أو مجاورا له •
* دعا الدين الاسلامى المصلين أن يولوا وجوههم نحو البيت الحرام بمكه فكان لابد من بناء المحراب وجعل جدار القبله اساسا عند تخطيط المسجد • كما أن الدعوة الى الصلاة أدت الى بناء المئذنة •

وهكذا كان للدين الاسلامى أثر كبير فى عمارة المسجد •

ثالثا : <u>أسس تخطيط المسجد</u>

نتيجة لتلك العوامل السابقة نستطيع أن نستنتج بعض الأسس التى قام عليها تخطيط المسجد نذكر منها :—

١ — البساطه فى التصميم : قاعة أو سقيفه واحدة مفروشة بالبسط أو الحصر لتحفظ لها نظافتها • • • لانجد بها سوى المحراب يجاوره المنبر •

٢ — تطل هذه السقيفه على الفناء أو الصحن الذى يسمح للانسان من رؤية السماء والتأمل فى صنيعة الله عز وجل •

٣ — يعد جدار القبله أساسا فى تخطيط المسجد •

٤ — أحب المعمار المسلم الخطوط الافقية ، فجعل المدينة العربية وجميع مبانيها تسودها الافقية • • • تلك الخاصية التى رأها فى الصحراء • • فى السهول • • • فى البحار • • • فى الافق البعيد — لذلك كان تخطيط المسجد تسيطر عليه الخطوط الافقية • • • ولكن الفنان المسلم لم ينس أن يجمل تلك الخاصية بخطوط اخرى رأسية تزيل الملل وتعطى شيئا من التهلين والجمال ، فأقام المئذنة شامخه ترتفع الى السماء تشهد بوحدانية الله عز وجل •

٥ ـ عمارة المسجد قامت على دراسة الفراغ عند تصميمه الداخلى فهو فراغ واحـــد كبير تراصت به الاعمدة والعقود التى تحمل السقف فتشعرنا بالاستمراريـــة اللانهائية ... كما نرى تلك الاعمدة والعقود فى بعض المساجد متراكبـــة بعضها فوق بعض فتزيد من ارتفاع رواق الصلاة وتزيد من الاحساس بالفـراغ غير المحدود .

هذه الفراغات الناتجه من الاروقه او الايوانات المفتوحة باكملها علـــى الصحن تعطينا احساسا باتصال الفراغ الداخلى بالفراغ الخارجى للصحـــن المتصل بالسماء .

٦ ـ احتفظ المسجد بخطوطه الرئيسية فى تخطيطه طوال تلك المدة وفى مختلـــف العالم الاسلامى بدرجة اننا لانستطيع التعرف على أسماء مهندسى تلك المساجد

٧ ـ واخيرا يمكننا ان نسمى عمارة المسجد بالعمارة الساكنة Static A . فهى عمارة كلاسيكية يسودها الاتزان والوقار ... تملأ جدرانها الزخارف المتزنه ويتخللها الضوء الخافت الذى ينبعث من الحشوات الزخرفيه التى تملأ النوافذ .... ومن الارتفاع الشاهق لأسقفه والمساحات المتسعة لاروقته ... لذلك فعمـــارة المسجد عمارة يسودها الهدوء والروحانية .

رابعا : المصطلحات الفنيــة :

قبل الدخول في هذه الدراسة يجب أن نتعرف على بعض المصطلحات والتسميات الفنية التي استعملت ، فهي تميل الى التعبيرات الهندسية أكثر من ميلها الـــــى التعبيرات اللغوية •

ومن هذه التسميات نجد :ــ

١ ــ الباكية : وهي المسافة التي بين عمودين من اعمدة اروقة المسجد وهي الحاملة للاعتاب الافقية او للعقود (Arcade) وهي اما أن تكون موازية لجـــدار القبلة أو متعامدة عليه •

٢ ــ البلاطة : وهي المساحة المحصورة بين صفين من الاعمدة (Slab) •

٣ ــ الرواق : وهي المساحة المسقوفة أي السقيفة المحمولة على الاعمدة وتتكـــون من بلاطة واحدة او اكثر •

٤ ــ المجــاز : ويطلق كثيرا على صالة المدخل (Magaz) أو الممر •

٥ ــ المجاز القاطع : ويطلق في عمارة المسجد على المساحة المكونة من بلاطـــة واحدة او اكثر غالبا ما تسير عمودية على جدار القبلة وتقطع بلاطات رواق الصلاة الموازية لهذا الجدار (Transept) وتنتهي بالمحراب •

٦ ــ صحن المسجد : وهو الفناء السماوي الداخلي (Court)

٧ ــ الزيادة : وهي مساحة مكشوفة تحيط بالمسجد من ثلاث جهات كما في مسجد احمد بن طولون بالقاهرة (Ziada)

٨ ــ مبخــرة : اسلوب معماري يكون نهاية المئذنة (قبة صغيرة ترتكز على اعمدة) وقد اتبع هذا الاسلوب في مآذن العصر الايوبي واوائل المماليك بمصـــــر • وسمي بذلك لمشابهة هذا الشكل بالمباخر النحاسية المربوطة بالسلاسل ولكن بشكل مقلوب (Mabkhara)

٩ ــ الايــوان : وهو قاعة مسعة مستطيلة الشكل غالبا ما كانت بدون اعمــــدة داخلية ــ الضلع الصغير في هذه القاعة يكون واجهتها المفتوحة باكملهـــا على الصحن (Iwan) وربما كان سقفها من قبو مستمر كايوان كسرى •

خامسا : عمارة المسجد وتطورها خلال العصور المختلفة

١ - عمارة المسجد في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين

في تلك الفترة كانت هناك عدة مساجد أولها مسجد قباء بناه اصحابه وصلى به الرسول عليه الصلاة والسلام عند ما هاجر من مكة الى المدينة وذلك في العام الاول الهجرى المقابل لعام ٦٢٢م . وفي هذا العام ظهرت لنا البشائر الاولى للعمارة الاسلامية حيث اقام الرسول عليه الصلاة والسلام بناء مسجده في المدينة المنورة والذى أصبح دارا لاهل بيته ومكانا يجتمع فيه مع المسلمين للتشاور في امور الدنيا والدين .

اختار محمد صلى الله عليه وسلم قطعة من الارض بالمدينة بلغت أبعادها حوالى ١٠٠ × ١٠٠ ذراع واحاطها بسور من اللبن يرتكز على اساس من الحجر وفتح به ثلاثة أبواب . وبنى على الضلع الشرقى من خارج هذا السور تسع غرف صغيرة ملتصقة به وهى لاهل بيته . كما أقام في الجزء الشمالى من داخل السور وملتصقة به مظلة أو سقيفة صغيرة محمولة على بعض جذوع النخيل . وكان النبى عليه الصلاة والسلام وصحبه يجتمعون ويصلون تحت هذه السقيفة التى كانت متجهة نحو بيت المقدس وكانت مأوى لفقراء المهاجرين وأطلق على هؤلاء اسم " أهل الصفه " نسبة الى تلك الصفه أو السقيفه .

وفي العام الثانى من الهجرة أمر الرسول ان يولى المسلمون وجوههم نحو البيت الحرام في الصلاة ، فأضيفت مظله اخرى اكبر من الاولى وبكامل طول الضلع الجنوبى للمسجد حيث ازداد عدد المسلمين وكانت مفتوحه بأكملها على الفناء الداخلى وأصبحت هذه المظله رواقا للصلاة ، ولذلك سمى هذا المسجد بالمسجد ذى القبلتين . ومن الطبيعى أن يكون هذا البناء الذى انشئ من مواد بدائية ضعيفه مركزا للحكم الاسلامى شعت منه احكام هذا الدين فأضاءت العالم بنوره .

في ذلك الوقت لم يكن بالمسجد أى عنصر من العناصر التى يجب ان تتوفر في المسجد فلم يكن به مئذنه ولا آذان وكانوا يتناقشون في كيفية الدعوة للصلاة

الى ان جاء الرسول عليه الصلاة والسلام ودعا بلالا وكان ذا صوت جميل ليدعو المسلمين الى الصلاة عند باب المسجد أو من أعلى سطح احد البيوت المجاورة حتى يسمعه الجميع ، وبذلك كان بلال أول موءذن في الاسلام . لم يكن في هذا المسجد محراب بالمعنى المعروف ، فقد كان مجرد علامة ما بجدار القبله لتحديد اتجاهه . وقد ذكر لنا بعض المورخين عن وجود محرابين انشئا في حياة الرسول بمسجد قباء ومسجد المدينة ولابد انهما كانا غير مجوفين وعلى هيئة بسيطه كما سنرى ذلك فيما بعد . لم يكن بمسجد الرسول في ذلك الوقت منبر وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب في المسلمين واقفا أو جالسا أو متكئا على جزع نخله أو غير ذلك ثم عمل له بعد ذلك كرسى من الخشب ذو ثلاث درجات .

تلك هي الصورة البسيطه التى كان عليها مسجد محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة .. ذلك التصميم البسيط بساطه الدين نفسه . (لوحه ١)

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم دفن في احدى غرف داره وهي غرفة السيدة عائشه التى أصبحت نواة لمسجد المدينة الحالى بعد ان تعرض المسجد الاول لعدة اضافات وتوسعات ومن هذه التوسعات التى عملت بهذا المسجد تلك التى قام بها الخليفة عثمان في عام ٦٤٤ م حيث وسع رواق الصلاة واضاف ثلاثة اروقه اخرى اقل عمقا حول الفناء (الصحن) وبذلك أخذ البناء شكله التقليدى وأصبح التصميم النموذجى الذى يقتدى به عند تصميم المساجد في جميع البلدان الاسلامية وفي جميع العصور . هذا التخطيط عبارة عن صحن تحيطه اروقه اكبرها رواق القبله أو الصلاة .

اما في عصر الخلفاء الراشدين فنجد مسجد البصره ويقال أن أول من بناه هو أبو موسى الاشعرى عام ١٤ هـ (٦٣٥م) وكان سوره ورواق الصلاة فيه من البوص والغاب وجزوع النخيل كما بنى دار الاماره وبيت المال خلف جدار قبله هذا المسجد وكان يفصلها عنه شارع صغير .

كما نجد مسجد الكوفه الذى بنى عام ١٧ هـ (٦٣٨م) وكان يحيطه خندق وبه سقيفه من جزوع النخيل وسقفه يرتكز على بعض الاعمدة القديمة ، وفي عام ٦٧٠م أعيد بناوءه وأصبح يتكون من صحن تحيطه أربعة أروقه اكبرها رواق الصلاة . (لوحه ٢)

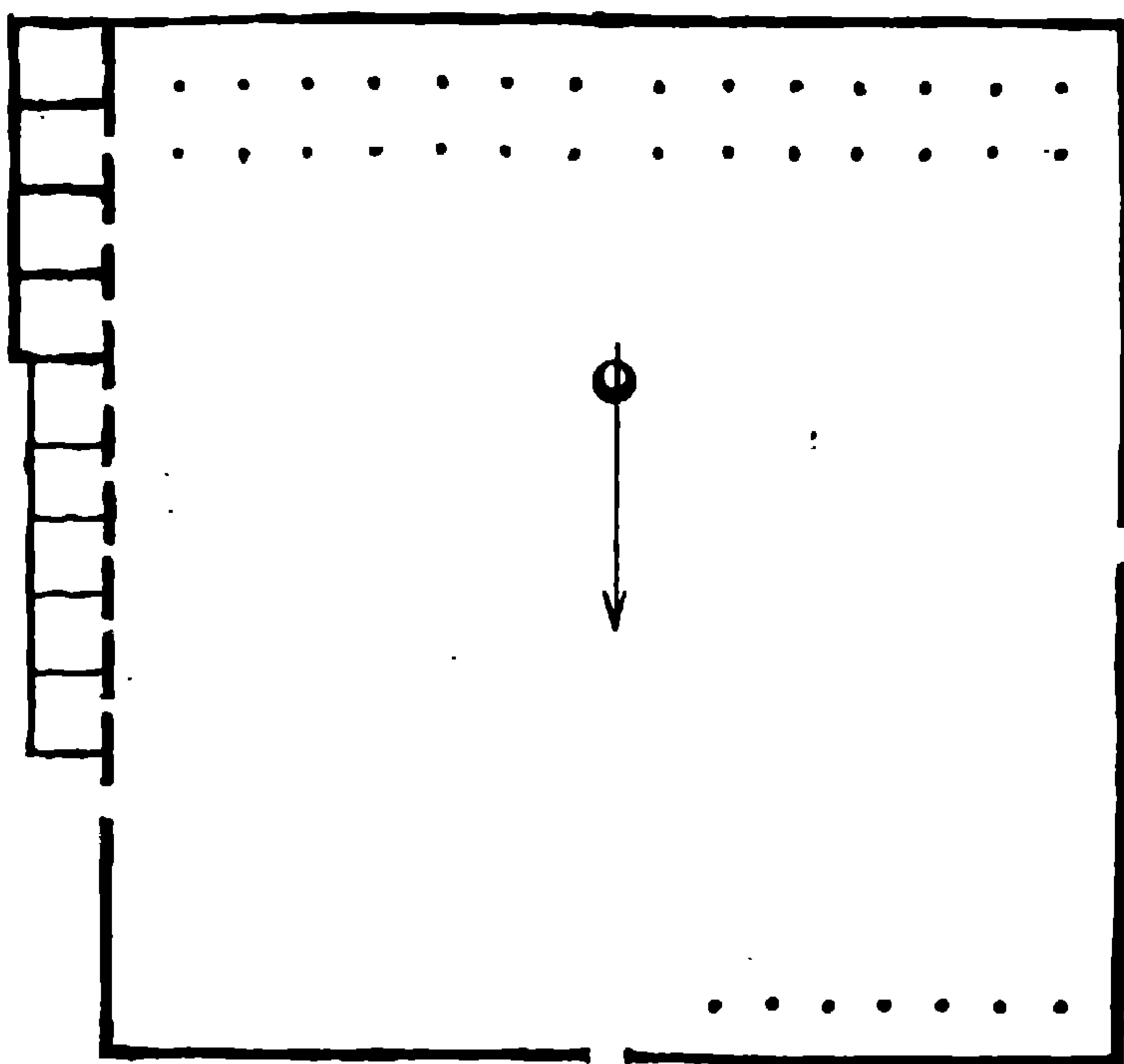
وفى مصر نجد المسجد الجامع لمدينة الفسطاط بناه عمرو بن العاص عام ٢١ هـ (٦٤١م) وسنتكلم عنه فى الفقرة التاليه وفى فلسطين نجد المسجد الاقصى (لوحه ٣) فى الحرم الشريف ببيت المقدس يقال أن الخليفه عمر بناه فى عام ٦٣٨م (١٧ هـ) .

وفى سوريا كان المسلمون الأوائل يحولون بعض المبانى القديمة أو أجزاء منهـا الى مساجد حتى اوائل العصر الاموى حيث كان معاوية يصلى بالمسلمين فى أحـد المعابد الرومانية القديمة وبجوار كنيسة يوحنا المعمدان .(لوحه ٤)

نلاحظ ان جميع مساجد تلك الفترة كانت مساجد جامعه أعيد بناؤها أو أضيفت اليها توسعات فى عصور مختلفة . ويتضح من هذه المساجد الاولى البساطه فـى تخطيطها المربـع الشكل تقريبا وكانت بدائية الى حد كبير خاصه فى اسلوب بنائهـا علما بانه فى ذلك الوقت كانت هناك حضارات ضخمة فى بلاد الشام ومصر وبلاد الجزيـرة وكان من الممكن أن يقتبس المسلمون من عماراتهم ، ولكنهم لم يقلدوا شيئا منها وارادوا خلق عمارة نابعه من دينهم قبل كل شئ مهما كانت بدائية فى أولها .... أرادوا خلق عماره نابعه من بيئتهم الصحراوية بما فيها من تقشف وصبر واعتزاز بالنفـس ... أرادوا ان يكون لهم عماره تحمل اسم دينهم ولها طابعها الخاص .

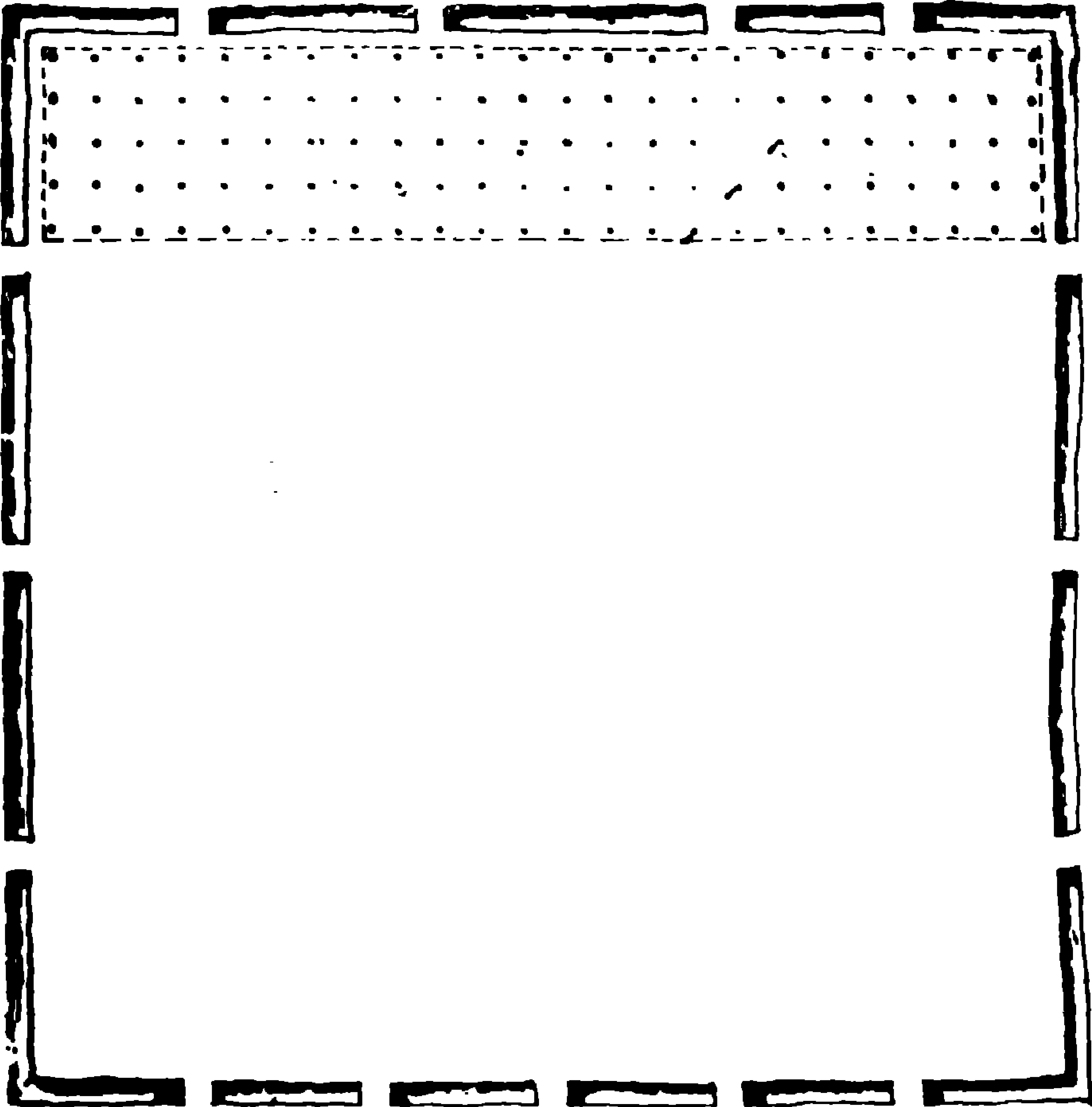
لذلك فقد استمر التخطيط الاولى للمسجد واخـذ يتطور بخطا متئده حـتى استطاع ان ينافس معابد ومبانى الحضارات المعاصره له وان يستمر بخطوطه الرئيسيـة التى مازال يعمل بها فى جميع انحاء العالم الاسلامى حتى اليوم والتى لاتخرج هـذه الخطوط عن لتعريف العام للمسجد "صحن تحيطه اروقه اكبرها رواق القبله" وهذا التخطيط رأيناه فى المسجد الاول للاسلام : مسجد الرسول عليه السلام .

شكل ١



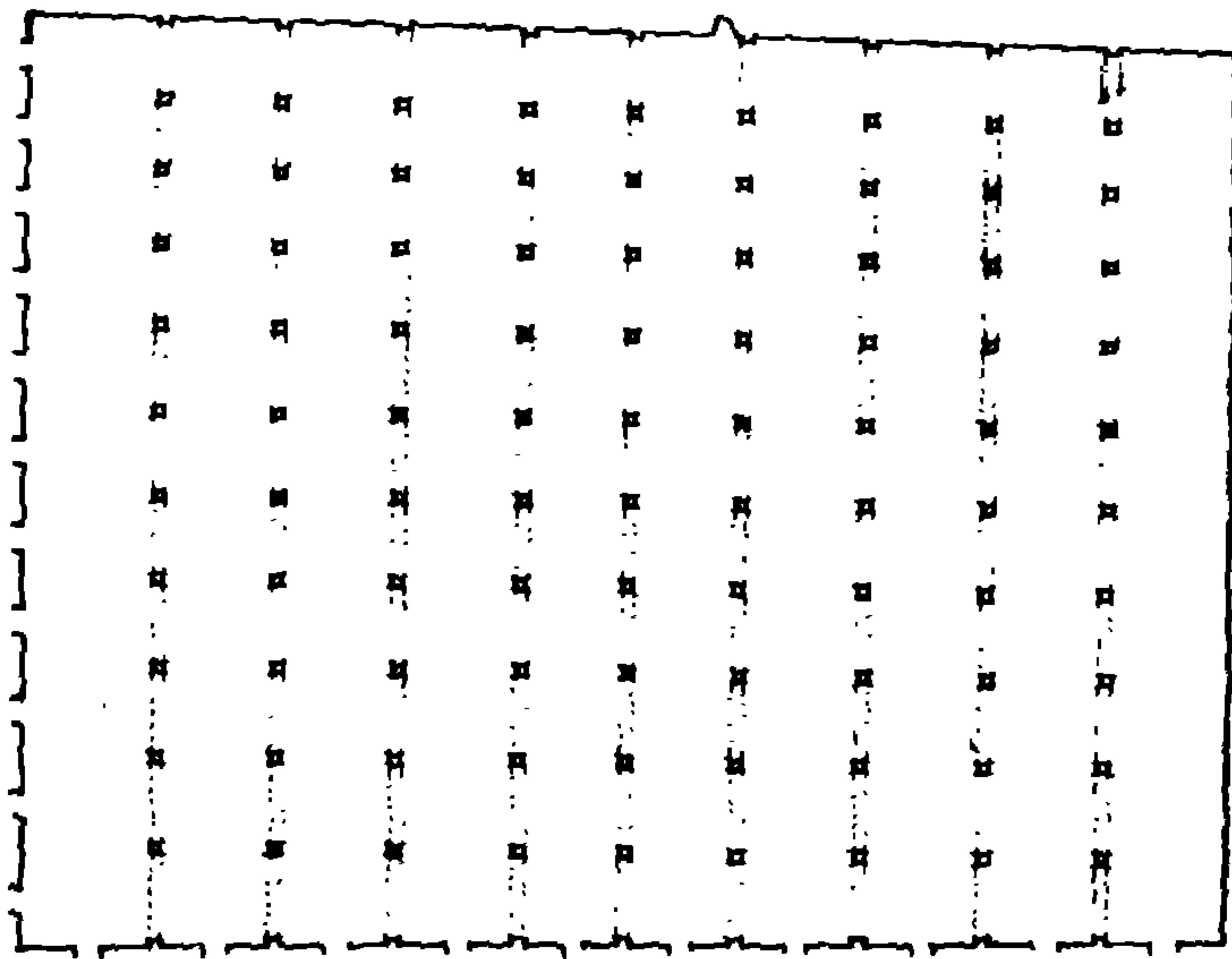
مسجد الرسول عليه الصلاة والسـلام
(٦٢٢ م)

لوحة ٢

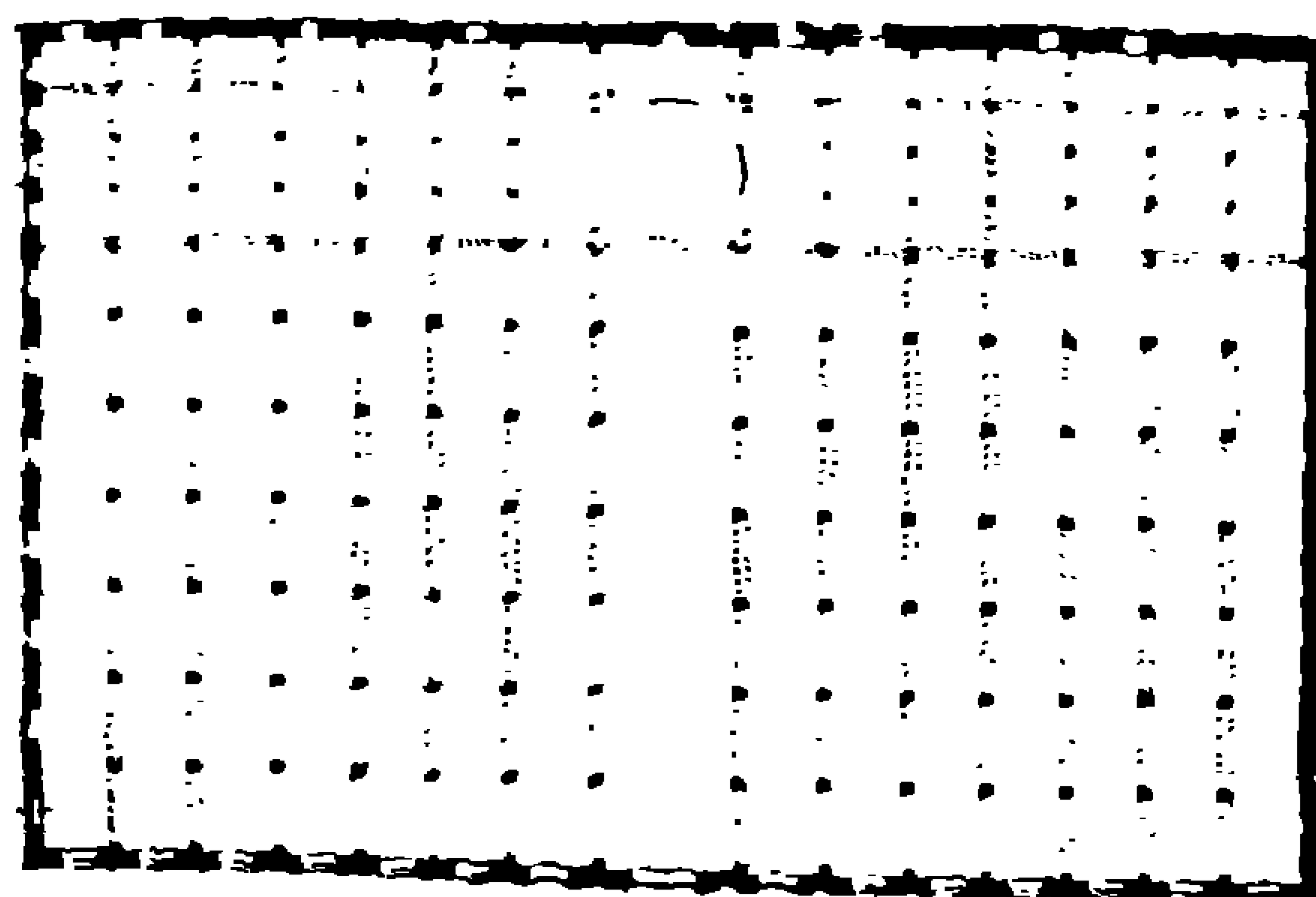


مسجد الكوفة (٦٣٨م)

لوحــه ٣

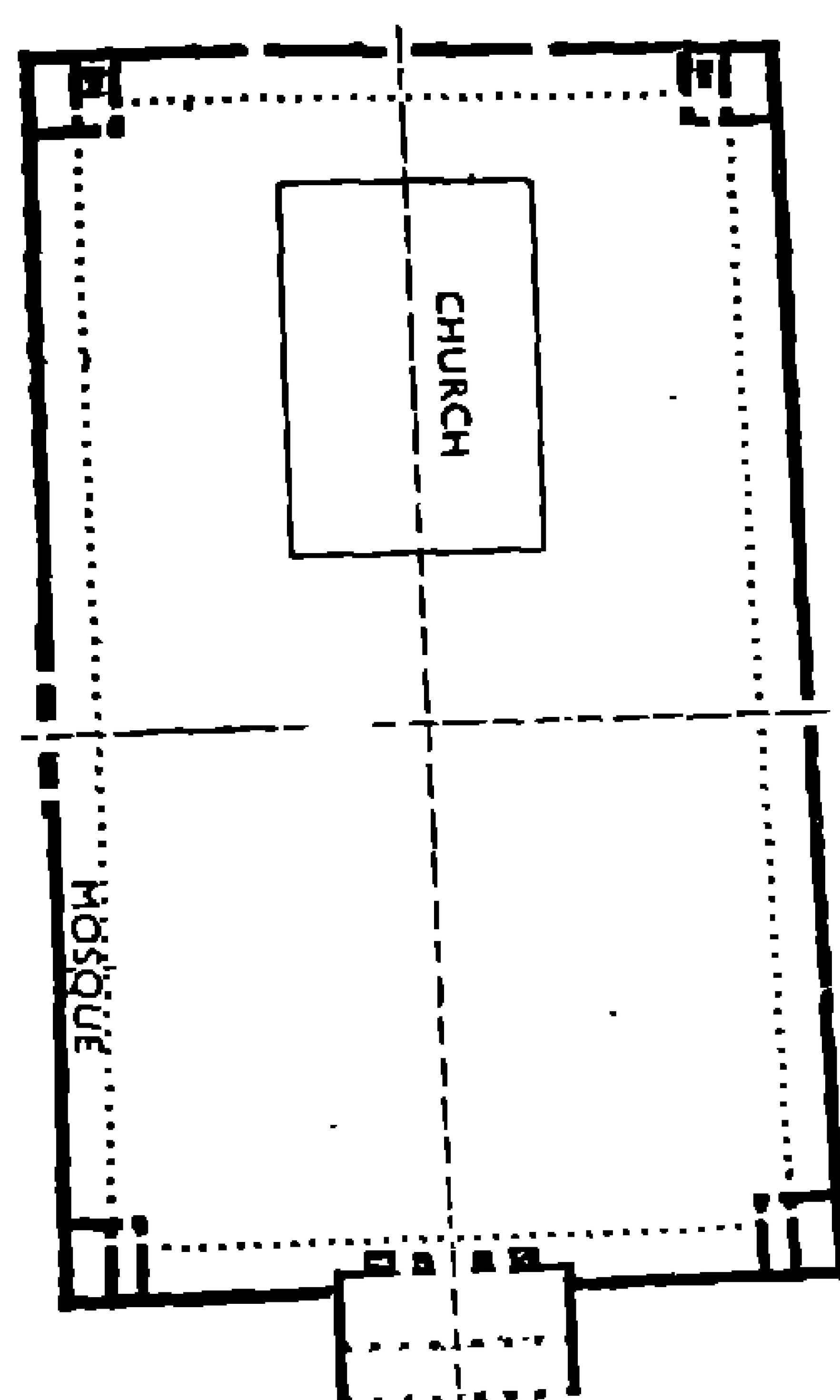


المسجد الاقصى فى العصر الاموى



المسجد الاقصى فى العصر العباسى
(٧٨٠ م)

لوحـــه ٤



موقع المسجد الاموى بدمشق (معبد التيمونس)

٢ ـ عمــارة المســـــجد

: فى المشرق العربى (مصر ـ بلاد الشام ـ العراق)

مقد مه تاريخيـــه

نستطيع ان نلخص بايجاز الدول التى حكمت تلك المنطقة وتواريخ أهم الحوادث التى مرت بها بما يلى :ـ

أولا : عصر الخلفاء الراشدين : (من عام ٦٣٢م الى ٦٤٠م)
فتح العرب مصر ومعظم بلاد تلك المنطقة •

ثانيا : الدولــة الامويـــة : (من عام ٦٦١م الى ٧٥٠م)
أسس معاويه الدوله الاموية وكانت عاصمتها دمشق

ثالثا : الدولة العباسيـــة : (من عام ٧٥٠م الى١٢٥٨م)
تكونت الدولة العباسية وكانت عاصمتها بغـــداد واستمرت الى ان سقطت فى يد المغول • وفـــى نهاية هذه الدولة ضعف نفوذ خلفائها واستقـــل بعض الولاء بالاقاليم التى حكموها فنجد :ـ

ـ من عام ٨٦٨ الى ٩٥٠ م : حكم الطولونيون مصر وغيرها من بلاد المنطقة
ـ من عام ٩٣٥م الى ٩٦٩م : حكم الاخشيديون مصر وغيرها
ـ من عام ٩٢٩م الى ١٠٠٤م : حكم الحمدانيون وسيف الدوله الحمدانـــى معظم بلاد الشام •
ـ من عام ١٠٥٥م الى ١٢٥٤م : حكم السلاجقه والاتابكه (دوله بنى زنكى) بلاد الشام والعراق •
ـ عام ١٢٥٨م : سقوط بغداد فى يد المغول وانتهـــــاء الدوله العباسية •

رابعا : الدولة الفاطمية : من عام ٩٦٩م الى ١١٧١م : تكونت الدولة الفاطمية في مصر وحكمت بلاد الشام وغيرها من بلاد تلك المنطقة

من عام ١٠٩٦م الى ١٢٩١م : جاءت الحروب الصليبية

خامسا : الدولة الايوبية : من عام ١١٧١م الى ١٢٥٠م : تكونت الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن . واستطاع صلاح الدين الايوبي ان يقضي على المذهب الشيعي في تلك البلاد .

- عام ١١٧٨ م : انتصر صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين .

- عام ١٢٩١م : قضى صلاح الدين نهائيا على الصليبيين .

- عام ١٢٥٢ م : تحرك المغول بقيادة هولاكو حفيد جنكيزخان من بلاد المغول وسقوط بغداد في عام ١٢٥٨م وتخريبها ثم الاستيلاء على بلاد الشام واحتلال دمشق وحلب .

سادسا : دولتي المماليك : من عام ١٢٥٠ م الى ١٣٨٢م : تكوين دولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام وغيرها .

عام ١٢٦٠م : انتصار الظاهر بيبرس على المغول في موقعة عين جالوت وقضى عليهم نهائيا .

- من عام ١٣٨٠م الى ١٥١٧م : تكوين دولة المماليك الجراكسة (البرجيه) في مصر وبلاد الشام وغيرها .

- عام ١٤٠١م : سقوط سوريه في يد تيمورلنك عند قيام التتار بعد المغول بغزو بلاد الشام وغيرها من بلاد تلك المنطقة . وبموته في اسيا الصغرى انتهى حكم التتار .

- عام ١٤٥٢م : سقوط القسطنطينية في يد الترك العثمانيين على يد محمد الفاتح وانتهاء الامبراطورية البيزنطيه .

ـ عام ١٥١٦م : انتصار السلطان سليم (العثماني) على المماليك في معركة مرج دابق وفتح بلاد الشام وغيرها •

سابعا : الدولة العثمانية : ـ عام ١٥١٧م : تم فتح مصر وتكوين الامبراطورية العثمانية في معظم البلاد الاسلامية •

أ ـ عمارة المسجد وتطورها فى مصر

نجد فى مصر العديد من المساجد فى مختلف العصور ، وهذا ما لانراه فى أى
يم اسلامى آخر . هذه المساجد تتميز بتخطيطاتها المختلفة التى لم يطرأ عليها
تير من التغيرات والتعديلات عبر القرون المختلفة ، ولذلك وجدنا فيها امكانية
يرة لدراسة تطورها . وربما يرجع ذلك لعدم وجود ثورات خارجية تعرضت لها مصر
ربما تعرضت لها بلاد الشام والعراق مثلا .

ـ عمارة المسجد وتطورها فى العصور الاولى (لوحه ٥)

بدأت العمارة الاسلامية بمصر منذ انشاء جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى
هد الخليفة عمر بن الخطاب ويطلق عليه اسم الجامع العتيق وذلك فى عام ٦٤١م .
د تعرض هذا المسجد للعديد من الاضافات فى عصور مختلفة . ثم تلاه جامع العسكر
لذى بناه صالح بن على عام ٧٥٠م بمدينة العسكر ثانى المدن الاسلامية بمصر بعد
لفسطاط . ولا نعرف شيئا عن هذا الجامع بسبب الحرائق التى دمرت هذه المدينة .

ويمكننا ان نلقى بعض الضوء على تطور جامع عمرو بالرغم من انه لم يبق شىء من
مارة المسجد الاول والتى كانت بدائية الى اقصى حد ولم يتبع التخطيط الذى رأيناه
ى عصر الرسول عليه السلام وعصر الخلفاء الراشدين ، فقد كان صغيرا مستطيل الشكل
ليس به صحن (ربما لصغر مساحته) وكان له سقف قليل الارتفاع من المواد النباتية
محمول على بعض جذوع النخيل وفتح فى سوره المصنوع من الطوب اللبن بعض الابواب
منها باب واحد فى جدار القبله يؤدى الى حارة صغيرة مقابل لدار الامارة . وتعدد
الابواب فى المسجد الواحد اسلوب وجدناه فى عصر الرسول عليه السلام وعصر الخلفاء

الراشدين ، كما رأيناه فى المساجد الاموية والعباسية بعد ذلك . كما ان موقع دار الامارة خلف رواق الصلاة أى قريبا من المسجد وجدناه فى مسجد البصرة ثم وجد فى العصر الاموى فى الجامع الكبير بدمشق وفى العصر الطولونى بمصر فى جامع ابن طولون .

ويمكن تلخيص تطور عمارة هذا المسجد فى العصر الاموى والعباسى بما يلى :-

١ - فى العصر الاموى أمر معاويه فى عام ٦٧٢م والى مصر فى ذلك الوقت ان ينشئ اربع صوامع (مآذن) فى اركان المسجد عند توسعته ، ولم يبق من هذه المآذن شئ الان ولكن يمكن اعتبارها اول مآذن انشئت فى الاسلام ويذكر المؤرخون انها كانت أبراجا قصيرة من الخشب يعلو كل منها غرفة صغيرة لوقوف المؤذن وهى ولا شك مقتبسة من الصوامع او الابراج الاربعة التى كانت بأركان المعبد الوثنى القديم Temenos بدمشق والذى كان يتردد عليه معاويه عند الصلاة . وفى ذلك الوقت أيضا اضيف للمسجد صحن يتوسط أروقته واحتفظ بأبوابه ودار الامارة .

٢ - وفى العصر العباسى كانت اهم عمارة بهذا المسجد هى التى قام بها عبد الله بن طاهر الوالى العباسى وذلك فى عام ٨٢٧م حيث قاربت مساحته من المساحة الحالية وبذلك أصبح شكله مربعا تقريبا كالمساجد القديمة ولم يبق من هذه العمارة الا بعض الشبابيك وبعض الاعمدة فى رواق الصلاة ويمكن تلخيص التطور فى هذه الفترة بما يلى :-

أ) أعيد بناء المسجد من الطوب المحروق واستمرت هذه المادة فى بناء المساجد بمصر حتى أواخر العصر الفاطمى .

ب) اخذ المسقط الافقى الشكل المربع تقريبا واستمر هذا الشكل فى المسجد الطولونى ومعظم مساجد الفاطميين .

جـ) عمل المسجد صحنا تحيطه أربعة أروقة اكبرها رواق الصلاة .

د) بلاطات هذه الاروقه تسير موازية لجدران المسجد وهذا ماسنراه فى كثير من مساجد مصر فى العصور المختلفة •

هـ) استمر وضع الابواب وتعددها بالمسجد خاصة فى العصر الطولونى وهذا من معالم المساجد العراقية •

و) تحمل تيجان الاعمدة شدادات خشبية Tie Beams لمقاومة قوى رفس العقود ، وقد استمر هذا الاسلوب فى كثير من المساجد •

ز) وجد بأعلى واجهة المسجد شبابيك بعضها لازال موجودا الى الان وهى متوجه بعقود مدببة ترتكز على أعمدة قصيرة ملتصقة باكتاف الشبابيك وبداخل هذه الشبابيك حشوات جصيه مفرغه باشكال زخرفية • وقد تكرر هذا الأسلوب فيما بعد فى معظم المساجد •

ويعتبر العقد المدبب من أقدم العقود الاسلامية التى وجدت بمصر وانتشرت بالمشرق العربى • وربما جاء هذا العقد من العراق مع عبد الله بن طاهر وربما كان امتدادا للعقد المدبب المستعمل فى الفن القبطى والفن المصرى القديم • وقد وجدنا مثل هذا العقد بأعمده الملتصقة فى مساجد العراق وفى مصر بعد ذلك فى مقياس النيل وفى جامع بن طولون وفى بعض مساجد الفاطميين •

ح) ومن العناصر المعمارية التى وجدت فى واجهة جامع عمرو فى تلك الفترة أى منذ بداية القرن التاسع تلك الحنايا Niches المتوجه بطواقى زخرفية من فصوص تشع من المركز Fluted Hood ومنذ ذلك التاريخ بدأت دراسة واجهات المساجد دراسة معمارية زخرفيه •

٢ ــ تعددت الاصلاحات وتوالت التجديدات التى طرأت على هذا المسجد فى عصور مختلفة أهمها ماكان فى العصر العثمانى والعصر الحديث •

وأخيرا يتضح من هذا التطور بانه بدءا من اوائل العصر العباسى أخذت العمارة الاسلامية فى مصر مكانتها ومامن شك فانها جاءت عن طريق العراق

مقر الخلافة العباسية . وقد ظهر هذا التأثير العراقى بشكل واضـــــــــح حينمـــا جاء احمد بن طولـــون الى مصـــر حامـــلا معـــــه طــــــراز سامـــــرا .

٢ ـ عمارة المسجد وتطورها فى العصر الطولونـــى : (لوحة ٦ ـ ٧)

لم يبق من مساجد هذا العصر سوى جامع احمد بن طولون وهو المسجد الجامع لمدينة القطائع ثالث المدن الاسلامية بمصـــر •

جاء هذا الجامع حاملا التأثير العراقى عن طريق جامع المتوكل بسامرا حيث كـان يعيش احمد بن طولون •

فى هذا المسجد نجد تطورا وتقدما ملموسا من الناحية المعمارية والانشائية والزخرفية فى تخطيطه واسلوب بنائه مع احتفاظه بالخطوط الرئيسية للتصميم اى فناء تحيط ــــــه اروقه من جميع الجهات ورواق القبله اكبرها •

ونستطيع ان نلخص هذا التطور فيما يلى :ـ

١ ـ اتساع مساحة المسجد حيث بلغت مساحته نحو ستة فدادين ونصف اســـــــوة بما اتبع فى جامع المتوكل ، وذلك بعد ان كانت المساجد الاولى صغيرة المساحـة نسبيا ـ وقد استمر هذا الاتساع فى المساجد التالية كجامع الازهر والحاكـــــــم فى العصر الفاطمى •

٢ ـ ظهور الزيادة التى تحيط بالمسجد من ثلاث جهات وهى مقتبسة من جامع المتوكــــل ولم يستمر هذا العنصر فى تخطيط المساجد بعد ذلك بالرغم من ان وظيفتــــه هى ابعاد الضوضاء عن المصلين •

٣ ـ بناء المئذنة فى الزيادة الشمالية خارج سور المسجد بينه وبين السور الخارجى للزيادة اسوة بجامع المتوكل ، ولم يتكرر هذا الاسلوب فى المساجد التالية لعدم وجـــود الزيادة •

ومن المحتمل ان يكون تصميم المئذنة الاولى لهذا المسجد ـ والتى اندثرت الان ـ تشبه مئذنة الملوية بجامع المتوكـل •

٤ ـ كثرة عدد الابواب بجدران المسجد فيما عدا جدار القبلة وهذا اسلوب وجدنـــــاه

فى المساجد السابقة ـ اما الباب الوحيد بجدار القبلة والمجاور للمحراب فهو يؤدى الى دار الامارة الملتصقة بهذا الجدار . وقد سبق أن رأينا هذا الوضع فى جامع عمرو بالفسطاط .

٥ ـ استعملت فى جامع بن طولون اكتاف ضخمة مستطيلة من الطوب الاحمر بدلا من الاعمدة وحليت هذه الاكتاف باعمدة متصلة فى زواياها الاربعة تحمل تيجانا اسلامية ـ لاول مرة فى مصر ـ تسمى بالتيجان الكأسيه او الناقوسيه انتشرت بعد ذلك فى كثير من المبانى الاسلامية . وتحمل هذه الاكتاف فيما بينها عقودا مدببه ذات شكل حدوة الحصان غير كاملة .

واستعمال مثل هذه الاكتاف الضخمة تعتبر من الناحية الانشائية أقوى بكثير من الأعمدة التى لاتقوى على حمل مثل هذا السقف المرتفع . وقد خفف مهندسو هذا المسجد الاحمال الناتجة من هذه الاكتاف بعمل فتحات صغيرة معقودة ، أعلى كل كتف . وقد وجدنا مثل هذا الانشاء ومثل هذه العقود فى العصر الفاطمى بجامع الحاكم .

٦ ـ نلاحظ فى هذا المسجد لأول مرة اتساع عرض البلاطة الاولى المجاوره لجدار القبلة فى رواق الصلاة ، وسنجد هذا الاتساع بشكل ملحوظ فى كثير من المساجد التالية فى مختلف العصور ، حيث أن تلك البلاطة تعتبر أكثر الاماكن تفضيلا للصلاة لقربها من الاستشام .

٧ ـ بدأت الزخرفة تلعب دورا هاما فى مسجد ابن طولون سواء كانت زخارف جصيه تكسو الجدران واطار العقود وتيجان الاعمدة او زخارف من كتابات قرآنيه على الاشرطه الخشبيه تحت السقوف او من حشوات جصيه مفرغه ذات العديد من الاشكال الزخرفية ملتحمة فتحات الشبابيك . وقد اعتبرت هذه الزخارف الجصية اساسا للزخارف الاسلامية التى وجدت بمصر .

٨ ـ ظهر بأعلى واجهات المسجد حنايا قريبة الشبه بالتى وجدت بجامع عمرو من عهد عبدالله بن طاهر . ويدل هذا على التقدم الملموس فى دراسة الواجهات

والتى ظهرت بشكل واضح فى واجهات مساجد الفاطميين ثم المماليك حيث استكملت دراستها المعمارية والزخرفية ٠

١ ـ وجد بأعلى جدران المسجد شرافات مخرمه بشكل زخرفى (عرايس) فريدة من نوعها فى العمارة الاسلامية ولم تتكرر فى أى مسجد آخر ٠

٢ ـ عمارة المسجد وتطورها فى العصر الفاطمى : (لوحة ٨ـ١٢)

لم يبق لنا اى مسجد من مساجد عصر الدولة الاخشيديه ـ اما فى العصر الفاطمى فقد وجدنا عدة مساجد وكان اولها جامع الازهر المسجد الجامع للقاهره المعزيــــة رابع المدن الاسلاميــة بمصــر ٠

كان من الطبيعى أن تتأثر عمارة هذه المساجد فى ذلك العصر بتأثيرات جديدة غير التى وجدناها فى العصر الطولونى ـ ظهرت لنا تأثيرات اتت مع المهندسين والعمال الذين جاء بهم بعض الوزراء الفاطميين من سوريه وارمينيا لبناء سور القاهره ـ ايضـــا كانت هناك تأثيرات فارسية ساسانيه ، حيث أن كلا من الفاطميين والايرانيين يدينــــون بالمذهب الشيعى ـ كذلك كانت هناك تأثيرات من شمال افريقيا جاءت مــــــــع الفاطميــــين ٠

لذلك ظهر تطور وتقدم كبير فى عمارة المسجد فى ذلك العصر نلخصها فيما يلى :ـ

١ ـ لاول مرة ظهرت بعض القباب الصغيرة تغطى مساحة مربعة فى البلاطة الاولــــى من رواق الصلاة كما فى جامع الازهر وغيره حيث نجد بهذه البلاطه اثنتيـــــن عند نهايتيها وقبه اخرى امام المحراب ٠ وكانت هذه القباب من الطوب المحروق ترتكز على رقاب فتح بها بعض الشبابيك لانارة رواق الصلاة ٠ وربما كان هناك سبب آخر لبناء تلك القباب ٠ وذلك لتمييز البلاطة الاولى عن بقية بلاطات رواق الصلاة لاتساعها بدرجة أكبر عما كانت عليه فى جامع ابن طولون لكونها تتسع لعدد اكبـــر من المصلين ٠ كما أن اتساع البلاطة الاولى أدى الى تكبير قطر القبة وبالتالــــى تكبير رقبتها مما يسمح بزيادة عدد الشبابيك لاعطاء انارة افضل لرواق الصـــلاة فى هذه المنطقة البعيده عن صحن المسجد ٠

٢ ـ فى معظم مساجد الفاطميين نجد المسافة التى بين الاعمدة الوسطى فى رواق الصلاة والتى امام المحراب نجدها اوسع من المسافات الاخرى ٠ وتحمل هذه الاعمـــدة عقودا تسير متعامدة على جدار القبلة اى ان هذه البلاطة الوسطى والتى اسلم

المحراب تقطع بلاطات رواق الصلاة التى تسير موازيه لجدار القبله كما ان سقفها يرتفع وبذلك امكن فتح شبابيك علوية على جانبى هذه البلاطة التى سميـــت بالبلاطه القاطعة او بالمجاز القاطــع والتى ظهرت لنا فى مصر لاول مـــرة فى جامع الازهر ثم الحاكم وانتشرت بعد ذلك فى كثير من المساجد • هـــذا العنصر جاء من دمشق حيث ظهر لاول مرة فى العمارة الاسلامية بالجامـــع الاموى الكبير ــ ويعلو هذا المجاز عادة قبه امام المحراب وكثيرا ما نجد قبـــة اخرى تعلو هذا العنصر مطلة على الصحن كالتى عملها الخليفه الحافظ بجامـــع الازهر عندما اضاف رواقا آخر حول صحن الجامع •

نلاحظ ان تلك القباب الصغيرة التى برواق القبلة تغطى مساحة مربعة والانتقـــال من المربع الى المثمن كان عن طريق الحنايا الركنيه وهى طريقة اقتبست من العمارة الفارسية الساسانية •

هذه البلاطه القاطعة ما هى الا عنصر معمارى يؤكد اهمية المحراب سواء فـــى المسقط الافقى حيث وسعت المسافة التى بين الأعمدة الوسطى امام المحـــراب او فى واجهة رواق الصلاة المطلة على الصحن حيث برزت هذه البلاطة مـــن منتصف الواجهة تحمل سقفا مرتفعا يعلوه القبه ــ هذا التكوين أعطى محورا قويـا للمحراب وهو نفسه المحور الرئيسى لمدخل المسجد المؤدى الى الصحن ــ هـــذا المحور نجده دائما فى المساجد الفاطمية بالقاهرة ، وفى كثير من المساجـــد الاخرى •

هذا المحور القوى جعل بعض علماء الغرب يدعون ان المجاز القاطع هو المدخـــل الرئيسى من الصحن لرواق الصلاه ويسمونه مدخل الشرف • ولا يمكن ان نوافـــق على هذا الرأى حيث أن هذا الرواق مفتوح باكمله على صحن المسجد ويمكـــن الدخول الى رواق الصلاة عبر اى عقد من عقوده • واذا كان الامر كما يدعـــون انه مدخل الشرف فكان من الاولى ان يدخل منه الحاكم او الامام متخطين جميع صفوف المصلين للوصول الى المنبر او المحراب ، وهذا ما ينافى التقاليد الدينية • كمـــا

يدحض هذا الرأى ايضا وجود باب واحد فى تلك المساجد الاولى فى جدار القبلة بالقرب من المحراب (كما فى جامع عمر وجامع ابن طولون) متصل مباشرة بدار الامارة او باحدى الغرف الخلفية يدخل منه الوالى او الامام • لذلك فان هذا المجاز ماهو الا عنصر معمارى وجمالى يؤكد على اهمية المحراب وموقعه من منتصف رواق الصلاة ، وليس لابراز مدخله الرئيسى •
كما ان معالجة واجهة هذا الرواق معالجة معمارية ضرورية للتقليل من الملل الناشئ من تكرار العقود المتماثلة بمسافات طويلة •

واذا بحثنا عن منشأ تلك القباب الصغيرة فى رواق الصلاة فمن الارجح ان تكون قد جاءت من شمال افريقيا فقد وجدت فى جامع القيروان (٨٧٥) قبل ظهورها لاول مرة فى مصر عن طريق الفاطميين •
اما عن القول بان المجاز القاطع مقتبس من الفنون المسيحية كما يدعى بعض العلماء فى الغرب فهذا لا يمكن قبوله فهم يشبهون هذا المجاز بالصالة العرضية التى تتعامد مع الصالة الوسطى فى الكنائس البازيليكية وسموا هذا المجاز بنفس تسمية الصالة العرضية Transept • والفرق كبير بين المجاز وهذه الصالة التى خصصت لرجال الدين فقط فهى تكاد تكون مفصولة عن الصالة الوسطى المخصصة للجمهور Nave وفى المسجد ليس هناك جزء مخصص لرجال الدين وآخر للجمهور كما ان المجاز القاطع هذا ليس منفصلا عن بقية رواق الصلاة بل هو جزء لا يتجزأ منه • دليل آخر على دحض هذا الادعاء وهو ان الصالة العرضية فى الكنيسة تبرز عن الصالة الوسطى وتكون شكلا صليبيا وهذا ما لا نراه فى رواق الصلاة • كذلك نجد أن المجاز القاطع فى المسجد يكون دائما متعامدا على جدار القبلة فى حين ان الصالة العرضية ليست متعامدة على الشرقية بل هى متوازية مع جدار الشرقية • وعلى ذلك فليس هناك مجال للادعاء بان هذا العنصر

مقتبس من الصالة العرضية للكنيسة • بل ويمكن القول بان المجاز القاطع يعتبر ابتكارا اسلاميا عمل لتحديد موقع المحراب ، وابراز هذا الموقع ، والتأكيد عليه حيث ان المحراب يعتبر أهم نقطة توءخذ فى الاعتبار عند تصميم المسجد • كما انى لا اوافق قول بعضهم بان جدار القبله هو محور المسجد ويمكن تصحيح ذلك بالقول بان جدار القبله هو الاساس فى توجيه وتخطيط المسجد نظرا لانه يحدد الاتجاه الصحيح للقبله ثم تتبعه جميع العناصر الاخرى من أعمدة وعقود وجدران اما موازيه لهذا الجدار او متعامدة عليه •

فى هذا العصر نلاحظ احيانا ان عرض المجاز القاطع اكبر من عرض البلاطة الأولى فى رواق الصلاة كما فى الأزهر ، وأحيانا أخرى نجد أن هذه البلاطة تأخذ نفس عرض المجاز كما فى الحاكم ، كما نجد ايضا اتساع المسافات بين الاعمدة الوسطى امام المحراب دون وجود المجاز القاطع اى دون وجود العقود او البلاطة المتعامدة على جدار القبلة كما فى الصالح طلائع ، ويعتبر هذا الحل الاخير بديلا عن المجاز القاطع فى إبراز أهمية المحراب •

أما الغرض من اتساع عرض البلاطة الأولى بمقدار عرض المجاز كما فى مسجد الحاكم فهو لامكان وجود مساحة مربعة امام المحراب تغطى بقبة كبيرة كما فى القيروان والزيتونه • وسنرى ان تلك الفكرة تطورت بعد ذلك فى عصر المماليك البحرية فاتسع المجاز القاطع بحيث شمل ثلاث بلاطات بدلا من بلاطة واحدة وبذلك كبرت المساحة المربعة وامكن تغطيتها بقبة اكبر كما فى جامع بيبرس بالقاهرة وبذلك اصبحت الاضاءة أكثر فعالية •

٣ ـ ظهرت لنا فى ذلك العصر العقود المسماه خطأ بالعقود الفارسية وهى المسماه بالانجليزيه Keel Arch وهذا العقد هو عقد مدبب ذو أربعة مراكز ظهر لاول مرة فى مصر فى جامع الازهر من عمل الخليفة الحافظ • وكانت العقود قبل ذلك من النوع المدبب ذى المركزين •

٤ ـ ظهرت لنا ايضا فى ذلك العصر وفى جامع الازهر لأول مره فى مصر الشرافات

المسننه التي تعلو الجدران وقد اقتبست هذه الشرافات من العمارة الميزوبوتاميه حيث وجدناها بقصر سارجون من العصر الاشوري ، واصبحت بعد ذلك من معالم العمارة الاسلامية خاصة في العصر الفاطمي ٠

٥ ـ ظل في هذا العصر استعمال الاعمدة الكلاسيكية كما في الازهر والاقمر بجانب الاكتاف الطوبيه كما في الحاكم والتي لا شك انها مقتبسه من جامع ابن طولون حيث لم يكن العمود في تلك الفترة قد استكمل طرازه الاسلامي ٠

٦ ـ كانت الاسقف تبنى دائما مستوية من الخشب اى من جزوع النخيل والاشجار ولكن في هذه الفترة ظهرت لنا بجانب الاسقف المستوية تغطية رواق الصلاة بالقباب الصغيرة كما في الاقمر حيث قسمت اروقته جميعا الى مساحات مربعة بواسطة العقود (في الاتجاهين) وكل مساحة غطيت بقبة صغيرة تكوينها Shallow Dome هو نفس تكوين المثلثات الكروية التي حولت المربع الى دائرة مباشرة ٠ وقد رأينا مثل هذه القباب في بابي الفتوح وزويله بالقاهرة الفاطمية من عصر بدر الجمالي (١٠٨٥م) ٠

وعلاوة على هذا وجدنا في تلك الفترة تغطية المساحات المستطيلة الضيقة باقبية مستمرة نصف اسطوانية كما في مدخلي جامع الحاكم ومسجد الجيوشي ٠ كذلك وجدنا القبو المتقاطع يغطي مساحات مربعة كما في باب النصر بالقاهرة الفاطمية وايضا وفي بعض غرف جامع الجيوشي ٠ وهذه الاقبية هي اسلوب روماني ٠ اما هذه القباب فهي اسلوب بيزنطي وربما جاء الى مصر مع الفاطميين من شمال افريقيا ٠

٧ ـ ظهر لنا في مصر في ذلك العصر ولاول مرة عنصر هام من العناصر المبتكرة للفن الاسلامي وهي المقرنصات كعنصر انشائي زخرفي كان يعلو الطابق الاول لمئذنة جامع الجيوشي على صفين 2 Tiers حاملا البلكون ٠ ثم انتشر بعد ذلك في معظم المباني الاسلامية ٠

٨ ـ خرج تصميم مسجد الجيوشي عن التصميم التقليدي وربما كان ذلك لكونه مشهدا

بالرغم من احتفاظه برواق الصلاة وبالصحن والمئذنه . كما نلاحظ وجود قبه كبيرة فوق الضريح امام المحراب . وهذه القباب الكبيره هى التى تميز المدافن والاضرحه . ومثل هذا التصميم وجدناه فى مسجد السيدة رقيـة من نفس العصر . هـــذا الاسلوب جاء من سوريه ويعتبر تطورا فى تخطيط المسجد حيث بدأ بعد ذلك فى وضع غرفـة مربعة مغطاه بقبه كبيره كضريح للمنشىء داخل المسجد كما فى جامـــع الصالح طلائع من اواخر العصر الفاطمى ثم استمرت فى العصر الايوبى وعصـــرى المماليك البحريه والجراكسه .

٩ ــ تتميز المساجد الفاطميه بوجود مداخلها الرئيسية فى منتصف الضلع الشمالى المقابل لرواق الصلاه وفى المحور الرئيسى للمحراب وكثيرا ما نجد فى تلك المساجد الفاطمية بابين آخرين وكلها تؤدى الى الصحن . وبذلك أصبح فى معظم المساجـــــد الفاطميه والمملوكيه (ذات التصميم التقليدى) ثلاثة مداخل احداها محـــورى . وهذا اسلوب سورى .

١٠ ــ لاول مره فى مصر نجد فى مسجد الحاكم المدخل التذكارى وذلك ببروز كتفين علـى هيئة برجين يتوسطهما ممر يؤدى الى الداخل وبالطبع هذا وضع معمارى متقـــدم وتطور آخر فى دراسة الواجهات للتأكيد واظهار المدخل وأبرازه ــ وازداد بروز هذه المداخل التذكارية بروزا كبيرا فى العصر المملوكى كما فى جامع الظاهـــر بيبرس . هذا الاسلوب جاء من شمال افريقيا عن طريق الفاطميين حيث وجد نساه فى مسجد المهديه بتونس عاصمة الفاطميين قبل مجيئهم الى القاهرة .

١١ ــ فى هذا العصر ظهرت لنا المساجد المعلقه وهى فكره اسلاميه جاءت أيضـا مــن شمال افريقيا كما فى مسجد الرباط بمدينة سوسه من القرن العاشر . وقد ظهـــر لنا هذا الاسلوب بمصر فى جامع الصالح طلائع حيث يرتفع عن منسوب الشارع بعدة درجات وبذلك امكن الاستفاده من ذلك بعمل بعض الحوانيت مطله على الشـارع. ولذلك فان مدخله تكون من شرفه ذات عقود جميله تتقدم المدخل وعلى المحـــور الرئيسى للمحراب ونصل اليها عن طريق بعض الدرجات .

١٢ - كانت المساجد الاولى كبيرة المساحة ومربعة الشكل تقريبا كما فى ابن طولـون والازهر والحاكم ولكن تغير هذا الوضع فى نهاية العصر الفاطمى فصغرت مساحة المسجد كما فى الاقمر والصالح طلائع وربما كان ذلك بسبب تعدد المساجد فى المدينة كما أنها اخذت تتقيد بقطعه الارض المخصصة للمسجد وبالشارع والمساكن التى حوله وبذلك اخذت واجهة المسجد تتبع الشارع دون التقيد بجدار القبله ، ولكن من الداخل احتفظت الجدران والعقود بهذا الاتجاه كما فى الاقمر .

١٣ - تعددت المحاريب المجوفه فى المسجد الفاطمى كما فى مسجد السيدة رقيـة حيث نجد ثلاثة محاريب وكما فى الجامع الازهر حيث نجد علاوة على محرابـه الرئيسى محرابا آخر فى احدى دعائم المجاز القاطع المطله على الصحن . وتعدد هذه المحاريب اسلوب وجد بشمال افريقيا وخاصة تلك التى تطل على الصحن حيث يقف عندها من يردد تكبيرات الامام حتى يسمعه المصلون خارج رواق الصلاة .

١٤ - احتفظت جميع المساجد الفاطميه فى اروقه الصلاه بالبلاطات الموازيه لجدار القبله دون التقيد فى الاروقه الاخرى .

١٥ - كانت المساجد فى اوائل العصر الفاطمى والعصور السابقه تبنى من الطوب المحروق وظل هكذا حتى نهاية هذا العصر حيث حصل تقدم انشائى بالبناء بالحجـر مع الطوب كما فى الحاكم حيث وجد الحجر فى بعض اجزائه وفى الاقمر وجـد فـى واجهته باكملها ، ثم انتشر البناء بالحجر فى العصور التالية .

١٦ - وبوجه عام حصل تطور كبير فى دراسة الواجهات فى ذلك العصر كما فى واجهـة جامع الاقمر .

٤ — عمارة المسجد وتطورها فى العصر الايوبى : (لوحه ١٣_١٤)

بعد ان استطاع صلاح الدين الاستيلاء على الحكم وتكوين الدولة الايوبيـــة ، أخذ يحارب المذهب الشيعى مذهب الفاطميين وذلك بنشر علوم الحديث والمذاهب السنية الاربعة وهى الشافعية والحنبلية والحنفية والمالكية ولم يكتف الايوبيون بادخـــال هذه العلوم فى المساجد والتى كانت دائما اماكن لتدريس العلوم الدينية علاوة علـــى وظيفة الصلاه كجامع الازهر الذى يعتبر اول جامعة اسلامية تعطى فيه الدروس بشـــكل حلقات حيث يجتمع الاستاذ بطلابه ومريديه فى رواق الصلاه ، وكثيرا ما نرى اكثر مـــن شيخ واكثر من حلقه فى المسجد الواحد ، كل منهم ينتحى ركنا بجوار أحد الاعمـــده فيتخذه مكانا له — ولذلك يمكن القول بان فكرة المدرسة الاسلامية نبعت من المسجـــد الجامـــع ٠

اراد الايوبيـــون ان يضيفوا الى المسجد عناصر اخرى كانت ضرورية لاحتياجـــات ومستلزمات التدريس ٠٠٠ كان لابد من تأمين أماكن لسكنى الطلاب وخاصة الغربـــاء علاوة على المرافق اللازمه لهم ٠٠٠ كان لابد من تأمين اكثر من قاعة للجلوس وذلـــك حسب عدد المذاهب التى ستدرس ٠٠٠ كان لابد من تأمين قاعة فسيحه للصلاه وضريح للمنشئ الذى كان يوقف على البناء المال الكافى لسير الدراسة من رواتب للاساتـــذه والطلاب وغير ذلك مما يضمن بقاء المدرسة حتى بعد وفاته ٠

وبذلك اصبح من الضرورى انشاء بناء واحد يؤدى وظيفة المدرسة بمتطلباتهـــا بجانب وظيفة الصلاه ٠ ونتيجة لهذا تغير تصميم المسجد واصبح رواق الصلاه لا يكفـــى لهذه الاغراض فكان لابد من وجود عدد من القاعات المختلفة للصلاة والدراسة وغيرها ٠٠ عندئذ اختلط مفهوم المبنى بين المدرسة والمسجد وكثيرا ما نجد كتابات على جـــدران المبنى الواحد تشمل تاريخ البناء واسم المنشئ فتارة يسمى مدرسة وتارة اخرى يسمـــى جامعا بالرغم من ان التصميم يكاد يكون واحدا والوظيفة واحدة ولذلك لا نستطيع فى ذلك العصر ان نفرق بين المدرسة والمسجد ٠

هذا التصميم الجديد فى عمارة المسجد استمر طوال العصر الايوبى والملوكى إلى أن جاء العصر التركى فاخرج لنا تصميما آخر .

وبالرغم من ان التصميم القديم التقليدى للمسجد ظل كما هو بالنسبة لخطوطه الرئيسيه فى جميع البلدان الاسلامية إلا أننا نرى ان التصميم الجديد الذى ظهر فى هذا العصر بمصر لم يتشابه فى مساجد البلدان الاخرى .

نلاحظ فى التصميم الجديد استبدال رواق الصلاه بايوان كبير مستطيل الشكل مفتوح بكامل عرضه على الصحن والغاء الاعمدة الحامله للسقوف المستويه فى هذه الاروقه واستبدال السقف بقبو مستمر وتلك هى الطريقة المنتشرة فى تسقيف تلك البحور الكبيره بدون اعمدة .

هذا العنصر " الايوان " ظهر لنا قبل ظهور الاسلام فى القصور الساسانيه والعراقيه ولعل اشهرها ايوان كسرى فى طيسفون (المدائن) بالعراق وكانت تستعمل هذه الايوانات كصالات للعرش او الاستقبالات وكانت خاليه من الاعمدة واخذت موقعا ممتازا بالنسبة لبقية عناصر المبنى أى فى المحور الرئيسى . اما الشكل المستطيل للايوان فهو لغرض انشائى وهو أن يكون التسقيف على البحر الصغير وبذلك تحتم ان يكون المحراب فى منتصف الضلع الاخر الصغير . كما استعملت هذه الايوانات للصلاه والتدريس فى نفس الوقت فى حالة وجود ايوان واحد بالمبنى كما يدرس فيها مذهب واحد . اما اذا كان بالمدرسة اكثر من ايوان لتدريس اكثر من مذهب عندئذ يصبح الايوان الكبير هو المخصص للصلاه .

اخذ الاسلام هذه الايوانات منذ الفتوحات الاولى واستعملها فى العماره المدنيه من دور وقصور . نفى العصر العباسى وجدناها فى بيوت قصر الاخضير بالعراق (٧٧٨م) كما وجدناها فى الدور الطولونية بفسطاط مصر وغيرها . ثم استعملها العصر الايوبى فى انشاء المدرسه المسجد ونستطيع فيها يلى ان نتتبع تخطيطها وتطور عمارتها بما يلى :

١ — كانت اول مدرسة انشئت بمصر عام ١١٧١م هى المدرسة الناصرية اقامها صلاح الدين عندما كان وزيرا للخليفة الفاطمى العاضد وخصصت لتدريس مذهب واحد هو المذهب الشافعى وكانت تقع بجوار جامع عمرو ، كما اقام بجوارها مدرسة اخرى فى نفس العام لتدريس المذهب المالكى وتسمى بالمدرسة القمحية ، ولكن هاتين المدرستين اندثرتا الان ولكن من تخطيط بقايا المدارس التى جاءت بعدها فانه يمكننا ان نضع تخطيطها كالاتى :— ايوان واحد مفتوح بكامل عرضه على صحن مكشوف محاط بالاعمده تحمل سقيفه مفتوح بها عدة غرف صغيره على طابق او طابقين لسكنى الطلاب ومرافقهم . وعادة يتجه هذا الايوان نحو البيت الحرام وبه المحراب ليؤدى وظيفة الصلاة وليكون مكانا لتدريس احد المذاهب .

وفى عام ١١٧٦م عندما اصبح صلاح الدين سلطانا وكون الدولة الايوبية أمر بانشاء المدرسة الصلاحيه عام ١١٧٧م بجوار قبر الامام الشافعى وخصصت لتدريس المذهب الشافعى وتتكون من ايوان واحد ايضا . ولم يبق من هذه المدرسة الا بعض اجزاء محفوظه بالمتحف الاسلامى .

٢ — ثم جاءت خطوه متقدمه وذلك بجمع المبنى الواحد يشمل ايوانين لتدريس مذهبين فى آن واحد وذلك باقامة ايوان اخر مقابل للايوان الاول ويتصلان بالسقيفه ويحصران بينهما الصحن وعلى جانبى السقيفه نجد غرف سكنى الطلاب ومرافقهم من طابقين ، وكان ايوان الصلاه اكبر مساحة من الايوان الاخر وبه المحراب والمنبر . كما اضيفت الى هذا التصميم غرفة مربعة ملتصقه باحد الايوانين كضريح للمنشئ ومغطاه بقبه .. وهذا هو تخطيط المدرسة الكامليه ولازال جزء منها باقيا الى الان بناها الملك الكامل عام ١٢٢٥م بجهة النحاسين فى مكان يدعى الان بحمام السلطان وقد تهدم احد هذين الايوانين ، والايوان الموجود الان مغطى بقبو مدبب من الطوب المحروق فى حين ان جدرانه من الحجر .

٣ — ثم جاء تطور اخر وذلك بتدريس المذاهب الاربعة فى مكان واحد كما فى مدرسة الصالح نجم الدين أيوب (المدرسة الصالحية) (١٢٤٢ — ١٢٤٤م) وهى تتكون من مجموعتين لهما باب واحد يعلوه مئذنه وتؤدى الى ممر أو حاره تؤدى بالتالى

الى مجموعتين على يمين ويسار الداخل وكل مجموعة تشتمل على ايوانين متقابلين كما فى المدرسة الكامليه يتوسطها الصحن المحاط بالاعدة التى تحمل سقيفه تؤدى الى غرف سكنى الطلاب على طابقين . كما نجد ضريح المنشئ مغطى بقبه ملتصقا باحـــد الايوانين . ونلاحظ ان احدى المدرستين (أى المجموعة التى على يمين الداخـل) قد تهدمت الان ولم يبق الا المجموعة الاخرى والضريح .

نلاحظ فى ذلك العصر ما يلى :ـ

١ ـ تم التصميم الجديد بحيث طغى كلية فى ذلك العصر على التخطيط القديم التقليدى للمسجد .

٢ ـ فى تلك الفترة حصل تطور انشائى فقد انتشر البناء بالحجر بعد ان كانت المساجد باكملها تبنى بالطوب ، وهذا الاسلوب فى الانشاء جاء من سوريه ، وترتـــب على هذا التقدم فى الانشاء بناء الاقبيه المستمره ذات البحور الكبيرة على فرم وقوالـــب خشبيه وكان من الاسهل بناؤها من الطوب .

٣ ـ كانت القباب فى العصور السابقه صغيره الحجم ، اما فى ذلك العصـــر فقد ظهرت القباب الكبيرة تغطى الاضرحة التى اصبحت عنصرا هاما فى التصميم الجديد .

٤ ـ غالبا ما كان يعلو المدخل مئذنه لتدل على وجود المسجد وسنجد فـــى العصور التاليه بعض المساجد شملت اكثر من مئذنه .

٥ ـ حصل تقدم كبير فى دراسة الواجهات ، فقد قسمت الى بانوهات رأسيـــة كل منها متوج بصف او اكثر من المقرنصات ، وداخل هذه البانوهات الشبابيك ذات الحشوات الزخرفيه .

٦ ـ نلاحظ ان الايوان المخصص للصلاه بالرغم من انه اكبر الايوانات الا أنـــه اصغر بكثير من رواق الصلاه فى المساجد الفاطميه وربما يرجع ذلك الى تعدد بنـــاء هذه المدارس وتعدد العناصر التى تشملها . كما نلاحظ أن اروقه الصلاه السابقـــه جميعها تكون مستطيلا ضلعه الكبير هو جدار القبله ، فى حين ان ايوان الصـــلاه فى ذلك العصر أصبح مستطيلا ، طول ضلعه الصغير هو جدار القبله مخالفا بذلك النظـــام

القديم ، وهو الافضل لتمكن رؤية الامام او الخطيب بسهولة • كما ان واجهة هـذا الايوان المطلة على الصحن تماثل واجهة صغيرة تتكون من عقد واحد بدلا من العقـود العديدة ، والتى تعتبر افضل معماريا •

٧ ـ التأثير السورى واضح فى عمارة الايوبيين حيث كان الاتصال وثيقا بيـن البلدين لمحاربة الصليبيين •

٨ ـ كان آخر تطور وصل اليه تخطيط المسجد المدرسة فى ذلك العصر غيـر موفق من الناحية المعمارية لجعل المبنى الواحد للمدرسة يتكون من مجموعتين منفصلتين تماما لا صلة بينهما سوى ذلك السور الواحد الذى يجمعهما والمدخل الواحد المؤدى اليهما • وسنرى ان هذا التصميم تطور فيما بعد فى عصر دولة المماليك البحرية •

٥ — عمارة المسجد وتطورها فى عصر المماليك البحرية : (لوحه ١٥ـ٢٠)

يعتبر هذا العصر هو العصر الذهبى للعمارة الاسلامية بمصر حيث اخذت طابعها الخاص المميز واستكملت معالمها الفنية بالرغم من الاضطرابات السياسية ٠

اشتمل تصميم المسجد المدرسة فى ذلك الوقت على نفس العناصر التى وجدت فى العصر الايوبى ، وهى الايوانات الاربعة لتدريس الحديث والمذاهب السنيه واكبر هذه الايوانات هو المخصص للصلاه ، هذا علاوة على سكنى الطلاب ومرافقهم وضريح المنشئ ، ولكن حصل تطور كبير فى التصميم لمعالجة العيب المعمارى السابق ، فاصبحت المدرسة الواحدة تضم مجموعة واحده من اربع ايوانات متعامدة على صحن مكشوف بالوسط ٠ ولذلك سمى هذا التخطيط بالتخطيط المتعامد ، وليس بالتخطيط الصليبى كما سماه بعض المستشرقين وعلماء الغرب اسوة بالتخطيط الصليبى للكنائس البيزنطيه ٠

جاء هذا التخطيط الجديد نتيجة للتفكير المعمارى السليم ونتيجة للتطور التالى :ـ

١ ـ اول مدرسة ظهرت لنا بمصر تحمل هذا التخطيط الذى يجمع اربعة ايوانات فى مبنى واحد حول صحن واحد ، هى مدرسة زين الدين يوسف فى عام ١٢٩٨م ٠ كانت ايواناتها المطله على الصحن ليست بشكل واحد ، ولا مساحه واحده ، وكان اكبرها هو ايوان القبله المخصص للصلاه ، وكان شكله مستطيلا موازيا لجدار القبله ، أى أنه اتبع اروقه الصلاه فى التصميم التقليدى ٠ ولم يفتح هذا الايوان باكمله على الصحن الاوسط بل نرى جزءا منه فقط هو المطل على الصحن ، ولذلك كان هذا التخطيط خطوة اولى فى التخطيط المتعامد والذى ظهر لنا بعد ذلك ٠ فى هذه المدرسة او المسجد ظهر لنا لاول مره المدخل الملتوى وهو المدخل الرئيسى ، كما وجدت غرفه الضريح وبعض غرف اخرى كسكن للطلبه ومرافقهم ٠

٢ ـ وفى منتصف القرن ١٤ جاءت مدرسة ومسجد السلطان حسن وظهر فيهما التخطيط المتعامد بشكل واضح فالايوانات الاربعة تطل على الصحن المربع من جوانبه الاربعة ، ولكن لا نجد فى هذه الايوانات المساحة الواحدة فبعضها كبير والاخر صغيره

كما نلاحظ فيها ان عرض اى ايوان اقل من عرض الصحن الاوسط ، ولذلك لا نستطيــع ان نسمى هذا التخطيط بالتخطيط الصليبى كالكنائس البيزنطيه ، والتى تتكون مــن جناحين متساويين فى الطول والعرض، ومتقاطعين فى مساحة مربعة مغطاه بقبـــه ، والفرق كبير بين هذا التقاطع وبين الصحن المكشوف الاكبر مساحة .

فى هذا التخطيط كما هى العادة خصص الايوان الكبير للصلاه . حيث نرى بـه المحراب يتوسط ضلعه الصغير ويجاوره المنبر .

وفق مهندس تلك المدرسة فى عدم اظهار أى تكسيرات بالواجهات نتيجة لتعامـد الايوانات فقد وضع فى كل ركن من الاركان الاربعة الواقعة بين الايوانات مبانى اخـــرى يتوسط كل منها صحن مكشوف صغير ، يطل عليه ايوان صغير مفتوح بكامل عرضه ، ويحيط بهذا الصحن عدة غرف على عدة طوابق لسكنى الطلبه ومرافقهم . وخصص كل مبنى مــن هذه المبانى الاربعة لطلبة مذهب معين ،واصبح هذا التصميم المتعامد يظهر مـــن الداخل فقط دون الواجهات الخارجية المستطيله او شبه المستطيله ، كما احتفظ هـذا التخطيط بضريح المنشىء وبالمآذن التى تدل على ان المبنى ليس مدرسة فقط بل جامعا ايضا ، ويؤكد هذا الكثير من المؤرخين امثال المقريزى وغيره كما يؤكده الوقفيات المخصصه عليـه .

ومن أمثله هذا التخطيط المتعامد علاوة على مدرسة ومسجد السلطان حســـن نجد مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين ١٢٩٥ـــ١٣٠٤م وغيرها .

٣ ـــ وفى نهاية هذا العصر بدأ يظهر ايوان الصلاة بشكل مستطيل كما كـــان فى البداية . أى أنه مواز لجدار القبلة ويتوسط المحراب ضلعه الكبير . وكان من الضرورى ان يسقف مثل هذا الايوان بسقف خشبى مستو ولذلك اصبح اقل عرضا لامكان تسقيفه علـى البحر الصغير . وطبيعى ان هذا الوضع لايوان الصلاه هو انسب الاوضاع ليكون امتطالته فى اتجاه جدار القبله ، وليست متعامده عليه حتى يمكن للمصلين من رؤية الامـــــام او الخطيب ويكونون قريبين منه .

جاء هذا التخطيط فى مدرسة الجاى اليوسفى بسوق السلاح فى عام ١٣٧٣م واحتفظ بالايوانات الثلاث الاخرى فى وضع متعامد مع الصحن مع تسقيف كل منها بقبو مستمر مدبب الشكل ، مع جعل ايوان الصلاه غير متعامد وليس به أعمدة وذا سقف مستو خشبى . وفى بعض المساجد الاخرى وجدنا أيوان الصلاه كما فى مدرسة الجاى اليوسفى ولكنه شمل بعض الاعمده لكبر عرضه ولامكان تسقيفه بالسقف الخشبى المستوى ، وظهر هذا الحل فى اوائل عصر المماليك الجراكسه .

٤ ــ بالاضافة الى ماسبق كان هناك التصميم القديم التقليدى ذو الاروقه المحيطه بالصحن معمولا به جنبا الى جنب مع تخطيط الايوانات المتعامدة . واحتفظ هذا التصميم التقليدى بخطوطه الرئيسية من الشكل العام المربع ومن بلاطات رواق الصلاة الموازية لجدار القبله ومن المجاز القاطع (فى بعضها) ومن القبة التى امام المحراب . ومن أمثله هذه المساجد التقليدية مسجد المردانى ١٣٤٠م ومسجد الناصر محمد بالقلعة ١٢٩٣ ــ ١٣٤١م .

ولكن وجدنا بعض التطور فى تلك المساجد وكان واضحا فى مسجد السلطان بيبرس (١٢٦٦ــ١٢٦٩م) حيث نجد :ــ

١ ــ أصبح المجاز القاطع اكثر عرضا وشملت ثلاث بلاطات تسير متعامدة على جدار القبله والغرض من هذا هو تكوين مساحة مربعة كبيرة امام المحراب لامكان تغطيتها بقبه كبيرة فتح فى رقبتها العديد من الشبابيك لانارة رواق الصلاة وبذلك ازدادت الاضاءة امام المحراب مع التاكيد على اهميته .

٢ ــ ظهرت لنا المداخل التذكارية بشكل ضخم خاصة فى المدخل الرئيسى المحورى مع المحراب علاوة على المدخلين الجانبيين وكلها تؤدى الى الصحن أى للمسجد ثلاث مداخل كما فى المساجد الفاطمية .

٣ ــ وجود اكتاف جدارية تبرز من الخارج عند نهاية كل صف من الدعائم الداخلية برواق الصلاة وذلك لغرض انشائى هو المحافظة على توازن القوى الناتجة من العقود الاخيرة ومقاومة قوى الرفس الناتجة منها .

٤ ـ أصبح للمسجد مئذنتان عند نهايتى الواجهة الرئيسية كما كان فى جامع الحاكم من العصر الفاطمى ٠

٥ ـ استبدال الحشوات الجصية التى تغطى فتحات الشبابيك التى تحيط بالمسجد باخرى حجرية مفرغة بزخارف مختلفة ٠

٦ ـ كانت الواجهة باكملها من الحجر اما الاروقة الداخلية فكانت من الطوب المحروق ٠

وقد درست واجهات المداخل الثلاث دراسة معمارية بعمل عقد كبير فى وسطها وعلى جانبيه بعض الحنايا والمقرنصات ٠

٦ ـ عمارة المسجد وتطورها في عصر المماليك الجراكسه : (لوحة ٢١ ـ ٢٦)

وفي عصر المماليك الجراكسه نجد مايلي :

١ ـ الاحتفاظ بالايوانات المتعامدة ولكن طرأ على هذا التخطيط بعض التعديلات والاضافات نلخصها فيما يلي :ـ

أ) ادخال بعض الوظائف الاخرى ككتاب لتعليم الاطفال القراءة والكتابة والحساب والدين ، كما اضيف سبيل لشرب الماره وذلك بالاضافة الى العناصر التي رأيناها في العصر السابق من الايوانات الاربعة والضريح وغرف سكنى الطلاب ومرافقهم .

ب) تصغير مساحة الصحن وربما كان ذلك بسبب الاضافات السابقة .

جـ) انتشر تصميم ايوان القبله بشكل مستطيل مواز لجدار القبله وليس متعامدا وسقف بسقف خشبي مستو مع الاحتفاظ بالاقبية المستمرة المدببه الشكل في الايوانات الثلاث الاخرى .

د) احيانا غطى الصحن بسقف خشبي مزخرف يعلوه شخشيخه اى منور به فتحات علويه جانبيه للاناره .

هـ) في هذا العصر وخاصة بعد ان غطى الصحن تجمعت الفراغات الداخلية للمسجد او المدرسة وتداخلت مع بعضها حيث انضم فراغ الصحن الى الفراغات الاربع الاخرى وذلك في نسب جميله وبذلك اصبح المسجد يتكون من فراغ واحد

و) اصبح موقع دورات المياه في طابق سفلي مع المخازن ولها باب جانبي واحد يعتبر باب خدمه خارجي .

ز) احيانا نجد بايوان القبله بعض الاعمده لحمل السقف واحيانا اخرى لا نجدها حتى لاتعوق رؤية الخطيب او الامام .

ح) في هذا العصر حصل تقدم كبير في التفاصيل المعمارية والزخرفيه والنقوش الملونة على الخشب كما انتشر استعمال الزجاج الملون في الشبابيك وتحسنت نسب القباب والمآذن كما اصبح المبنى باكمله من الحجر .

ومن اجل أمثلة هذا التخطيط المتعامد مدرسة قايتباى بالقرافه الشرقيه

(١٤٧٢ـ١٤٧٤م) حيث شمل مدرسة ومسجد وكتاب وسبيل وضريح • وكذلك مدرسة الغورى بالازهر (١٥٠٤ـ١٥٠٥م)، وتعتبر مدرسة الظاهر برقوق بشارع المعز (١٣٨٤ـ١٣٨٦م) اول مدرسة فى هذا العصر تخطيطها متعامد وكان ايوان الصلاه فيها مربعا تقريبا به صفان من الاعمده لحمل السقف الخشبى المستوى • اما بقية الايوانات فسقفها عبارة عن قبوات مستمره مدببه •

٢ ـ وفى ذلك العصر ايضا كان تخطيط المسجد القديم التقليدى معمولا به جنبا الى جنب مع التخطيط المتعامد، ومن امثلته مسجد الاشرف برسباى بالخانكه (١٤٣٧م) ، ونلاحظ بعض التطور فى هذا التخطيط :ـ

أ) الاحتفاظ بالشكل العام المربع تقريبا وببلاطات رواق القبله الموازيه لجدار المحراب •

ب) نجد بعض المساجد بالطابق الاول اسوة بالمساجد المعلقة التى ظهرت فى العصر الفاطمى كما فى مسجد قانىباى الرماح (١٤٩٣م) بميدان صلاح الدين ومسجد الغورى (١٥٠٣م) بشارع المعز لدين الله •

جـ) جعل المسافات بين الاعمدة الوسطى فى رواق الصلاة والتى امام المحراب اكبر من غيرها دون وجود للمجاز القاطع اى انه لاوجود للبلاطه المتعامدة على جدار القبله والتى تقطع بقية البلاطات ، كما فى جامع الاشرف برسباى •

٣ ـ وهناك تصميم اخر ظهر فى ذلك العصر ويعتبر خليطا من تصميم المسجد ذى الايوانات المتعامدة والمسجد ذى الاروقه التقليدى • هذا التصميم غالبا ما وجد فى مبانى الخانقاه حيث تشمل على مسجد وضريح وكتاب وسبيل علاوة على الوظيفة الاساسية لهذا المبنى وهى دار للصوفيه فنجد بها غرفا للسكنى ومرافقهم خلف اروقة الصلاة وفى طابق علوى • وكلمة خانقاه كلمة فارسية معناها دار للصوفيه وسميت هذه المبانى فى العصر التركى بالتكايا • ومن اجمل هذه المبانى خانقاه فرج بن برقوق (١٣٩٩ـ ١٤١١م) بمقابر المماليك حيث شمل رواق القبله فيه على ثلاث بلاطات والرواق المقابل له على ثلاث بلاطات ايضا اما الرواقان الجانبيان فيشمل كل منهما على بلاطه واحده • ونلاحظ ان جميع هذه الاروقه تشمل عقودا تسير

فى الاتجاهين وتحصر فيما بينها مساحات مربعه غطى كل منها بقبه منخفضة تكويرها هو نفس تكوير المثلثات الكروية التى تحول المربع الى دائرة مباشرة ٠ كما نجد خلف الاروقه الجانبيه وبالطابق العلوى بعض الغرف الخاصة بالسكن والمرافق اللازمه ٠

نلاحظ وجود عناصر مشتركة ظهرت فى تخطيط المدرسة فى عصرى المماليك البحرية والجراكسه وهى :ـ

١ ـ معظم مداخل تلك المدارس والمساجد والخانقاوات كانت مداخل ملتويه اى منكسره ولم نجد مثل هذه المداخل فى مساجد العصور السابقة ٠

٢ ـ تطور تصميم المئذنة فقد اخذت فى ذلك العصر ذروتها من حيث النسب الجميلة والنقوش المنحوته فى الحجر وتعدد طبقاتها وغالبا ماكانت ذا قاعده مربعه قصيرة يعلوها طابق مثمن ثم طابق اخر مستدير ويعلوها جوسق من اعمدة صغيرة رخاميه تحمل رأسا منتفخه Bulb ـ كما وجدنا فى ذلك العصر المملوكى اكثر من مئذنة فى المبنى الواحد ٠ وكان لبعض مآذن المماليك الجراكسه راسان او اربع رؤوس كمئذنة الغورى ـ اما عن موقع هذه المآذن فاحيانا نجدها فوق المدخل أو بجواره .واحيانا اخرى نجدها فى نهايتى الواجهة الرئيسية او تجاور قبه الضريح ٠

٣ ـ ظهرت لنا فى ذلك العصر المملوكى القباب الحجرية الكبيرة والمنحوته من الخارج بالعديد من النقوش الجميلة ، كما وجدنا قبابا خشبية وكانت احيانا تغطى الاضرحه وكان الانتقال من المربع الى المستدير غالبا مايكون عن طريق المقرنصات ذات الحطات العديدة فى حين كان الانتقال فى العصور السابقة عن طريق الحنايا الركنيه

٤ ـ احيانا نجد ضريحين فى المسجد الواحد للمنشئ واسرته كما فى مسجد وخانقاه وضريح فرج بن برقوق ٠

٥ ـ ظهرت فى ذلك العصر ارضيات رخاميه مكونه من قطع صغيرة ملونه تكون فيما بينها زخارف متعددة (موزايكو) وخاصة فى صحون المساجد والمدارس وكان يتوسطها

النافورات المغطاة بالقباب للوضــــوء .

٦ ـ ظهر اسلوب البناء بطريقة مداميك بيضاء واخرى حمراء او سوداء بالتوالى وهـــــو الاسلوب الذى يطلق عليه فى الفن الاسلامى " الابلق " وكان معمولا به فــــى الواجهات والعقود والاعتاب والمحاريب .

٧ ـ تميز ذلك العصر بتكسية الجدران من الداخل بالواح من الرخام والفسيفساء فــــى المحاريب كما انتشر استعمال الزجاج الملون فى الشبابيك .

٨ ـ ظهور المداخل (البوابات) التى ترتفع الى اعلى البناء وهى عبارة عن حنيـــــة كبيرة يعلوها المقرنصات والدلايات ويحيط بها العقود Niche . والجـــــزء العلوى من بعضها يكون شكلا نصف قبة او من عقد ذى ثلاث فصوص .

٩ ـ انتشرت المنابر الرخامية بجانب الخشبية كما انتشرت تكسيات القيشانى خاصة فــــى المآذن .

١٠ ـ تقدمت صناعة الزجاج وظهور المشكاوات الزجاجية المطعمة بالمينا والمزخرفـــــة بالنقوش والكتابات وكانت تستعمل لاضاءة المساجد .

١١ ـ الاهتمام بالواجهات ودراستها معماريا وزخرفيا فعملت بها البانوهات التى تمـــــلاء سطح الواجهة باكمله وتنتهى بالمقرنصات كما يتوج المبنى الكرانيش والشرافــــات المشتقه من الزهور والاوراق النباتيه وكثيرا ما كانت محمولة على كوابيل من المقرنصــات كما نلاحظ بهذه الواجهات العديد من التكسيرات التى لاتشعرنا بالملل الناتـــج من اطوالها .

١٢ ـ منذ نهاية عصر المماليك الجراكسة بدأ السبيل والكتاب ينفصلان عن المدرســـة ويكونان مبنى واحدا مستقلا غالبا مسقطه الافقى مستدير او مضلع حيث نجد السبيل فى الطابق الارضى به عدة شبابيك بحشوات زخرفية من النحاس وبها الاكواب النحاسية لشرب المارة وفى الطابق العلوى نجد الكتاب .

منشأ التخطيط ذى الايوانــــات :

لا شك ان الايوانات هى عنصر عراقى فارسى ساسانى ولكن الوضع الذى وجدناه فــــى مدارس العصر الايوبى والمملوكى وهى التى تتكون من ايوانين متقابلين مفتوحين باكملهما على

الصحن او تلك التى تتكـون من اربعة ايوانات متعامدة لابد انها حلول مقتبسة مـــن البيوت الطولونية التى كشف عنها فى الفسطاط • لذلك لانستبعد ان احمد بن طولون ومهند سيه وعماله عرفوا من العراق ذلك العنصر الذى كان امامهم فى ايوان كســرى وغيره من القصور العباسية ومن اجملها قصر الاخيضر الذى يتكون من عدة بيوت كل منهـا يشمل حوش مربع تقريبا يقع على كل من جانبيه المتقابلين مجموعة من ثلاث غرف مستطيلـــة يتقدمها احيانا سقيفة محمولة على ثلاث عقود ترتكز على بعض الاعمدة او الاكتاف • والغرفة الوسطى عبارة عن ايوان مفتوح بكامل عرضه على تلك السقيفه التى تطل على الحوش • ومن المرجح ان الطولونين طبقوا هذا التصميم فى بيوتهم فقط ، ومامن شك فان تلك المدارس ذات الايوانات مقتبسة من تلك البيوت الطولونية والتى وجدنا العديد منها يشكل متعامــد حول الصحن •

ظهر لنا هذا التخطيط المتعامد للايوانات فى مصر قبل ظهوره فى اى مكان فـــى العالم الاسلامى ثم انتقل بعد ذلك الى سوريــه • كما نلاحظ ان كثيرا من البيـــــوت التى على هذا التخطيط كانت تحول بعد وفاة اصحابها الى مدارس دينية وفقـــــــا لرغبة صاحبها • وقد ساعد على بناء هذه الايوانات المفتوحة على الصحن ومعظمها كـان من الحجر تطور طرق الانشاء واعتدال الطقس •

استمر هذا التخطيط فى معظم القصور والدور الاسلامية بمصر فى العصر المملوكـــى والتركى فى تصميم القاعات الكبرى المخصصة للحفلات والتى تتكون من ايوانين متقابليـــن كل منها مفتوح باكمله على مكان مربع تقريبا يسمى د رقاعه مغطى بقبه او شخشيخه وهو ما يماثل الصحن او الفنـاء • ومن اجمل هذه القاعات قاعة عثمان كتخدا بشارع بيت القاضـــــى وتخلفت هذه القاعة من منزل كبير انشىء عام ١٣٥٠م وقد امتلكه عثمان كتخدا عام ١٧٣٥م وعلى اثر تخطيط شارع بيت القاضى هدم المنزل فيما عدا تلك القاعة التى بقيت الى الان •

٧ ـ عمارة المسجد وتطورها فى العصر التركى : (لوحة ٢٧ ـ ٣١)

فى ذلك العصر تأثرت العمارة الاسلامية لحد كبير بالفن البيزنطى وادى هذا الى ظهور تصميمات جديدة للمسجد لم تكن نتيجة تطوره وانما كانت مقتبسه من اساليب معمارية جديدة على مصر • كما ان التخطيط ذات الايوانات المتعامدة الذى انتشر فى العصر الايوبى والعصر المملوكى اختفى تماما فى ذلك العصر •

كانت مساجد ذلك العصر متأثرة بالفن البيزنطى من حيث طرق التسقيف بالقباب الكبيرة والصغيرة وانصاف القباب • ولكن بالرغم من وجود هذا التصميم الجديد الا اننا نرى التخطيط القديم للمساجد معمولا به خاصة خارج مدينة القاهره •

نستطيع ان نلخص المعالم الاساسية لعمارة المسجد فى ذلك العصر بما يلى :ـ

١ ـ اهم مايميز هذه المساجد التركية فى مصر وفى معظم البلاد الاسلامية هى المئذنة الاسطوانية الشكل يعلوها المخروط المرتفع •

٢ ـ كذلك تتميز هذه المساجد بالقباب الكبيرة والصغيرة فى المبنى الواحد وكانت تغطى مساحة مربعة وكان الانتقال من المربع الى الدائرة عن طريق المثلثات الكروية

٣ ـ معظم قاعات الصلاة كانت مربعة وصغيرة المساحة واحيانا يبرز منها جزء مستطيل يتوسطه المحراب •

٤ ـ انتشار التكسية بالقيشانى الملون وخاصة ذو اللون الازرق فى المحاريب وبعض اجزاء من المآذن والجدران •

٥ ـ ظلت التفاصيل الزخرفية محتفظة بالطابع والصناعة المصرية •

٦ ـ ظهرت لنا المساجد المعلقة مرة اخرى نصعد اليها بادراج بعضها بشكل نصف دائرى •

٧ ـ استعمال العقد النصف دائرى هو الاكثر انتشارا فى ذلك العصر بعد ان كان العقد المدبب هو المنتشر •

اما تخطيط مساجد ذلك العصر فنستطيع ان نميز منها :ـ

١ ـ قاعة مربعة مغطاه بقبه كبيره محاطة من جوانبها الثلاث دون جدار القبلة برواق مكون

من بلاطه واحده مقسمه الى مساحات مربعة عن طريق العقود وكل مساحة منهـا مغطاه بقبه صغيره وبالقاعه ثلاثة مداخل تؤدى الى هذه الاروقه ويقابلها ثلاثة مداخل اخرى تؤدى الى الخارج امام كل منها بعض الادراج • ومن امثلة هذا التصميم مسجد سنان ببولاق (١٥٧٠م) ـ وهذا التصميم نراه فى سوريه ايضا •

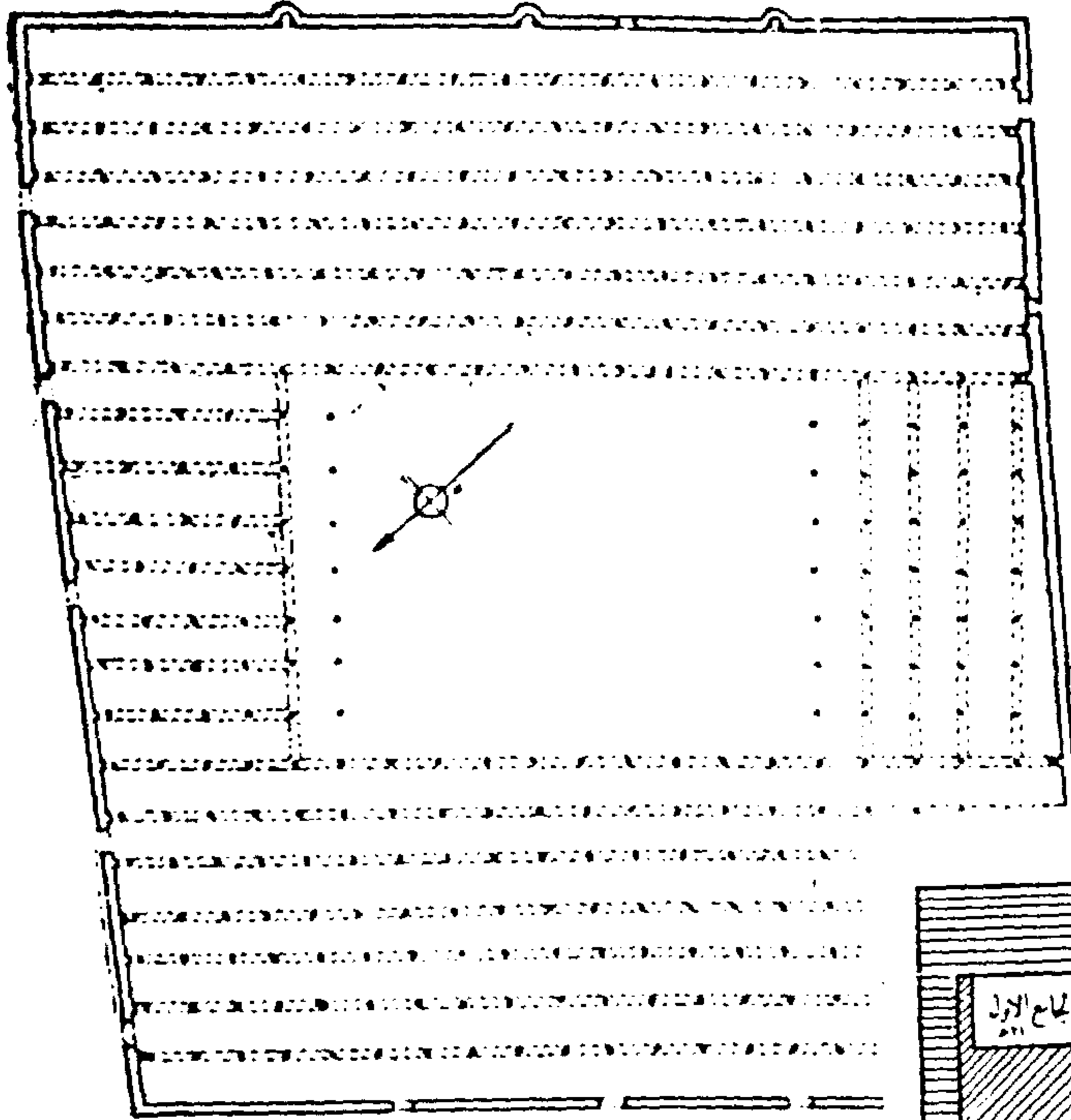
٢ ـ قاعة مربعة احيانا نجد بها بعض الاعمدة تكون شكلا سداسيا تحمل قبه كبيرة فى الوسط وفى اركان المسدس نجد قبابا صغيرة وبالقاعة بعض الابواب تؤدى الى صحن مكشوف امام القاعة وبنفس عرضها، والصحن محاط برواق من بلاطة واحدة مقسمة الى مساحات مربعة بعقود محموله على اعمدة وكل مساحة مغطاة بقبه صغيرة. وبالفناء ثلاث ابواب على جوانبه تؤدى الى الخارج عن طريق ادراج نصف دائرية • ومن امثلة هذا التصميم مسجد الملكه صفيه (١٦١٠)م.

٣ ـ قاعة الصلاة مستطيلة يبرز منها جزء صغير مستطيل ايضا وبذلك يكون شكل القاعة على حرف T وبذلك استطاع هذا التخطيط ان يلغى الاعمدة الداخلية علاوة على جعل قاعة الصلاة موازية لجدار القبلة • وفى هذه الحالة غطيت القاعة بقبة كبيرة فى الوسط يحيطها من ثلاث جهات انصاف قباب لتقاوم قوى الرفس الناتجة من القبة الكبيرة • ويتقدم القاعة صحن مكشوف محاط برواق من بلاطة واحدة مقسمة الى مساحات مربعة صغيرة كل منها مغطاة بقبه صغيرة ومن امثلة هذا التخطيط مسجد سليمان باشا بالقلعة (١٥٢٨م) حيث نجد به ضريحا للمنشئ يبرز من الفناء مغطى بقبه كبيرة •

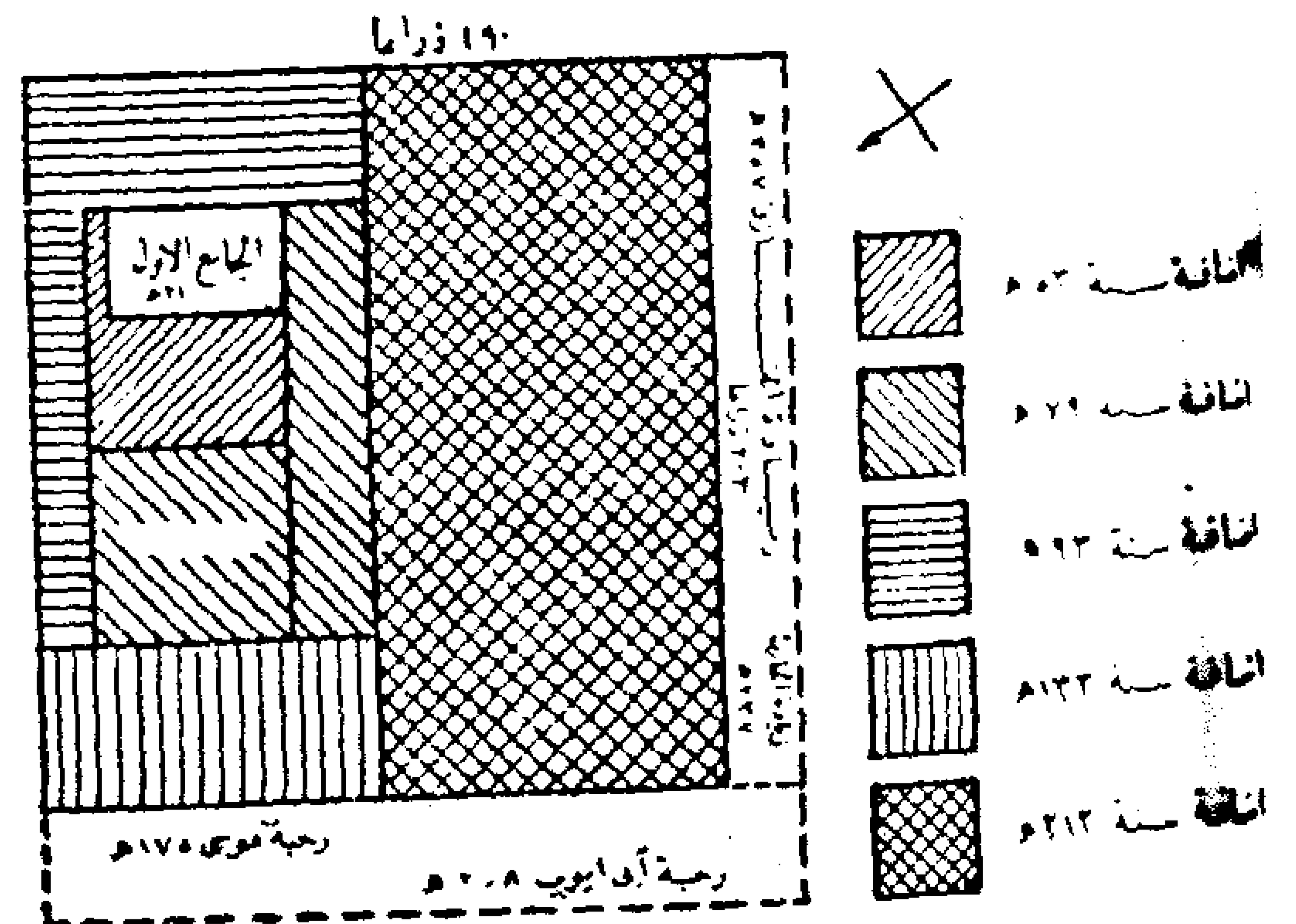
وفى جميع الحالات السابقة نجد المئذنة تبرز من احد الاركان، عبارة عن عمود مستدير او كثير الاضلاع تقطعه بلكون او اكثر محمولة على المقرنصات ويعلوها المخروط المرتفع وتسمى Pencil Point ـ أما المساجد التى بنيت فى ذلك العصر على التخطيط القديم التقليدى فنجد بها السقوف الخشبيه المستوية المزخرفة وبها المآذن المملوكية وعادة تتكون من قاعة صغيرة للصلاة احيانا تشتمل على بعض الاعمدة وندخل اليها عن طريق مدخل يؤدى الى بعض الغرف واماكن الوضوء كما نجد بها احيانا ضريحا للمنشئ مغطى بقبه وكثيرا مالا نجد بهذه المساجد الصحن القديم •

ومن امثلة هذا التخطيط مسجد البرديني بشارع الداودية انشئ عام ١٦١٦ـ١٦٢٩م وبالرغم من ذلك فطرازه مملوكى ويتضح هذا من مئذنته •

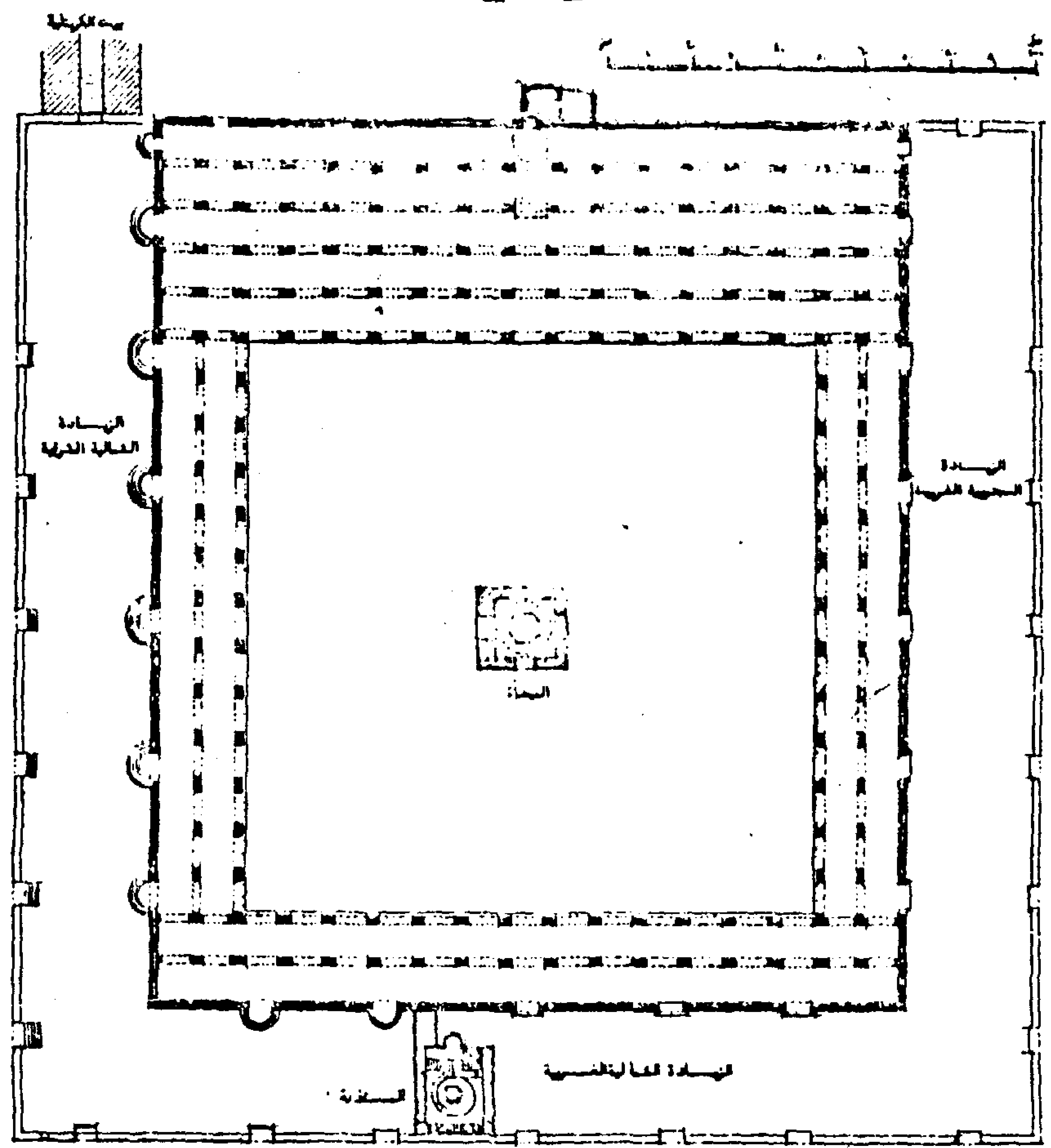
لوحة ٥

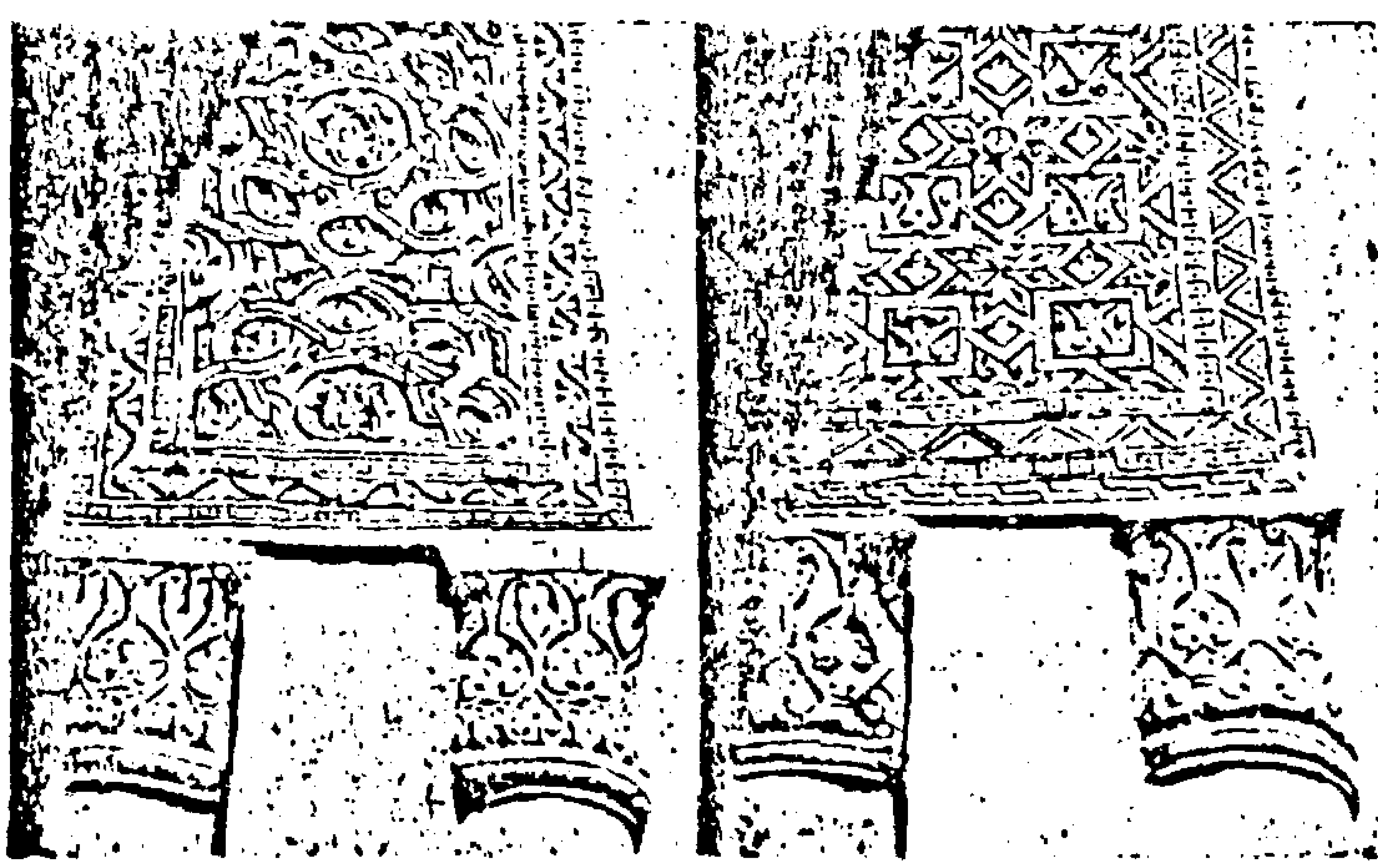


مسجد عمرو بن العاص
(٦٤١م) ومراحله التالية



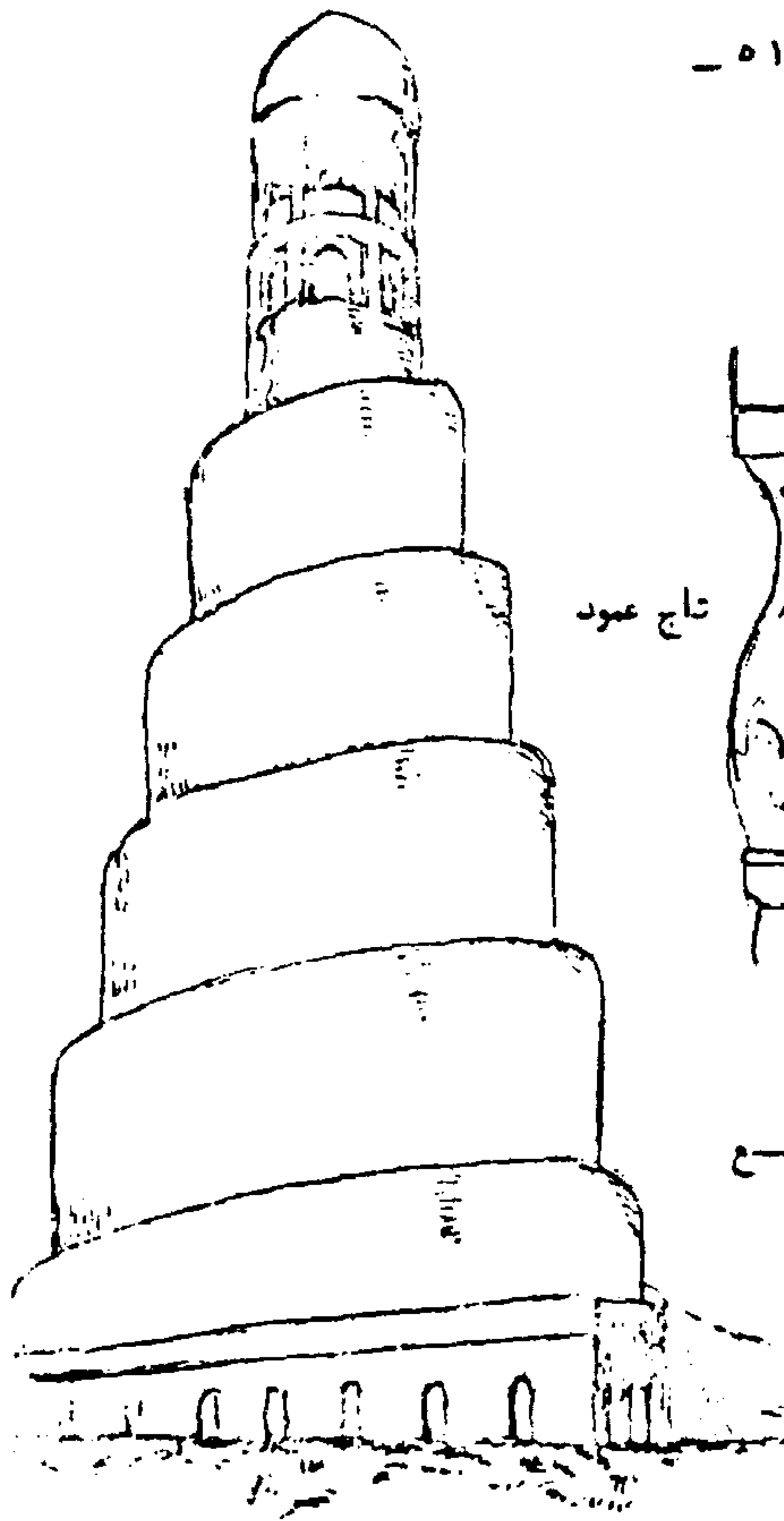


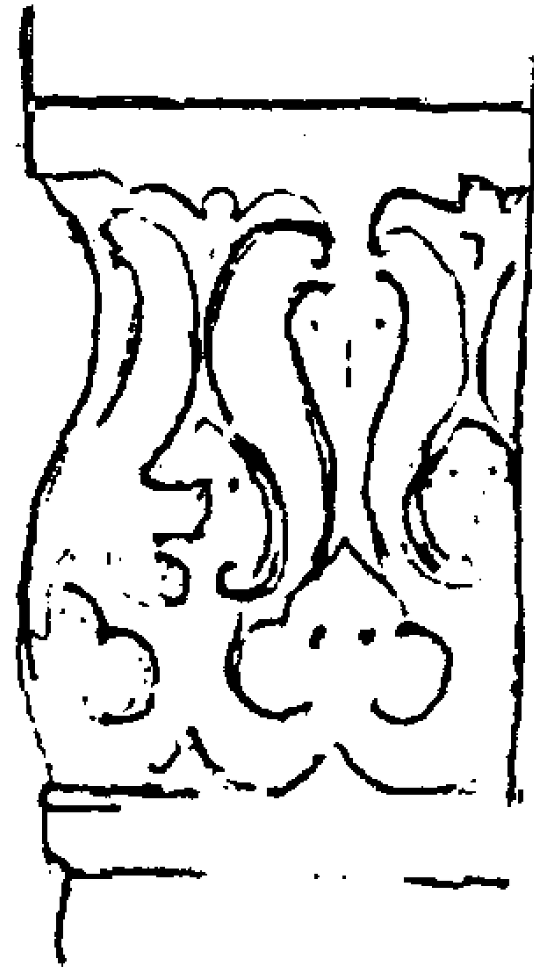




جامع احمد بن طولون
(القرن ٩ م)

لوحه ٧

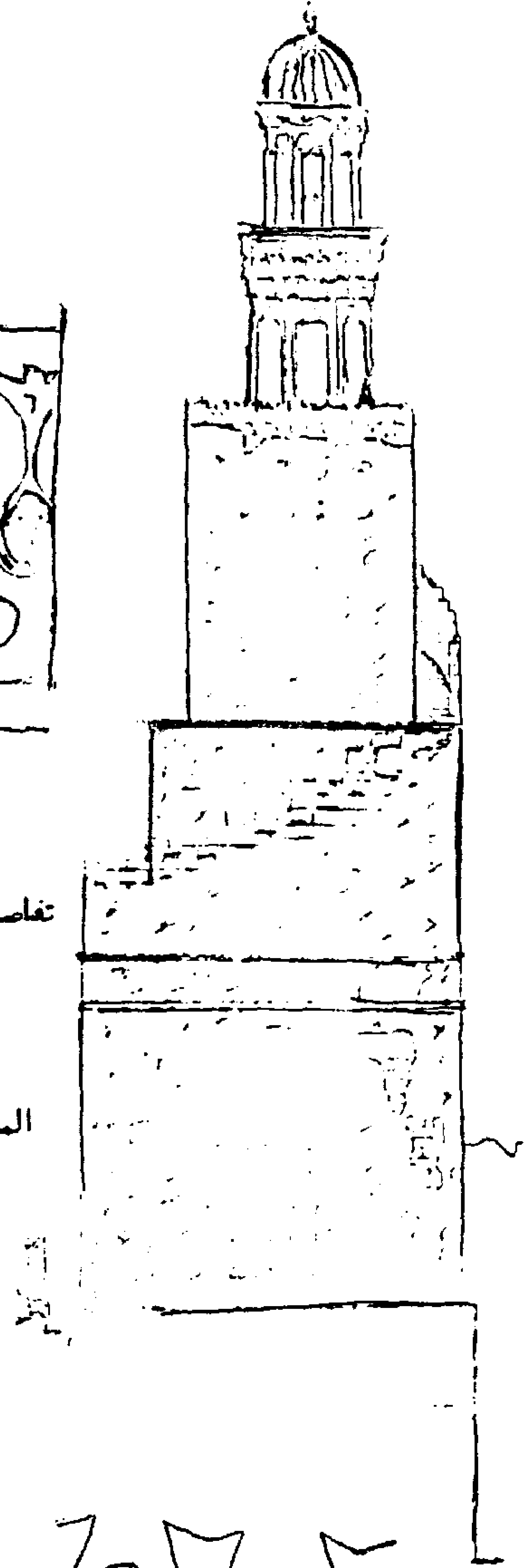




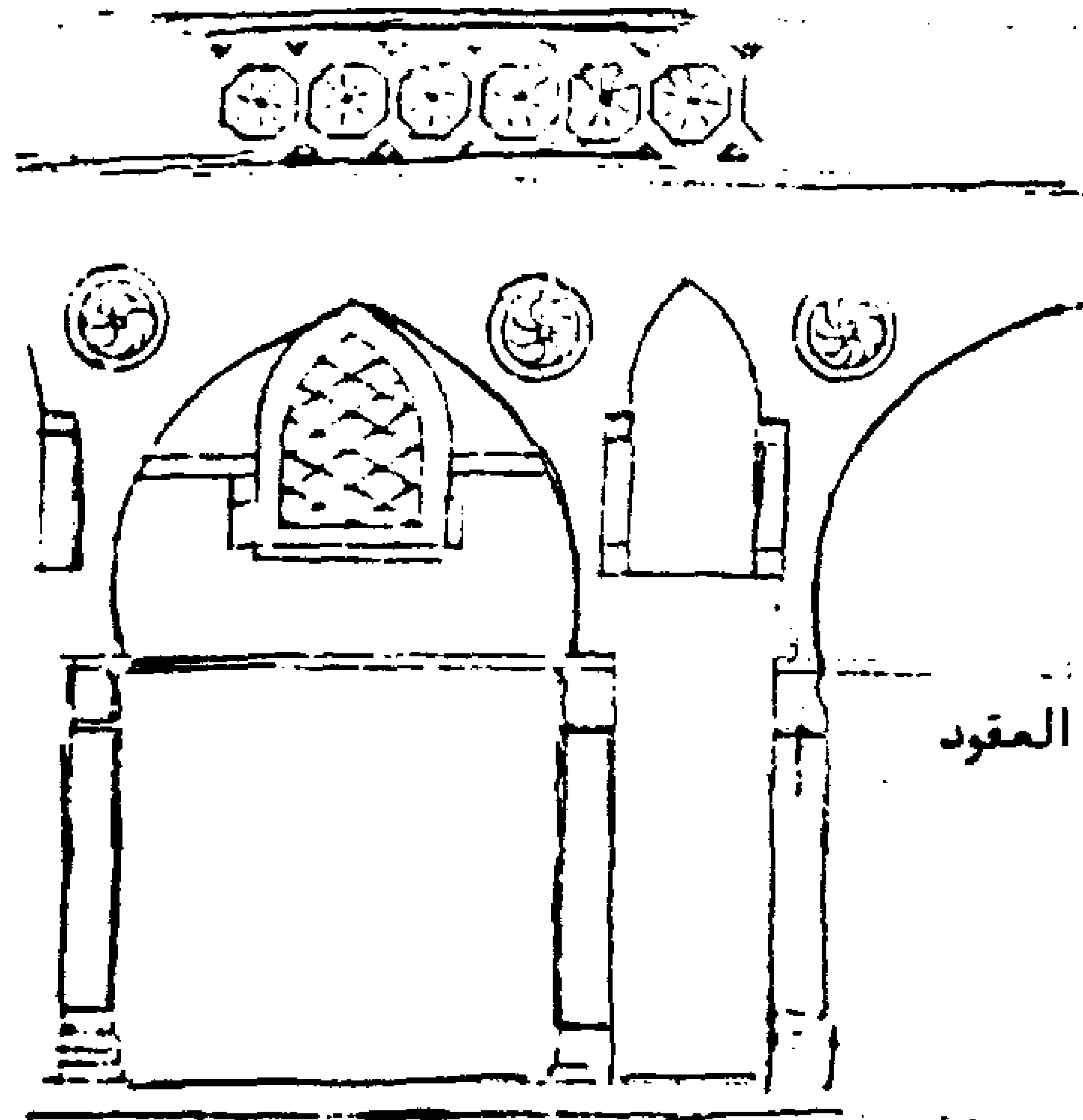
تاج عمود

الملويـة

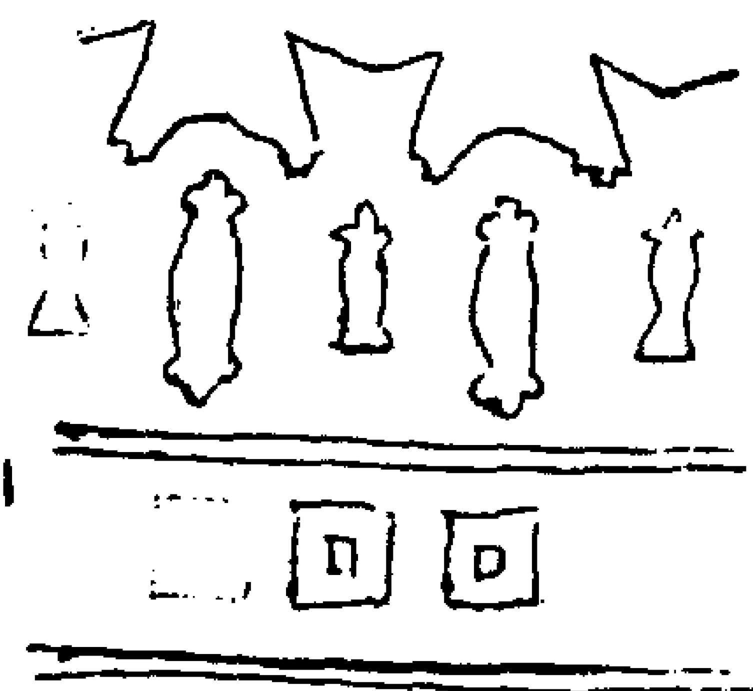
تفاصيل من جامـع
ابن طولون



المئذنـة

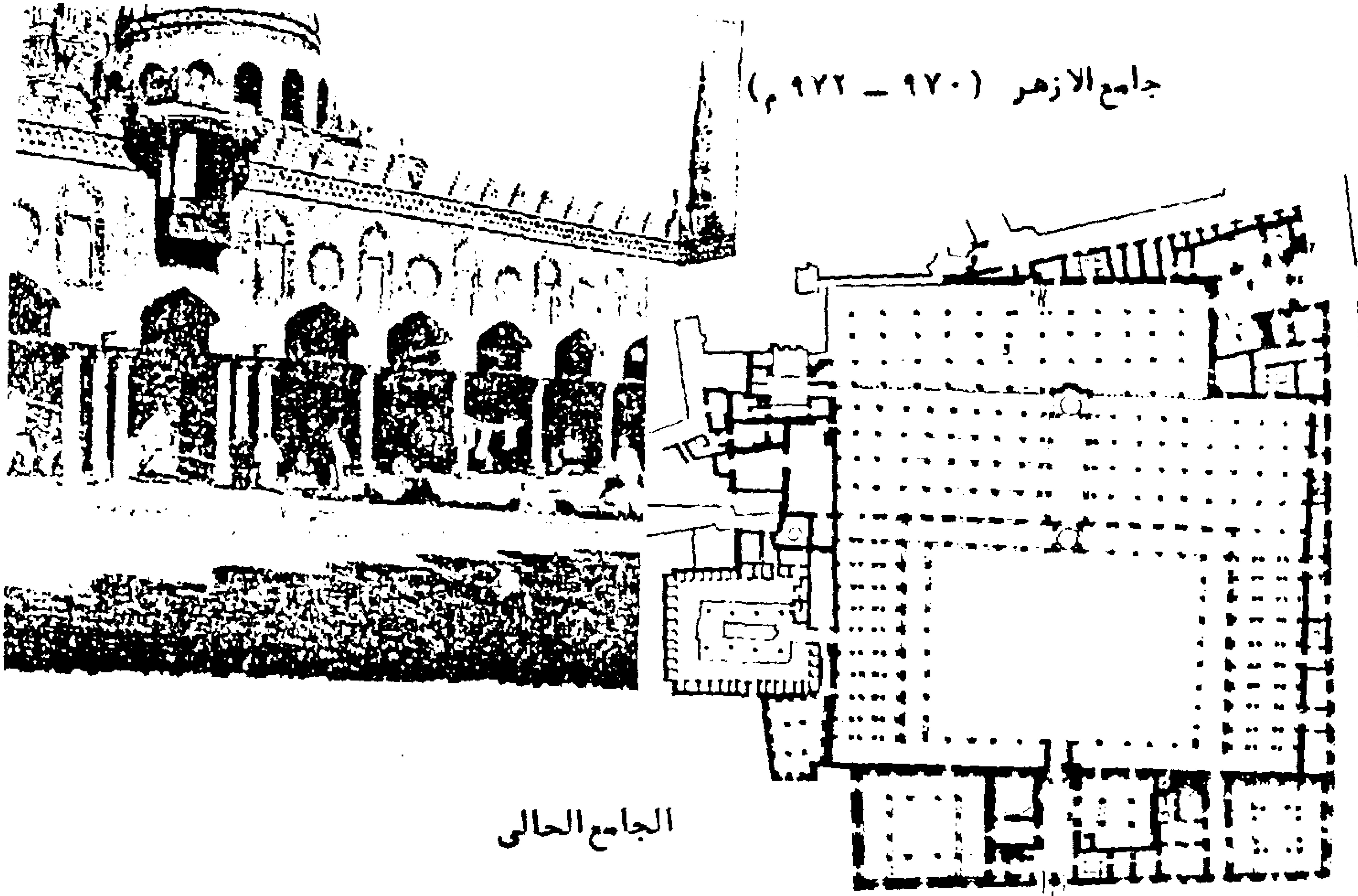


العقود



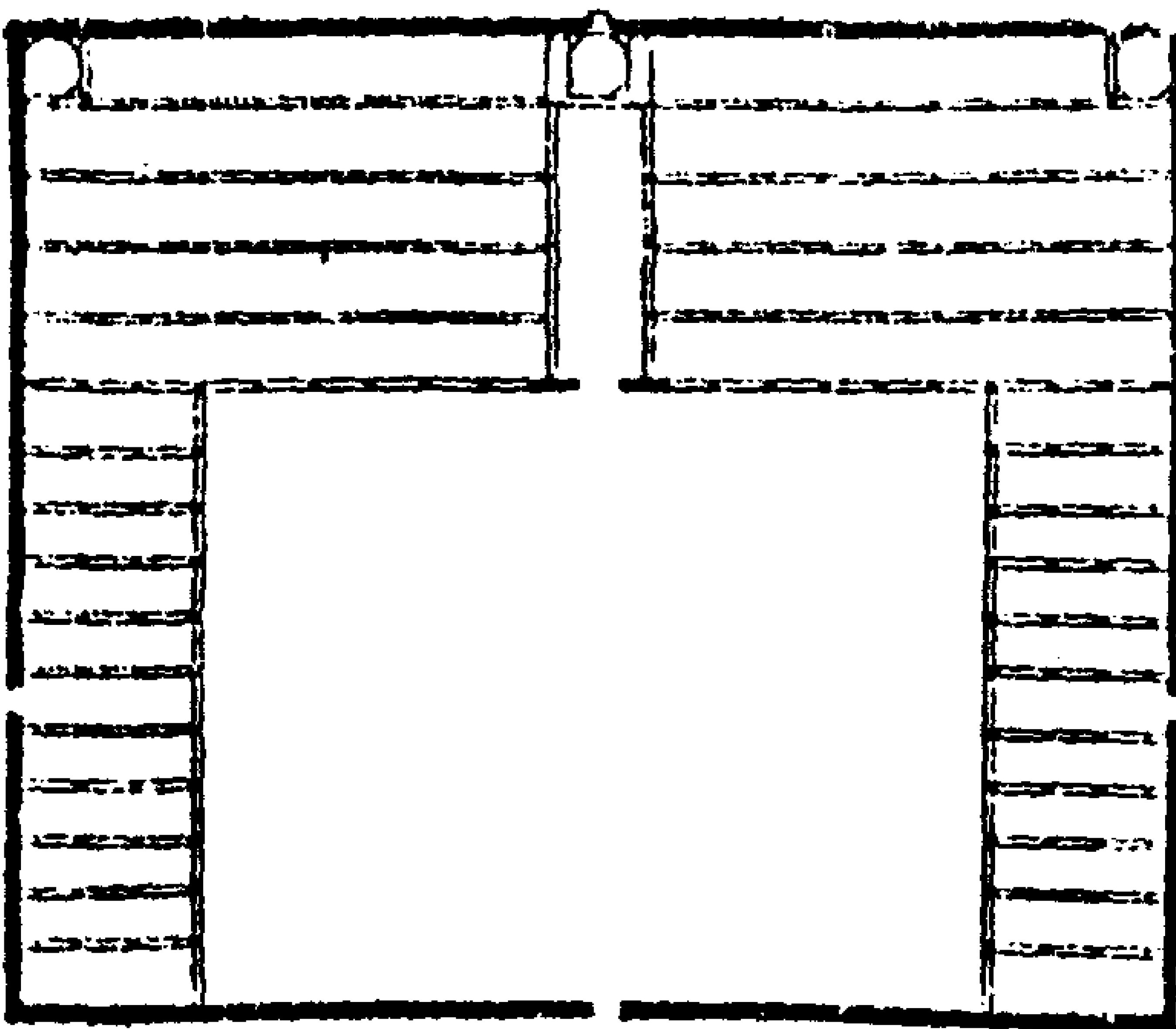
الشرفات

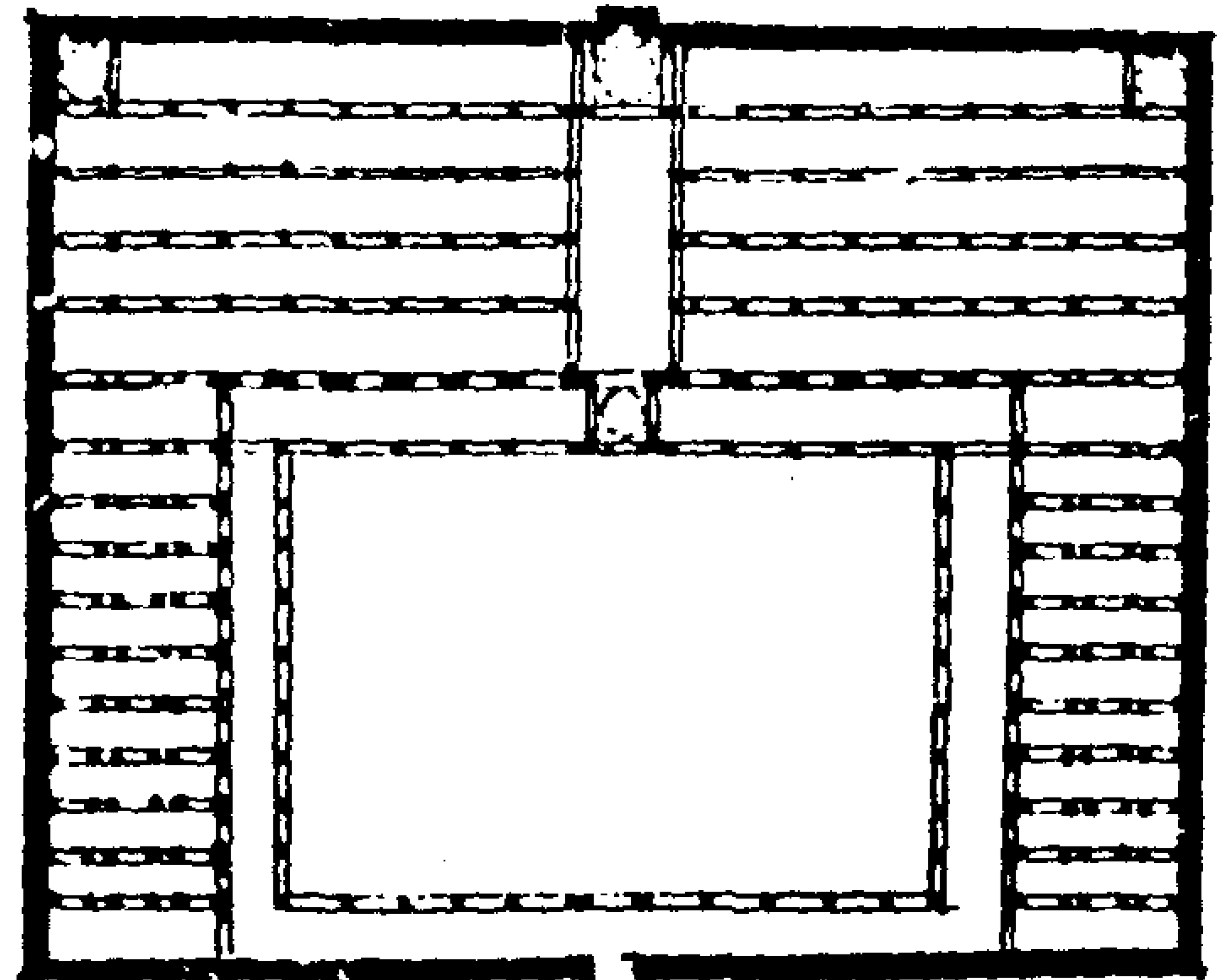
لوحه ٨


جامع الازهر (٩٧٠ ـ ٩٧٢ م)

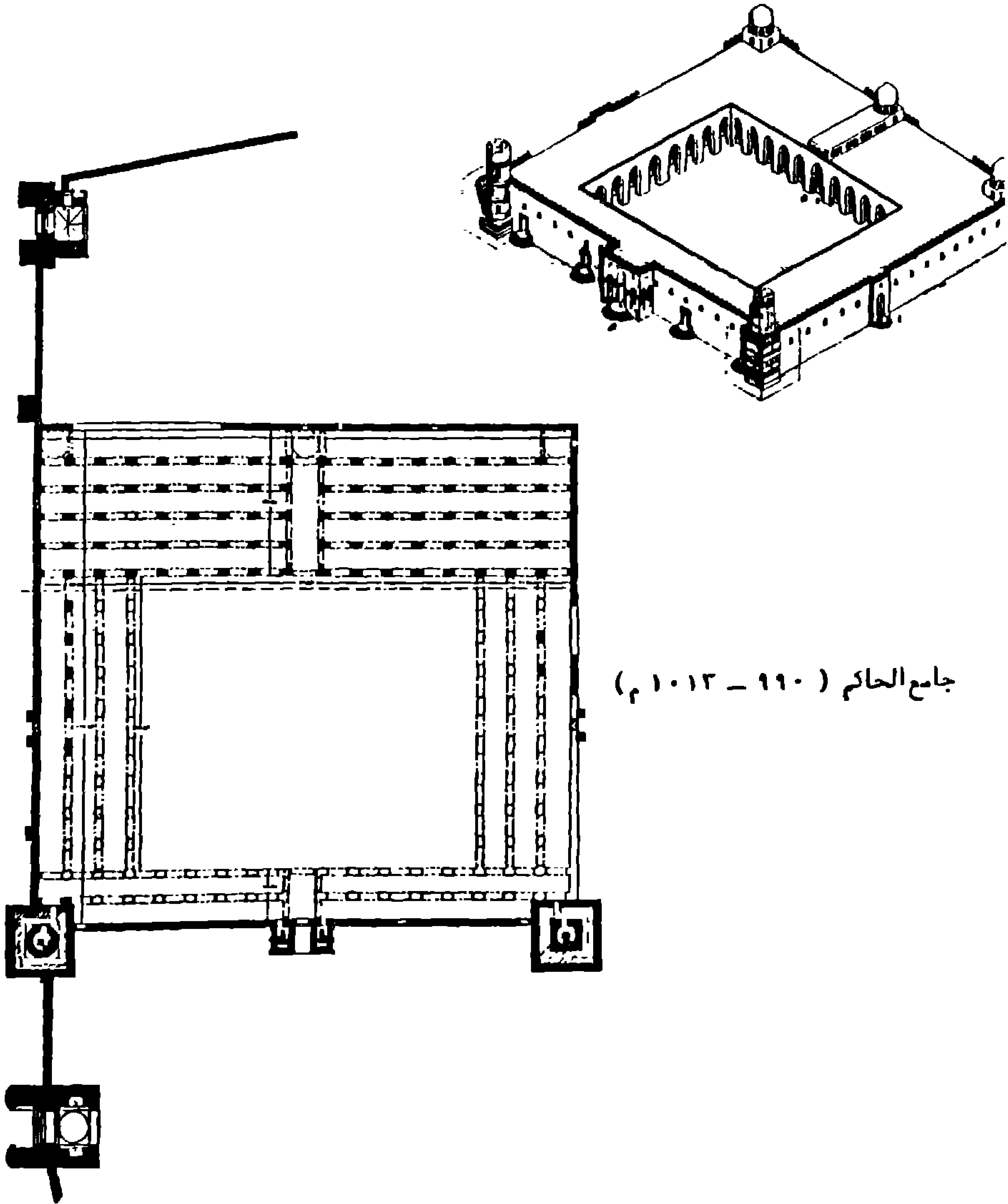
الجامع الحالى

الجامع فى عهد المعز لدين الله

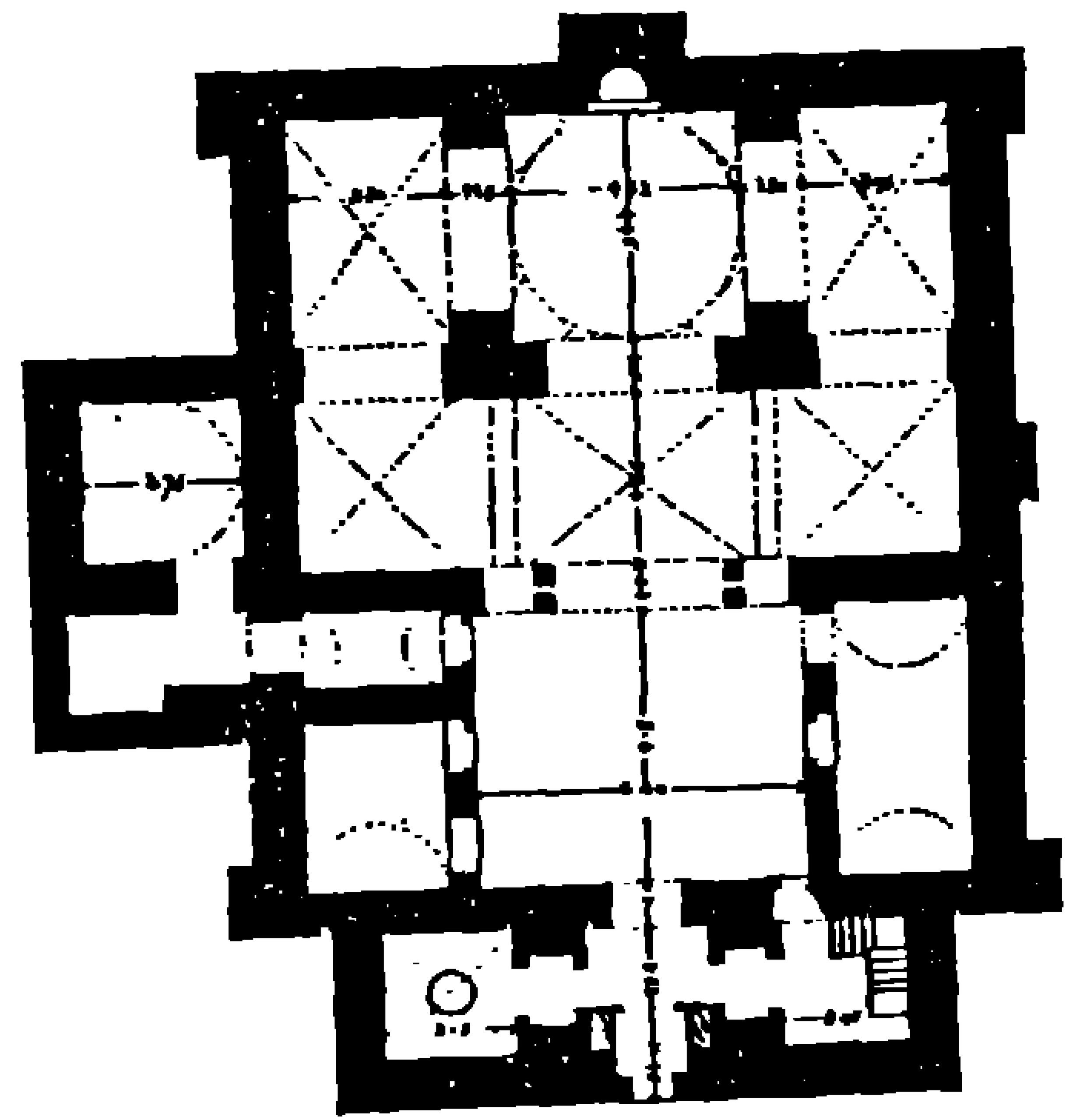



الجامع فى عهد الحافظ

لوحـه ٩



جامع الحاكم (٩٩٠ ـ ١٠١٣ م)

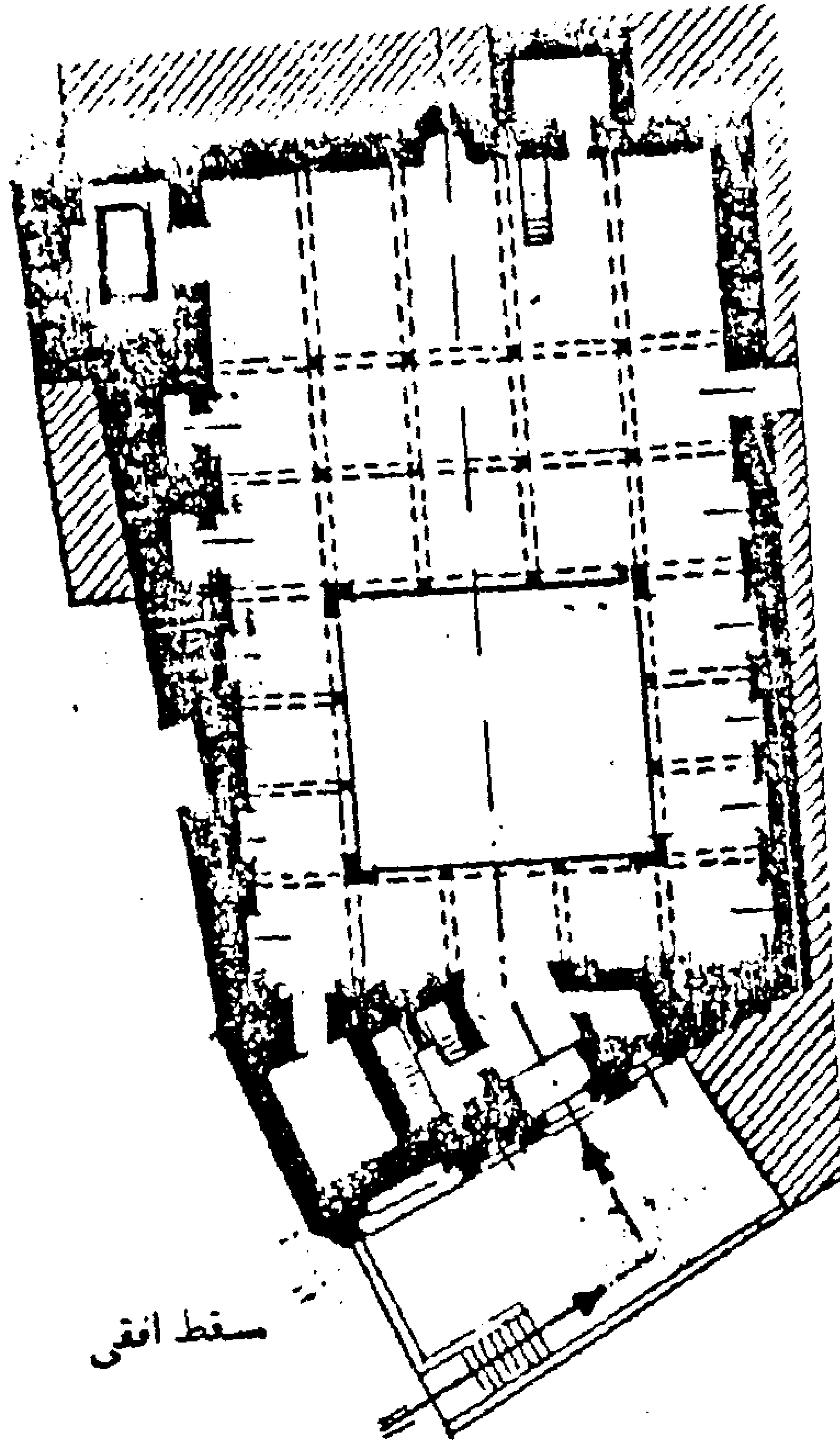




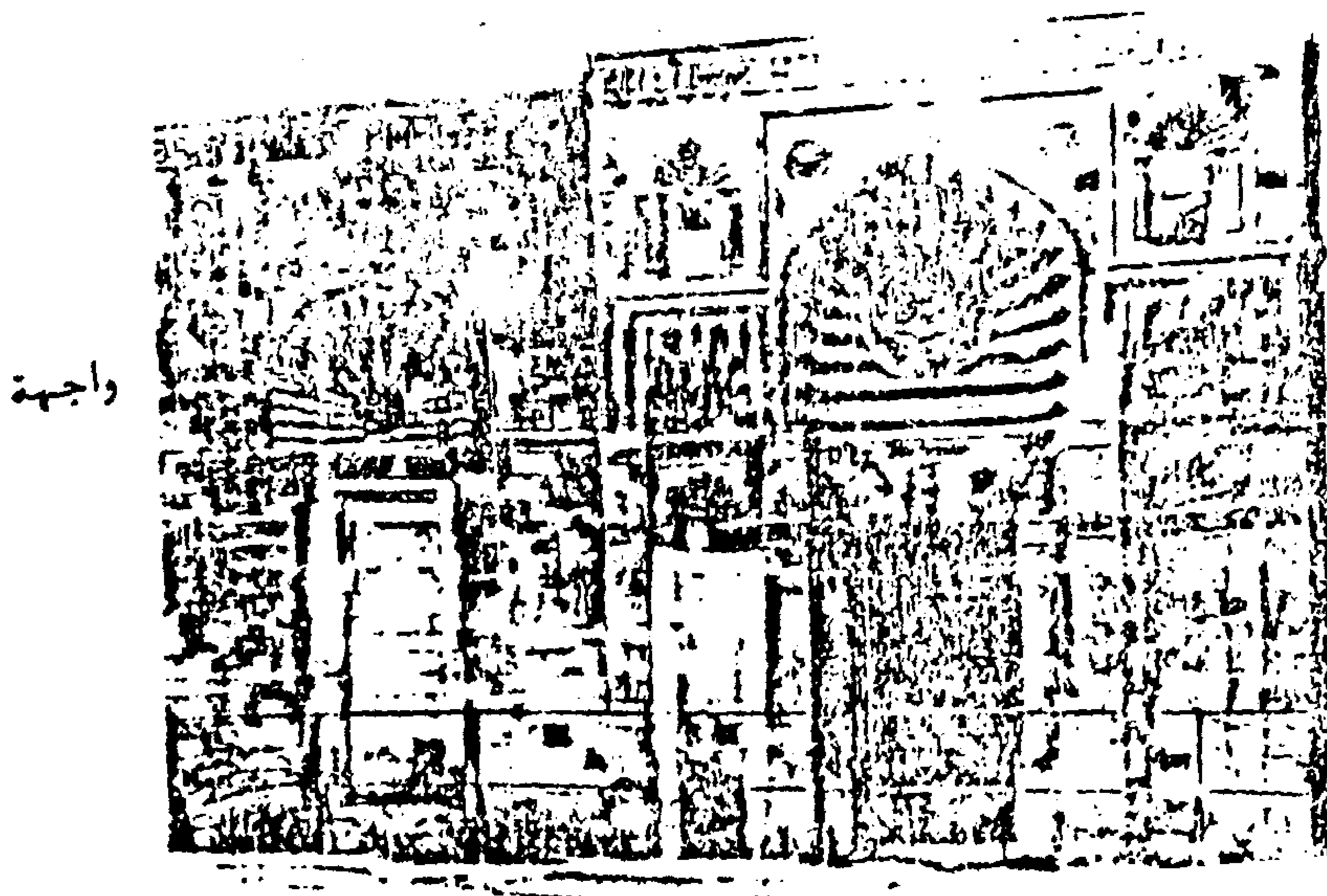
جامع الجيوشي (١٠٨٥ م)

لوحـه ١١

جامع الاقمر (١١٢٥ م)

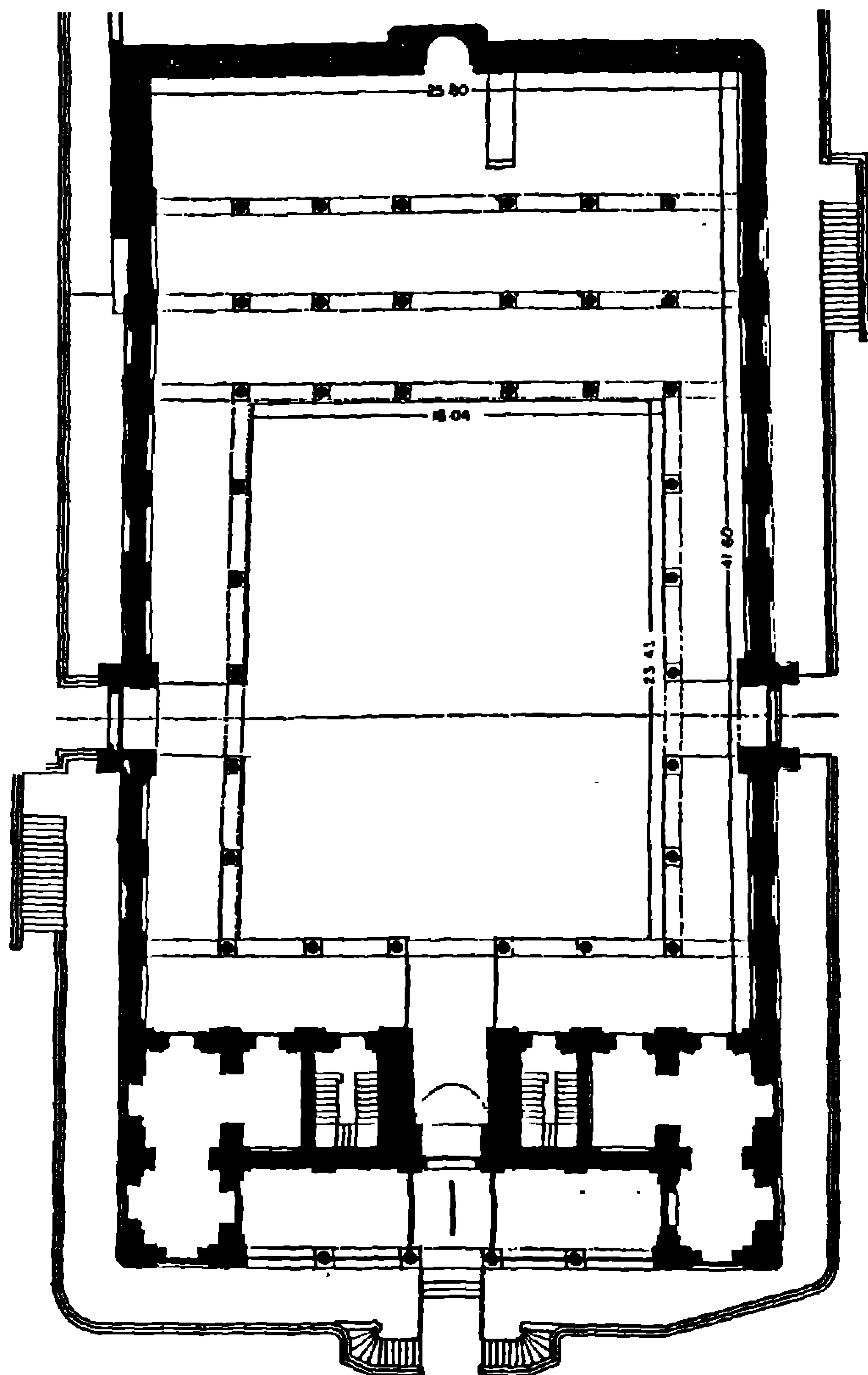


مسقط افقى



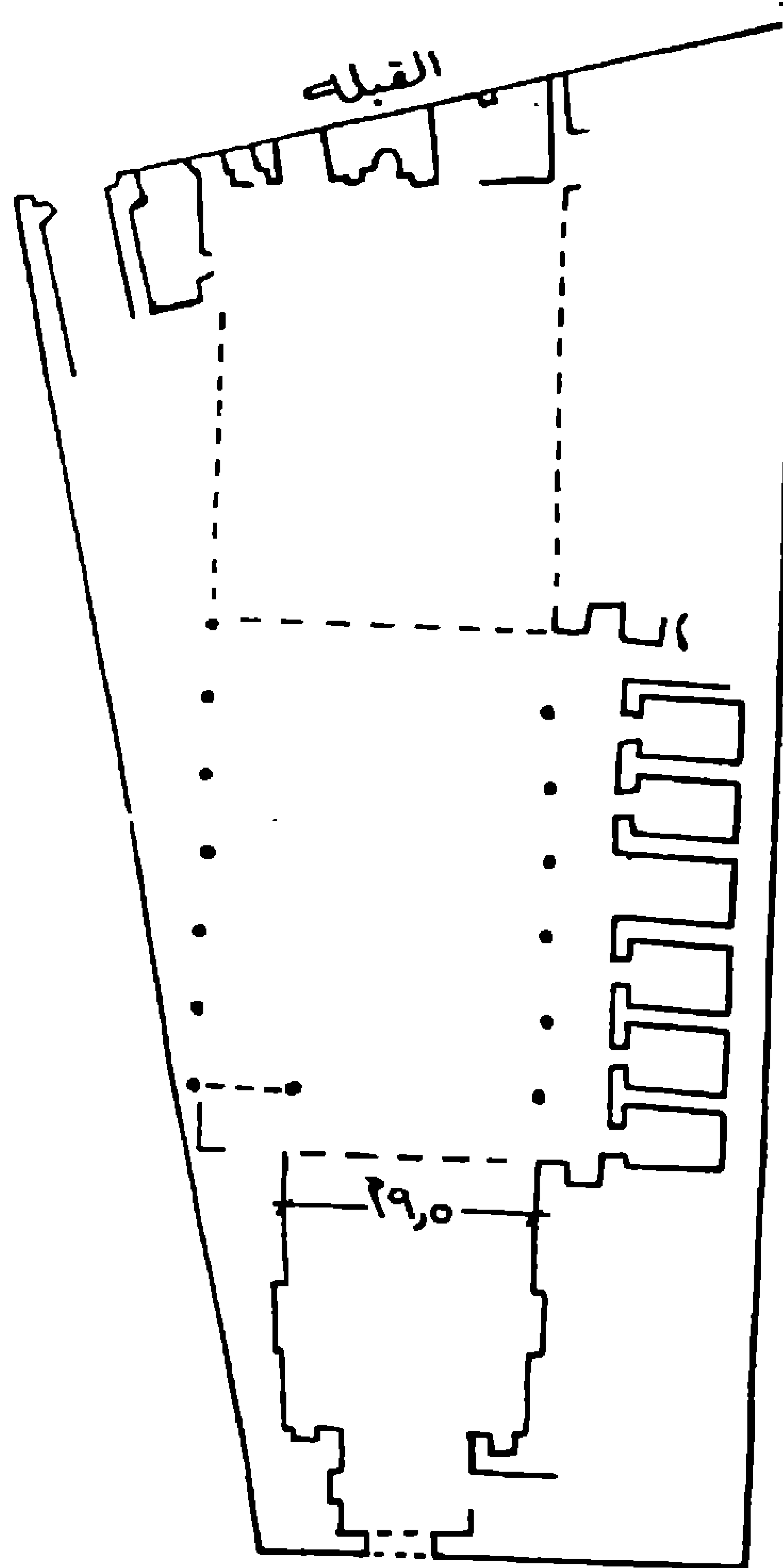
واجهة

لوحـــه ١٢

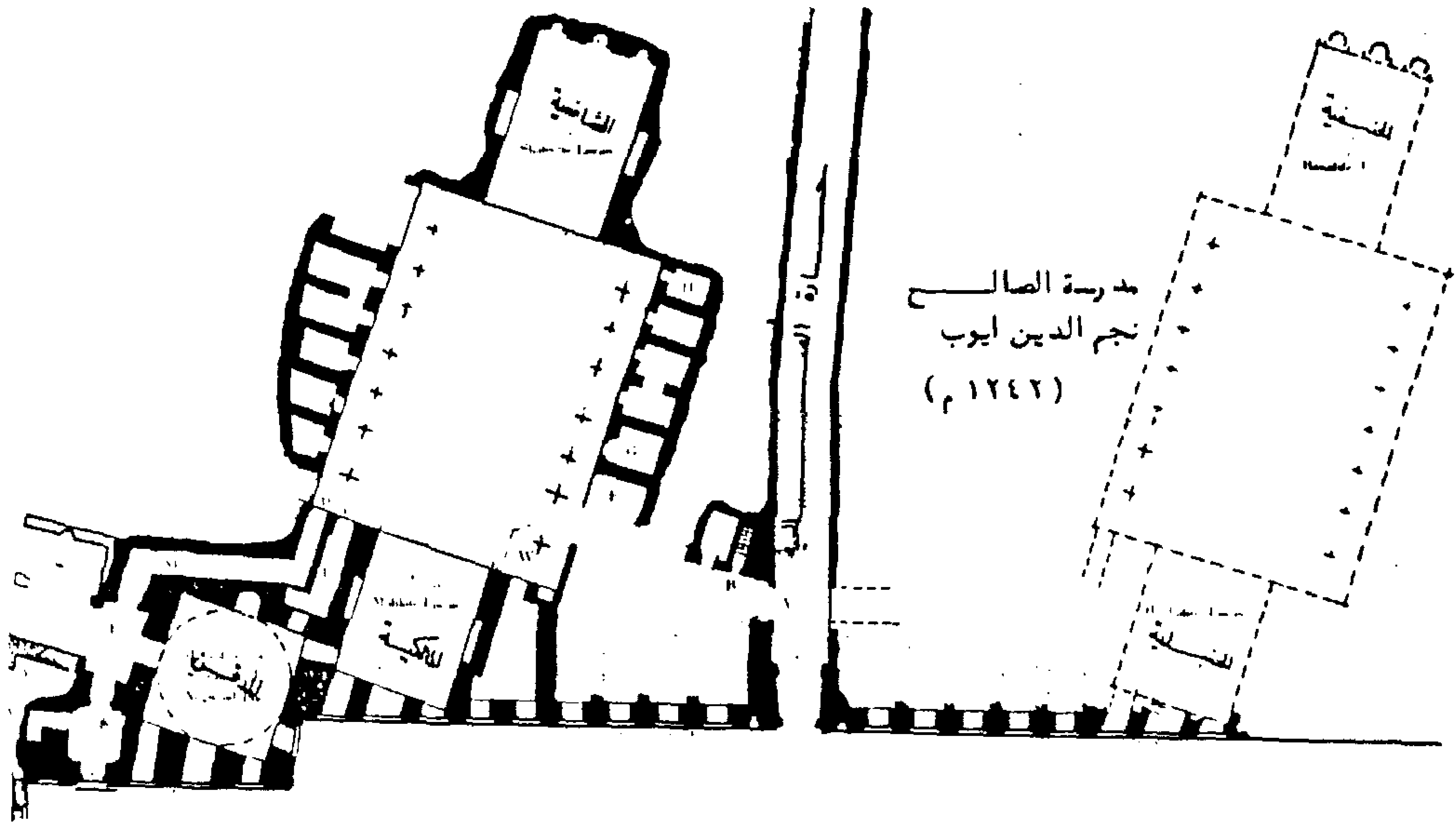


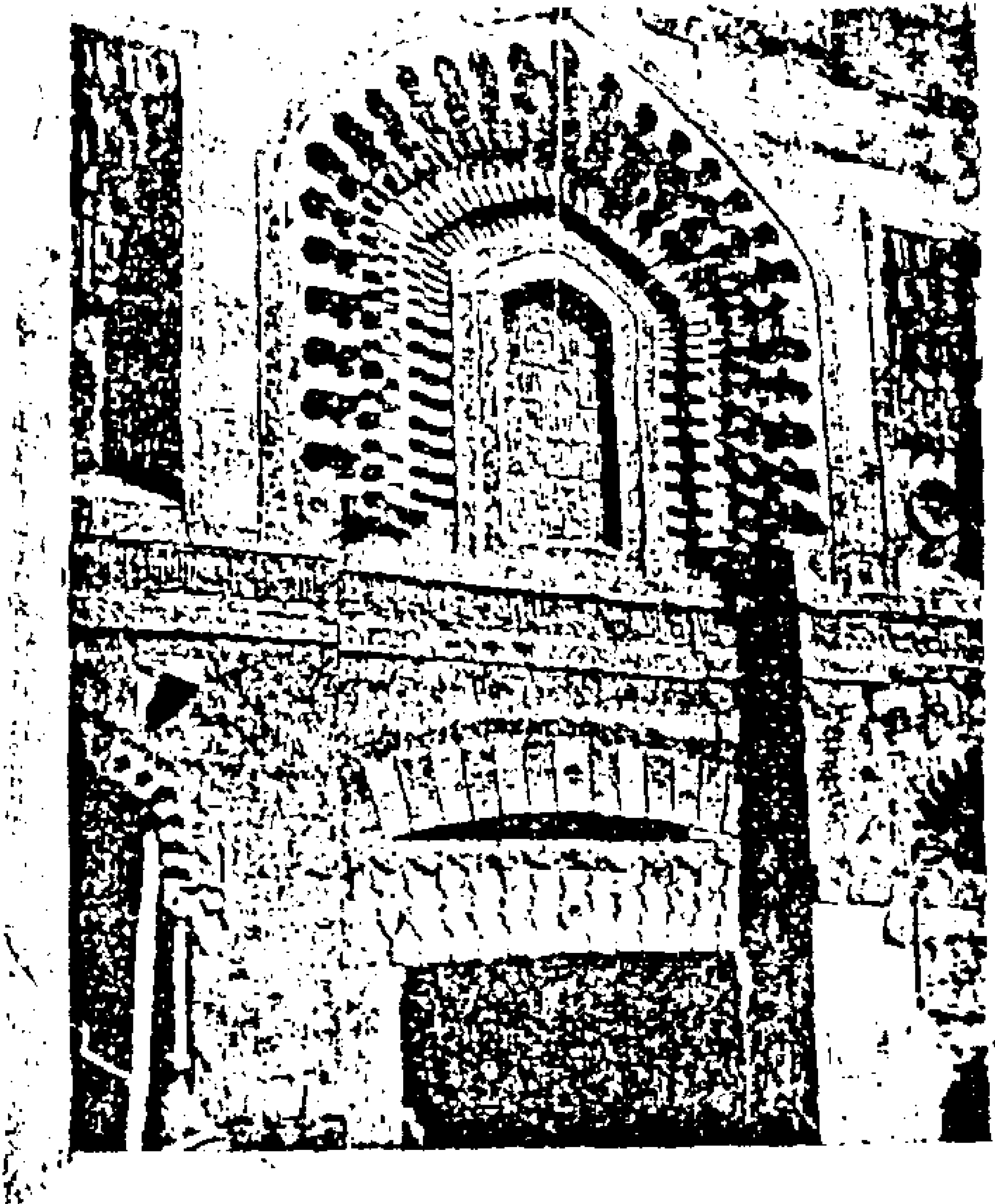
جامع الصالح طلائع (١١٦٠ م)

لوحـه ١٣



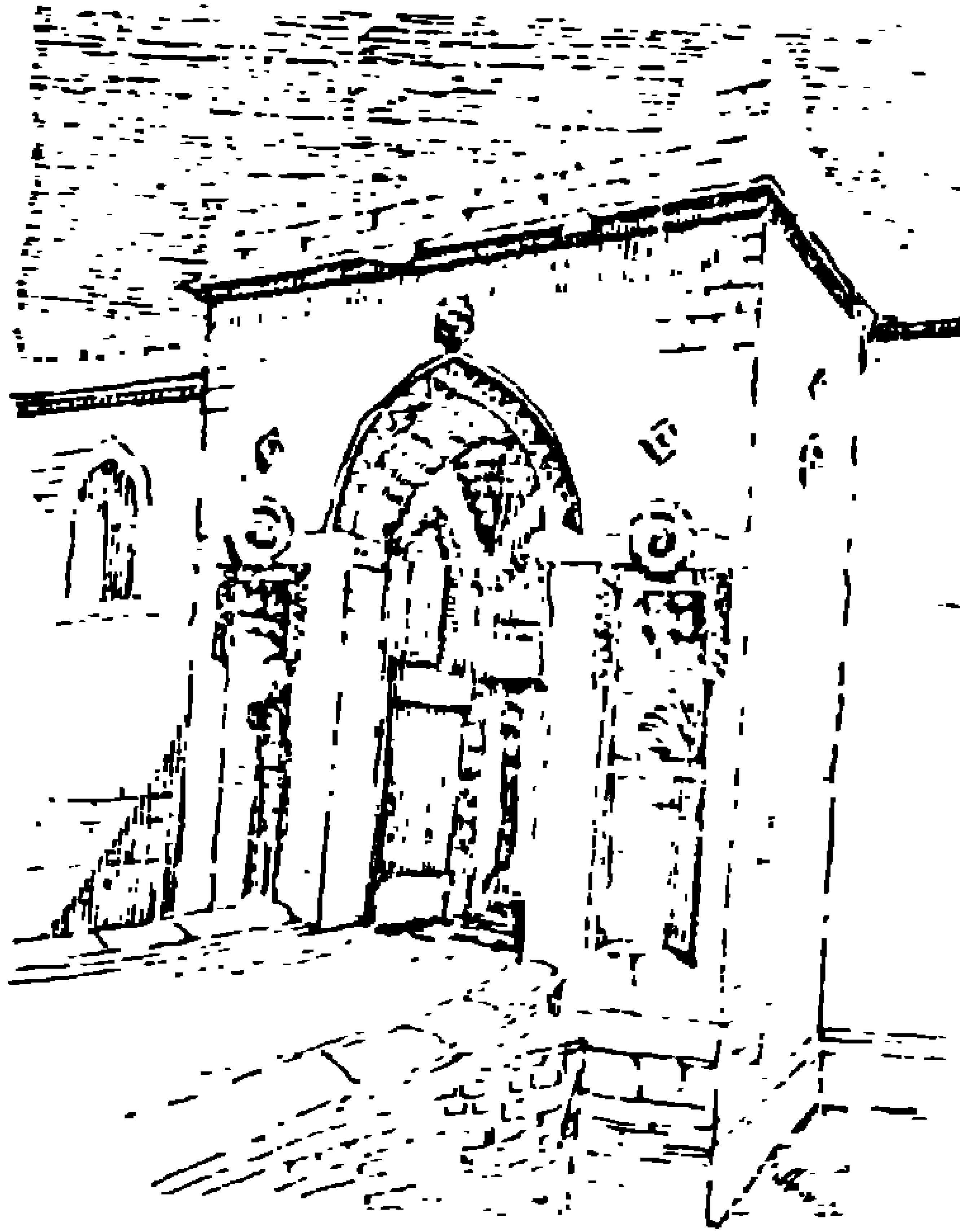
المدرسة الكاملية (١٢٢٥ م)


مدرسة الصالح
نجم الدين ايوب
(١٢٤٢ م)

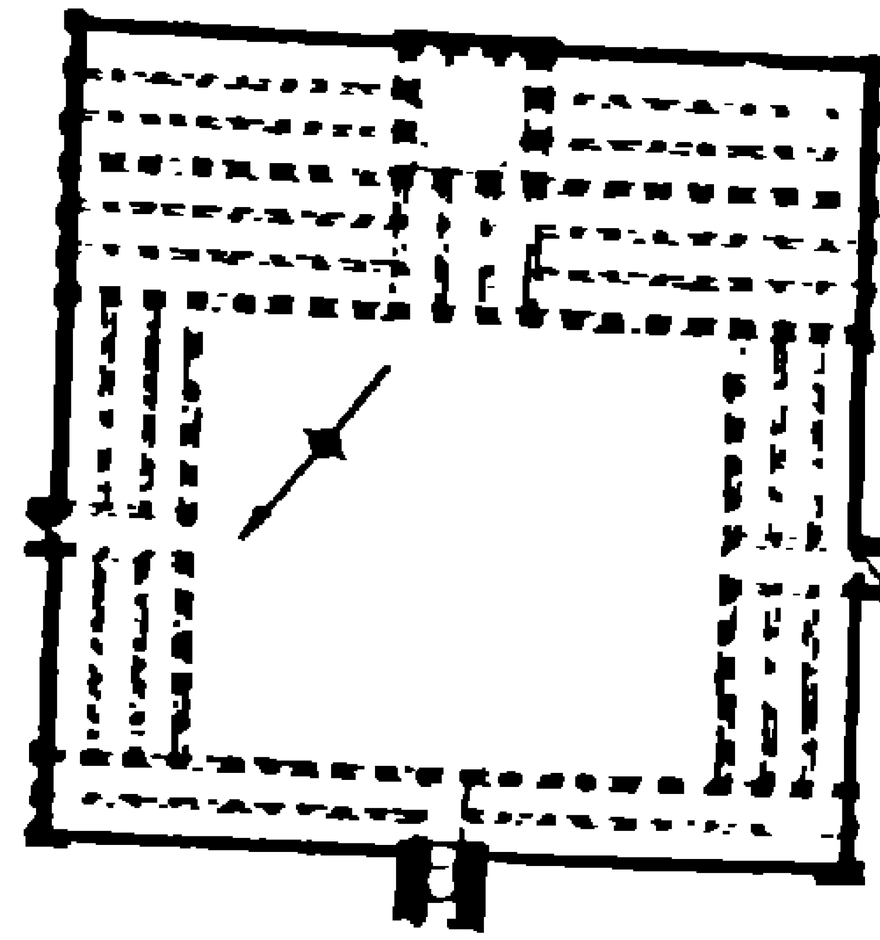




لوحـه ١٥



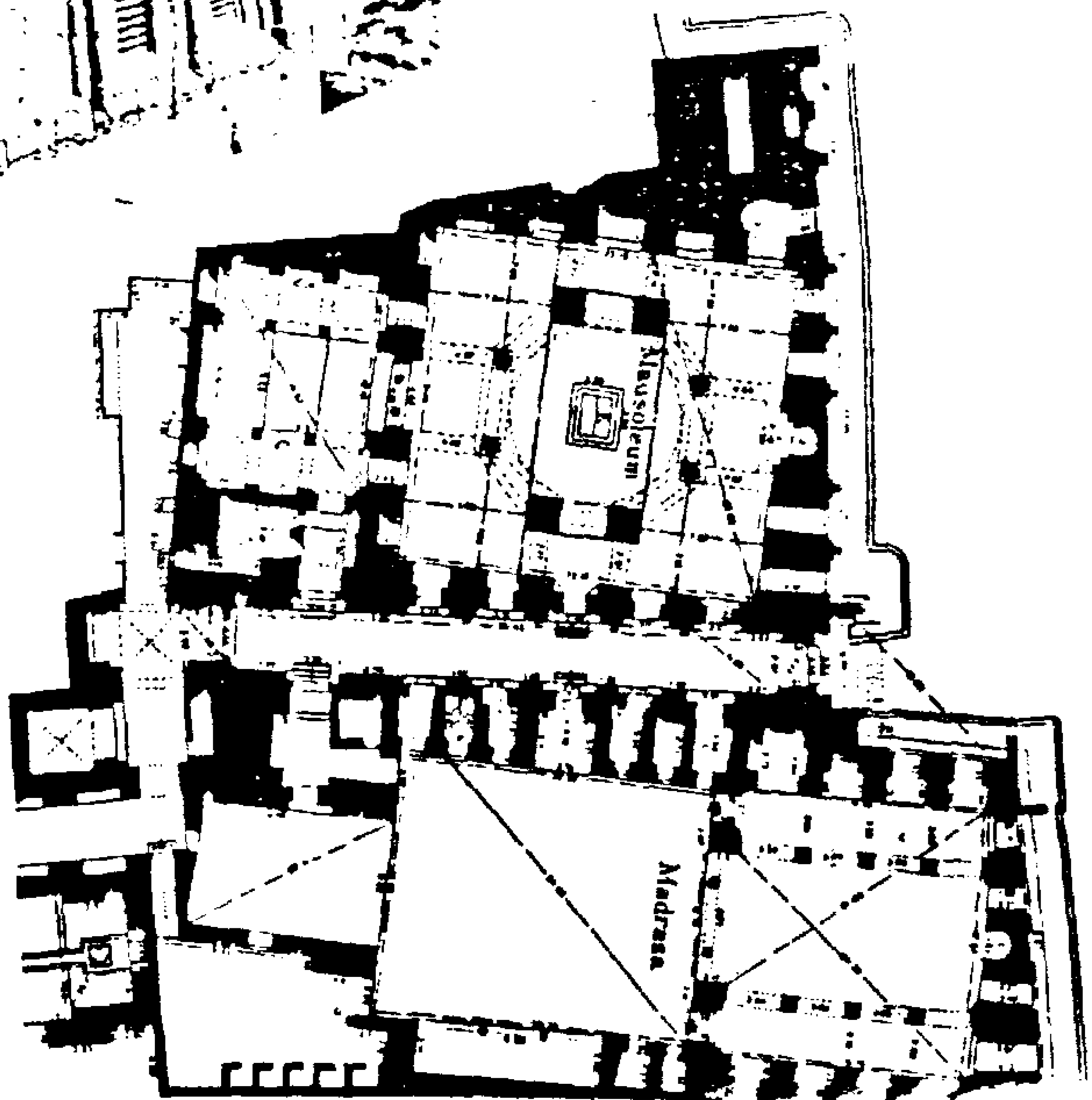
جامع الظاهر بيبرس
(١٢٦٦ _ ١٢٦٩ م)



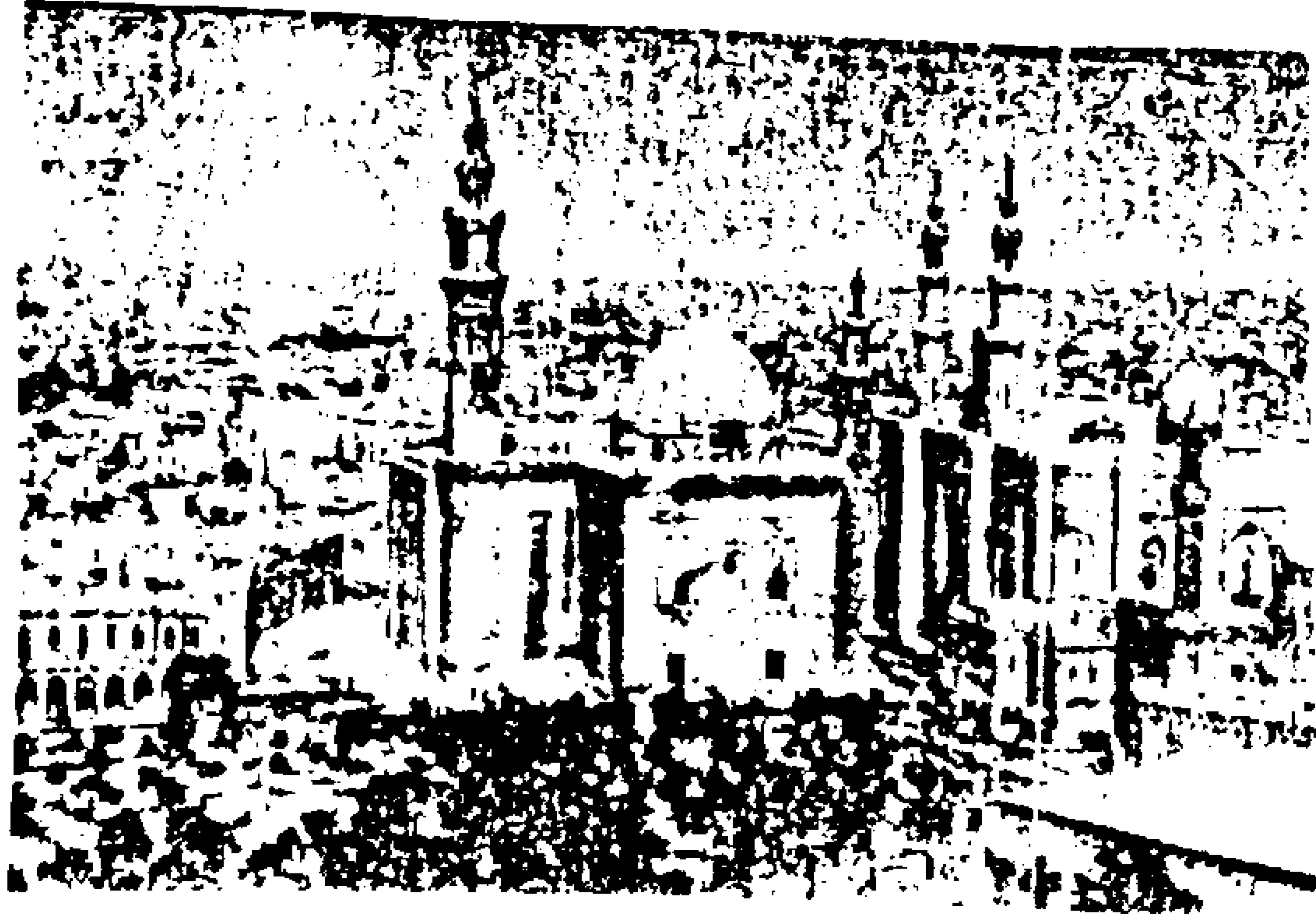
لوحه ١٦



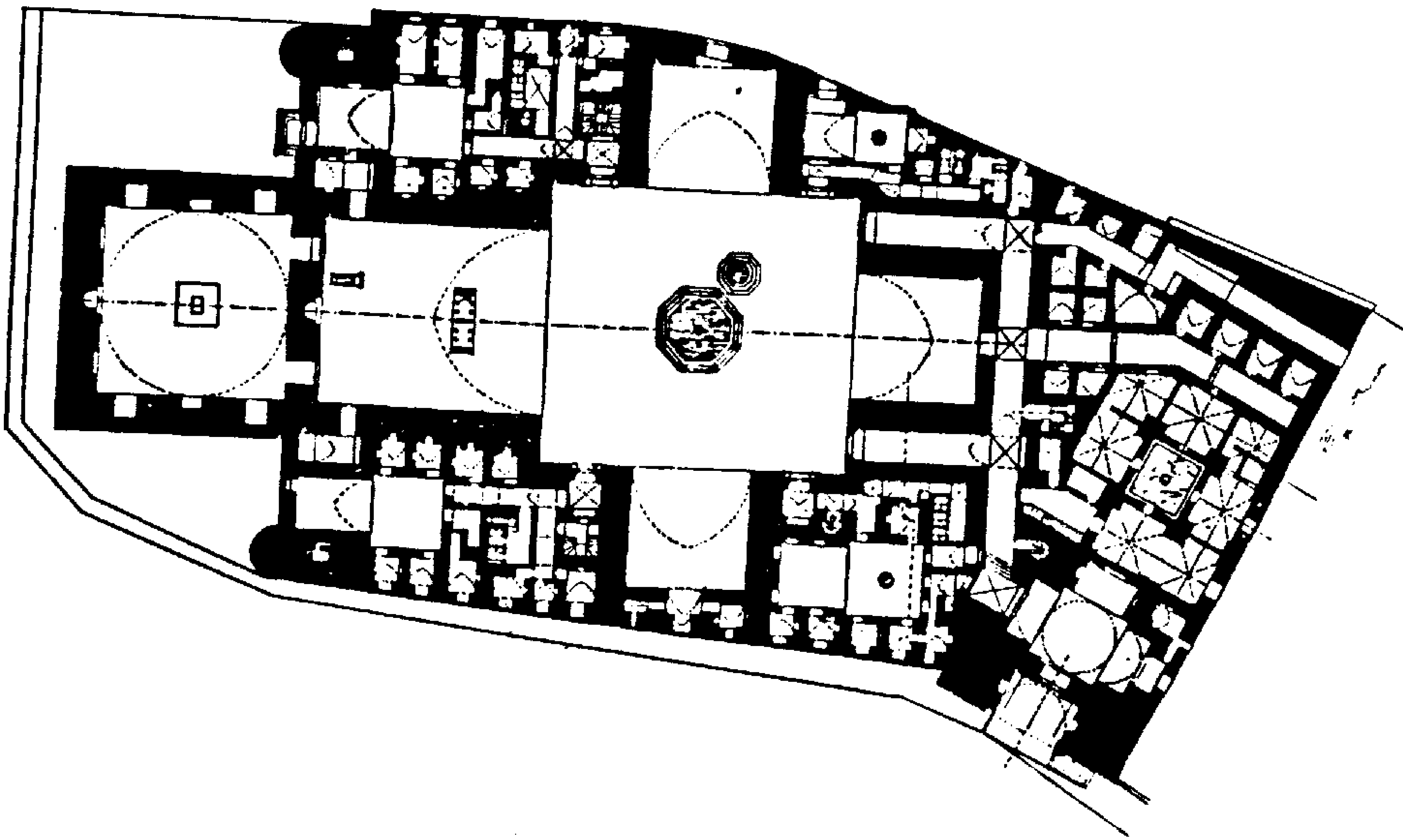
مجموعة قلاوون
(١٢٨٤ _ ١٢٨٥ م)



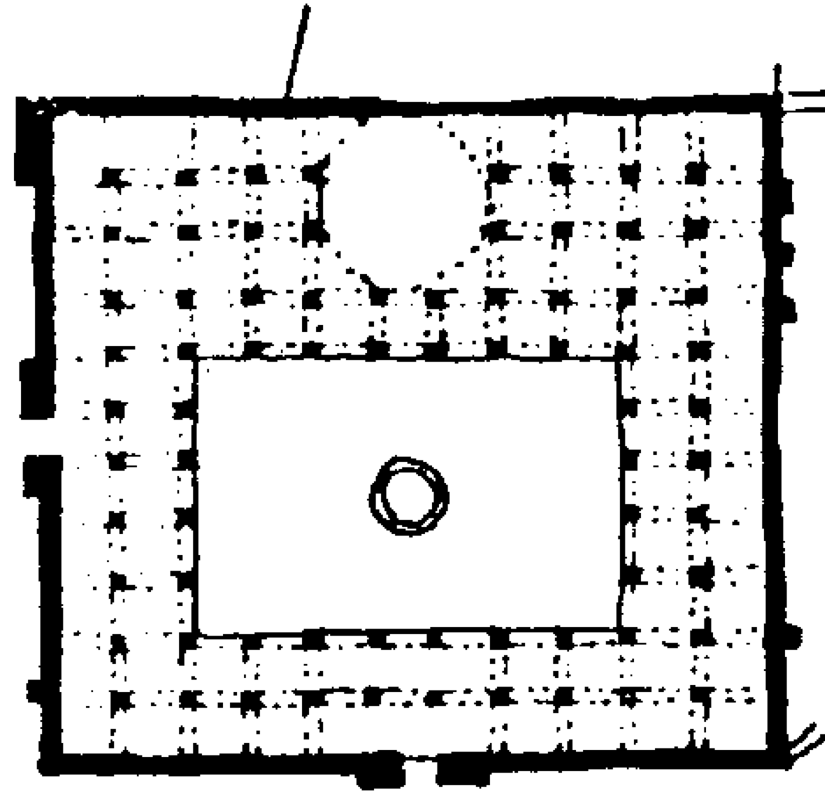
لوحـه ١٧



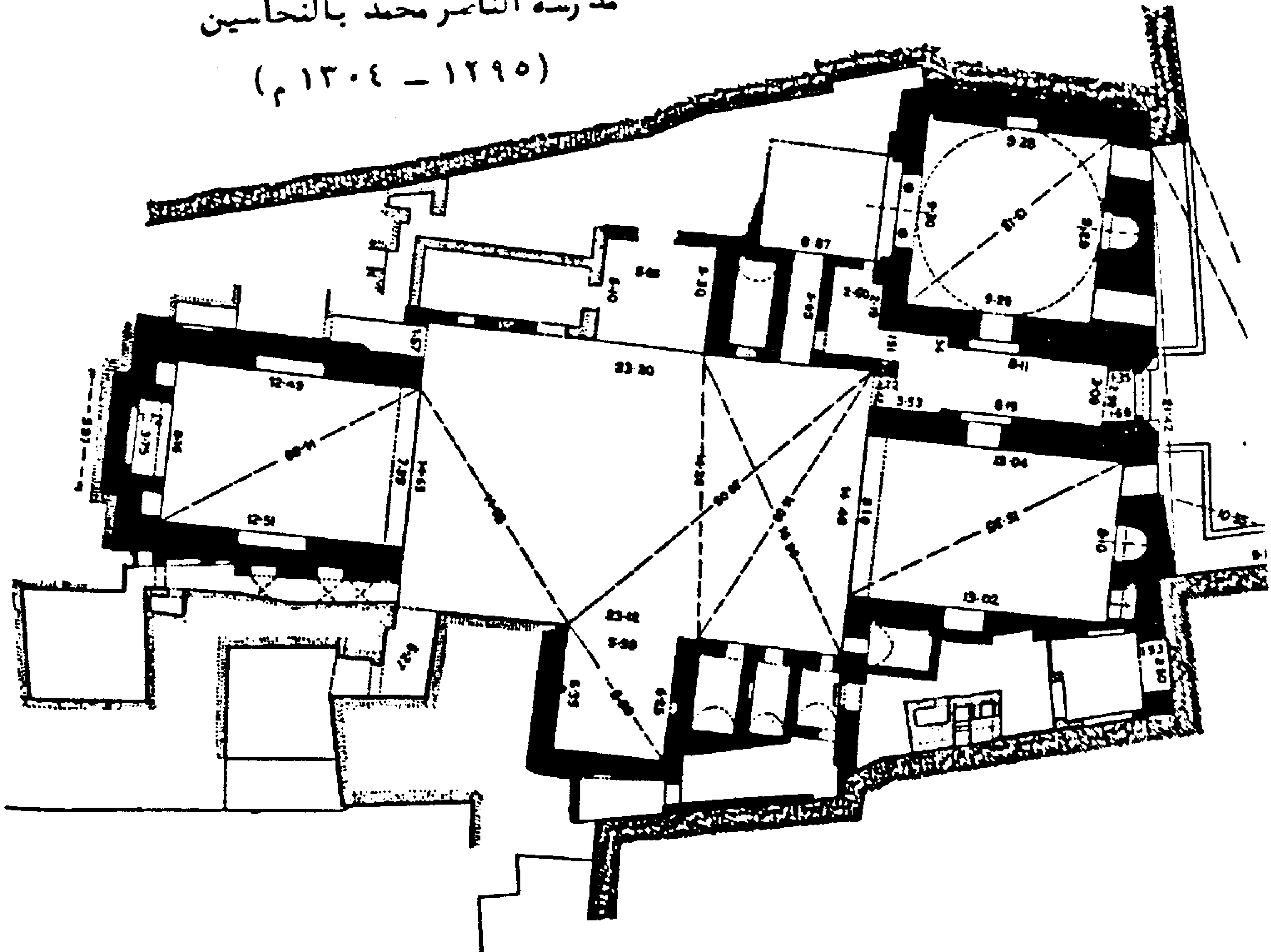
مدرسة السلطان حسن
(١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م)



لوحـه ١٨

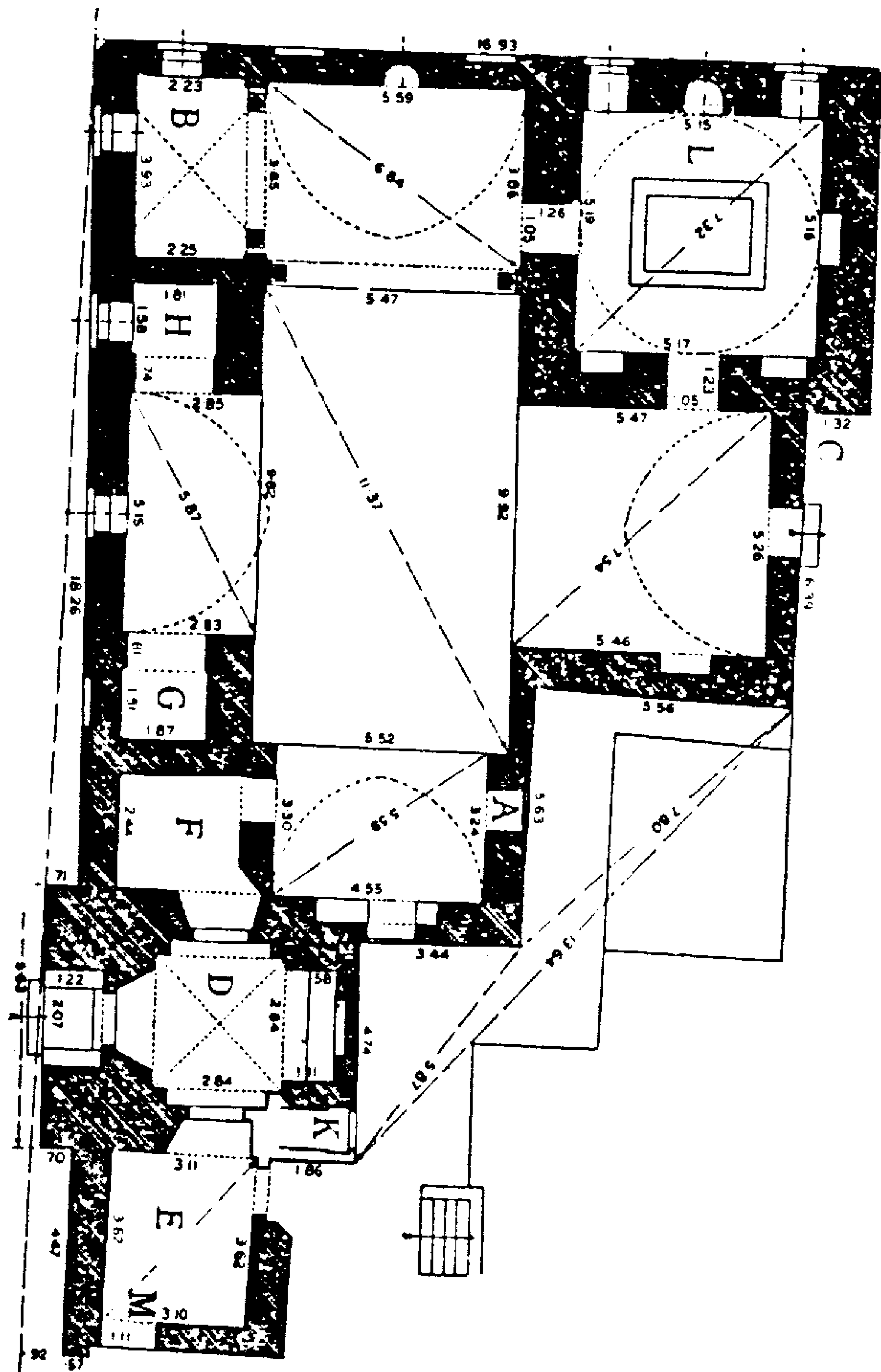


جامع الناصر محمد بالقلعـة
(١٣٣٥م)



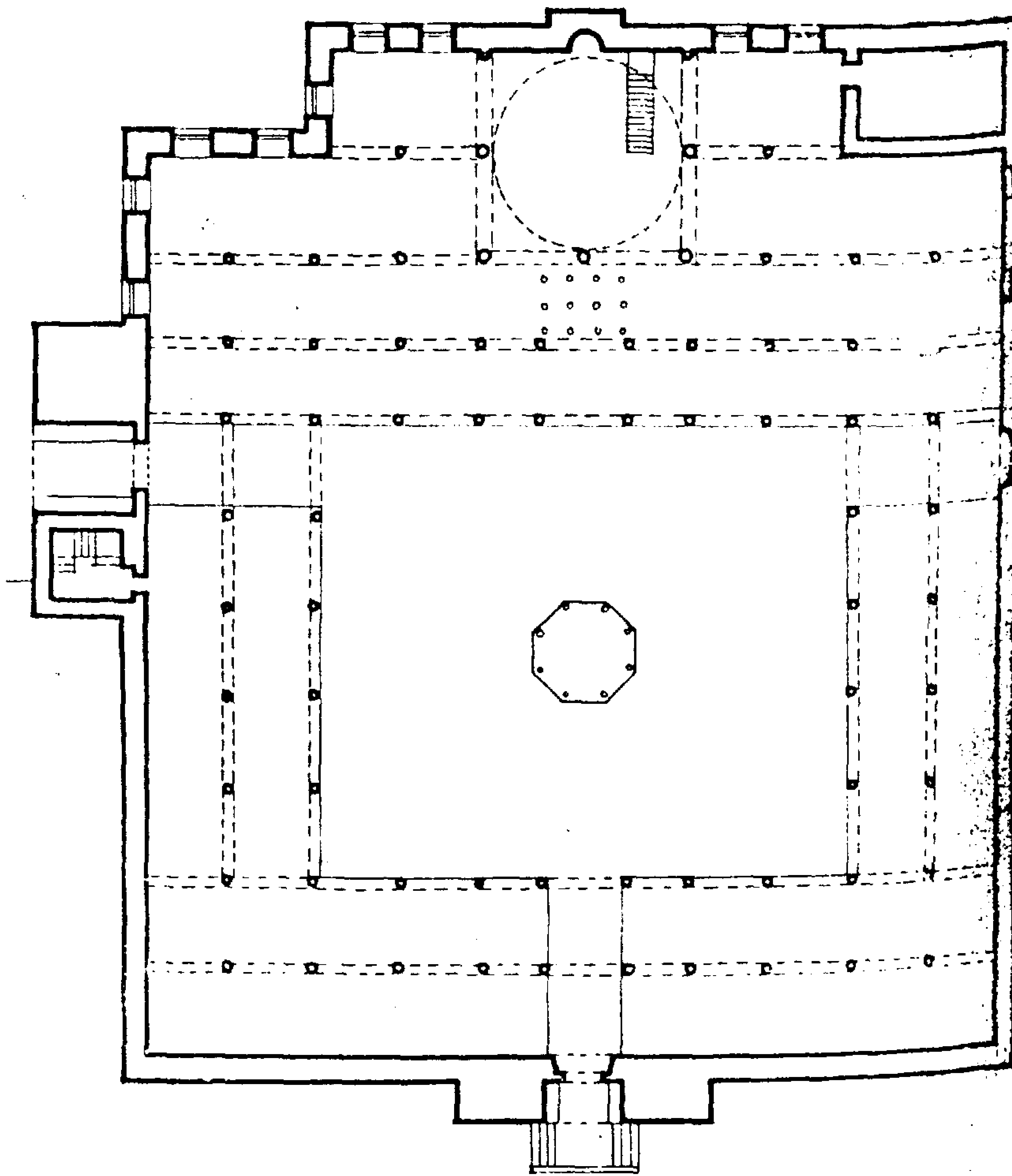
مدرسة الناصر محمد بالنحاسين
(١٢٩٥ ـ ١٣٠٤م)

لوحــه ١٩



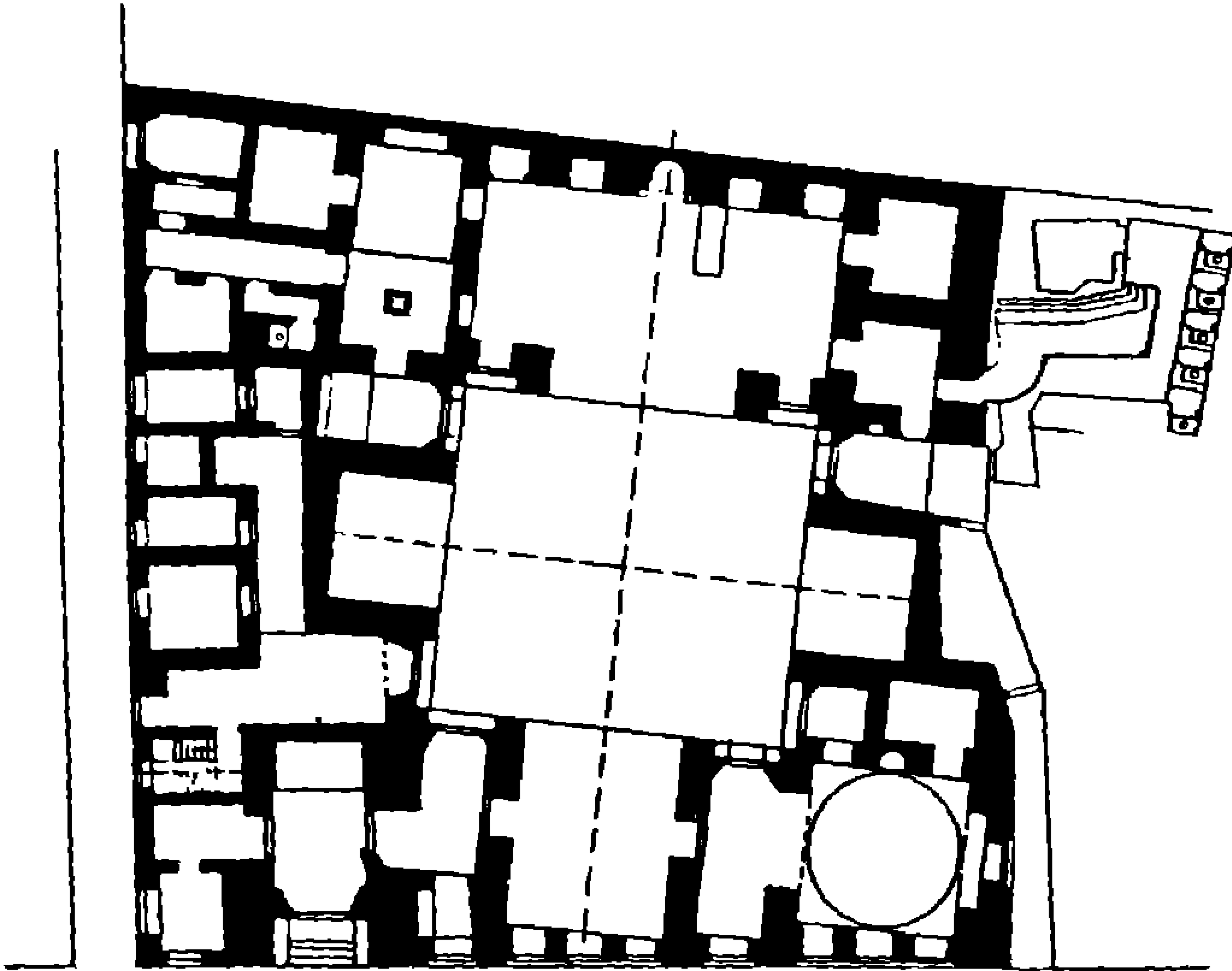
مدرسة زين الدين يوسف
(١٢٩٨ م)

لوحه ٢٠



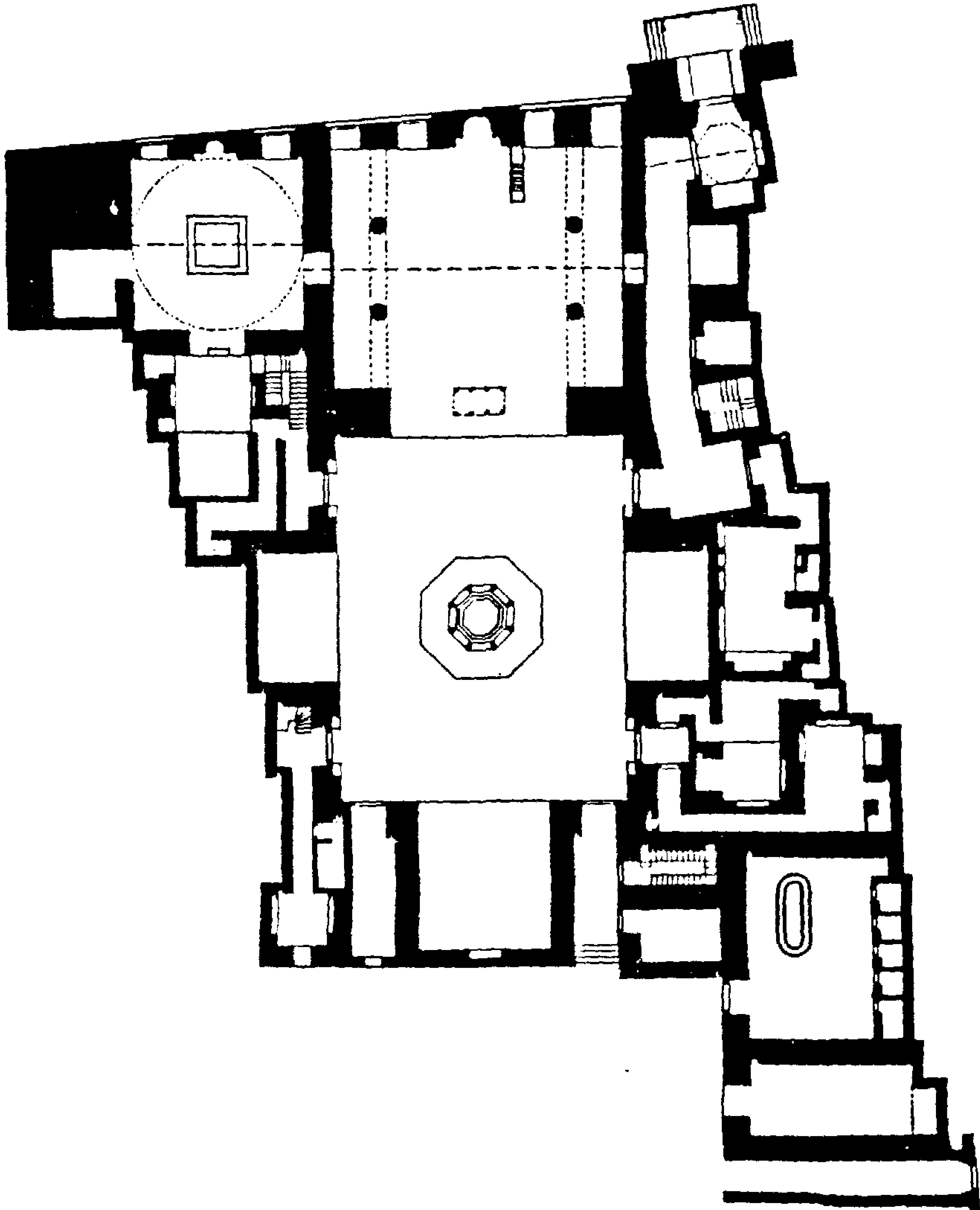
جامع المردانى
(١٣٤٠ م)

لوحة ٢١



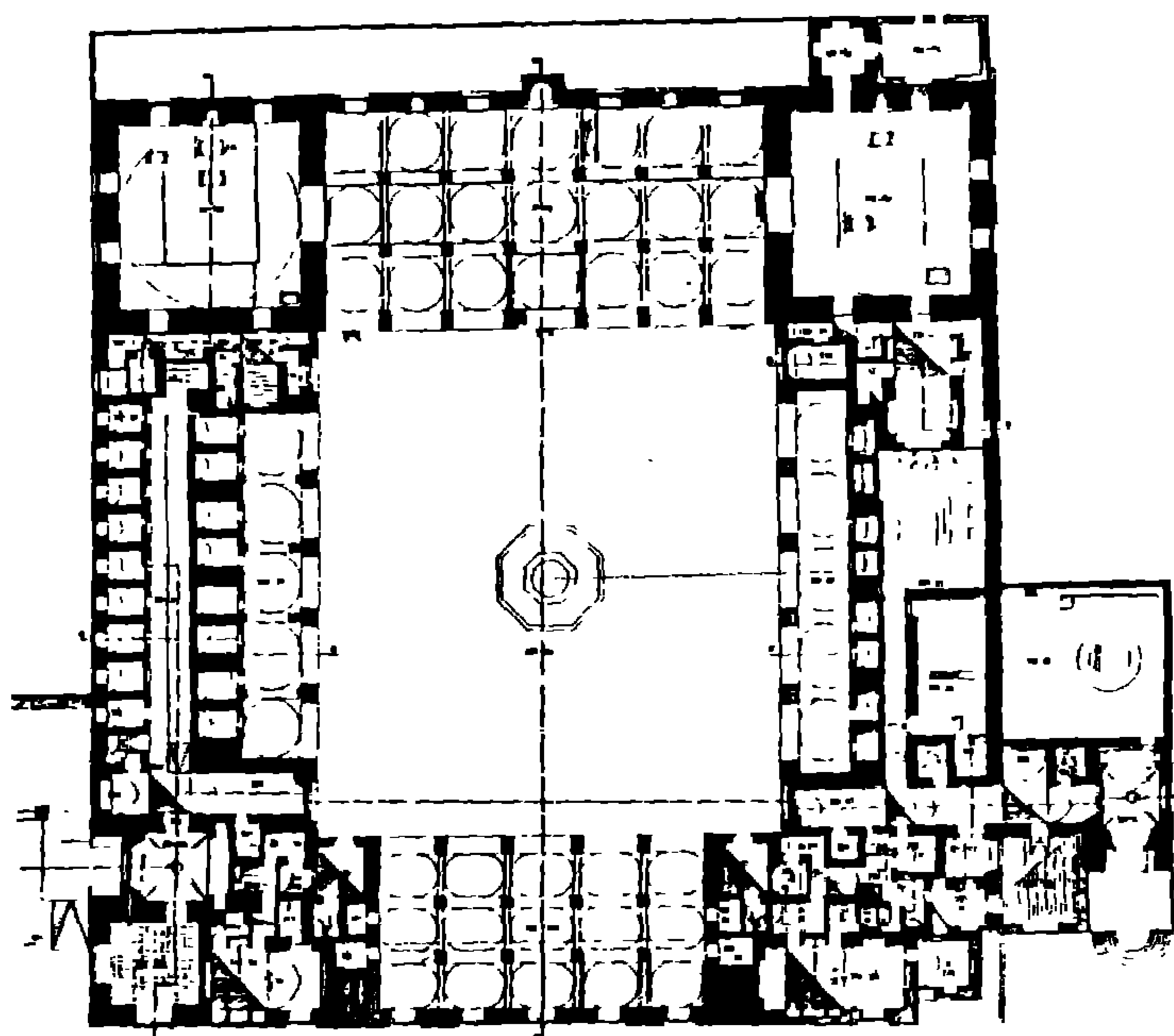
مدرسة الجاي اليوسفي (١٣٧٣ م)

لوحـه ٢٢



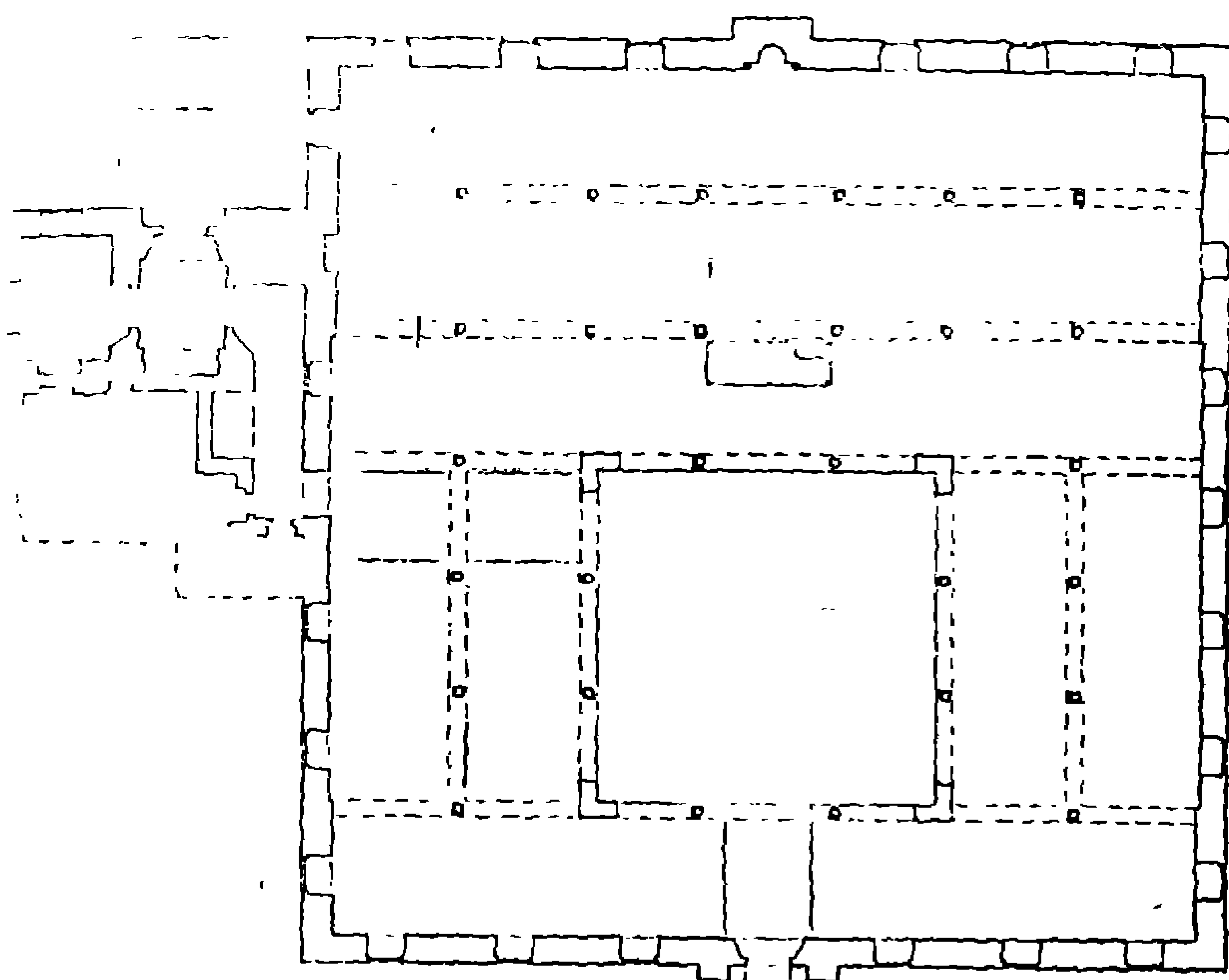
مدرسة برقـوق (القرن ١٤ م)

لوحة ٢٣



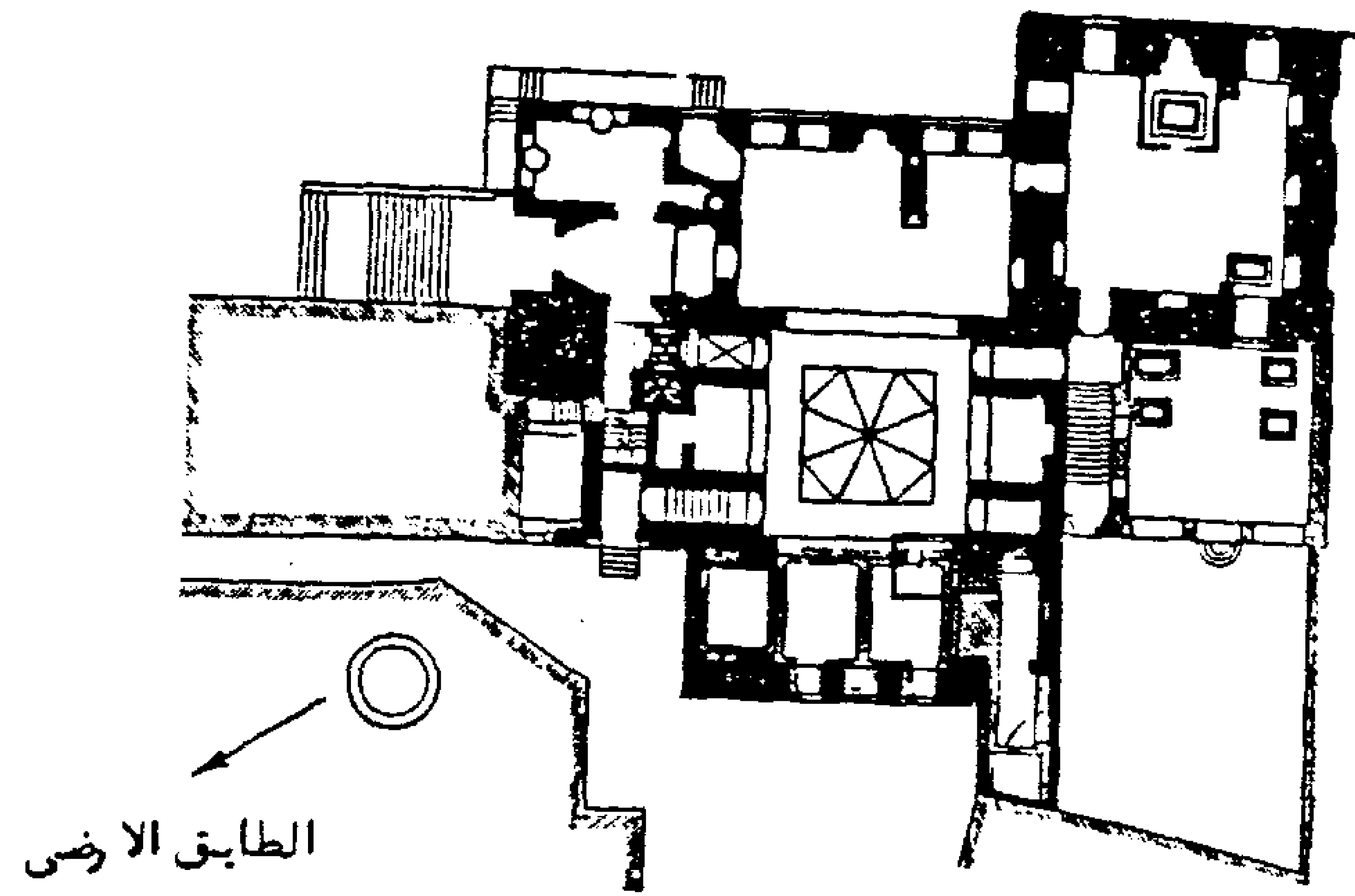
خانقاه فرج بن برقوق
(١٣٩٩ ـ ١٤١١ م)

لوحـــة ٢٤



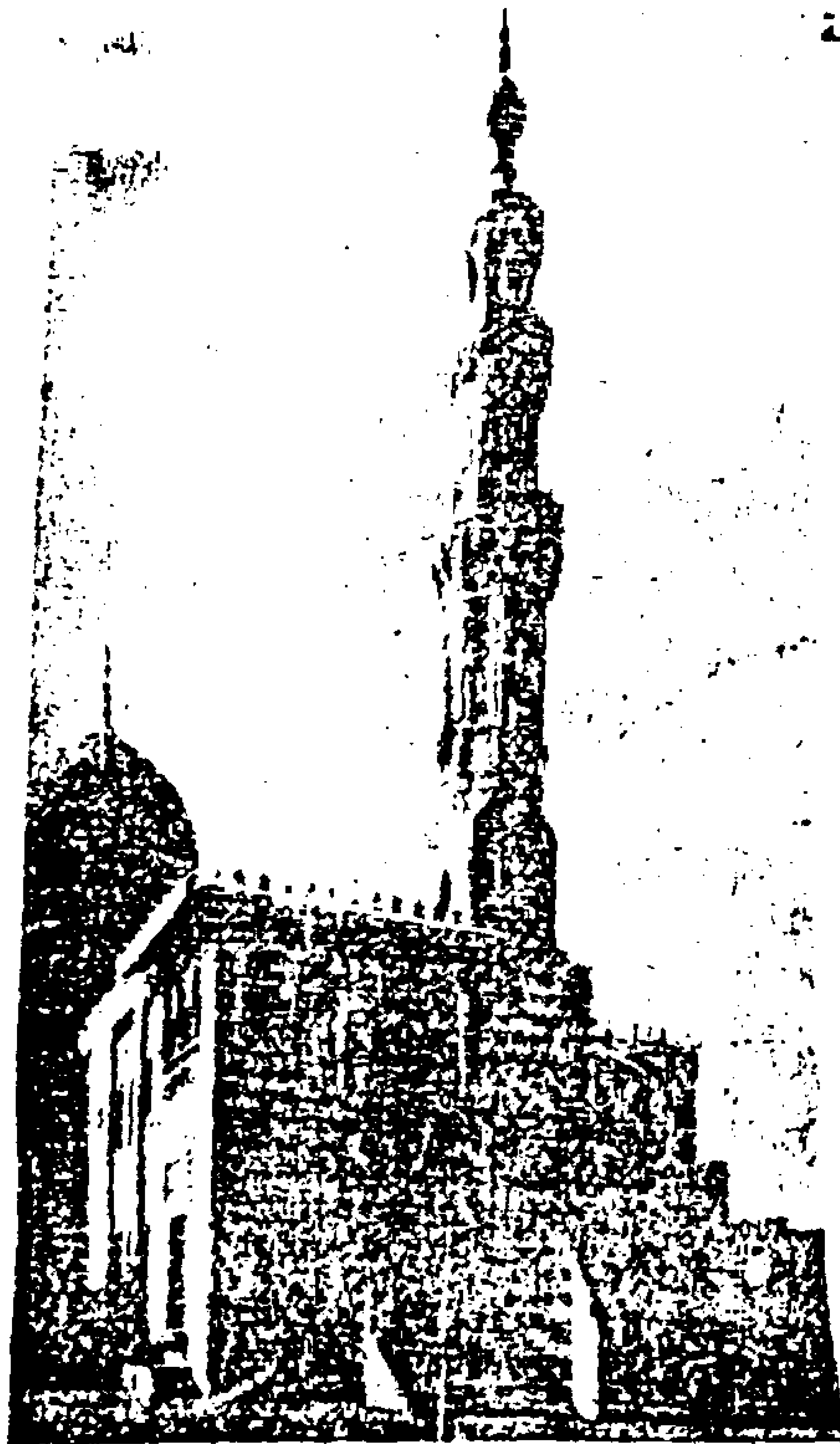
جامع برسباي (١٤٢٧ م)

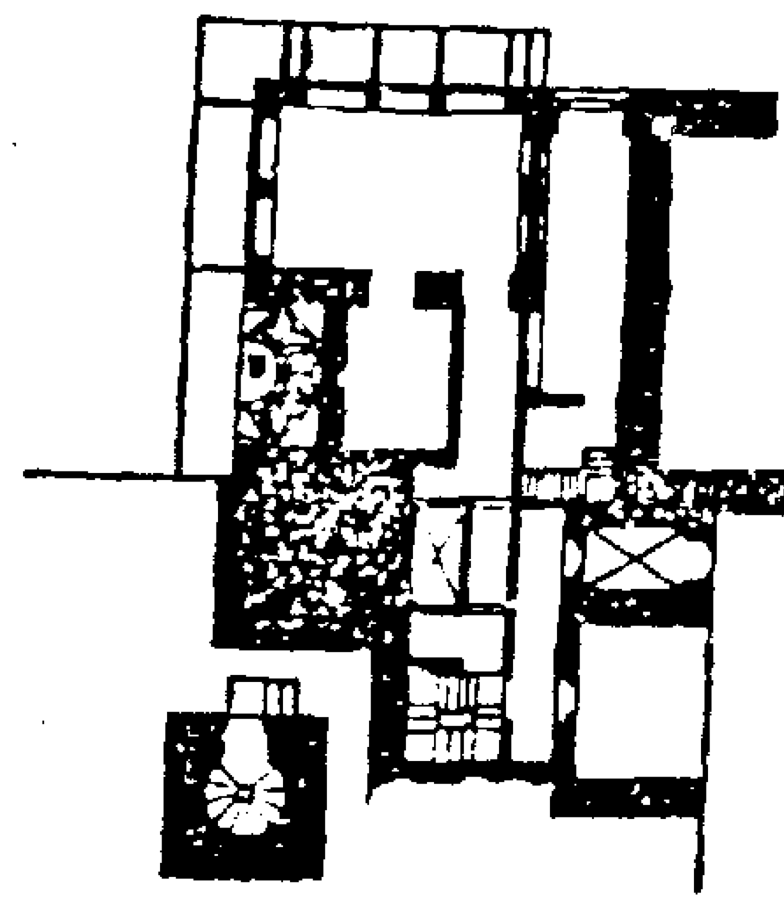
لوحـــه ٢٥



الطابق الارضى

جامع قايتباى بالقرافه الشرقيـــة
(١٤٧٢ م)



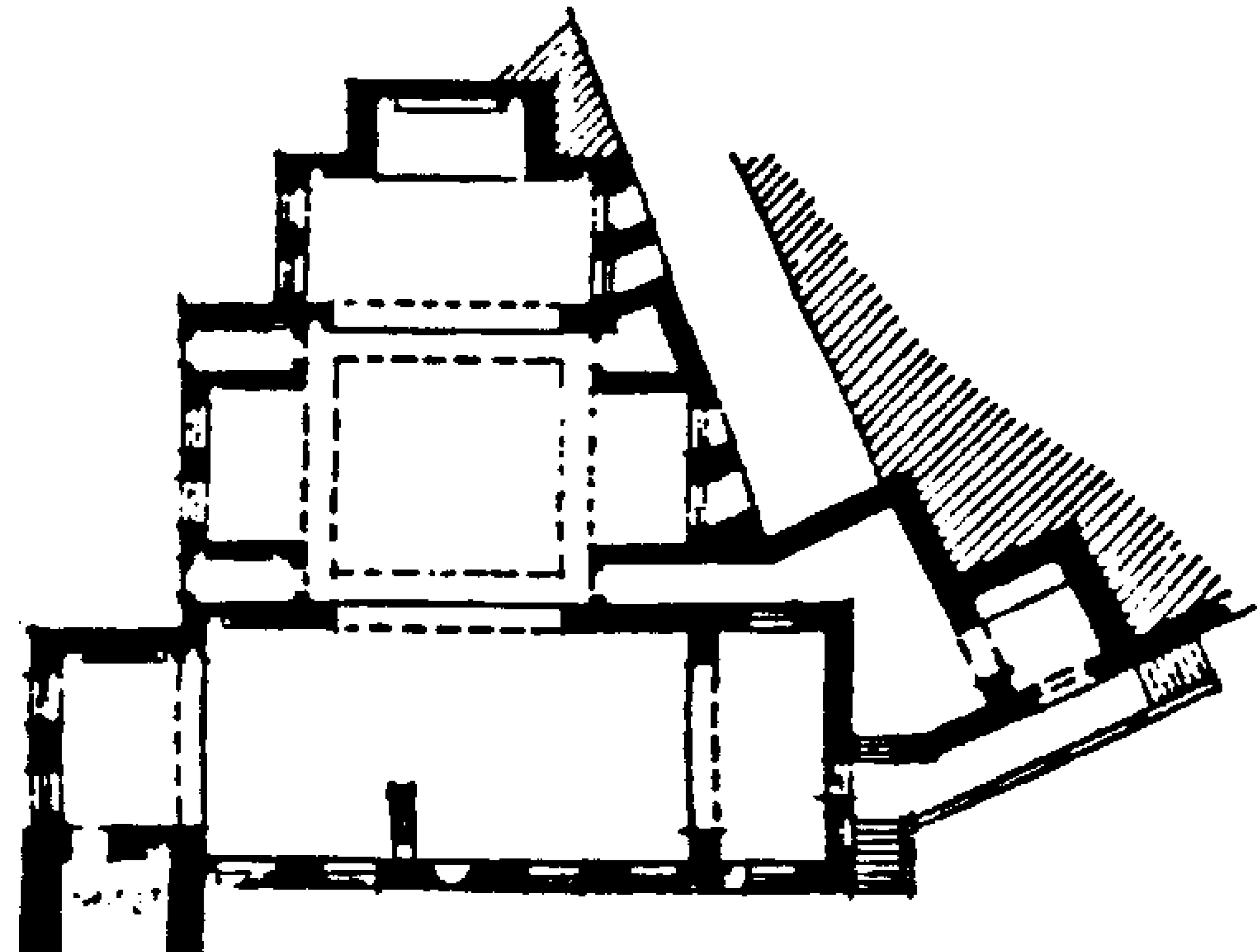


الطابق الاول

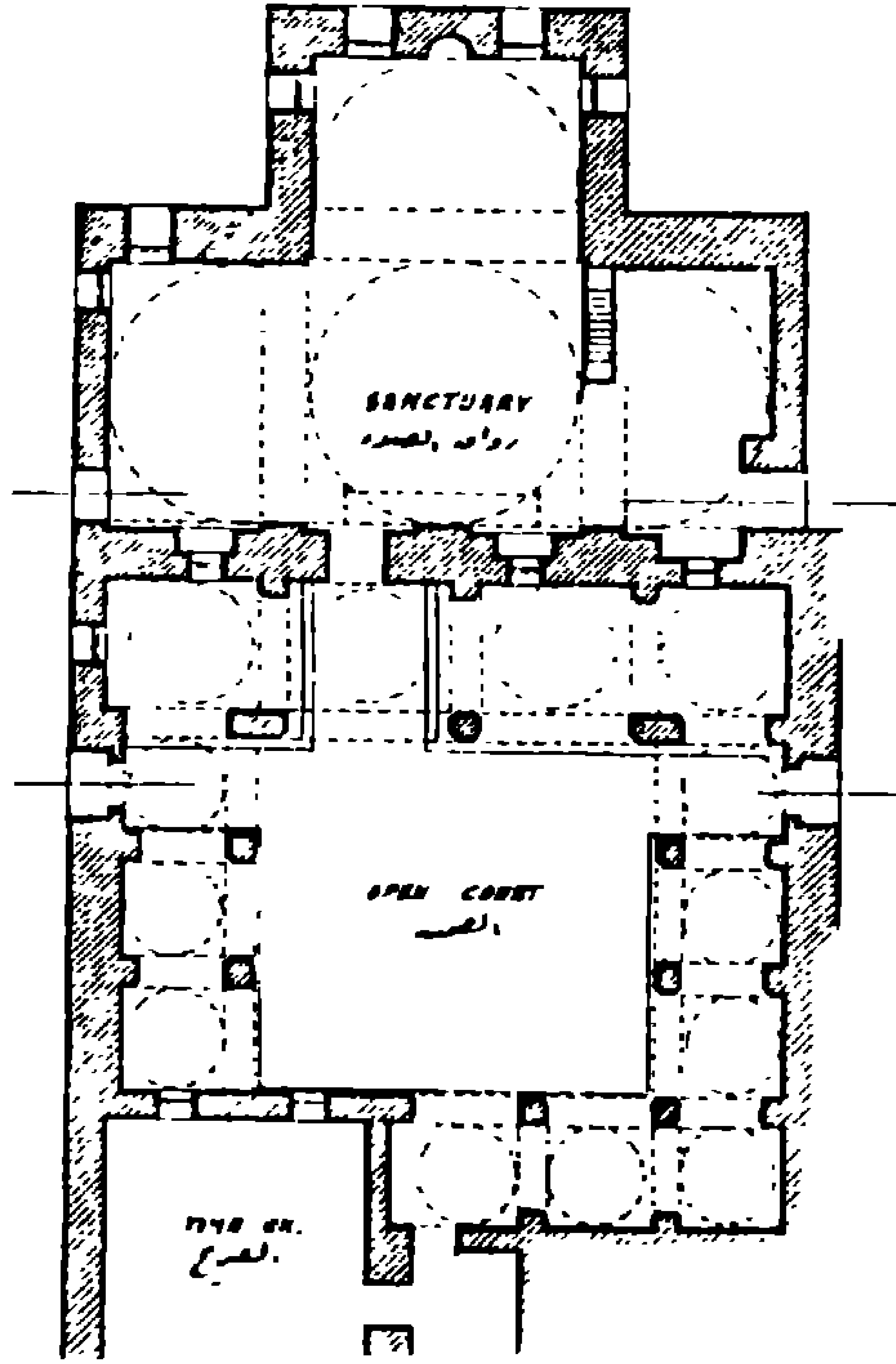
لوحه ٢٦



مدرسة الغوري بالازهر
(١٥٠٣ م)

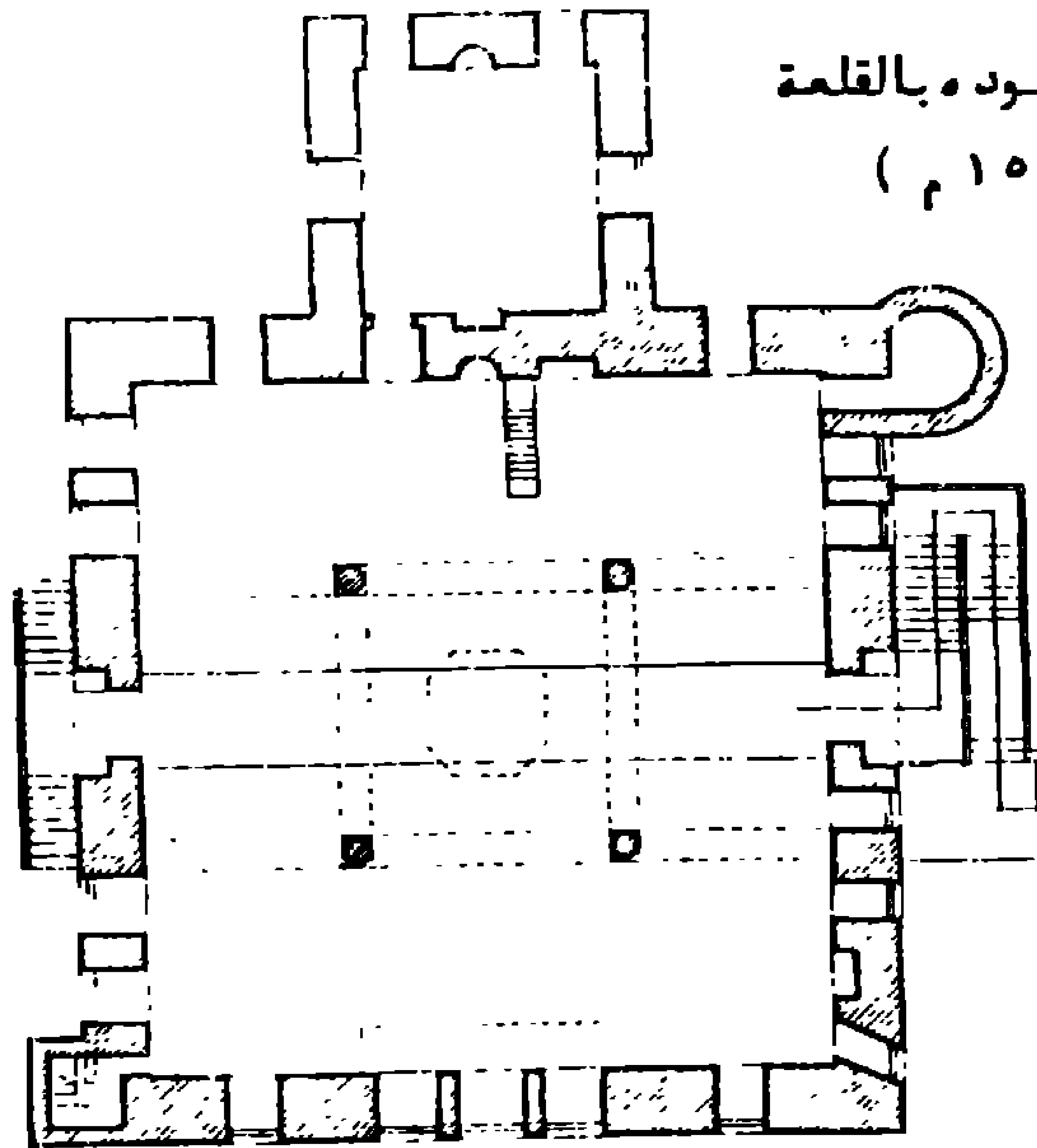


لوحــه ٢٧

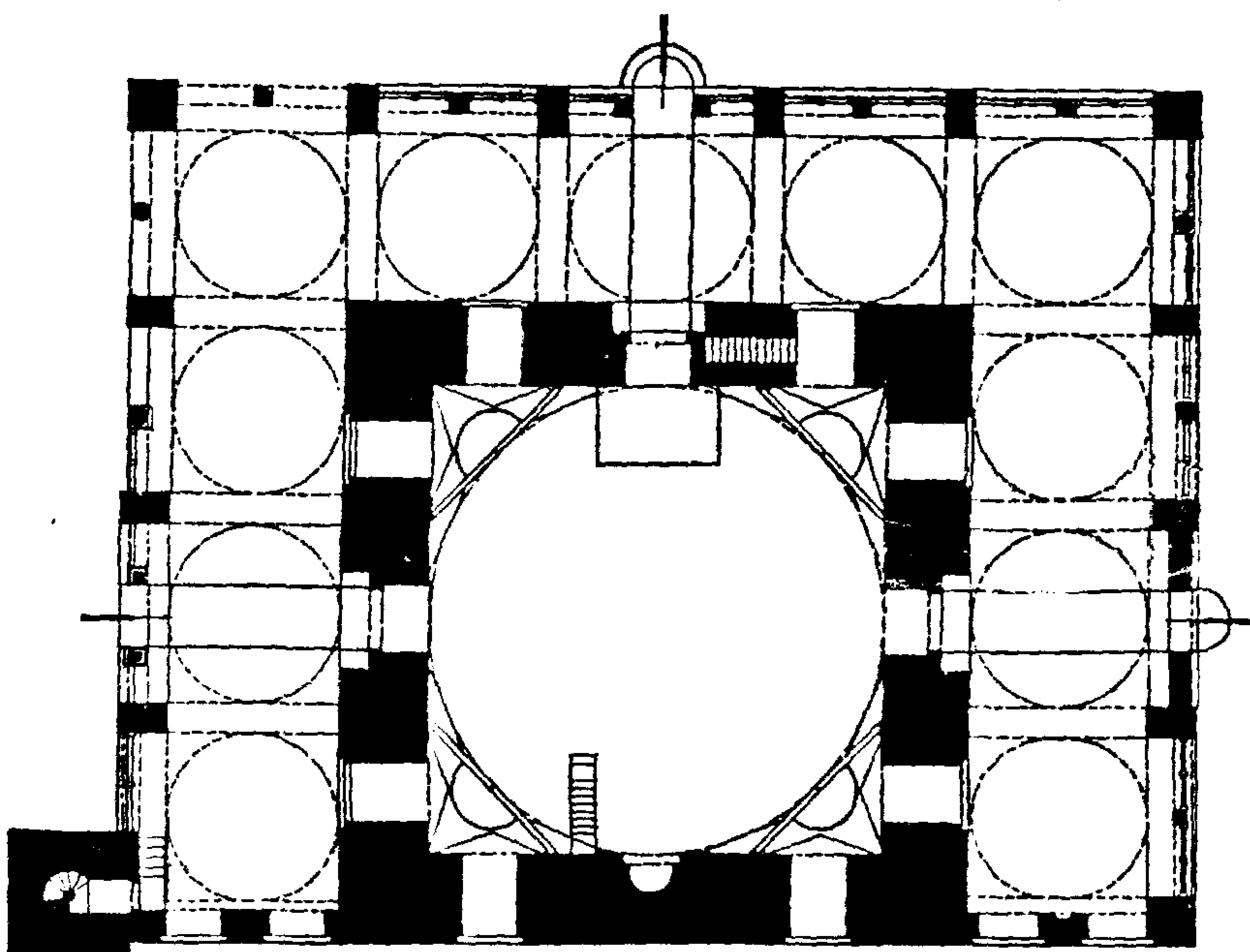


مسجد سليمان باشا بالقلعة
(١٥٢٨ م)

مسجد حمـــوده بالقلعة
(١٥٦٨ م)

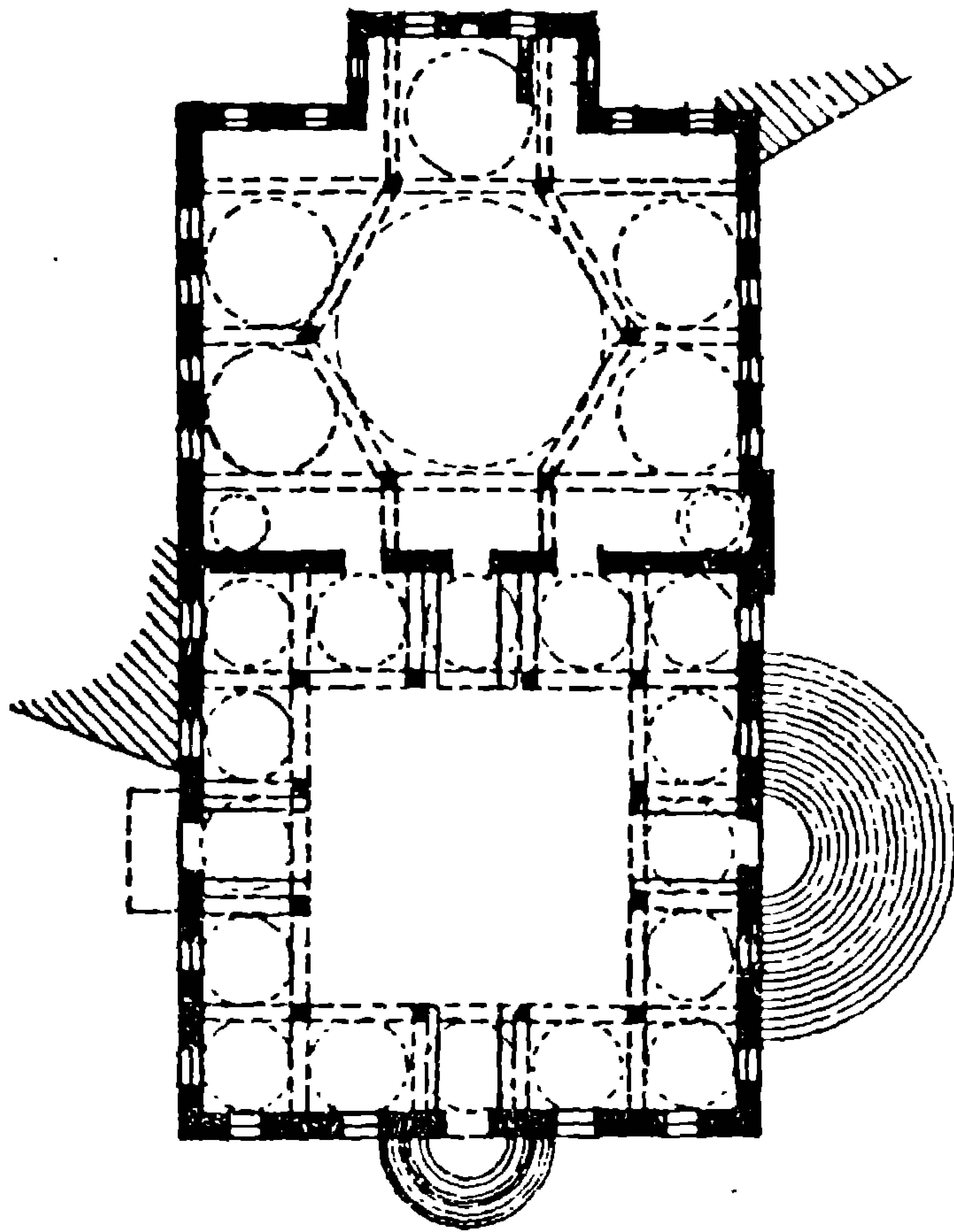


لوحـــه ٢٨



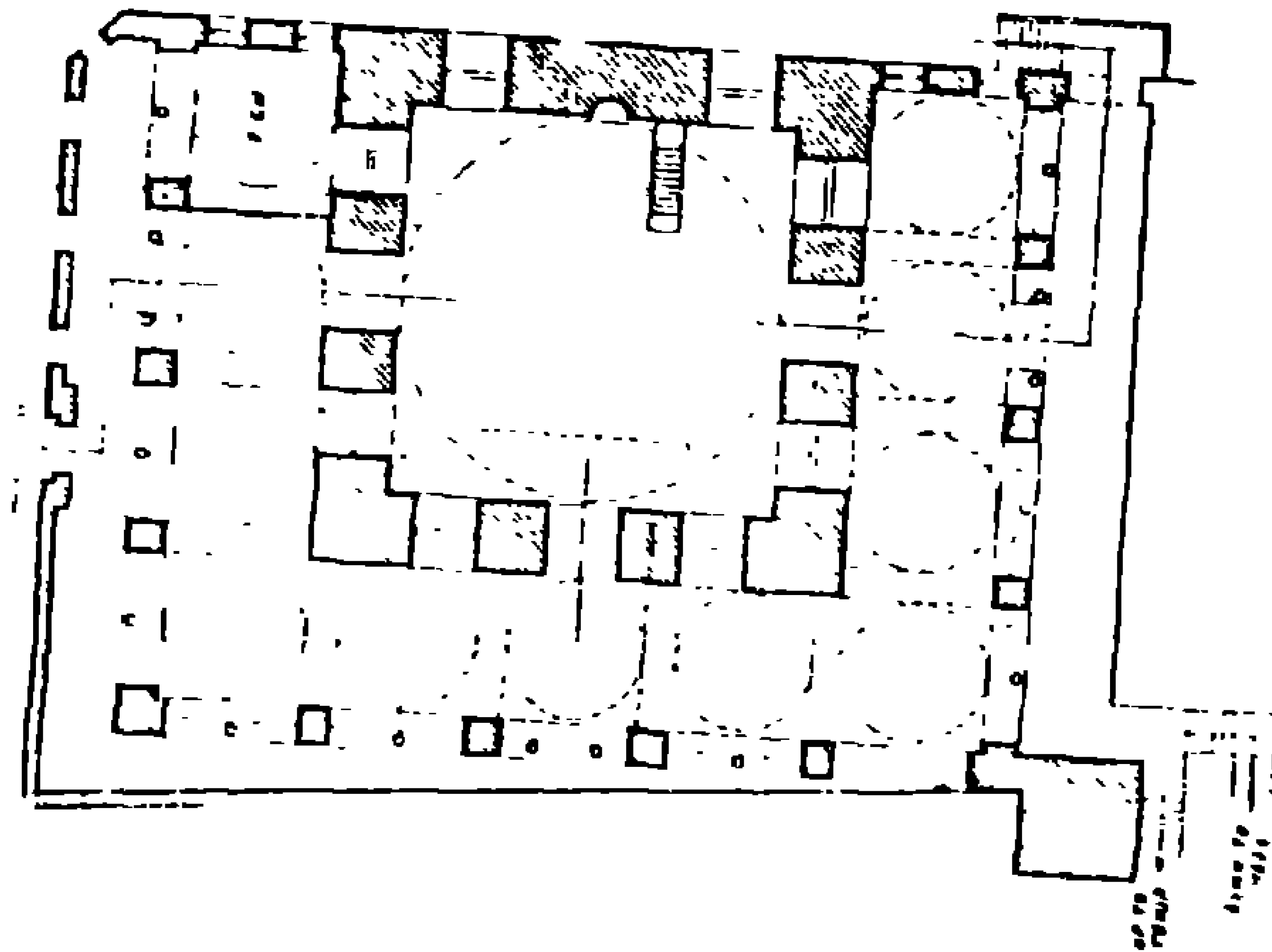
مسجد سنان ببولاق
(١٥٧١م)

لوحـــه ٢٩



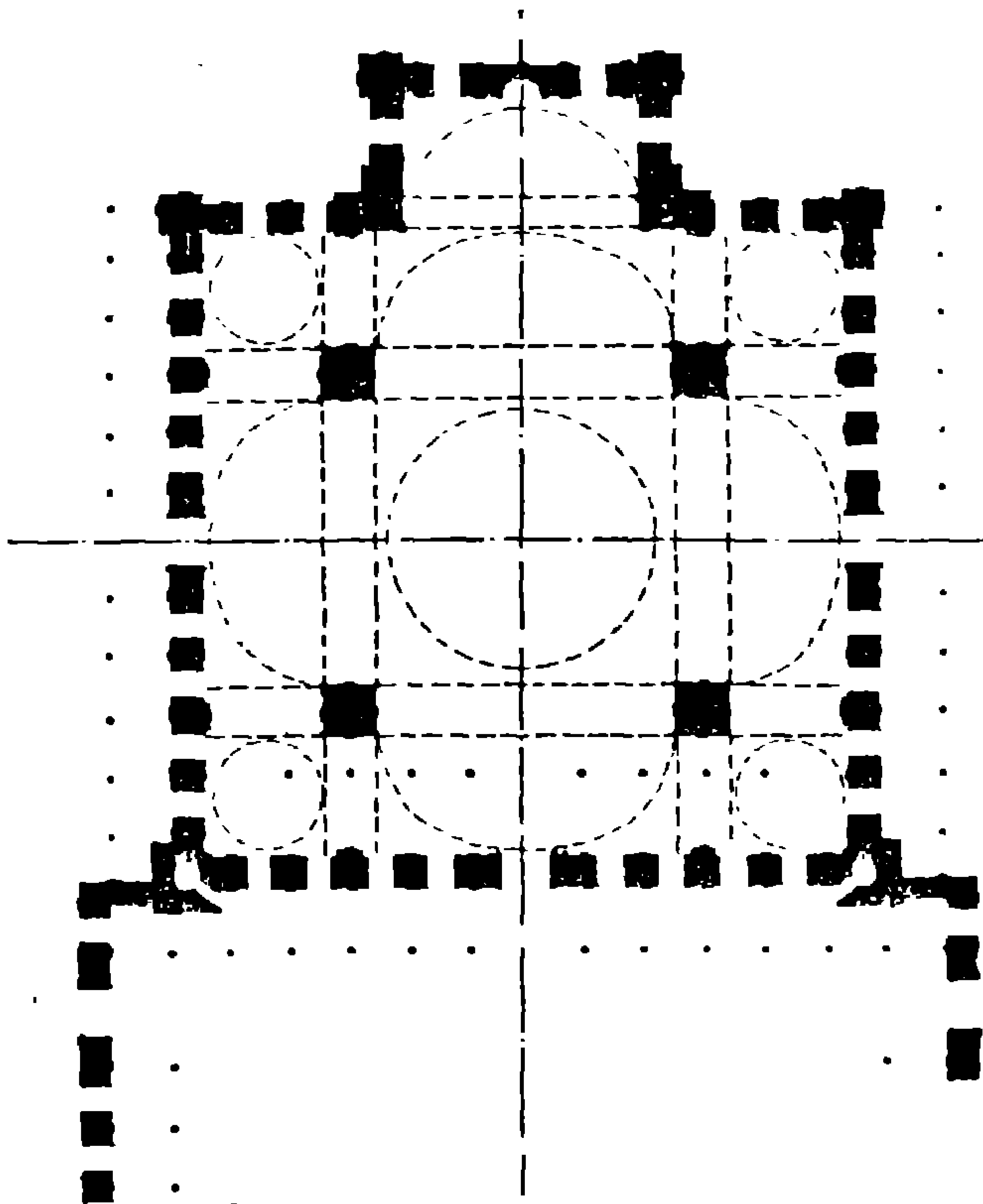
مسجد الملكة صفيـــــه
(١٦١٠م)

لوحـــه ٣٠



مسجد محمد ابو الذهب (١٧٧٣ م)

لوحـــه ٣١



مسجد محمد على (١٨٤٨ م)

ب ـ عمارة المسجد وتطورها في بلاد الشام

عمارة المسجد وتطورها في العصر الاموي : (لوحه ٣٢ ـ ٣٤)

عند ما جاء الامويون وانتقل مركز الخلافة الى دمشق ، رغب المسلمون ان يقيموا مباني اسلامية تضاهي وتنافس تلك التي كانت مقامه في بلاد الشام والبلاد المجاورة ، لذلك كان من الضروري العدول عن حياة التقشف التي رأيناها منعكسة في عمارة العصور الاولى للاسلام ... كان لابد من البدء في بناء العمارات الضخمة التي لم تكن قد استكملت بعد طابعها الاسلامي بالرغم من تقدمها الملموس من الناحية المعمارية ، فبرزت لنا قبة الصخره أقدم بناء اسلامي لازال قائما الى الان . ولا يمكن أن نسمي هذا البناء مسجدا كما يذكر بعض مؤرخي الغرب حيث أن تخطيطه بعيدا كل البعد عن تخطيط المساجد .

جاء بعد قبه الصخره العديد من المساجد الكبيرة التي تميزت بها الدولة الامويه كالجامع الكبير بدمشق والجامع الكبير بحلب والجامع الكبير بحماه وكلها بنيت خلال النصف الاول من القرن الثامن الميلادى .

ويمكن تلخيص عمارة هذه المساجد وتطورها في العصر الاموي كما يلي :ـ

١ ـ كانت هذه المساجد كبيرة المساحة ذات شكل مستطيل (في الاتجاه الموازى لجدار القبلـه) بعد أن كانت مربعة في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين . أما تخطيطها فهو نفس تخطيط المساجد الاولى أي :ـ صحن تحيطه اروقه اكبرها رواق الصلاه ، وهذا هو التخطيط التقليدى للمسجد .

٢ ـ رواق القبله في مساجد تلك الفترة يتكون من ثلاث بلاطات موازيه لجدار القبلـه . أما الاروقه الاخرى الثلاث فتتكون من بلاطة واحدة .

٣ ـ غطيت هذه الاروقه بالجمالونات الخشبية ، كل جمالون يغطي بلاطه واحده . وربما لجأ مهندسو تلك المساجد لمثل هذه الطريقة في التسقيف نظرا لسهولة تنفيذها ولتصريفها لمياه الامطار .

٤ ـ احتفظت مساجد تلك الفترة بابوابها الثلاثة التي تؤدى الى الصحن مباشرة ، وقد كان هذا معمولا به في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما استمر هذا الوضع في الكثير من المساجد التي جاءت بعد ذلك .

٥ ـ لاول مره يظهر المجاز القاطع في العماره الاسلامية وذلك في المسجد الاموى الكبير بدمشق (٧٠٦ ـ ٧١٤م) ، وقد انتشر هذا العنصر في مساجد الامويين ببلاد الشام وفي الكثير من مساجد القاهرة وشمال افريقيا ، كما نلاحظ أن سقف هذا المجاز يرتفع عن سقف رواق الصلاه ويتعامد مع بلاطاته حيث يقطعها ويؤدى الى المحراب ، هذا وقد فتحت نوافذ علويه على جانبيه لانارة رواق الصلاه علاوة على نوافذ رقبة القبه التى تعلو هذا المجاز عند منتصفه .

٦ ـ نجد في الجامع الكبير بدمشق اسلوبا انشائيا مقتبسا من العمارة الرومانية حيث يعلو كل عقد من عقود رواق الصلاه فتحتان معقودتان وذلك لتخفيف الاحمال الواقعة على الدعائم نظرا للارتفاع الشاهق لرواق الصلاه ذى المساحة الكبيرة . نرى مثل هذا الاسلوب الانشائي في العماره الطولونيه بمصر وفي جامع قرطبه بالاندلس . هذا الاسلوب أو التكوين الانشائي عمل لتحقيق الارتفاع المناسب لمثل هذه المساحات الشاسعة حيث يكون من الصعوبه ان نجد دعائم تصل الى مثل هذا الارتفاع دون تعرضها لكثير من المشاكل الانشائية . هذه العقود التى تبنى فوق بعضها تعطى شيئا من الجمال والتباين المعماري وبذلك حقق الفنان المسلم نجاحا معماريا وانشائيا في هذا العصر .

٧ ـ مآذن تلك الفترة عباره عن ابراج مربعه القطاع ربما اقتبست من أبراج تلك المنطقة وصوامع معابدها الوثنيه . ومن أجمل هذه المآذن مئذنة الجامع الكبير بحلب .

٨ ـ ظهر لنا لاول مرة دراسة واجهات الاروقه المطله على الصحن حيث نجد اسلوبا آخر من التباين المعماري فنجد كتفا يتلوه عمودان وهكذا بالتوالي كما في الجامع الكبير بدمشق ـ كما نجد المجاز القاطع يبرز عند منتصف واجهة رواق الصلاة بسقفه المرتفع الذى يعلوه القبه وبذلك يعطى هذا المجاز اهمية خاصة بالمحراب ومحورا قويا لاهم عنصر في المسجد .

هكذا كان تطور عمارة المسجد في العصر الاموى . . . من عمارة بدائية الى أقصى حد الى عمارة متطورة . . . كما انتقل الكثير من عناصر هذه المساجد الى المساجد الاخرى في العالم الاسلامي .

نناقش الان وباختصار بعض آراء مؤرخى الغرب الذين ينكرون اصالة الفن الاسلامى وعدم قدرته على الابتكار • وقد سبق ان تعرضت لهذه الاراء عند الكلام على عمـــارة المسجد فى مصر وأضيف ما يلى :ـ

يذكر البعض ان رواق الصلاه فى مساجد الامويين ببلاد الشام وخاصة فى الجامــع الكبير بدمشق وهو الذى يتكون من ثلاث بلاطات موازيه لجدار القبله هو اقتباس مــــن صالــه الجمهور بالكنيســة البازيليكيـه حيث أنها تتكون من ثلاث بلاطات الجزء الاوسط والمسمى بالصاله الوسطى NAVE والممرات أو المماشى الجانبية والمسماه AISLES •

وتناسوا أو نسوا أن هذه الصاله الوسطى (صحن الكنيسه) اكثر ارتفاعا عن البلاطتيــن الجانبيتين (المماشى الجانبية) واستفيد من فرق مناسيب السقفين بعمل نوافذ علويـــه لأنارة الصحن CLERE STORIES كما نسوا أن عرض هذا الصحن أو البلاطه الوسطـــى اعرض من المماشى الجانبيه وعادة يكون عرضها مساويا لضعف عرض الممشى الجانبى أى أن البلاطات الثلاث ليست بعرض واحد • وتسير عمودية على جدار الشرقيــه والتى تقــع فــى المحور الطولى للصحن • كما ان هناك صاله اخرى بين صحن الكنيسة والشرقيــه وهـــى المسماه بالصاله العرضيه وتتعامد مع صحن الكنيسة وتبرز عنه وتكون الشكل الصليبى للكنيسة وهى التى تشمل المذبح وتقام فيها الشعائر الدينية المسيحية والمخصصة لرجال الديـــن فقــط •

أما فى المسجد فرواق الصلاه : (اولا) ليس من الضرورى ان يكون مكونا من ثـــلاث بلاطات فهذا العدد متوقف على مساحة الرواق • (ثانيا) هذا الرواق يسير موازيـــــا للمحراب فى معظم المساجد . (ثالثا) إن بلاطات هذا الرواق كلها بارتفاع واحد • (رابعا) ليس برواق الصلاه صاله متعامده عليه وتفصله عن المحراب • (خامسا) ليس فى الاســـلام رهبنة وليس لرجال الدين مكان خاص بالمسجد • (سادسا) لانجد اسفل المحـــــراب أو قريب منه مدفنا أو ضريحا كما هو الحال فى الكنيسة البازيليكيــه حيث نجد كنيسه صغيرة أو مقبره تحت الصالة العرضيه • (سابعا) يقع المحراب فى المحور العرضى لرواق الصلاه وليس فى محوره الطولى وذلك فى معظم المساجد •

اذا فلماذا ينكرون كل هذه الحقائق ويصرون على تسمية المجاز القاطع فى المسجــد بنفس تسمية الصالة العرضية بالكنيسة اى TRANSEPT ـ فالمجاز القاطع ما هو الا جزء

من رواق الصلاة ، جزء لا يتجزأ منه وليست له وظيفة خاصة برجال الدين كما هو متبع في الكنيسة ، وماهو الا ابتكار اسلامي عمل لاسباب كثيرة اهمها ابراز اهمية المحراب والتاكيد على موقعه .

ولذلك لا يمكن أن نشبه رواق الصلاة ذا البلاطات الثلاث بصحن الكنيسة البازيليكية كما لا يمكن ان ننسب المجاز القاطع في المسجد الى الصالة العرضيه بالكنيسة وكل هذه الادعاءات التى ذكرها مؤرخو الغرب امثال جورج مارسيه وبو يجز وغيرهم ماهي الا افتراء على الفن الاسلامي .

أما عن استعمال اعمدة كلاسيكيه في تلك المساجد الاولى ، فهذا شيء طبيعي . فانه ما من فن عند بدايته الا وقد اقتبس واستعار الكثير من عناصر الفنون التى سبقته أو المعاصره له ، حتى يستكمل هذا الفن مقوماته ويصبح له الطابع المميز عن غيره من الفنون .

عمارة المسجد وتطورها في العصر العباسي الاول : (لوحة ٣٥)

عند ما جاء العباسيون نقلت الخلافه الى العراق في عام ٧٤٩م واصبحت بغداد العاصمة بعد ان بناها الخليفه المنصور عام ٧٦٢ _ ٧٧٤م . ومنذ ذلك الوقت قل بناء المساجد في بلاد الشام . ولكنها استمرت في العراق كما في جامعي سامرا وابو دلف ، اسوة بالمساجد الكبيره للامويين .

نجد ان معظم مساجد النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى أى في العصر العباسي الاول أنها تقع بين العراق وسوريه ، ولذلك فهي متأثره بفنون هذين الاقليمين . ومن أهم مساجد هذه الفترة واقدمها مسجد الرقه (٧٢٢ م) ولذلك فان تخطيطه يميل الى المساجد الامويه الكبيرة .

وعلى العموم نستطيع ان يلخص عمارة مساجد بلاد الشام في تلك الفترة بالرغم من قلتها بما يلي :_

١ _ الشكل العام لهذه المساجد مربع تقريبا وذو مساحة كبيرة .

٢ ـ رواق الصلاه فيها مكون من ثلاث بلاطات موازيه لجدار القبله وكل منها مغطـــاه بجمالون خشبي كما في جامع الرقـه ، وهذا تاثير سوري أموي .

٣ ـ بنيت هذه المساجد بالطوب المحروق وغالبا ما كانت اسوارها بالطوب اللبـــن ولذلك فقد قويت هذه الاسوار بانصاف أعمده بارزه عن الجدران ، وهذا تأثيـــر عراقي .

٤ ـ استبدال الاعمدة الداخليه بدعائم ضخمة من الطوب المحروق وهذا تأثير عراقـي أيضــا .

٥ ـ لاول مره يظهر في مسجد الرقـه المحراب المستطيل الشكل والذي رأيناه بـــعد ذلك في جامعي سامرا وابو دلــف . كما انتقل هذا الشكل في محاريب بعــض مساجد شمال افريقيا .

٦ ـ ومن التأثيرات العراقيه أيضا والتي رأيناها في مسجد الرقـه تعدد الابواب التي تؤدي الى الصحن وقد استعملت بعد ذلك في جامع احمد بن طولون بالقاهرة .

٧ ـ احتفظت المآذن بشكلها البرجي أسوة بمآذن الامويين .

أما مساجد بلاد الشام من القرن التاسع وحتى نهاية الحادي عشر الميـــلادي فقد كانت صغيره وتعرضت للعديد من التعديلات والاهمال والتخريب وذلك نتيجـــــة لعدم الاستقرار السياسي .

عمارة المسجد وتطورها في القرن الثاني عشر الميلادي : (لوحه ٣٦ـ٣٩)

في تلك الفترة جاءت الدولة الايوبية وبدأت تظهر لنا المدارس لتدريس المذاهب السنيه وعلم الحديث ومعظمها يقع خلال عصر السلاجقه الذين استولوا على العراق وبـلاد الشام وغيرهما ... من هذه المدارس والتي كانت مساجد أيضا نجد :ـ

مدرسة ابو منصور كوشتكين ببصرى الشام (١١٣٦م) ـ دار الحديث النورى بدمشق (١١٥٤ ـ ١١٧٤م) ـ المدرسة النوريه الكبرى بدمشق (١١٧٢م) ـ المدرســـة الكامليــه بحلب (١١٤٨م) ـ مدرسة معــرة النعمان (١١٩٩م) ـ مدرسة خان اتون بحلب (١١٦٨م) ـ مدرسة شاذبخت بحلب (١١٩٣م).

نلاحظ في هذه المدارس ما يلي :—

١ — كانت مساحة معظمها صغيرة •

٢ — شملت دائما صحنا مكشوفا غالبا ما كان مربعا وتحيطه الغرف والصالات المختلفة • واكبر هذه الصالات هي بيت الصلاة ، وعادة تتكون من صالة مستطيلة تقع في الضلع الجنوبي المواجه لكه ويتوسط ضلعها الخارجي المحراب ،وكثيرا ما أخذت هذه الصالة ضلع المدرسة بأكمله ، كما نجد عند نهايتيها الشرقي والغربي غرفة مربعة لتزيد من مساحة بيت الصلاة وربما كانت هذه الغرفة كضريح للمنشي • • وعند ما تكون هذه الصالات عريضة نجدها مقسمة الى قسمين في الاتجاه الطولي وذلك بصف من الاعمدة وبذلك تتكون من بلاطتين •

٣ — ومما يلفت النظر في واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن انها تتكون من ثلاثة عقود مدببة اكبرها العقد الاوسط ، وترتكز هذه العقود على دعامتين •

٤ — لاول مرة في سوريه نجد بالمدرسة ايوانا أو ايوانين مطليين على الصحن مغطيين بقبو مدبب ، وعادة يقع الايوان الشمالي الكبير في محور المحراب ، وهذا ما نراه في المدرسة النوريه الكبرى لنور الدين زنكي بدمشق كما نلاحظ ان الايوان الشرقي لهذه المدرسة استعمل كمدخل المدرسة •

٥ — لانجد في هذه المدارس الا بابا واحدا يقع احيانا في منتصف الضلع الشمالي محوريا مع المحراب ، واحيانا اخرى نجده في احد الجوانب الشرقي او الغربي للمدرسة وفي محور احد الايوانات وهذه المداخل تؤدى الى الصحن •

٦ — نجد دائما على جوانب هذه الايوانات المفتوحة بكامل عرضها على الصحن عدة غرف صغيرة على طابقين خصصا لمبيت الطلبة والمرافق اللازمة • ونلاحظ في هذه الايوانات انها تأخذ الارتفاع الكلي للمبنى •

٧ — لم نجد في بلاد الشام التخطيط المتعامد للمسجد او للمدرسة كالتي وجدت بمصر كما في السلطان حسن •

٨ — جميع هذه المدارس بنيت بالحجر وكانت مخصصة لتدريس مذهب واحد او مذهبين فقط •

— لاول مرة في هذا العصر بنيت قباب امام المحراب تغطي الجزء الاوسط من بيت الصلاة كما في المدرسة البختيه الذى انشأها شاذبخت معتوق الملك العادل محمود بن زنكي عام ١١٩٣م بحلب وتعرف باسم مدرسة معروف •

١٠ ـ لم نجد بهذه المدارس اية مئذنة ·
١١ ـ ربما كانت هذه الايوانات المفتوحة على الصحن للتدريس فى ايام الصيف كما كانت بعض الصالات للتدريس ايام الشتاء حينما تغلق ابوابها ·
١٢ ـ لم يظهر فى هذه الفترة مساجد ذات التخطيط التقليدى واكتفى بهذه المدارس التى تشمل بيتا للصلاة ·
١٣ ـ لم نجد فى تلك المدارس المحاريب المستطيلة التى وجدناها فى الفترة السابقة وكلها محاريب مجوفة نصف دائرية ·
١٤ ـ معظم هذه المدارس تعرضت للكثير من التخريب لعوامل سياسية ·

عمارة المسجد وتطورها فى القرن الثالث عشر الميلادى : (لوحه ٤٠ـ٤٥)

نجد العديد من مدارس هذا القرن اهمها :ـ
المدرسة العادلية الكبرى بدمشق (١٢٢٢م) ـ المدرسة السلطانيه بحلب (١٢٢٤م) مدرسة الفردوس بحلب (١٢٣٥م) ـ المدرسة الظاهريه بحلب (١٢١٩م) ·

احتفظت هذه المدارس بالكثير من العناصر السابقة بالرغم من ظهور بعض التطورات البسيطة نلخصها فيما يلى :ـ

١ ـ ظهور المدخل الملتوى فى بعض هذه المدارس كما فى المدرسة الكاملية بدمشق ·
٢ ـ كثر عدد الغرف الصغيرة لبيت الطلبة وظلت على طابقين كما فى المدرسة الظاهرية بحلب ولذلك كبرت مساحة المدرسة بشكل واضح كمدرسة الفردوس بحلب ·
٣ ـ انتشرت المداخل التى تقع فى منتصف الضلع الشمالى وعلى محور المحراب كما فى المدرسة الظاهرية والسلطانية ·
٤ ـ وجدنا احيانا رواقا امام بيت الصلاه مطلا على الصحن يتكون من ثلاثة عقود مدببه كما فى المدرسة الظاهرية ·
٥ ـ اصبحت مواقع الايوانات بشكل منتظم ، فغالبا نجد فى كل مدرسة ايوانا مقابلا لبيت الصلاة كما فى المدرسة الكاملية بدمشق ، كما نجد ثلاثة ايوانات تقع فى منتصف اضلاع الصحن (من ثلاث جهات) ويقابلها فى الضلع الرابع بيت الصلاة كما فى مدرسة الفردوس بحلب والتى تعتبر من اجمل مدارس بلاد الشام · وما يحتوى

النظر فى هذه المدرسة وجود ايوان رابع مفتوح باكمله للخارج ويقع خلف احـــد الايوانات الداخلية • وقد وجدنا مثيلا لهذا الايوان الخارجى بالمدرســـة المستنصرية ببغداد ، ويعتبر تخطيط مدرسة الفردوس تخطيطا متقدما مـــــن الناحية المعمارية •

٦ ـ لازالت غرفة الضريح ، تلك الغرفة المربعة المغطاه دائما بالقبة تلحق بالمدرســة وتقع غالبا فى نهاية بيت الصلاة ، كما فى مدرستى الظاهرية والعادليــة • واحيانـا نجد غرفة اخرى مربعة على الجانب الاخر فى بيت الصلاة تعد كمقبرة لعائلــة المنشئ كما فى مدرسة الفردوس •

٧ ـ نتيجة لازدياد عدد طالبى العلم نجد خلف الغرف الصغيرة المطلة على الصحن غرف اخرى نصل اليها عن طريق ممرات كما فى المدرسة السلطانية •

٨ ـ تطورت مداخل هذه المدارس فأخذت شكلا معماريا متقدما عما كانت عليـــه فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فالمدخل يكون حنيه كبيرة معقودة بارتفـــاع المبنى باكمله ويتوجها المقرنصات والدلايات •

٩ ـ هذا علاوة على العناصر السابقة من قبة المحراب وغير ذلك •

ـ وفى نهاية هذا العصر نجد مدرسة المؤرخ ابن الاديم بدمشق ولايخـــرج تخطيطها عن تخطيط المدارس السابقة الا انها تطورا معماريا يستحق الذكـر حيث نجد بها رواقا من بلاطه واحده على جانبى الصحن ويتكون الرواق من عقـود مدببه جميله محموله على بعض الاعمدة وتؤدى هذه الاروقة الى الغرف الصغيرة لسكن الطلاب التى تقع فى طابقين • وتعتبر هذه المدرسة من اجمل مــدارس دمشق •

عمـارة المسجـد وتطورها فى العصـر المملوكى : (لوحه ٤٦ـ٤٩)

يبدأ الفن السورى الارتباط بالفن المصرى منذ عام ١٢٦٠ م عندما كان البلــدان يخضعان لنفس حكام عصر المماليك • وظهر فى تلك الفترة المساجد ذات التصميـم التقليدى القديم بجانب تصميم المدرسة كما فى جامع المهمندار (من اواخر القـرن ١٣ واوائل القرن ١٤ الميلادى) بحلب حيث نجد الصحن والاروقة التى تحيط به من ثـلاث

جهات ورواق القبله يأخذ الضلع الجنوبى باكمله واما المدخل فيقع فى الجانب الشرقى مكونا ايوانا صغيرا على جانبيه ايوانان صغيران ايضا وكلها مفتوحة على الصحن ٠

هذا التصميم ما هو الا خليط من التخطيط القديم التقليدى ومن تخطيط المدارس السابقة ٠

نجد من القرن الرابع عشر الميلادى العديد من المساجد الصغيرة منها جامع الطرنطائيه (١٣٩٢م) بحلب وجامع الطروشى بقلعة حلب (١٣٩٢م) وجامع الطنبوغا من القرن ١٤ وجامع اقبغا (١٤١٠م) ٠

ويتشابه تخطيط هذه المساجد ونلخصه فيما يلى :ـ

١ ـ الشكل العام المربع ٠

٢ ـ اخذ رواق الصلاه الضلع الجنوبى باكمله وقد اتسع عرضه ولذلك اصبح يتكون من بلاطتين وذلك بوجود صف من الاعمدة بوسطه تحمل عقودا لامكان تسقيفه

٣ ـ اما الاروقه الاخرى فمقسمه الى مساحات صغيرة كل منها مغطاه بقبو متقاطع كما فى جامع الطنبوغا ٠

٤ ـ تقع المداخل فى منتصف الواجهة الشمالية او فى احد جوانبها وبعضها كان ملتويا كما فى جامع الطنبوغا ٠

٥ ـ كثيرا ما نجد غرفة الضريح تقع فى الضلع الشمالى يجاورها المئذنه كما فى جامع الطروشى والطنبوغا ٠

٦ ـ تتكون واجهة رواق الصلاة المطلة على الصحن من ثلاثه عقود مدببه ترتكز على بعض الدعائم ٠

٧ ـ عادة نجد بعض الشبابيك فى جدار القبله داخل تجويفات على جانبى المحراب ومطله على الخارج ٠

ونجد فى معظم هذه المساجد التصميم التقليدى المكون من اربعة اروقه اكبرها رواق الصلاه المكون من بلاطتين ، اما الاروقه الثلاثة الاخرى فكل منها يتكون من بلاطه واحده كما فى جامع الطنبوغا والطروشى واقبغا وغيرها ٠ وبجانب هذا

التخطيط وجدنا بعض المدارس كالمدرسة الطرنطائيه (١٣٩٢م) التي يشبه تصميمها تصميم المدرسة الايوبيه وخاصة مدرسة ابن الاديم ٠

من هذا يتضح ان مساجد ومدارس عصر المماليك نلاحظ بها بوجه عام تقدما ملموسا من ناحية الزخارف والعناية بالمحاريب والمداخل ٠

كما لم نلق ببلاد الشام ذلك التصميم المتعامد الذى وجدناه بمصر ذا الايوانات الاربعة بالرغم من وجود الايوانات فى تلك المنطقة ، ولم يخصص ايوان لكل مذهب كما كان متبعا فى مصر ـ كما اننا لانجد اية مدرسة خصصت لتدريس المذاهب الاربعة فى بناء واحد ٠

عمارة المسجد وتطورها فى العصر العثمانى : (لوحة ٥٠ ـ ٥٤)

اما فى العصر العثمانى اى منذ القرن الخامس عشر الميلادى لم يظهر لنا التخطيط السابق للمدارس والمساجد ، فقد وجدنا تخطيطا آخر متأثرا بالطابع البيزنطى من ناحية الانشاء بالقباب الكبيرة والصغيره ،كما جاءت المآذن اسطوانية متعددة الاضلاع ذات النهاية المخروطيه المدببة وهو اسلوب تركى ٠

ومن امثلة مساجد هذا العصر نجد جامع العثمانية (١٤٤٠م) وجامع البهرميه وجامع العادليه وجامع الخسرويه وكلها من القرن السادس عشر الميلادى بحلب ٠

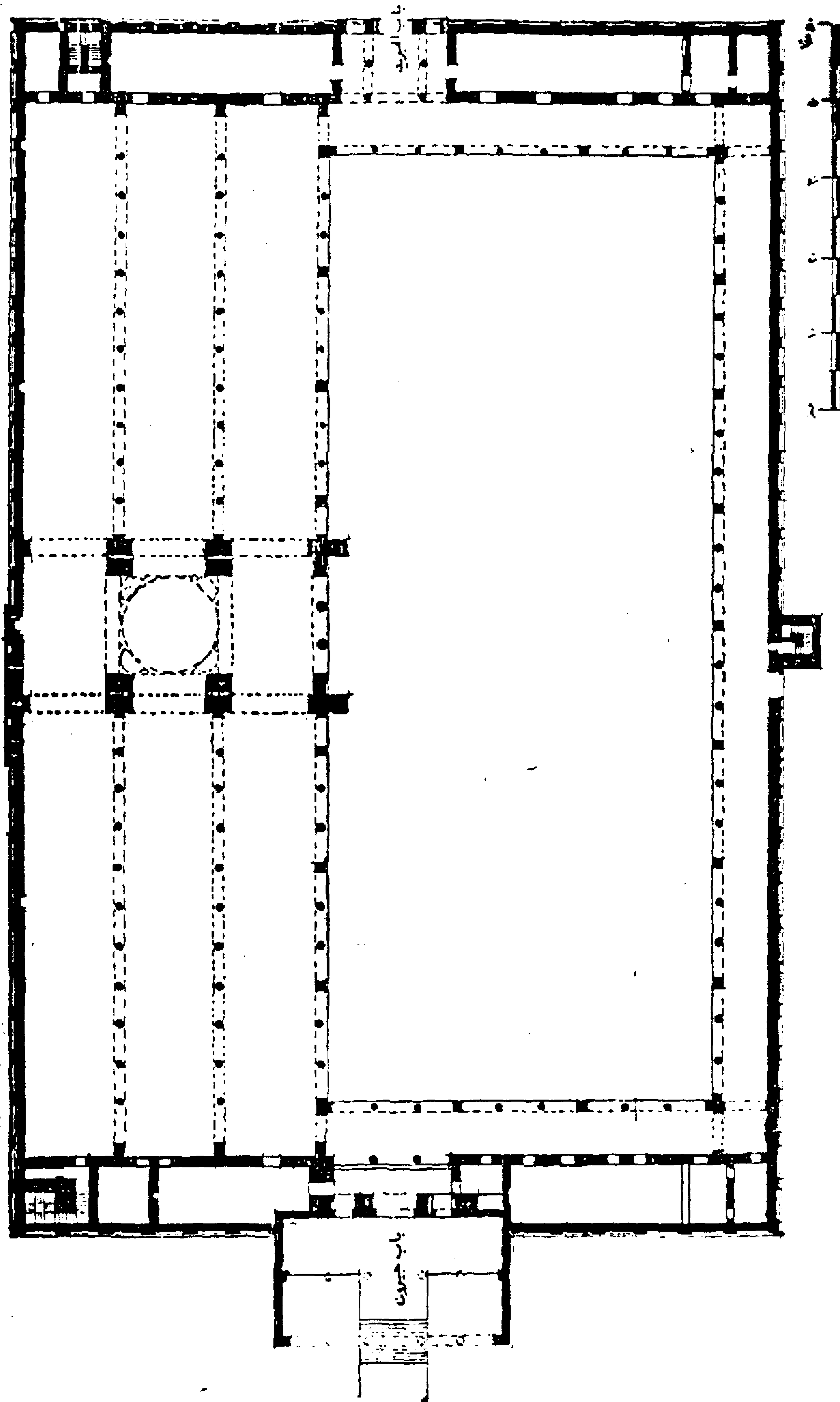
ومعظم مساجد هذه الفترة يتكون من غرفة واحدة مربعة مغطاه بقبه كبيرة واحيانا نجد داخل هذه الغرفة اربع دعائم تحمل القبه ويبرز من هذه الغرفة مساحة نصف دائرية من الجهة الجنوبية يتوسطها المحراب كما فى جامع البهرميه ٠

كما نجد غالبا على جانبى واجهة هذه الغرفة من الجهة الشمالية غرفتين صغيرتين يتوسطهما المدخل ٠ وكل منهما مغطى بقبه صغيرة واحيانا استبدلت هاتان الغرفتان بايوانين صغيرين مفتوحة بكامل عرضهما على الخارج ومسقفه

باقبية مستمرة • ويتقدم هذه المجموعة رواق مفتوح على فناء خارجي محاط ببعض المباني الاخرى • هذا الرواق الامامي مقسم الى مساحات مربعة كل منها مغطى بقبة صغيرة كما في جامع العثمانيه ـ اما واجهته فتتكون من عقود جميلة نصف دائرية محمولة على بعض الاعمدة •

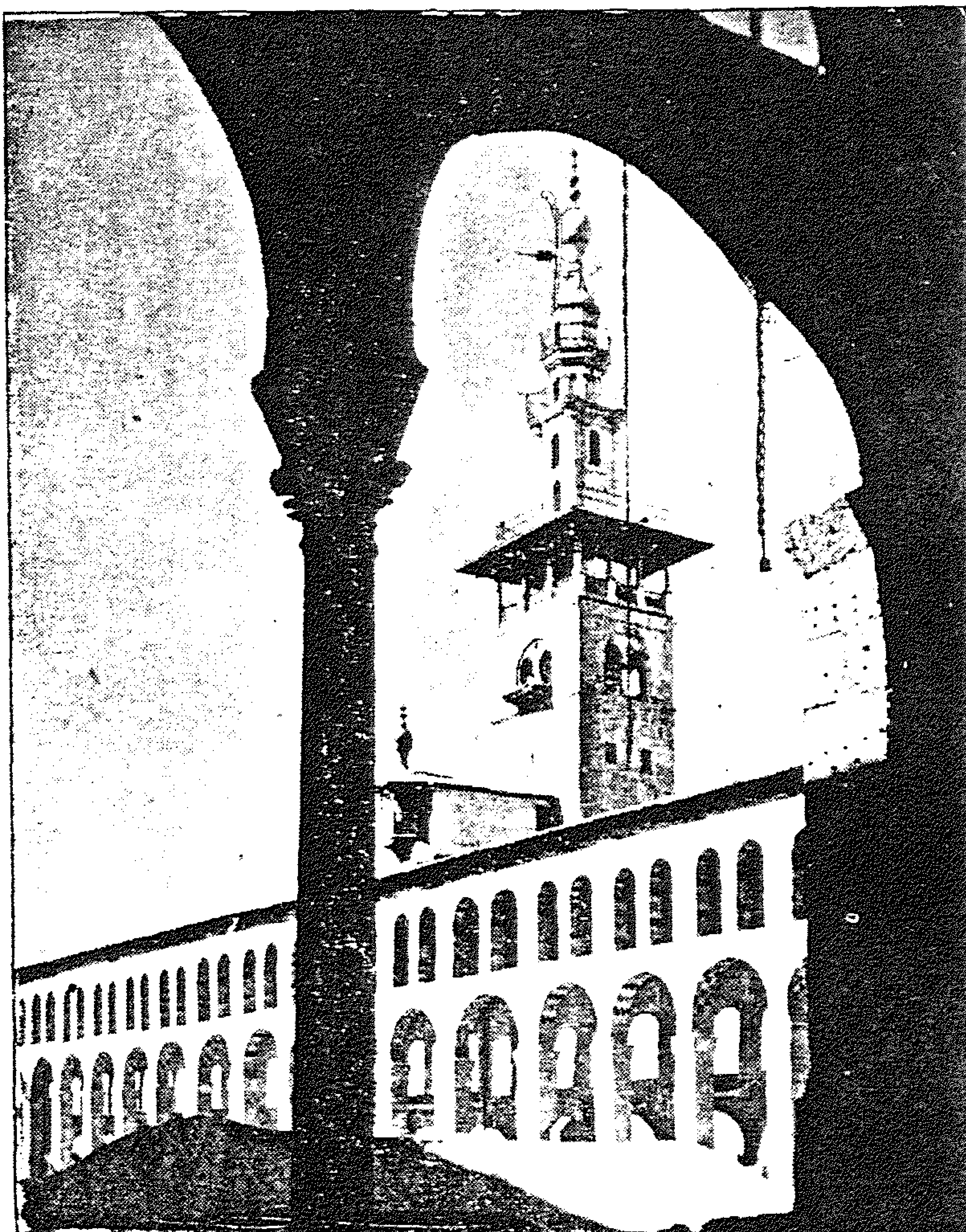
وفي هذه المساجد نجد المئذنة ذات الطابع العثماني تقع على احد جوانب البناء في نهاية الواجهة الشمالية للمسجد •

لوحــه ٣٢



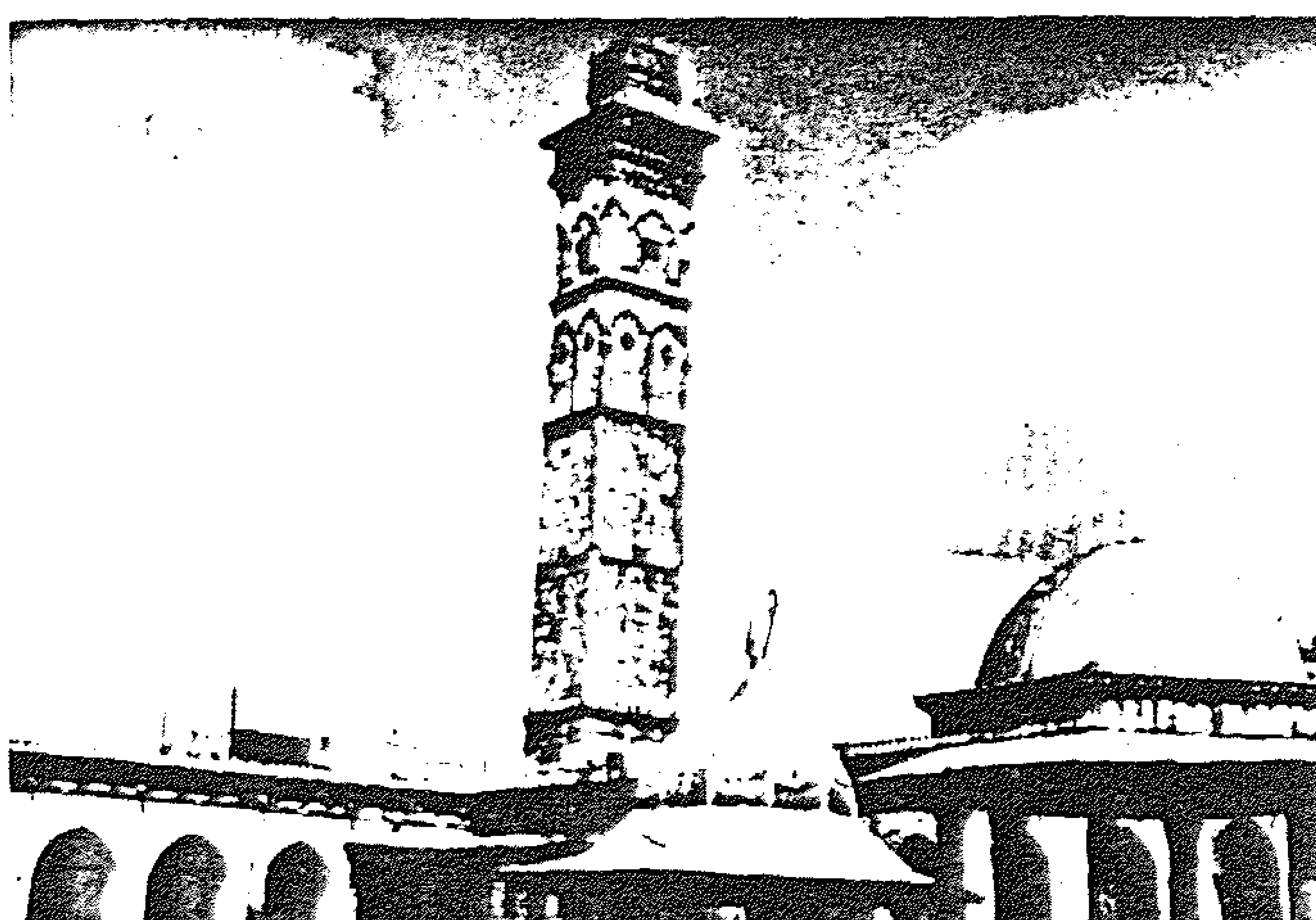
الجامع الاموى بدمشـــق (١٧٠٦ م)

لوحـــه ٣٣



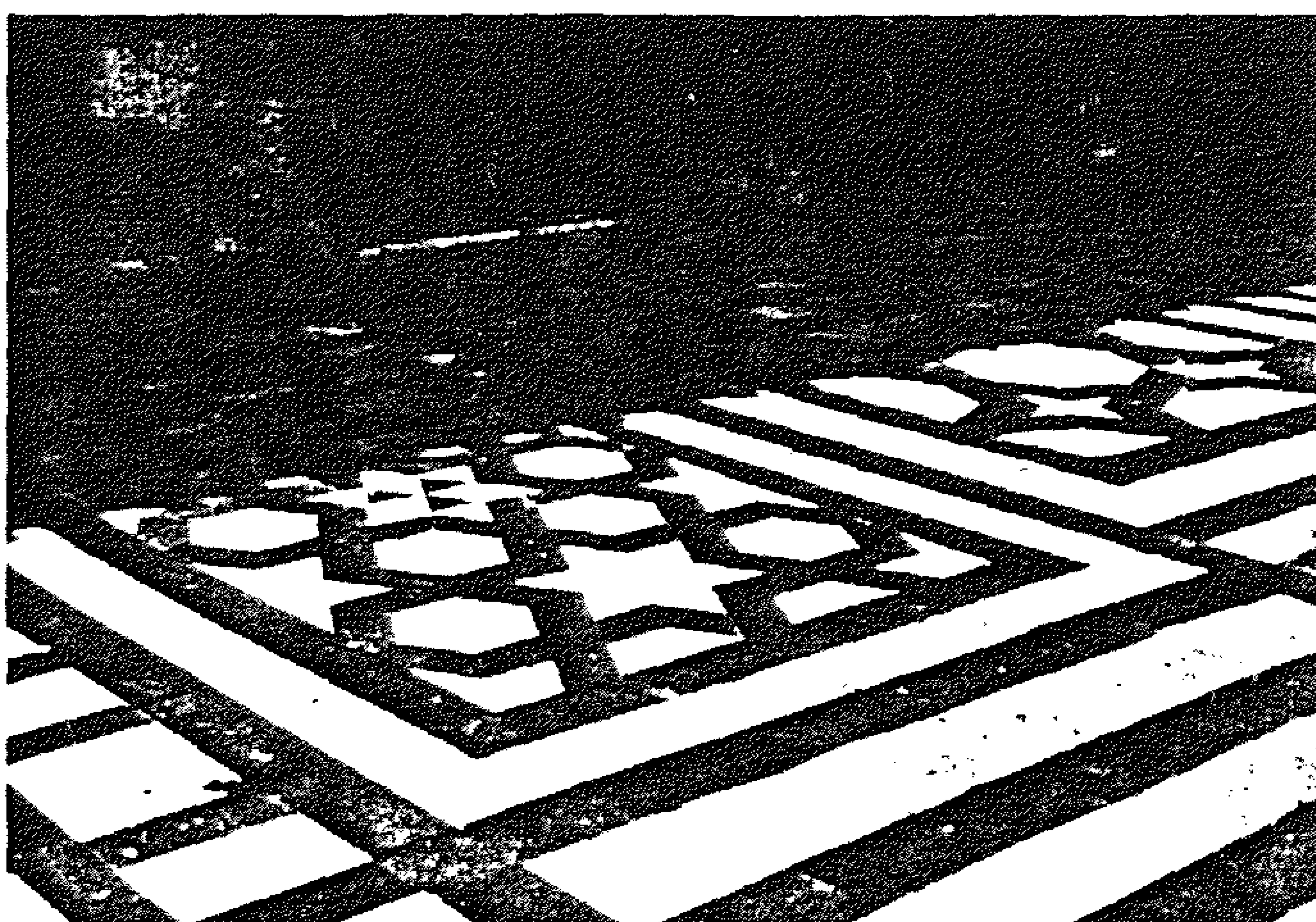
الجامع الاموى بدمشق — الصحن

لوحة ٣٤



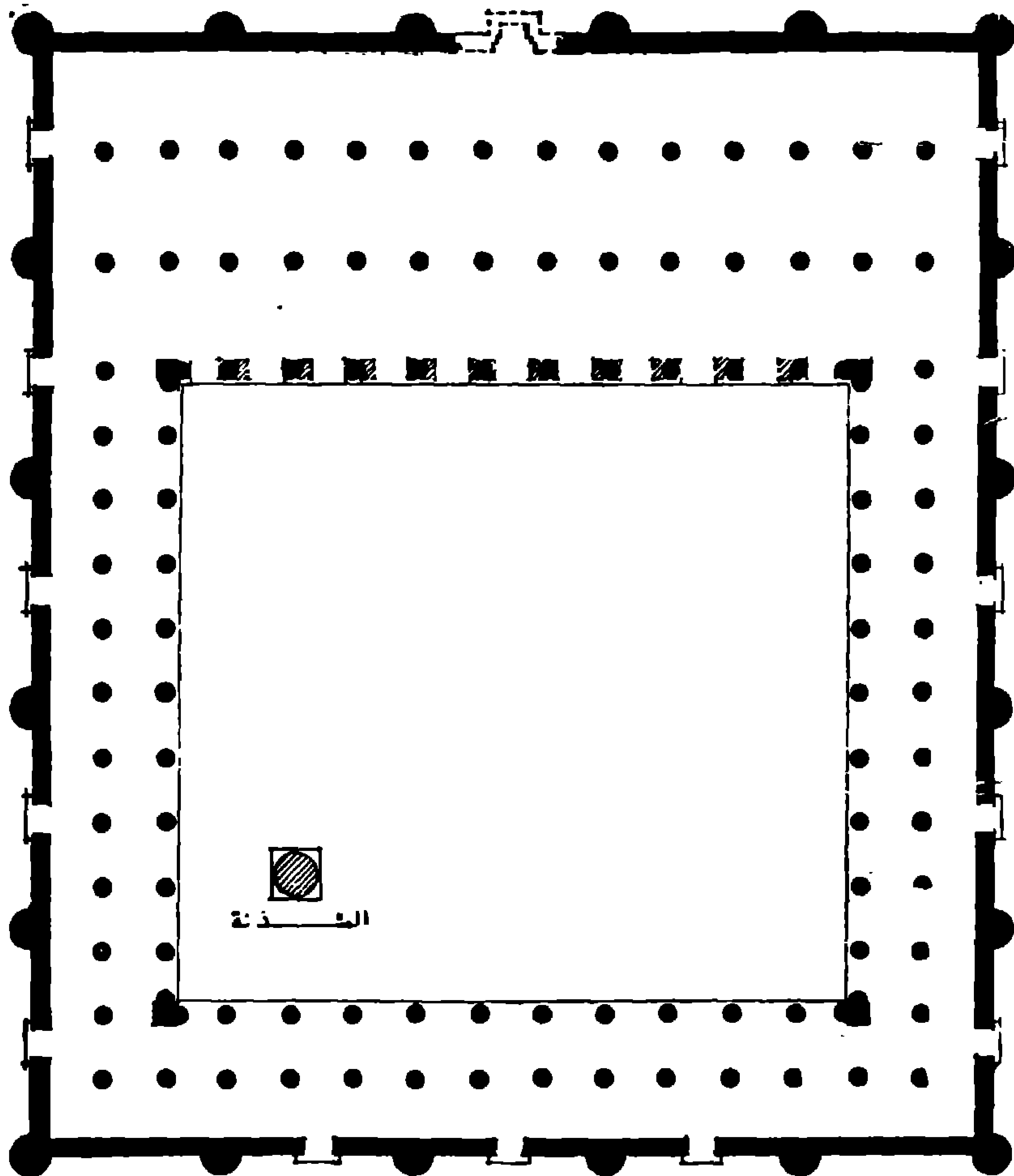
المئذنة

المسجد الاموى بحلب
(القرن ٨ م)



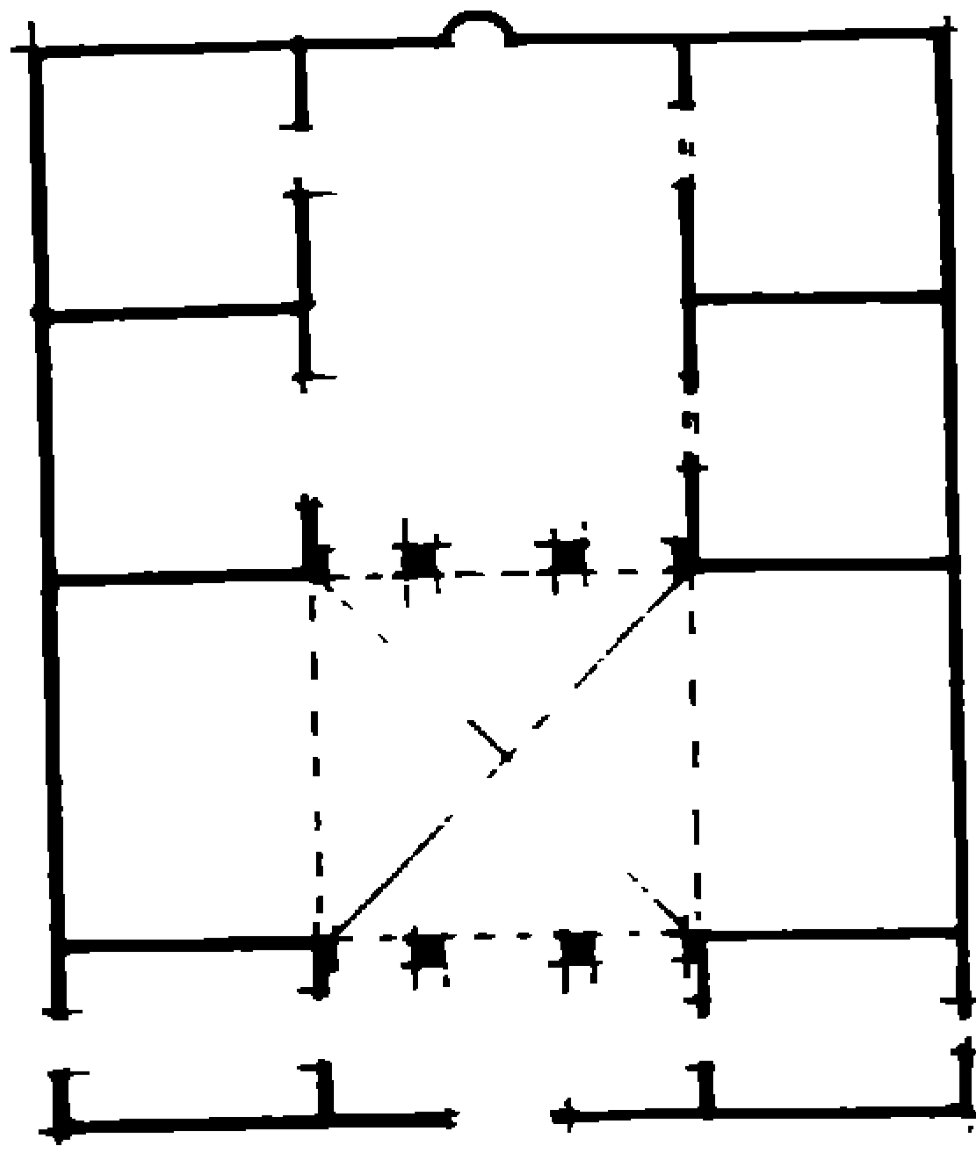
ارضية الصحن

لوحه ٣٥



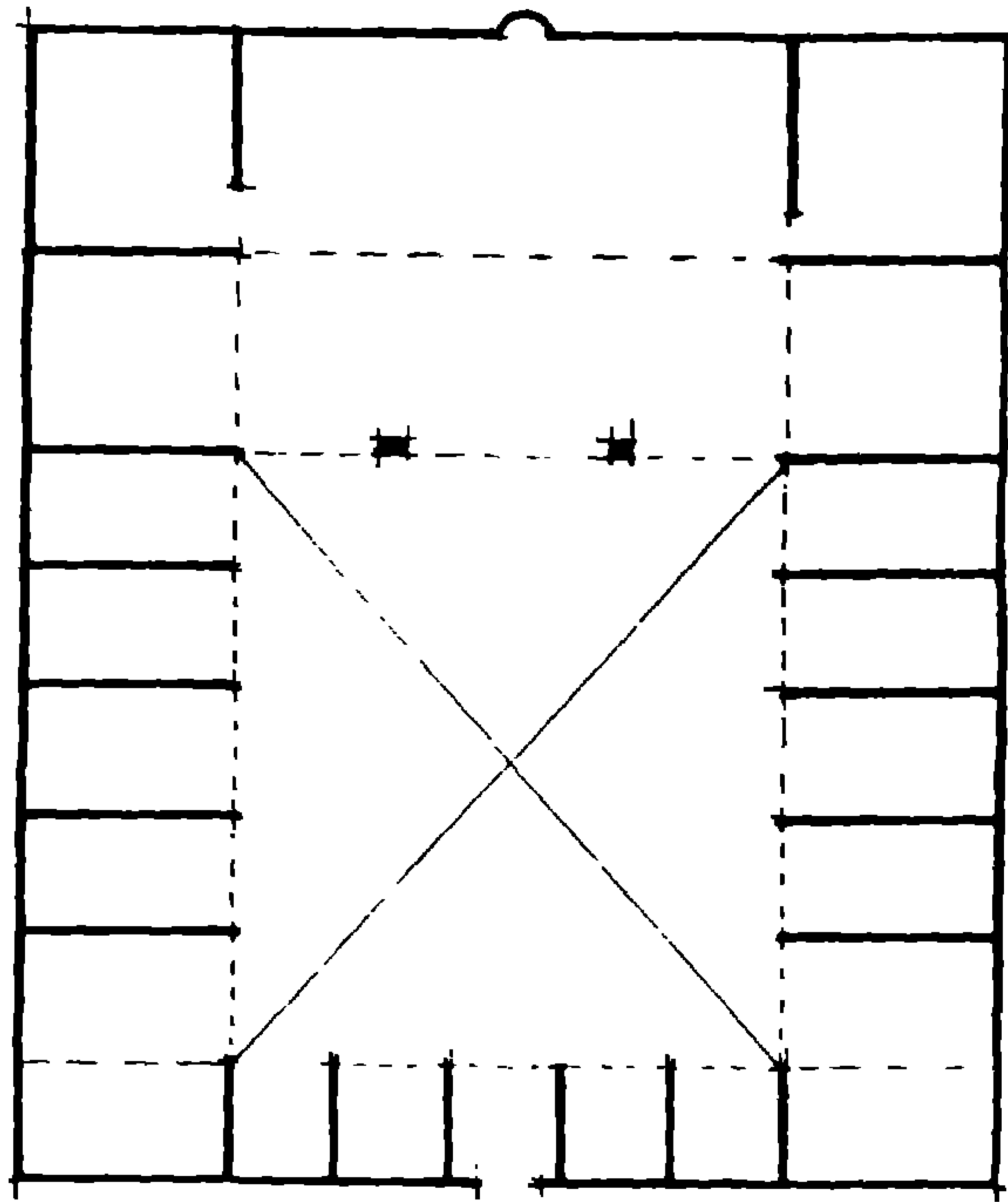
جامع الرقة (٧٢٢ م)

لوحة ٣٦

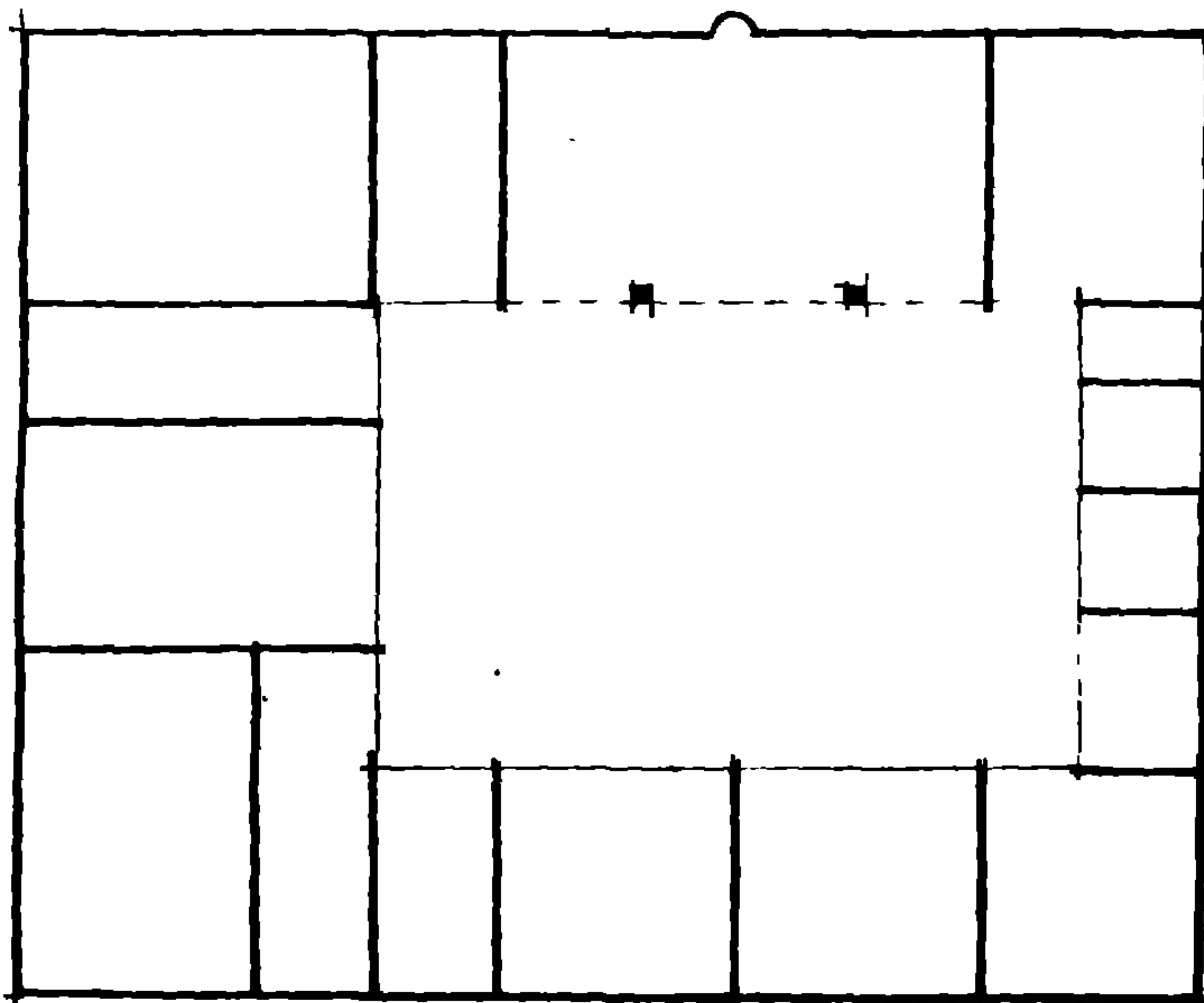


مدرسة ابن منصور كوشتكين ببصرى الشام
(القرن ١٢ م)

لوحه ٣٧

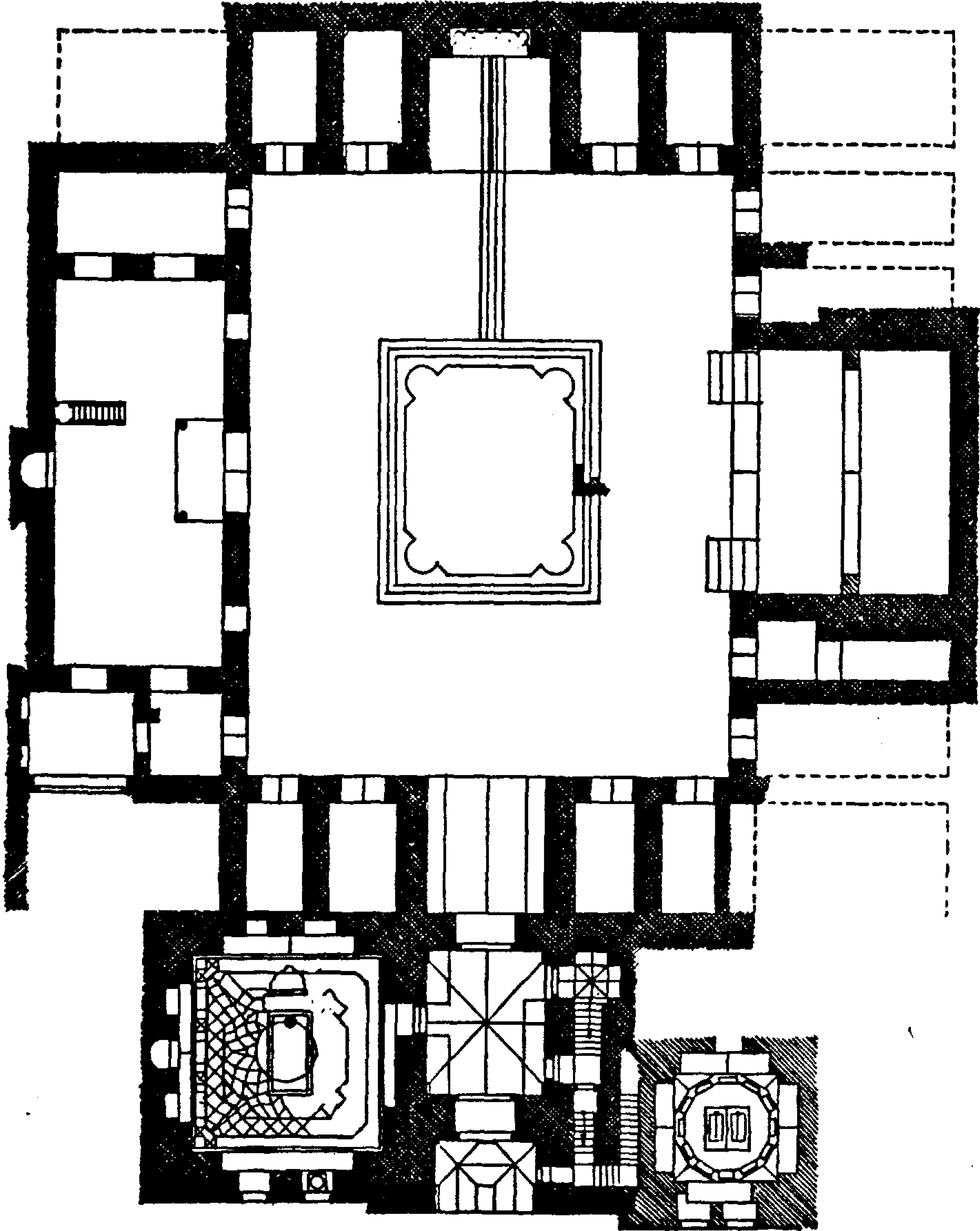


مدرسة خان اتون ـ حلب
(١١٦٨ م)



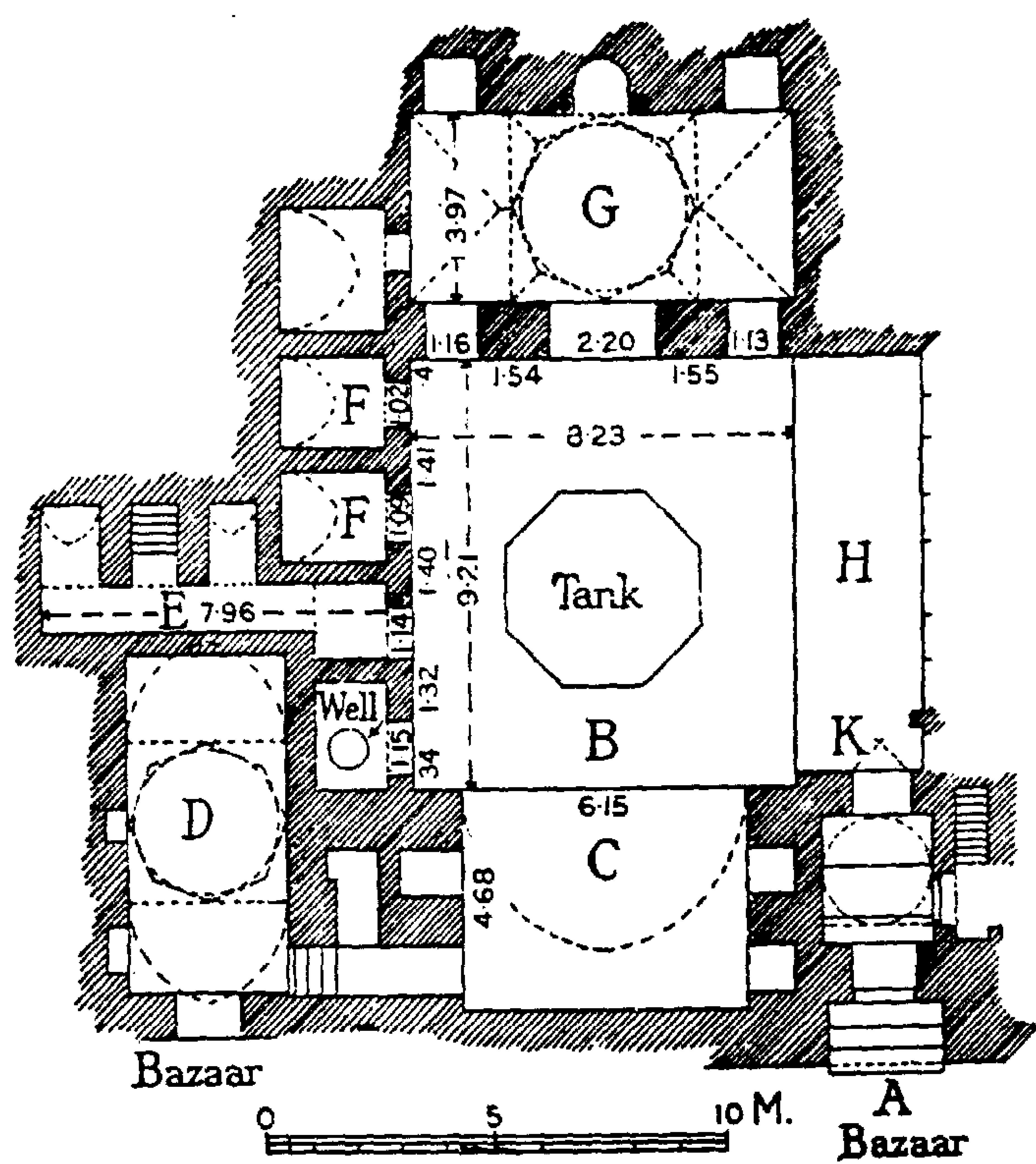
مدرسة معرة النعمان ـ بسوريا
(١١٩٩ م)

لوحــه ٣٨



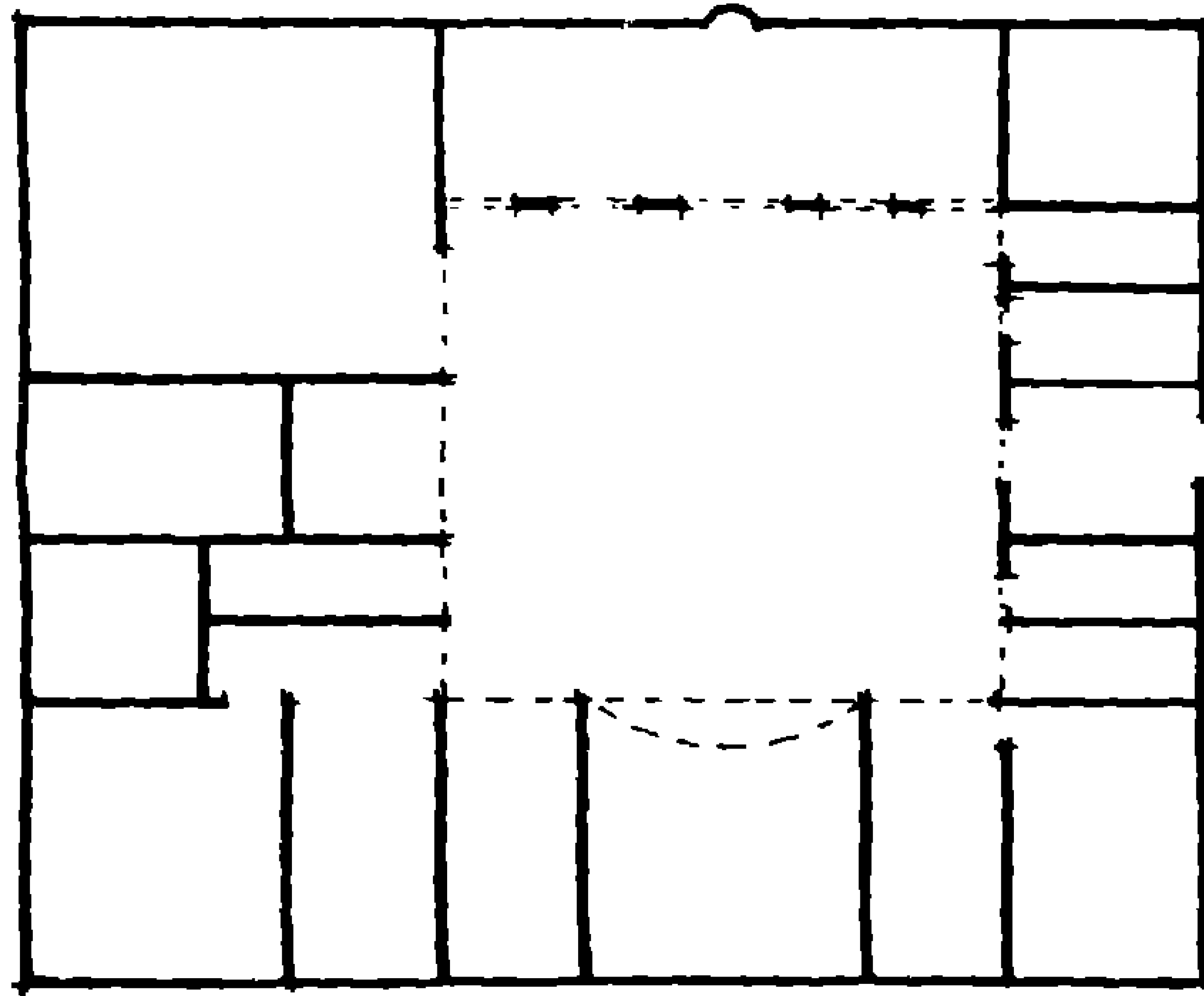
مدرسة نور الدين بدمشــق
(١١٧٢ م)

لوحــه ٣٩



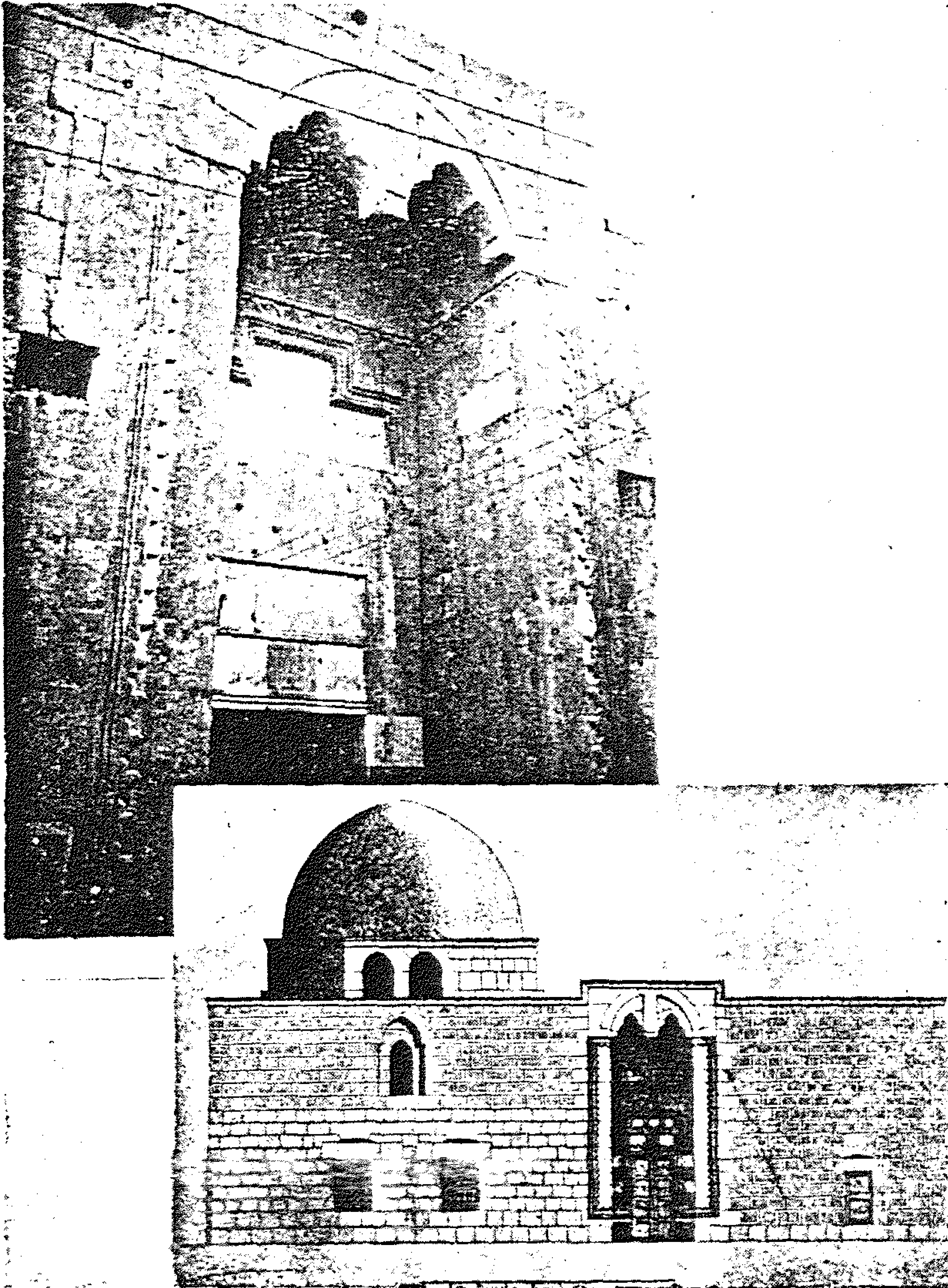
مدرسة شاذ بخت بحلب (١١٩٣ م)

لوحـه ٤٠



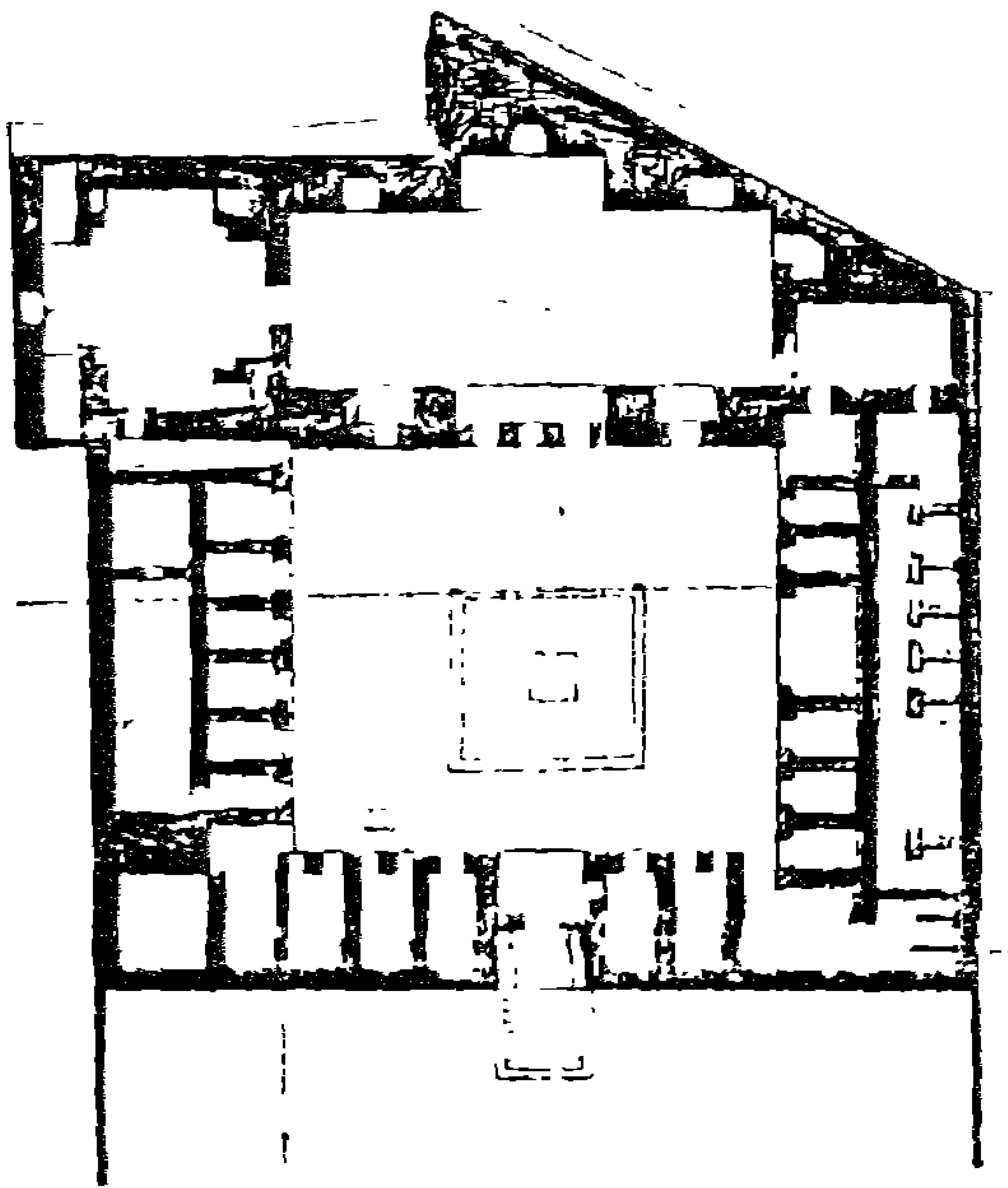
المدرسة العادلية الكبرى بدمشـق
(١٢٢٢ م)

لوحـــه ٤١



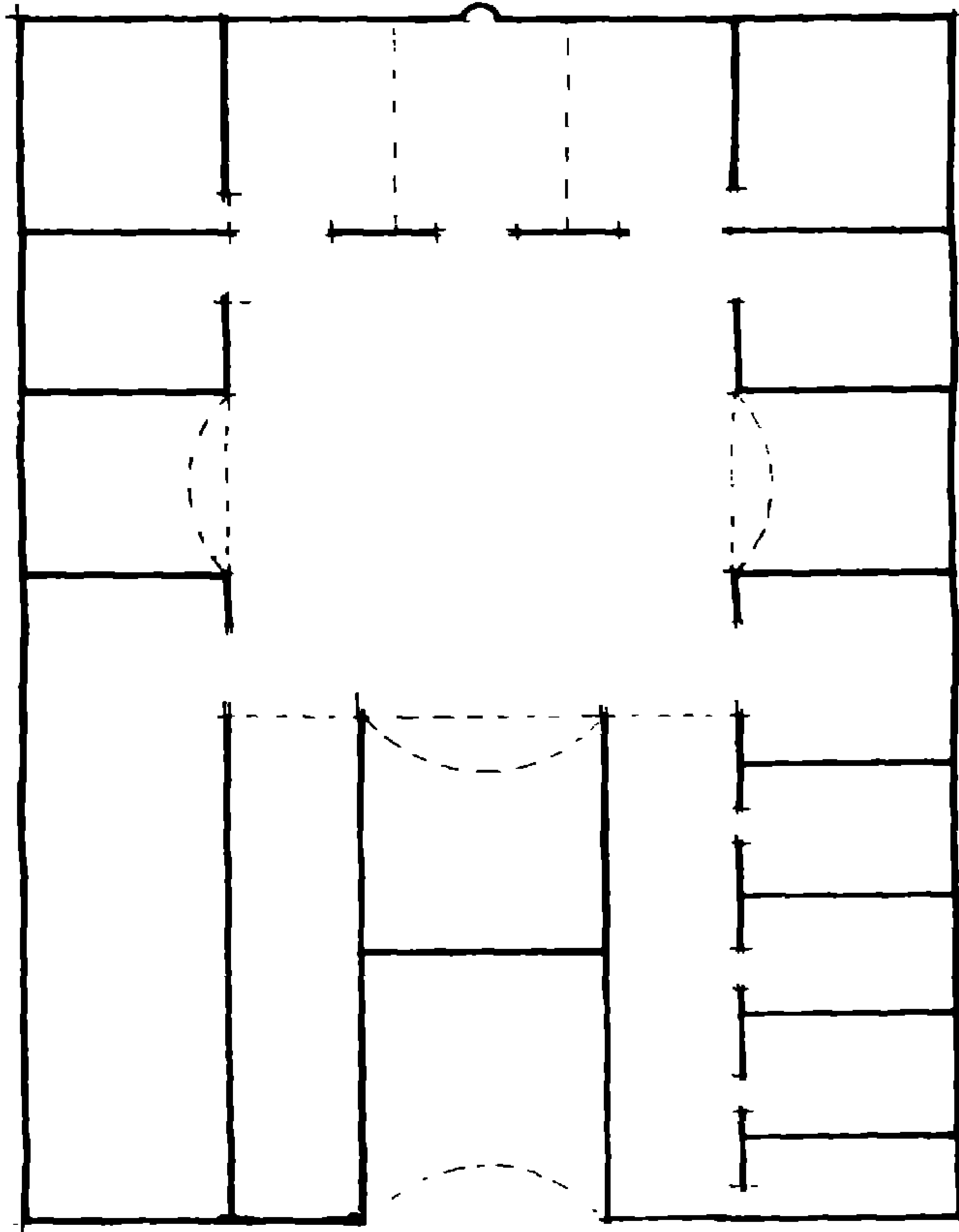
واجهة المدرسة العادلية بدمشق

لوحـه ٤٦

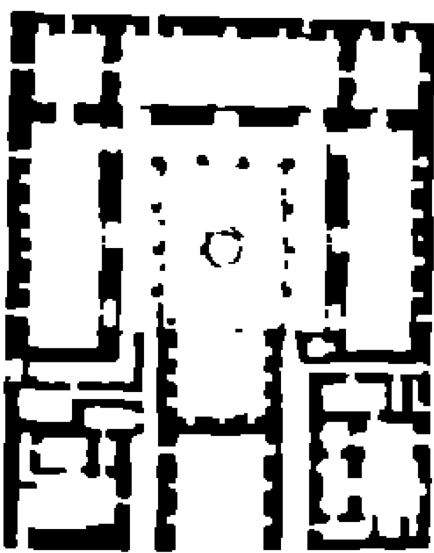


المدرسة السلطانية بحلب (١٢٢٤ م)

لوحـــه ٤٣

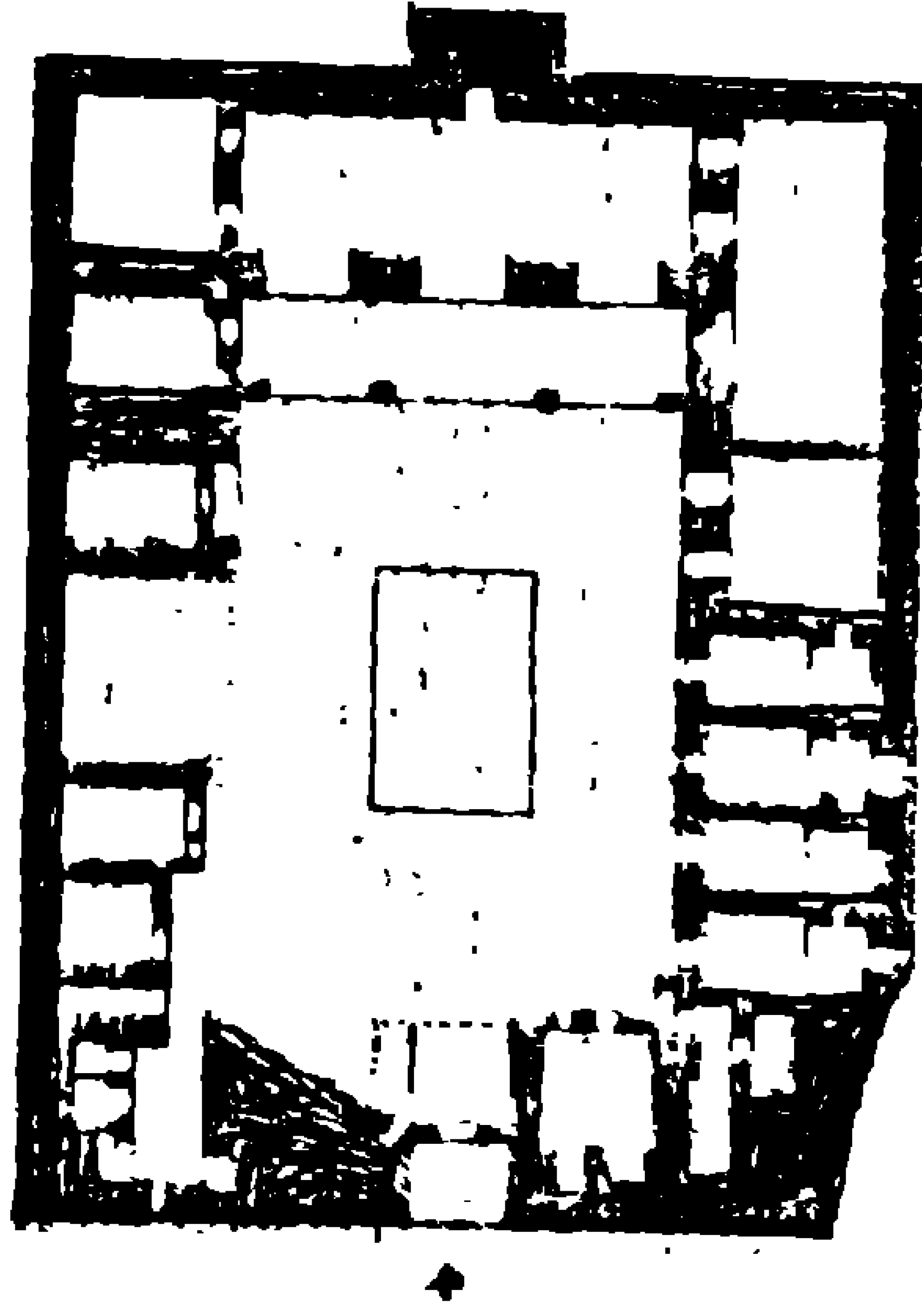


مدرسة الفردوس بحلـــب
(١٢٣٨ م)



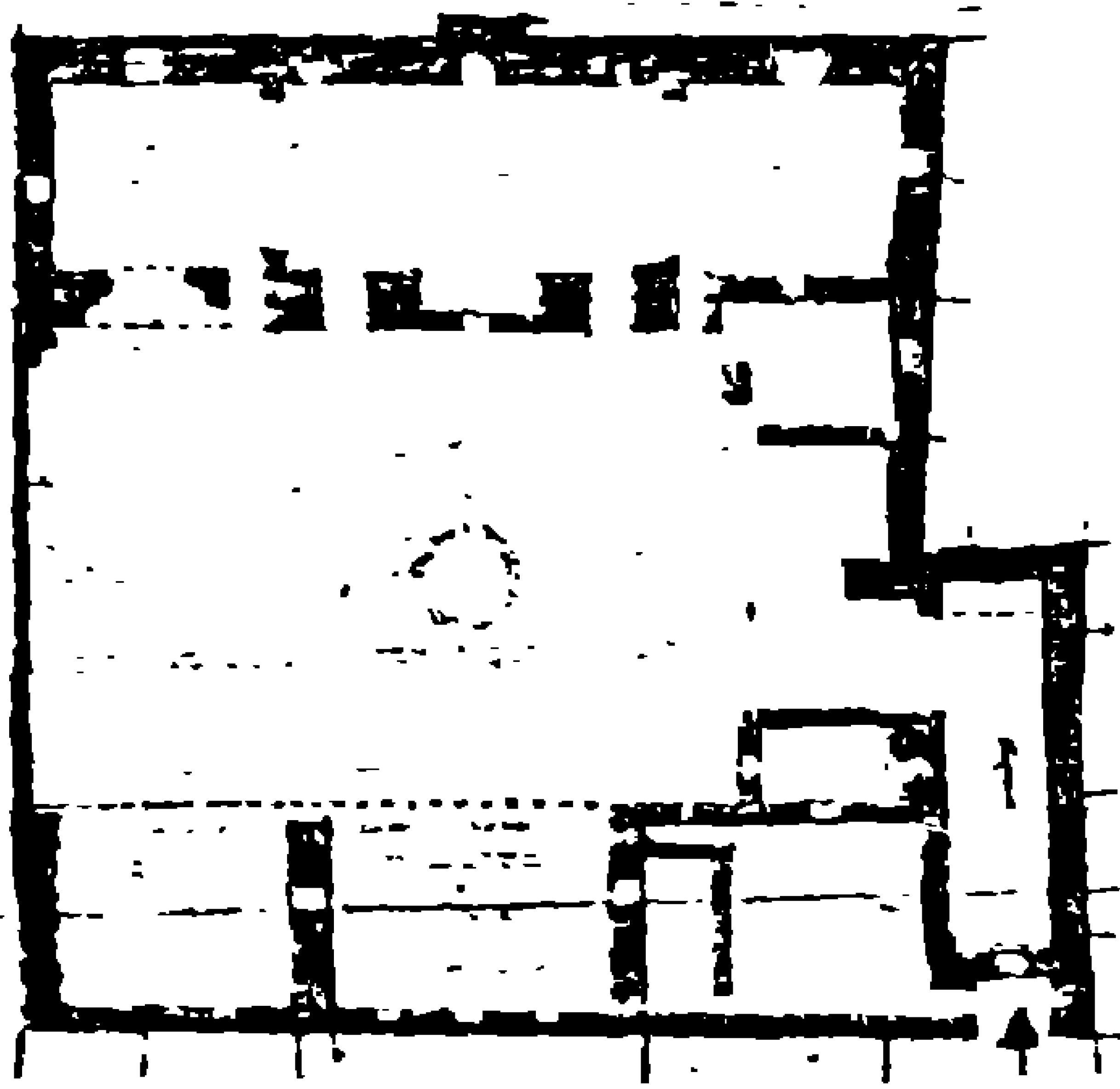


لوحـــة ٤٤



المدرسة الظاهرية بحلب (١٢١٩ م)

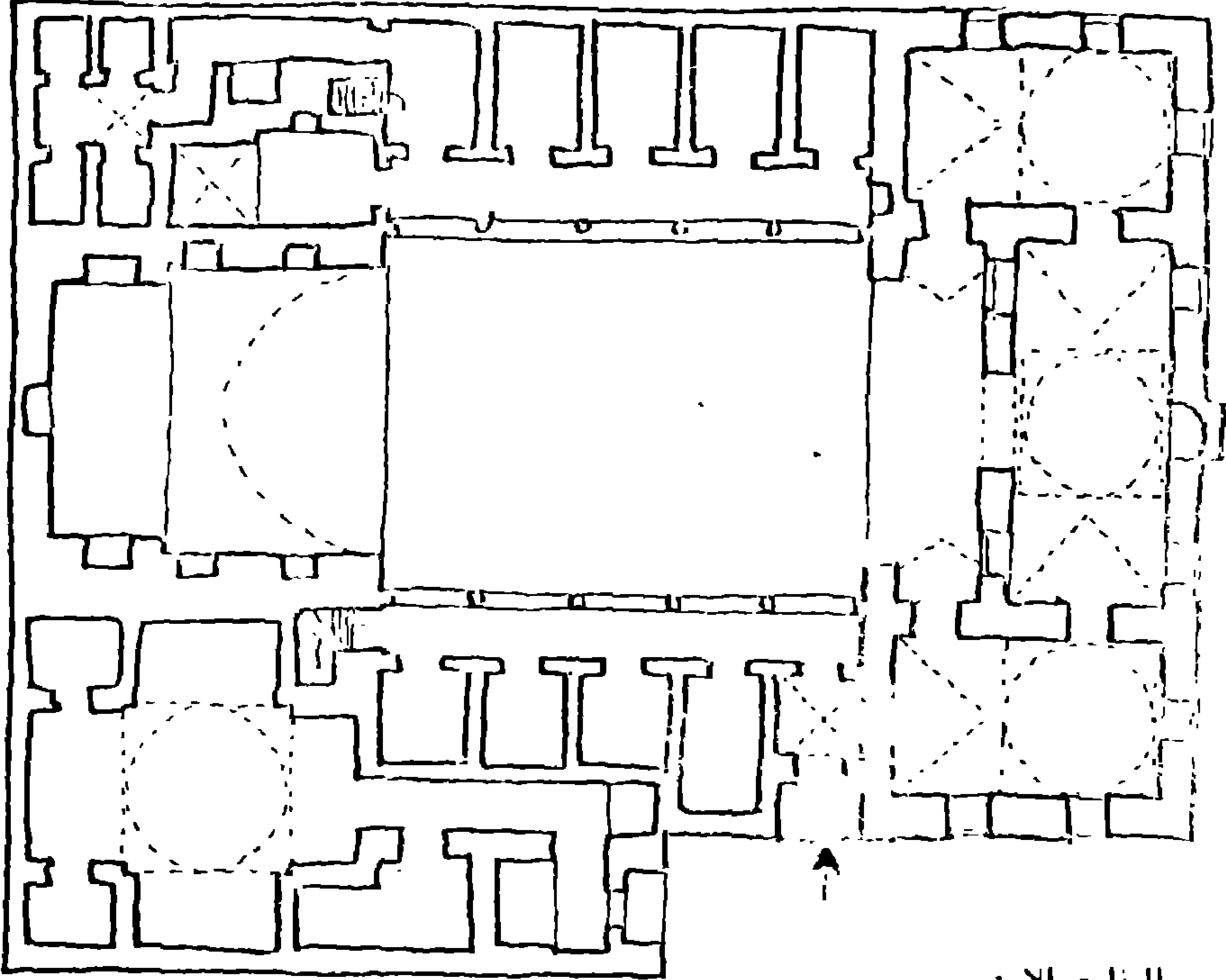
لوحــه ٤٥



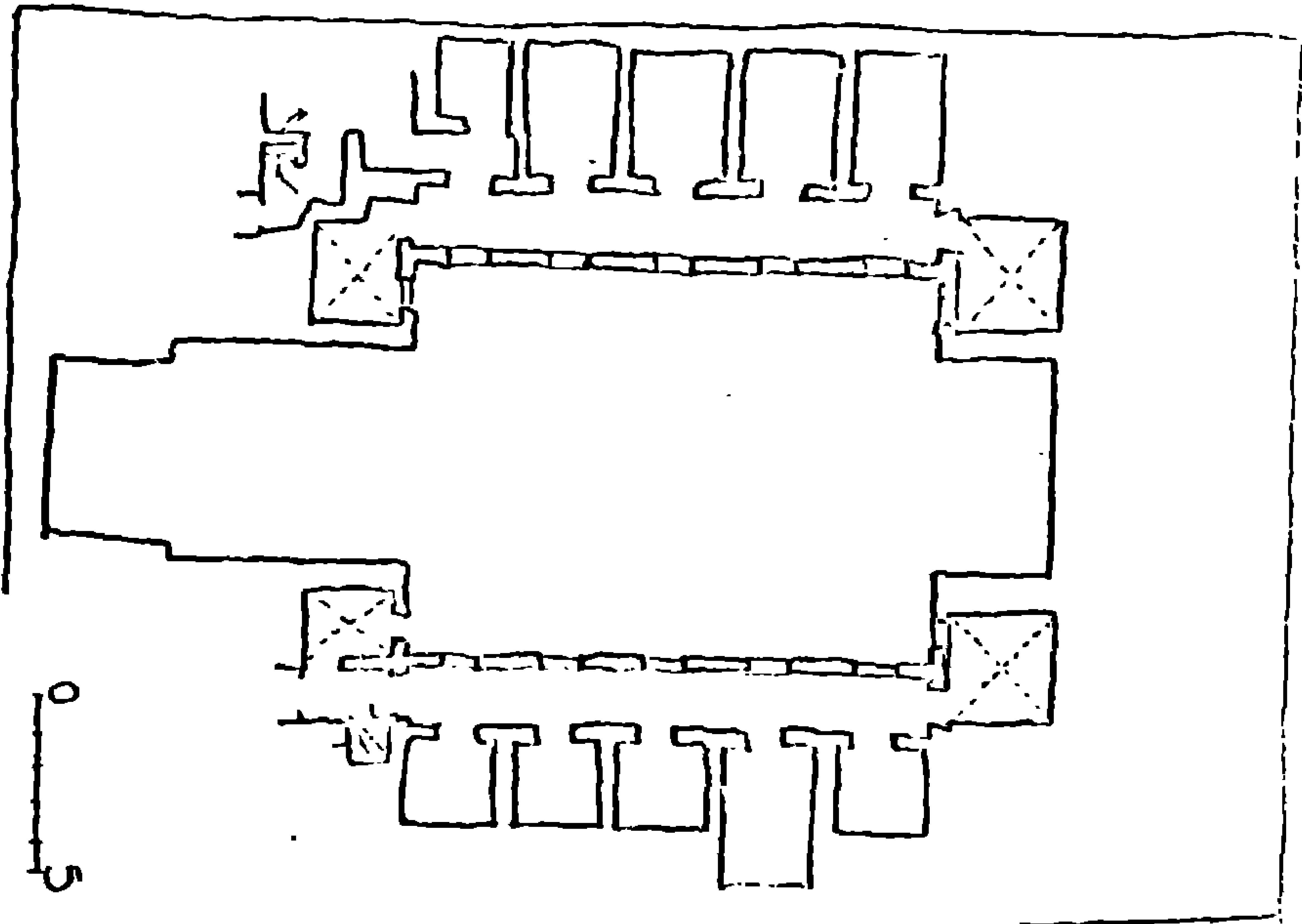
المدرسة الكاملية بحلب (القرن ١٣ م)

لوحه ٤٦

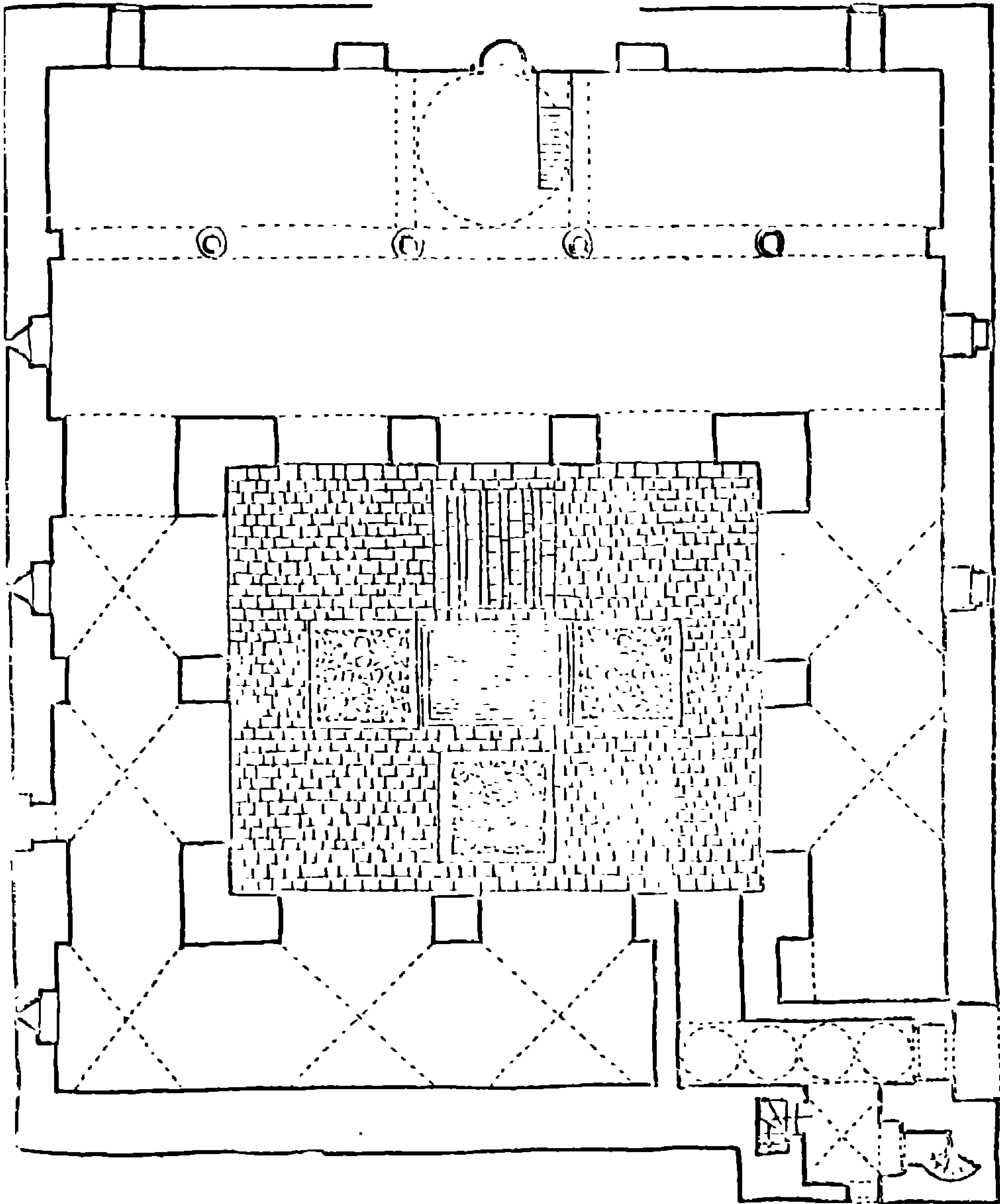
المدرسة الايوبية (الطرنطائية) بحلب (١٣٩٢ م)



الطابق الارضى

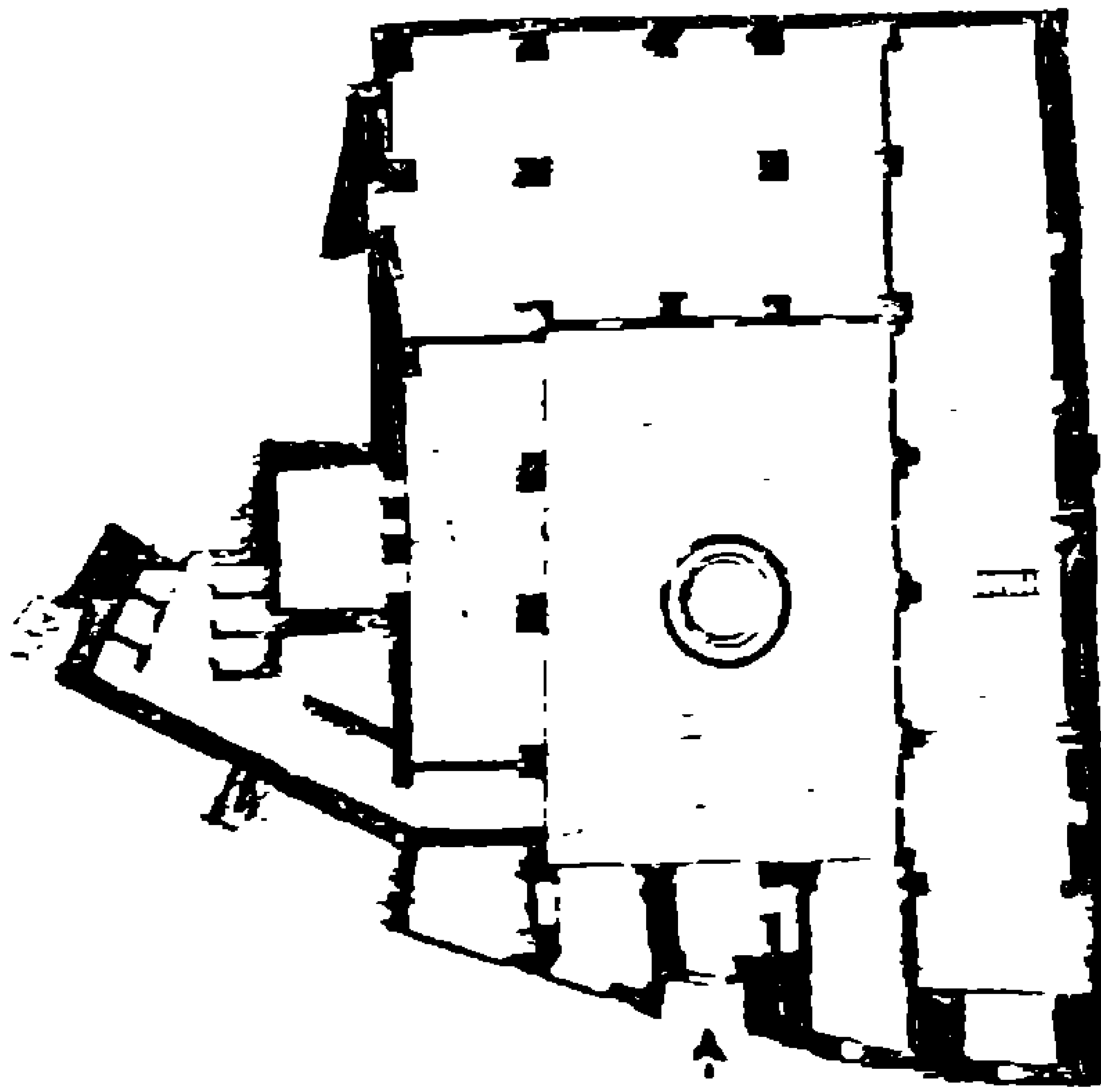


الطابق الاول

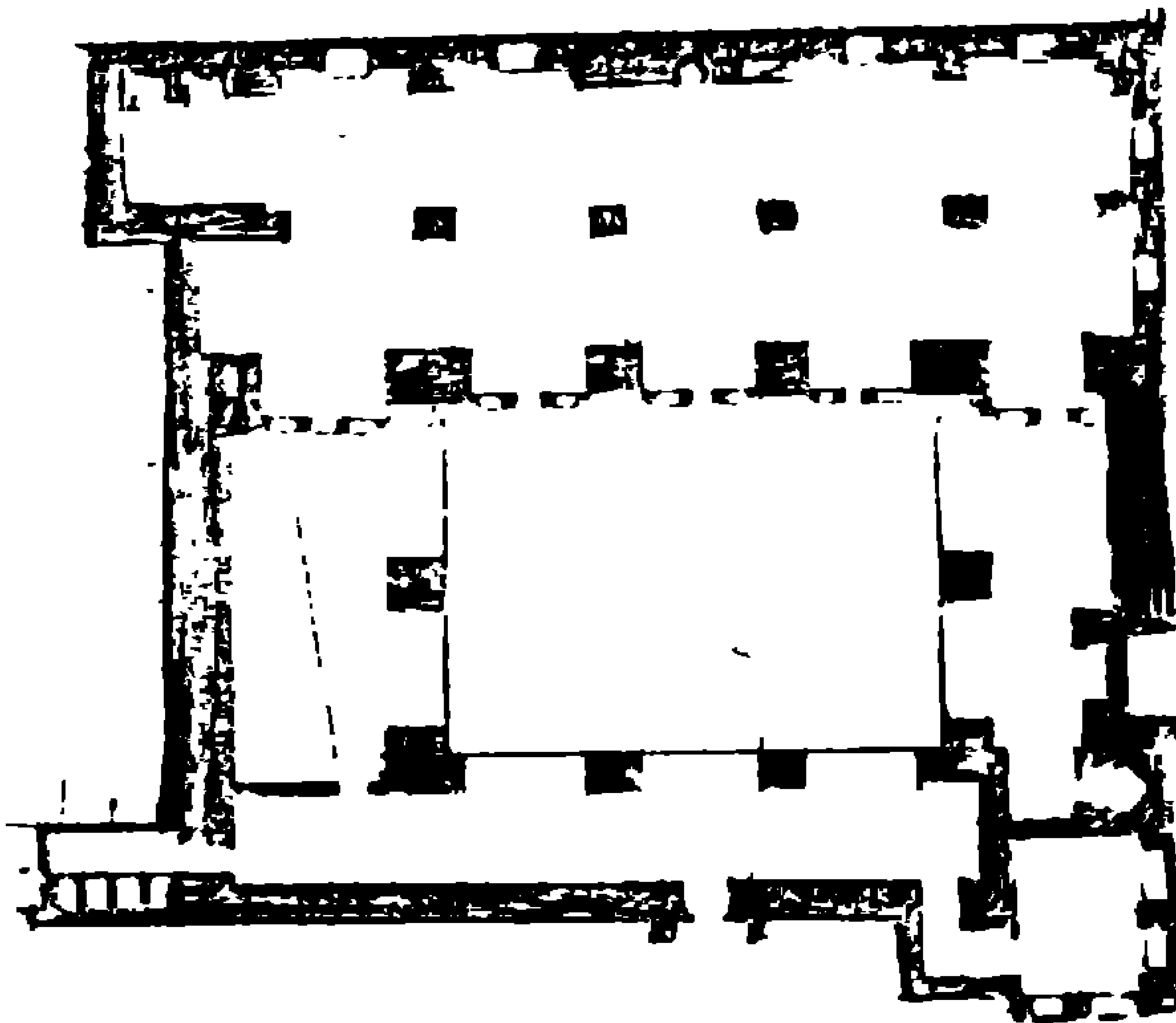


جامع الطنبوغا ـ حلـب
(القرن ١٤ م)

لوحـــه ٤٨

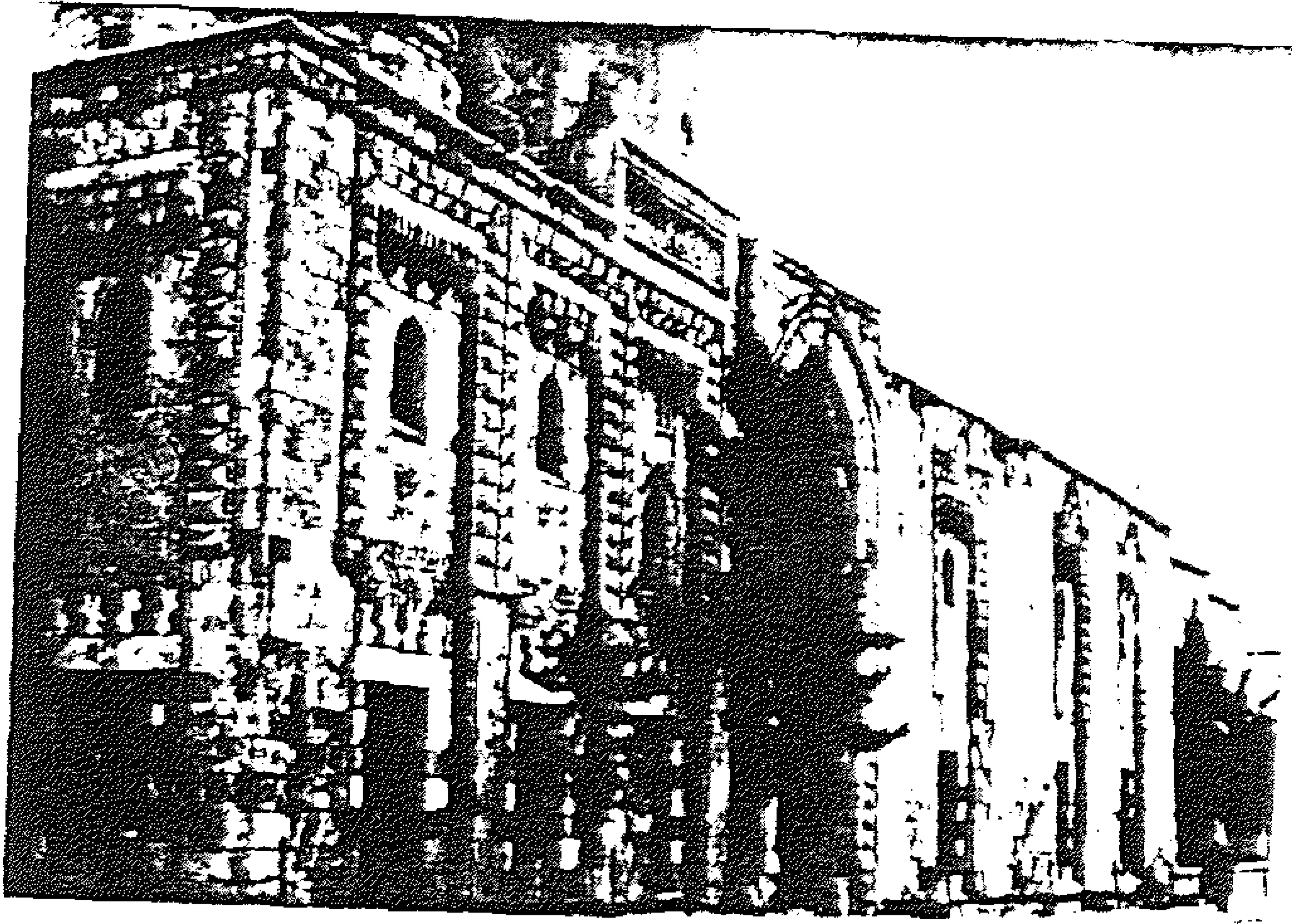


جامع المهمندار بحلب (القرن ١٣ ـ ١٤ م)

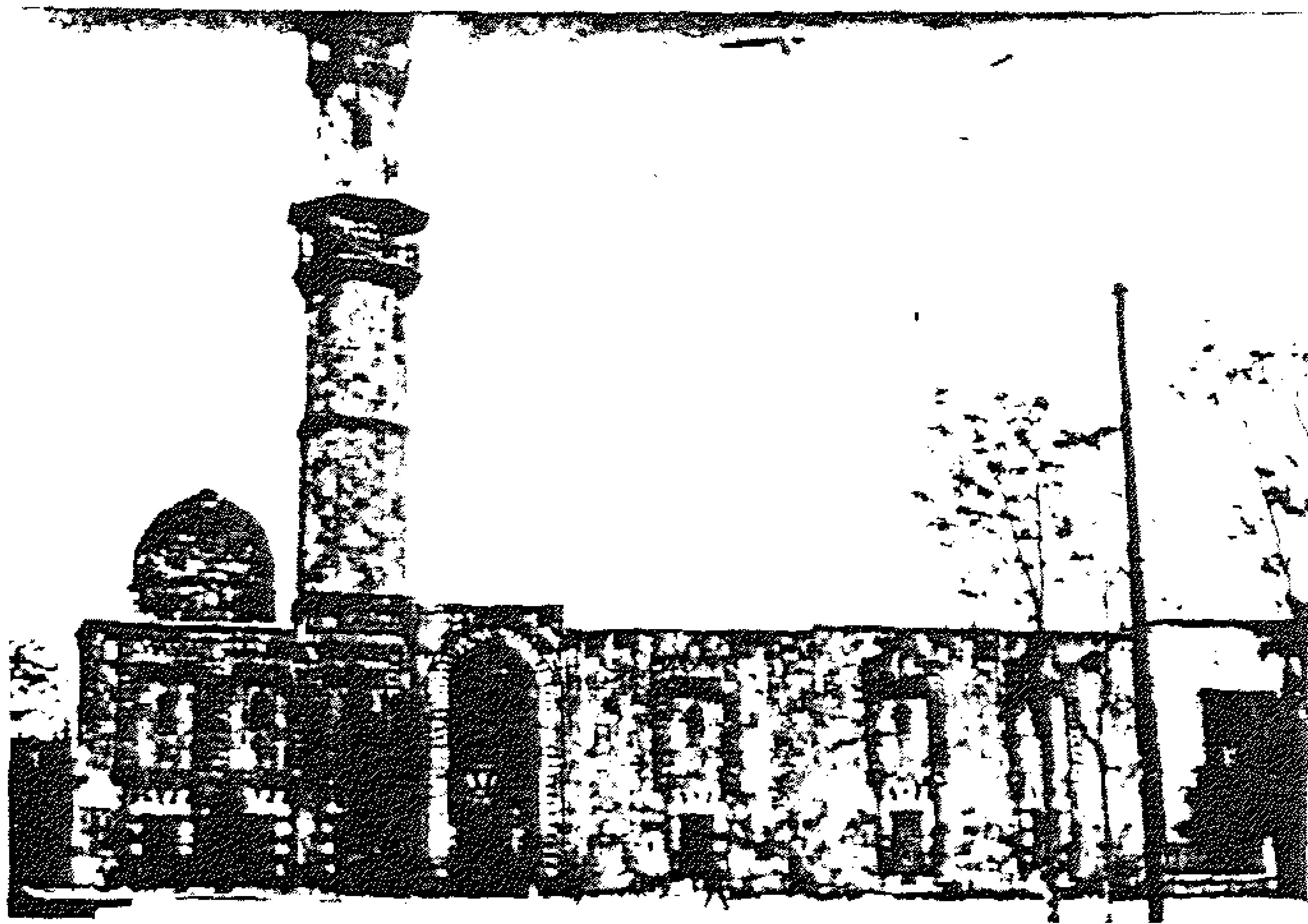


جامع الطروشـي بحلب (١٣٩٢ م)

لوحـه ٤٩

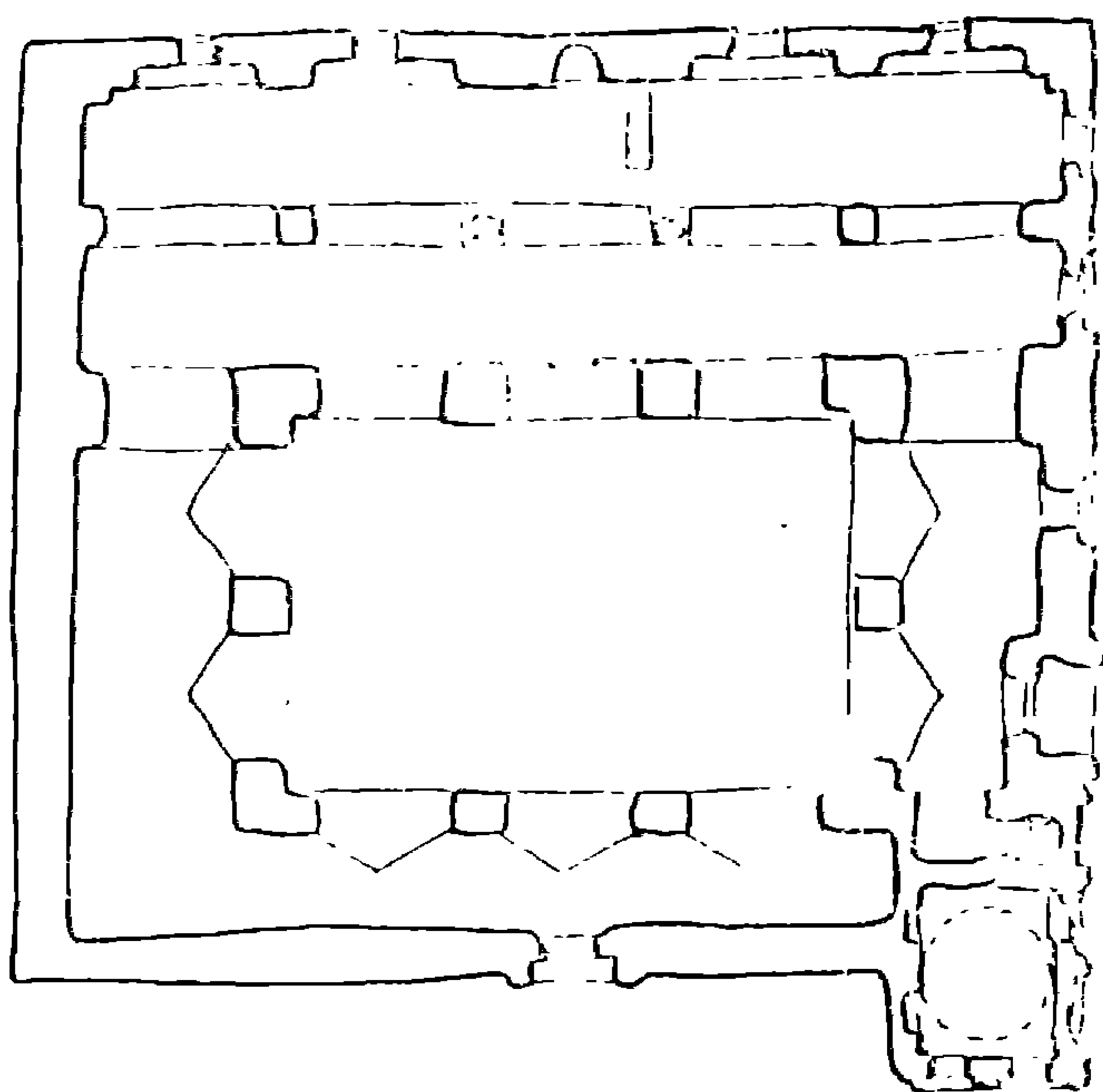


جامع الطروشي بحلب ـ واجهة



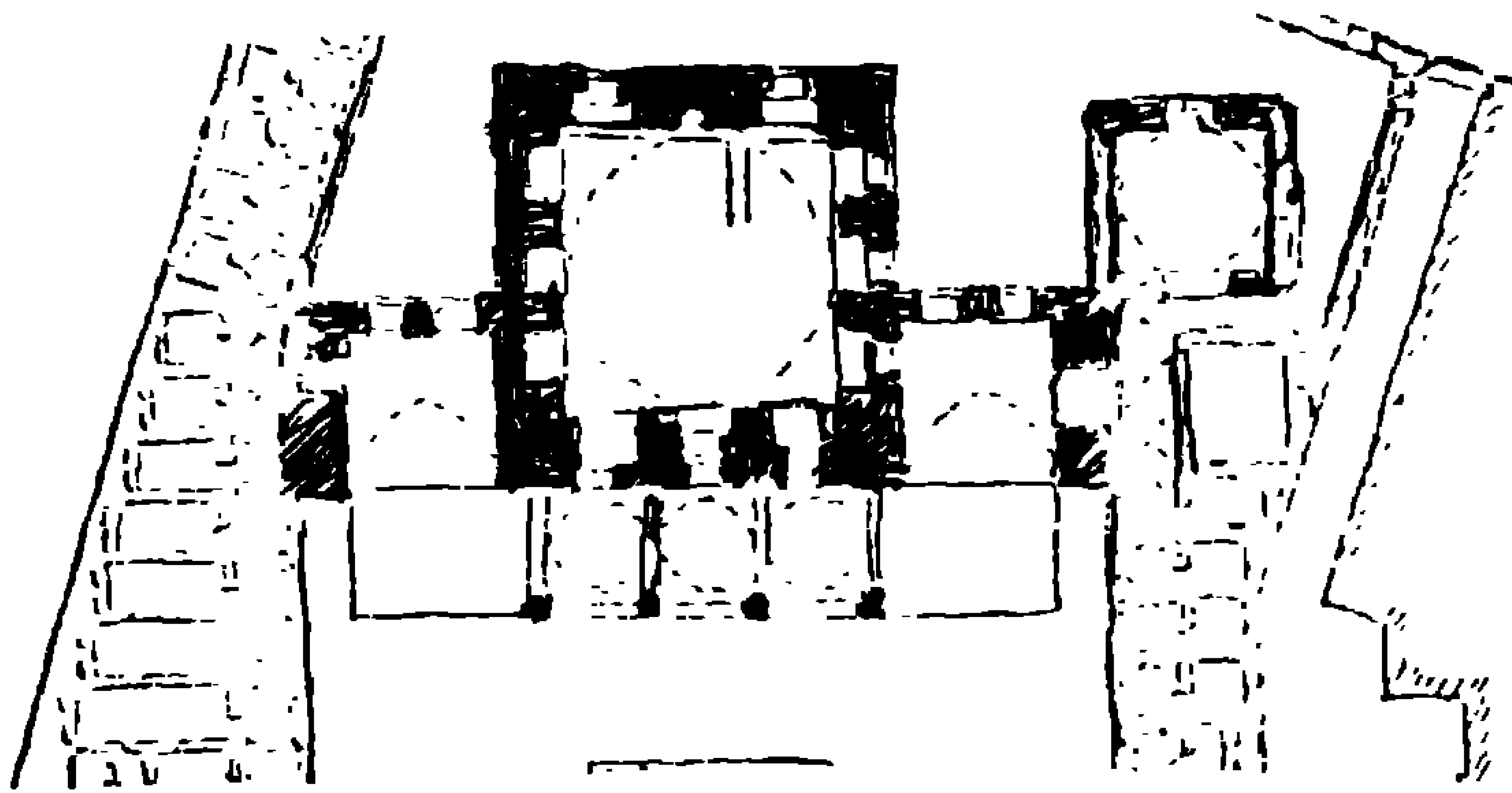
جامع الطروشي بحلب ـ واجهة

لوحـــه ٥٠



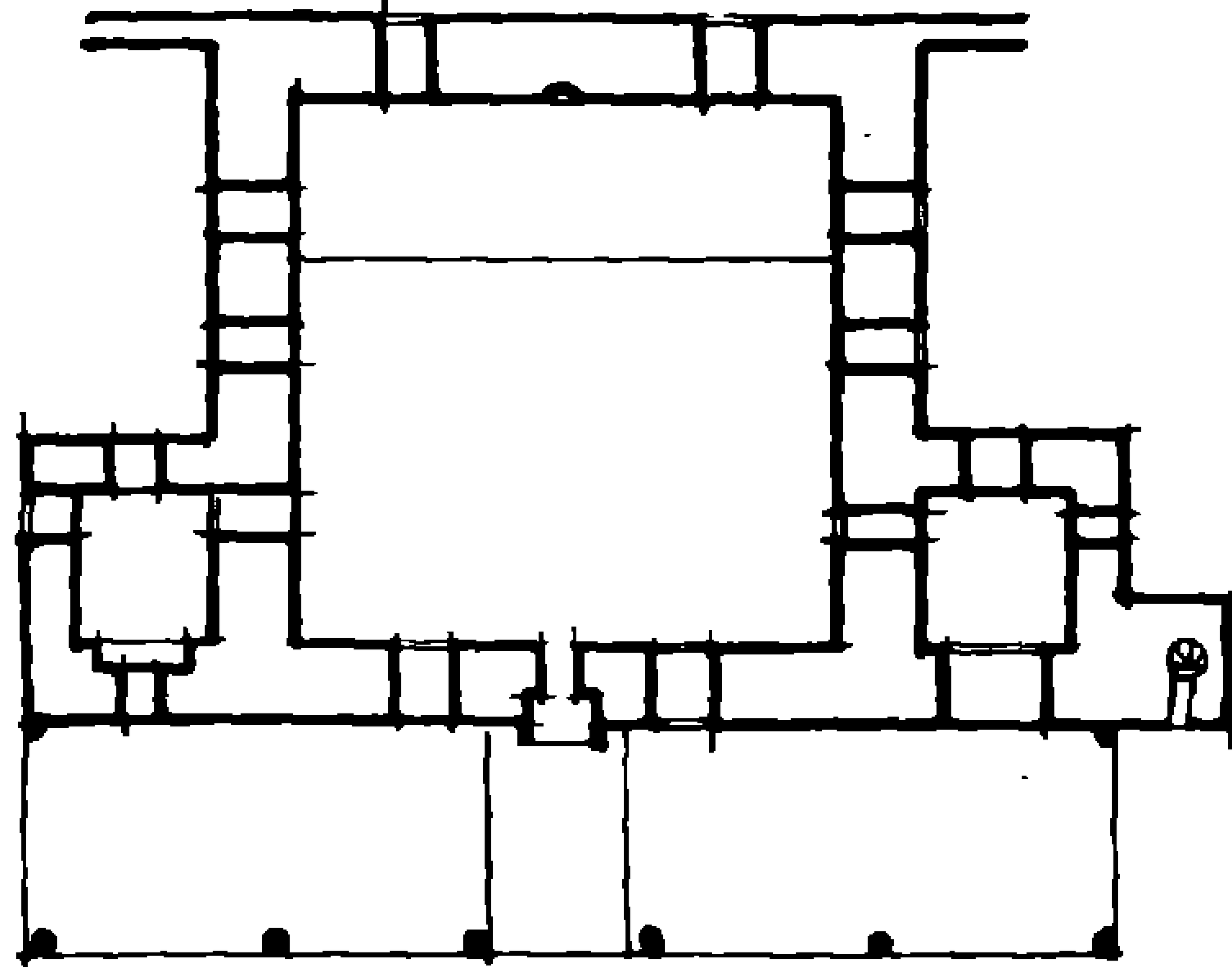
جامــع اقبغــا بحلب (١٤١٠ م)

لوحـه ٥١

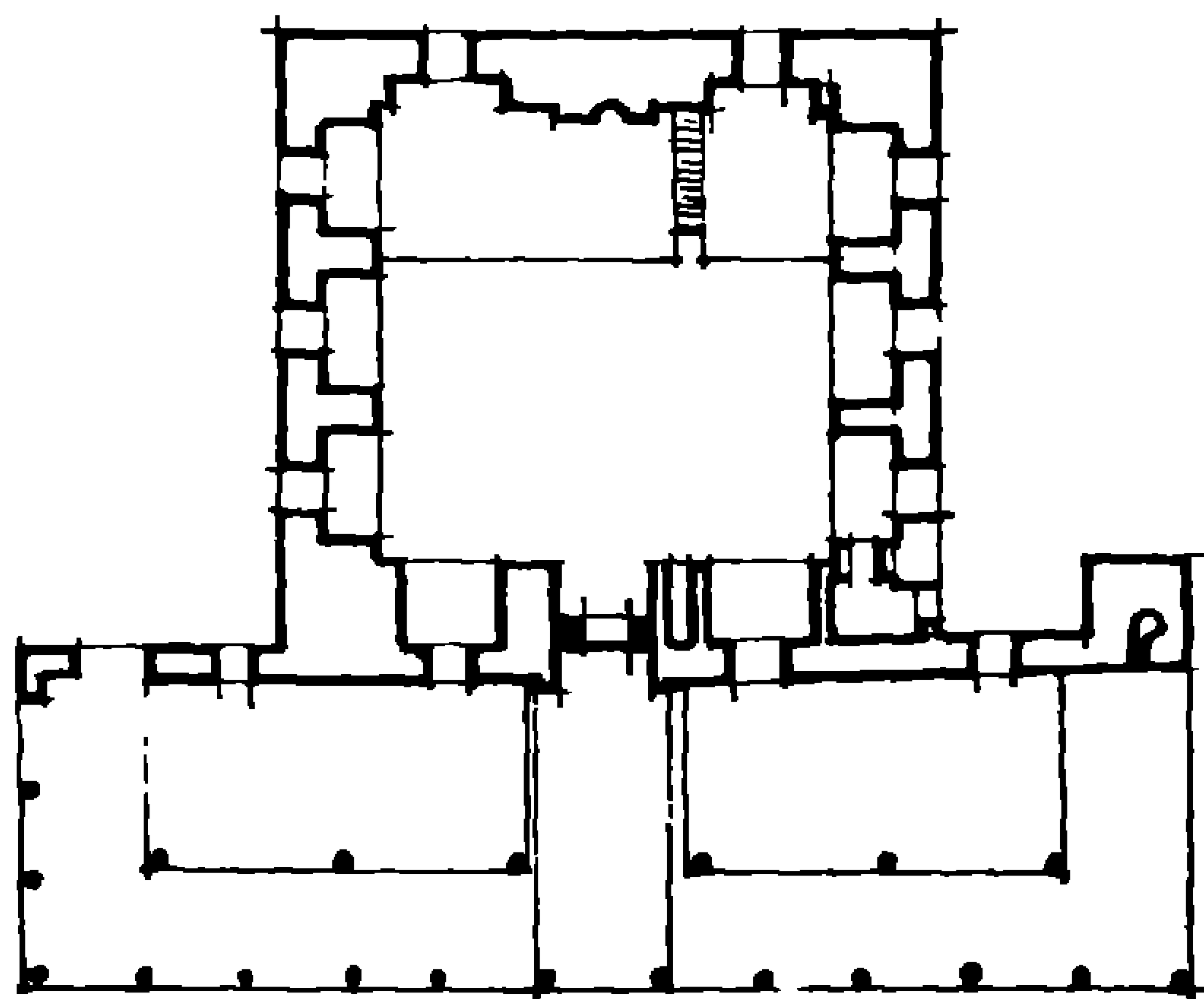


جامع العثمانية بحلب (١٤٤٠ م)

لوحـــه ٥٢



جامع العادليـــة ــ حلب (القرن ١٦ م)

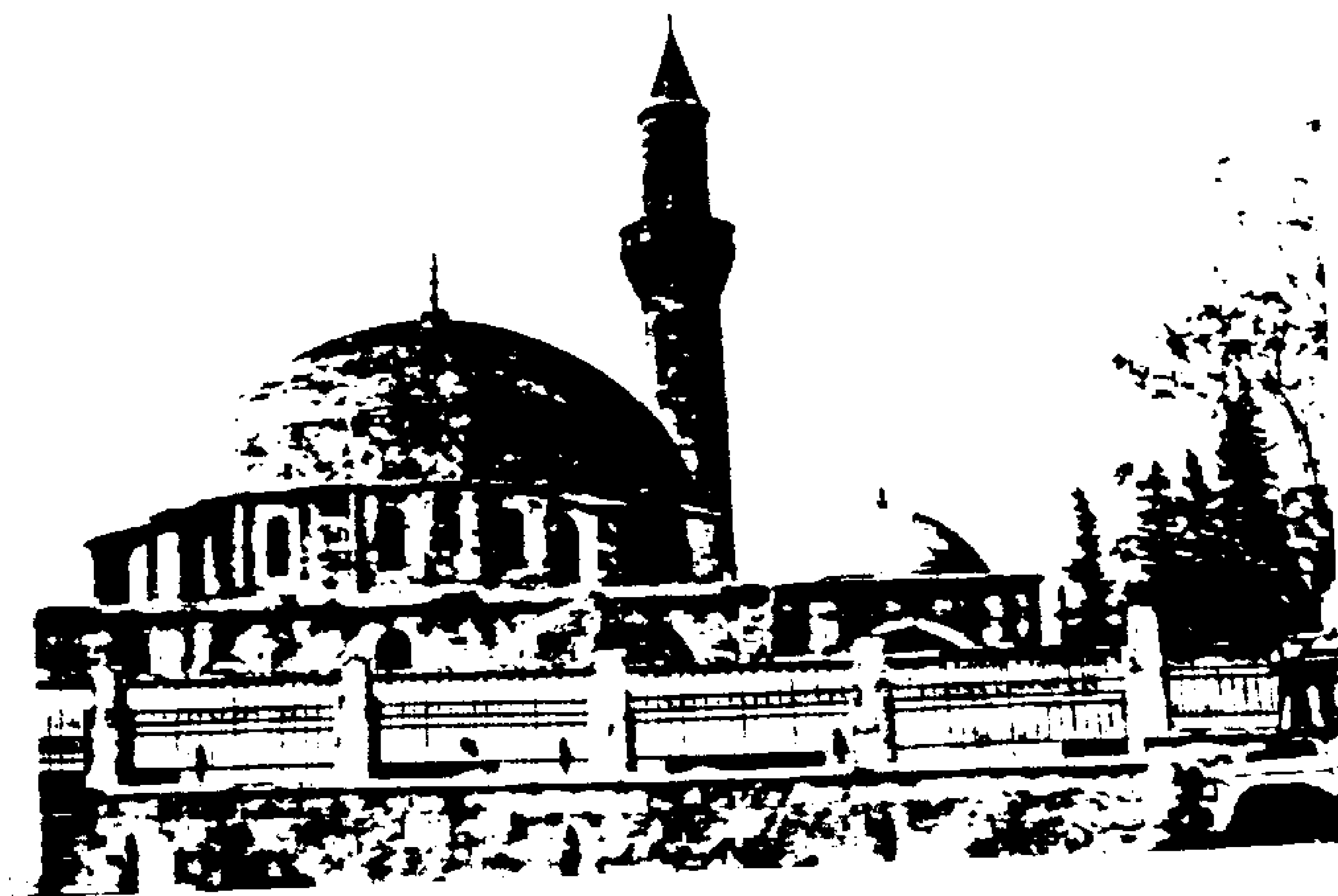


جامع الخسروية ــ حلب (القرن ١٦ م)

لوحـــه ٥٣

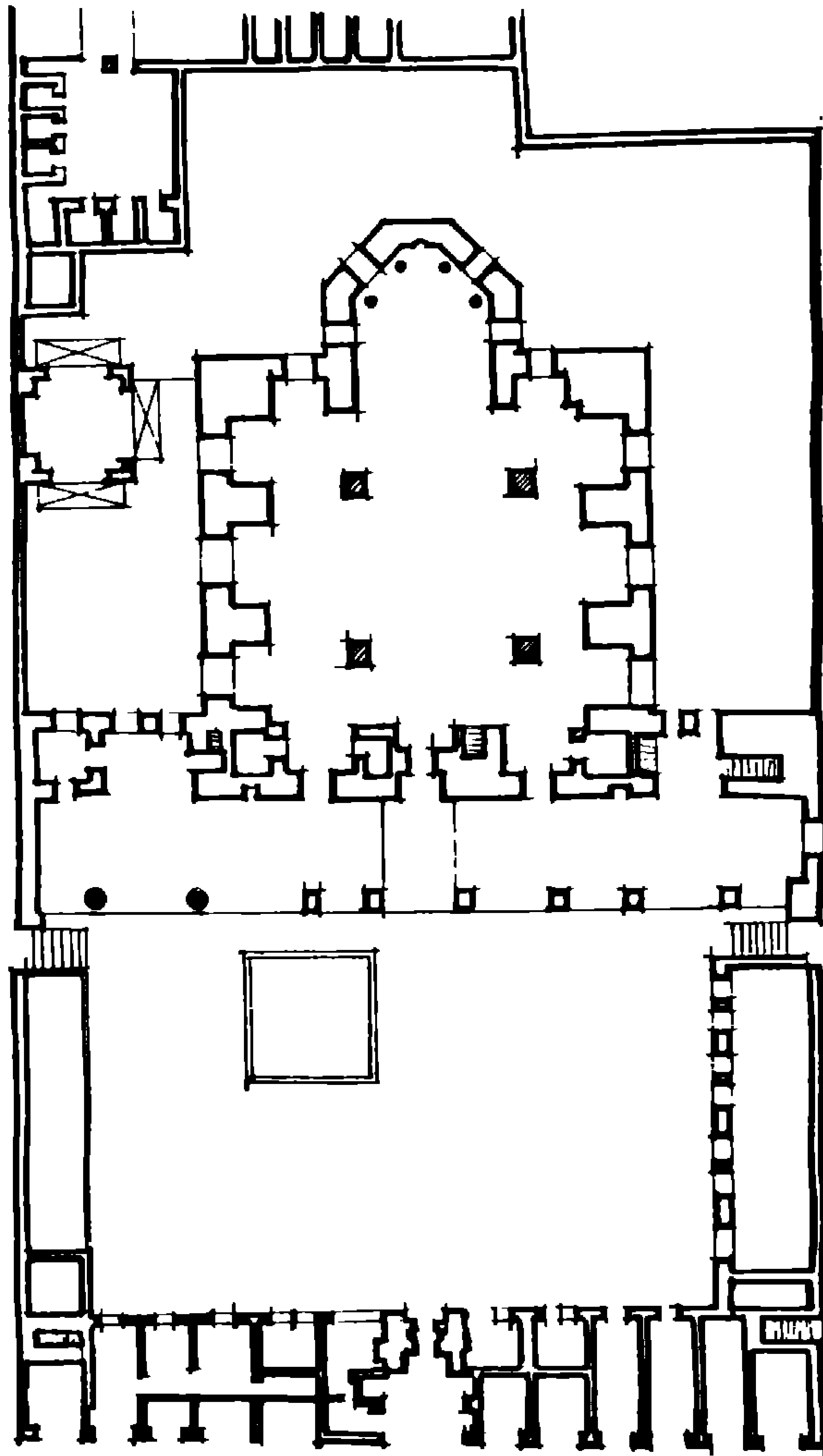


جامع الخسروية ـ حلب (القرن ١٦ م)
الصحـــن



جامع الخسروية ـ حلب ـ الواجهة

لوحــه ٥٤



جامع البهراميــة ـ حلـــب
(القرن ١٦ م)

جـ ـ عمارة المسجد وتطورها فى العراق

سبق ان تعرفنا على المساجد الاولى بالعراق والتى بنيت فى عصر الخلفاء الراشدين منذ الفتح الاسلامى وحتى بداية العصر الاموى .

عمارة المسجد وتطورها فى العصر الاموى : (لوحه ٥٥ ـ ٥٦)

تعرضت معظم مساجد هذه الفترة والتى تقع بين نهاية القرن السابع ومنتصف القرن الثامن الميلادى للعديد من التغييرات واعادة البناء . ومن اهم امثلة هذه المساجد جامع البصرة وجامع مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وجامع مدينة اسكاف بنى جنيد على نهر النهروان .

نلخص بوجه عام ماتتميز به مساجد تلك الفترة كما يلى :ـ

١ ـ الشكل العام المربع ولايخرج تخطيطها عن تخطيط مساجد الفترة السابقة .

٢ ـ كثيرا مانجد بابا يجاور القبله ويؤدى الى دار الاماره كما فى جامع البصره وكما رأيناه منذ عصر الخلفاء الراشدين عندما بنى عمرو بن العاصى مسجده بالقاهره

٣ ـ عمل فى بعض هذه المساجد مقصورة بجوار المحراب يصلى داخلها الامير او الوالى بعيدا عن المصلين خوفا من الاغتيالات التى تعرض لها بعض الخلفاء الراشدين كما فى جامع البصره .

٤ ـ لايخرج تخطيط هذه المساجد عن الخطوط الرئيسيه للتخطيط السابق وهو التخطيط التقليدى اى الصحن المحاط بالاروقه واكبرها رواق الصلاة .

٥ ـ لهذه المساجد عدة ابواب تؤدى الى الصحن مباشرة ، وقد استمر تعدد الابواب فى مساجد العصر العباسى الاول كما انتقل الى مصر فى عصر الدولة الطولونية عن طريق العراق .

٦ ـ نجد فى جامع مدينة واسط اتساع المسافة التى بين الاعمدة الوسطى فى رواق الصلاة والتى تقع امام المحراب . هذا الوضع يؤكد على اهمية المحراب وموقعه ويذكرنا بالمجاز القاطع بالمسجد الجامع الاموى الكبير بدمشق بالرغم من انه ليس كذلك .
وقد استمر هذا الاسلوب اى اتساع باكية الاعمدة الوسطى برواق الصلاة فى مساجد

القرن التاسع بالعراق دون وجود للبلاطه القاطعـه ٠

٧ ـ بنيت هذه المساجد بالطوب اللبن ثم اعيد بناؤها بعد توسعتها فى عهود مختلفة بالطوب المحروق ٠

٨ ـ قويت الجدران الخارجية اى اسوار هذه المساجد باكتاف جدارية وبانصاف اعمدة ملتصقة وتبرز من خارجها ، وهذا الاسلوب اتبع دائما فى العمارة الميزوبوتاميه (عمارة العراق) عمارة الطين ومشتقاته ٠

٩ ـ شمل رواق الصلاة فى تلك المساجد عدة بلاطات موازيه لجدار القبله ٠

١٠ ـ محاريب مساجد تلك الفترة وكذلك فى الفترة التالية اى فى العصر العباسى الاول كانت مستقيمة اى ذات تجويف مستطيل الشكل وليست بشكل نصف دائرى ٠

١١ ـ مآذن هذه المساجد اسطوانية الشكل واصبح هذا الشكل منتشرا فى العراق واصبح فيما بعد نموذجا لمآذن ايران والهند ٠ وهذا الشكل رأيناه فى مئذنة جامعى الكوفة والبصره وتعتبر مئذنتـه اول مئذنة اقيمت بالعراق و هذا الشكل مخالف لمآذن الامويين فى سوريه وهى التى بشكل برجى مربع القطاع ٠

عمارة المسجد وتطورها فى العصر العباسى الاول : (لوحه ٥٧ ـ ٦٠)

نجد فى النصف الثانى من القرن الثامن اول مساجد العصر العباسى وهو مسجد بغداد الذى بناه الخليفه المنصور عام ٧٦٦م عند انشائه مدينة بغداد الدائرية وكان هذا المسجد ملاصقا لقصره بوسط المدينة ٠ كان المسجد الاول مبنيا من اللبن واعمدته من الخشب وبه مقصوره وكان شكله فى بادىء الامر مربعا اسوة بالمساجد السابقة ٠ كما تقع مئذنته بين جدار المسجد وجدار القصر ٠ وقد اعيد بناء هذا المسجد الجامع لمدينة بغداد فى عهد الرشيد بعد توسعته فاصبح له صحنان ويعتبر هذا الوضع غير منتشر كثيرا ٠

كما انشأ المنصور مدينة الرافقه مجاوره للرقه بين العراق وسوريه على نهر الفرات وانشأ بها مسجدها الجامع وقد تكلمنا عنه عند الكلام على مساجد سوريه ٠

وفى قصر الاخيضر بالعراق (القرن الثامن او التاسع الميلادى) نجد مسجدا

صغيرا داخل القصر مكونا من صحن يحيطه من ثلاث جهات اروقه من بلاطه واحـــده اكبرها بلاطه رواق الصلاه المغطى بعدة اقبية مستمرة متعامدة على جدار القبلـــه وقد انتشرت هذه البلاطات المتعامدة بعد ذلك فنجدها فى مساجد القرن التاســع الميلادى بالعراق كما نجدها فى بعض مساجد العالم الاسلامى • ومن اهم مساجـــد القرن التاسع الميلادى جامعى سامرا وابـو دلف من عمـــــل الخليفة المتوكــــل بين عامى ٨٥٠، ٨٦٠م •

ونلاحظ فيما يلى التطور الذى وجد بمساجد هذه الفترة :ــ

١ ــ اتسعت مساحة المسجد واخذت الشكل المستطيل بعد ان كانت مربعة وكانت هذه الاستطالة فى الاتجاه العمودى على جدار القبله •

٢ ــ احيط المسجد من ثلاث جهات : الشمالية والشرقية والغربية بفنا' مكشوف له ســـور خارجى ويسمى هذا الفنا' بالزيادة ، ربما كان وظيفته ابعاد الضوضا' عن المسجد نفسه • وقد انتقل هذا العنصر الى جامع احمد بن طولون بالقاهره عن طريـــــق العراق ولكنه لم ينتشر بعد ذلك فى اى من مساجد العالم الاسلامى •

٣ ــ احتفظت هذه المساجد بابوابها العديدة التى تؤدى الى الصحن كما فى الفترة السابقة •

٤ ــ عقود رواق الصلاة فى مسجد ابو دلف تسير متعامدة على جدار القبلة وتنتهى عند بلاطتين موازيتين لجدار القبله عند المحراب • هذا الوضع اقتبس من المسجـــد الاقصى بفلسطين عند توسعته فى عهد الخليفة المهدى عام ٧٨٠م • كما ان هذا الاسلوب انتشر بكثرة فى مساجد شمال افريقيا والاندلس ، كما فى جامع قرطبه ••

٥ ــ البلاطه الوسطى فى رواق الصلاه اعرض من البلاطات الاخرى كما كان فى مساجـــــد الفترة السابقة دون وجود للمجاز القاطع •

٦ ــ نرى فى مسجد سامرا دعائم ضخمة من الطوب تحمل السقف مباشرة دون وجــــــود للعقود التى تحدد البلاطات ، ولم ينتشر هذا الانشا' بعد ذلك فى عـــــارة المسجد •

٧ ــ استبدال الاعمدة فى هذه المساجد باكتاف ضخمة حليت اركانها باعمدة ذات

تيجان رمانيـــة او كأسيه ، الشئ الذى نراه فى جامع احمد بن طولون بالقاهرة .

٨ ـ الاحتفاظ بانصاف الاعمده المتصله بالجدار الخارجى كما فى مساجد الفترة السابقة .

٩ ـ الاحتفاظ بالمحاريب المستطيلة التى ظهرت فى الفترة السابقة وقد حليت بعــــض هذه المحاريب بوضع اعمده على جانبيها .

١٠ـ تقع مآذن هذين المسجدين (ابو دلف وسامرا) فى الزياره الشمالية على محــــور المحراب وهى التى تسمى بالملويه وهى تشبه لحد ما الذيكورات التى انتشرت فـــى العماره الميزوبوتاميه أو تشبه ابراج النار فى العماره الفارسيه ولكنها اسطوانيــــة الشكل يحيطها منحدر لولبى من الخارج يصعد الى اعلى حيث يصغر قطر الاسطوانة كلما صعدنا ثم نجد طابقا اسطوانيا صغيرا بداخله سلم يصعد الى قمتها المغطـاه بشبه قبه ترتكز على بعض الاعمدة الخشبية .

ومن المرجح ان تكون هذه المآذن (الملويه) اقتبسها احمد بن طولون عند مـــا بنى مئذنه جامعة بالقاهرة .

عمارة المسجد وتطورها فى عصر السلاجقــة : (لوحه ٦١ ـ ٦٧)

منذ بداية القرن الحادى عشر اصبحت دولة السلاجقه تحكم العراق وسورية وفــارس والاناضول، وقد انشأوا المدرسة الدينية التى تقوم بوظيفة تدريس المذاهب السنيه وعلــوم الحديث علاوة على اقامة الصلاه . كما وجدت بعض المساجد الصغيرة تهدم معظمهــــا ولم يبق منها الا بعض المآذن . ومن أمثلتها جامع الصاغه والخلفا والنــورى وله مئذنـــــه مائله لازالت قائمة الى الان وتحمل الطراز السلجوقى الذى يتميز بزخارفه الطوبيه ، وهى ذات شكل اسطوانى كما فى الفتره السابقه يضيق من أعلى ولها قاعدة مربعة وتنتهـــــى ببلكون يعلوه شبه قبه . أما جامع الخضر الذى بنى عام ١١٨٣ بالموصل فى عهد عائلـــة زنكى فقد اعيد بناؤه فى العصر التركى ولذلك يختلف تخطيطه تماما عن تخطيط مساجــد ومدارس ذلك العصر حيث يتكون من صالة مربعة مغطاه بقبه كبيرة يتوسطها المحـــراب المكون من ثلاثة تجاويف .

أما مدارس تلك الفترة بالعراق فربما كان اقدمها مدرسة الاربعين بتكريت بنيـــت فى القرن الحادى عشر وهى شبيهه لجميع مدارس سوريه من العصر السلجوقى حيـــث

تتكون من صحن تحيطه بعض الغرف وبيت الصلاه فيها يشغل الضلع الجنوبي باكمله ويتوسط ضلعه الجنوبي المحراب ومقسم الى ثلاثة اقسام ويطل على الصحن بعدة فتحات معقود . وفى كل جانب من بيت الصلاه نجد غرفه مربعة مغطاه بقبه كأضرحه للمنشئ واسرتـــه . وفى منتصف جانبى الصحن ايوانان فى الضلع الشرقى والغربى مفتوحان بكامل عرضهمـــا ويجاور الايوان الشرقى مدخل يبرز من الخارج مكونا مدخلا تذكاريا .

ومن الطبيعى فان هذه الغرف مخصصه للدراسة ولمبيت الطلاب الغرباء وللمكتبات والمرافق اللازمه وربما خصصت هذه المدرسه لتدريس مذهبين (لوجود ايوانين) .

وعنصر الايوان ليس غريبا على بلاد العراق فقد وجدناه قبل الاسلام فى العمـــارة الفارسية الساسانيه كايوان كسرى .

ومن المدارس العراقيه الكبيرة نجد المدرسة المستنصريه ببغداد بناها الخليفـــة المستنصر بالله ابو جعفر المنصور (١٢٢٧ـ١٢٣٣م) على شاطئ دجلة . وهى أول مدرسة بالعراق خصصت لتدريس المذاهب الاربعة وتتكون من صحن واسع مستطيل الشكـــل يحيطه من الاربع جهات رواق من الاعمدة يؤدى الى الغرف والقاعات المختلفة ـ فـــى منتصف الضلع الجنوبى نجد بيت الصلاه مستطيل الشكل به ثلاثة ابواب معقوده تؤدى الى الصحن اكبرها الباب الاوسط . ويقابل صالة الصلاه ايوان فى منتصف الضلع الشمالـى ، وعلى محور المحراب نجد المدخل الرئيسى للمدرسة حيث برز جزء منه مكونا مدخلا تذكاريـا كما يتوسط الضلعين الصغيرين (الشرقى والغربى) ايوانان آخران ، كما نلاحظ ان المبنى يتكون من طابقين ارضى واول فيما عدا الايوانات وصالة الصلاه حيث ترتفع بارتفاع الطابقين وربما كانت غرف الطابق الاول مخصصة لمبيت الطلاب ومرافقهم .

ونلاحظ وجود ايوان آخر خارج المبنى ويقع خلف الايوان الغربى ومفتوح باكملـــه على الخارج ويعرف هذا الايوان بدار القرآن وعلى جانبيه غرفتان . وقد وجدنا مثـــل هذا الايوان فى مدرسة الفردوس بحلب وربما كان يستعمل لتحفيظ الاطفال القرآن الكريم .

تذكر معظم الكتب والمراجع ان هذه المدرسة تشمل اربعة اواوين وخصصت لتدريس المذاهب الاربعة . وربما اعتقدوا ان صالة الصلاه تعد ايوانا رابعا وفى الحقيقـــه

ان تصميم الايوان يختلف عن الصالة المستطيلة • فالايوان يفتح بكامل عرضه على الصحن وغالبا ما كان مسقوفا بقبو مستمر • وعلى ذلك لا يمكن اعتبار تصميم هذه المدرسة مطابقا للتخطيط المتعامد أو الصليبي كما يقول بعض المؤرخين حيث يذكرون ان هذا التصميم في المدارس الاسلاميه جاء من سوريه والعراق ولكن من المحقق ان أصل هذا التصميم المتعامد ظهر في مصر وتطور في مصر عن البيوت الطولونية بالفسطاط والتى كشف عنها اخيرا • وان التصميم المتعامد الحقيقي وجدناه في مصر لا في سوريه ولا في العراق فجامع السلطان حسن الذى يشتمل على اربعة ايوانات متقابله ومتعامده على الصحن الاوسط هو أجمل مثال لهذا التخطيط ولا يمكن ان ننسبه الى المدرسه المستنصريه حيث ان بها ثلاثة ايوانات فقط وليست اربعة كما يدعون • هذا ولا ننكر ان الايوان هو من اصل عراقي فارسي جاء الى مصر عن طريق احمد بن طولون واستعملها في تصميم البيوت السكنيه فقط ولم تظهر في المساجد أو المدارس الا في العصر الايوبي والمملوكي •

في ذلك العصر بنيت بعض المدارس الاخرى في جهات مختلفة ولا يخرج تخطيطها عن تخطيط مدرسة الاربعين او المدرسة المستنصرية ومن أمثلتها المدرسة الشرابية والمدرسة النظاميه ببغداد بناها الوزير نظام الملك وقد اندثرت الان •

عمارة المسجد وتطورها في العصر المغولي (لوحه ٦٨ ـ ٦٩)

اندثرت معظم المساجد التى بنيت في ذلك العصر ولم يبق منها الا بعض مآذنها كجامع الاصفيه وجامع محمد الفضل وجامع العاقولي • ومن امثلة المدارس نجد المدرسة المرجانية وقد بنيت في موقع المدرسة النظامية وهي مربعة الشكل تقريبا • لها صحن تحيطه من الاربع جهات بعض القاعات والغرف ويشغل الضلع الجنوبي بيت الصلاه يتوسط جداره الجنوبي المحراب امامه قبه كبيره وعلى محوره في الجهة الشمالية نجد الايوان المفتوح المطل على منتصف الصحن ويتصل بيت الصلاه بالصحن بواسطة ثلاثة عقود اكبرها الاوسط ـ كما يقع المدخل التذكارى للمدرسه في منتصف الضلع الغربي وعلى يساره المئذنه وهو مزخرف بالعديد من الزخارف الطوبية ذلك الوضع الذى يماثل مدخل المدرسة المستنصرية • وتتكون المدرسة من طابقين فيما عدا بيت الصلاه والايوان وبالمدرسة بعض

الغرف كضريح للمنشئ • ولا يخرج هذا التصميم عن مدارس السلاجقة حيث كان عصر المغول عصر اضمحلال وفوضى لا نلاحظ بمدارسه اى تطور •

ونستطيع ان نلخص تطور تصميم المدرسة فى العصر السلجوقى كما يلى :-

١ - يتميز عصر السلاجقة انه بداية لتخطيط المدرسة ذات الايوانات التى تؤدى وظيفة الصلاة والتدريس بكل مرفقاته واحتياجاته وكان يدرس فى بعض هذه المدارس مذهب سنى واحد او اكثر وكذلك علم الحديث وقد انتشرت هذه المدارس وبنفس التخطيط الذى وجدناه فى سوريه •

٢ - احتلت صالة الصلاة او بيت الصلاه جزءا كبيرا من الضلع الجنوبى للمدرسة وربما احتلته باكمله واحيانا نجد على جانبيها غرفه اواثنتين لضريح المنشئ ويتوسط الضلع الجنوبى من هذه الصالة المحراب المجوف وكثيرا ما نجد امامه قبة كبيرة تحتل عرض هذه الصالة التى تفتح على الصحن بثلاث فتحات معقودة اكبرها العقد الاوسط •

٣ - فى محور المحراب وفى الضلع المقابل اى الشمالى نجد دائما ايوانا مفتوحا باكمله على الصحن واحيانا يكون المدخل التذكارى للمدرسة والمملوء بالزخارف الطوبية ويرتفع الى اعلى البناء •

٤ - جميع هذه المدارس تتكون من طابقين لتشمل مرافق المدرسة وسكنى الطلبة •

٥ - ترتفع صالة الصلاه وكذلك الايوانات لتأخذ ارتفاع الطابقين •

٦ - احيانا نجد اكثر من ايوان تحتل منتصف الاضلاع وتفتح فى الصحن ولكن لا نجد اكثر من ثلاثة ايوانات •

٧ - لا يمكن اعتبار هذا التصميم تصميما متعامدا كالذى وجدناه فى جامع ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة •

٨ - فى العصر المغولى قل انشاء تلك المدارس وصغرت مساحتها وقد اندثر معظمها بسبب التخريب الذى تعرضت له البلاد .

عمارة المسجد وتطورها فى العصر العثمانى (لوحه ٧٠)

فى ذلك العصر انفصل المسجد عن المدرسة كما جددت واعيد بناء بعض مساجد الفترة السابقة على النظام التركى كما فى جامع الخضر الذى سبق ذكره واصبحت مساحة المسجد صغيره وصار يتكون من غرفه واحدة غالبا ما كانت مربعة او مستطيلة مغطاه بقبة كبيرة ويتقدمها رواق مغطى بعدة قباب صغيرة وهذا هو التصميم الذى لم نجده فى العراق فحسب بل وجدناه فى معظم البلدان الاسلامية .

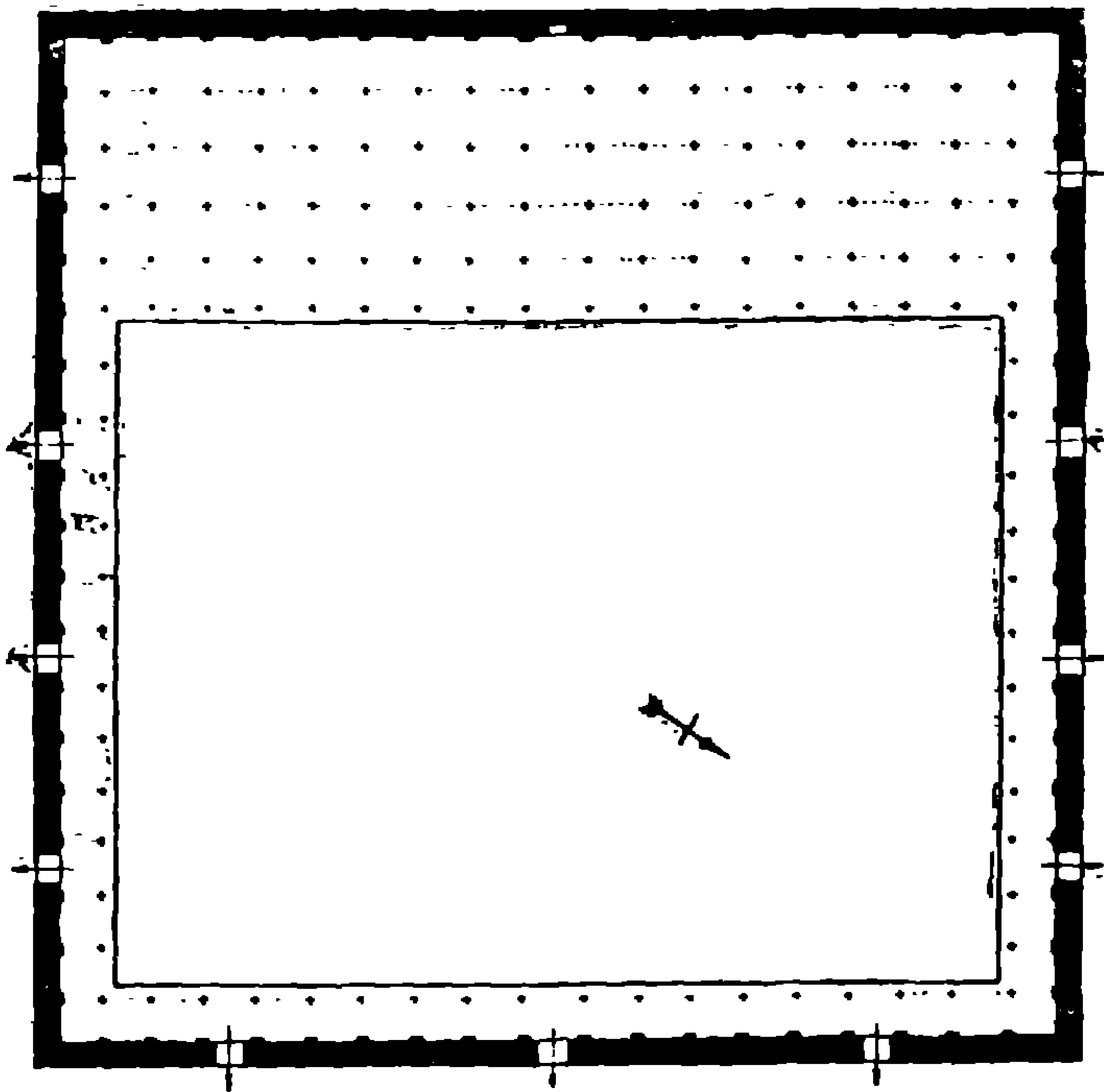
ومن أجمل امثلة مساجد ذلك العصر جامع الحيد رخانه انشأه داود باشا وله ثلاثة مداخل معقوده اكبرها الاوسط وتوءدى هذه المداخل الى رواق مستطيل يوءدى بالتالى الى قاعة الصلاه المستطيله : الجزء الاوسط منها مغطى بقبه كبيرة وعلى جانبيها بعض القباب الصغيرة وعلى يمينها المئذنه .

فى هذا المسجد نجد تطورا لم نره فى أى بلد اسلامى وذلك بالنسبه لموقعه فالمسجد احتل مساحة كبيرة ، ارضيتها مرتفعة قليلا عن سطح الارض ويحيطها سور ، بجداره الجنوبى محراب وليس لهذه الساحه سقف فقد كانت تستعمل كمصلى صيفى والمسجد المغطى بمثابة مصلى شتوى ، كما نجد بعض المبانى الاخرى داخل هذه الساحة منها مبنى للمدرسة الدينية والتى سميت بالمدرسة الداوديه ومنها سكن خاص للامام وآخر للخطيب الى غير ذلك .

ومن امثلة المساجد التركيه الاخرى نجد جامع النعمانيه وجامع حسن باشا والقبلانيه والخاصكى والمراديه والاحمدية وبعض هذه المساجد صغيرا والبعض الاخر متهدم .

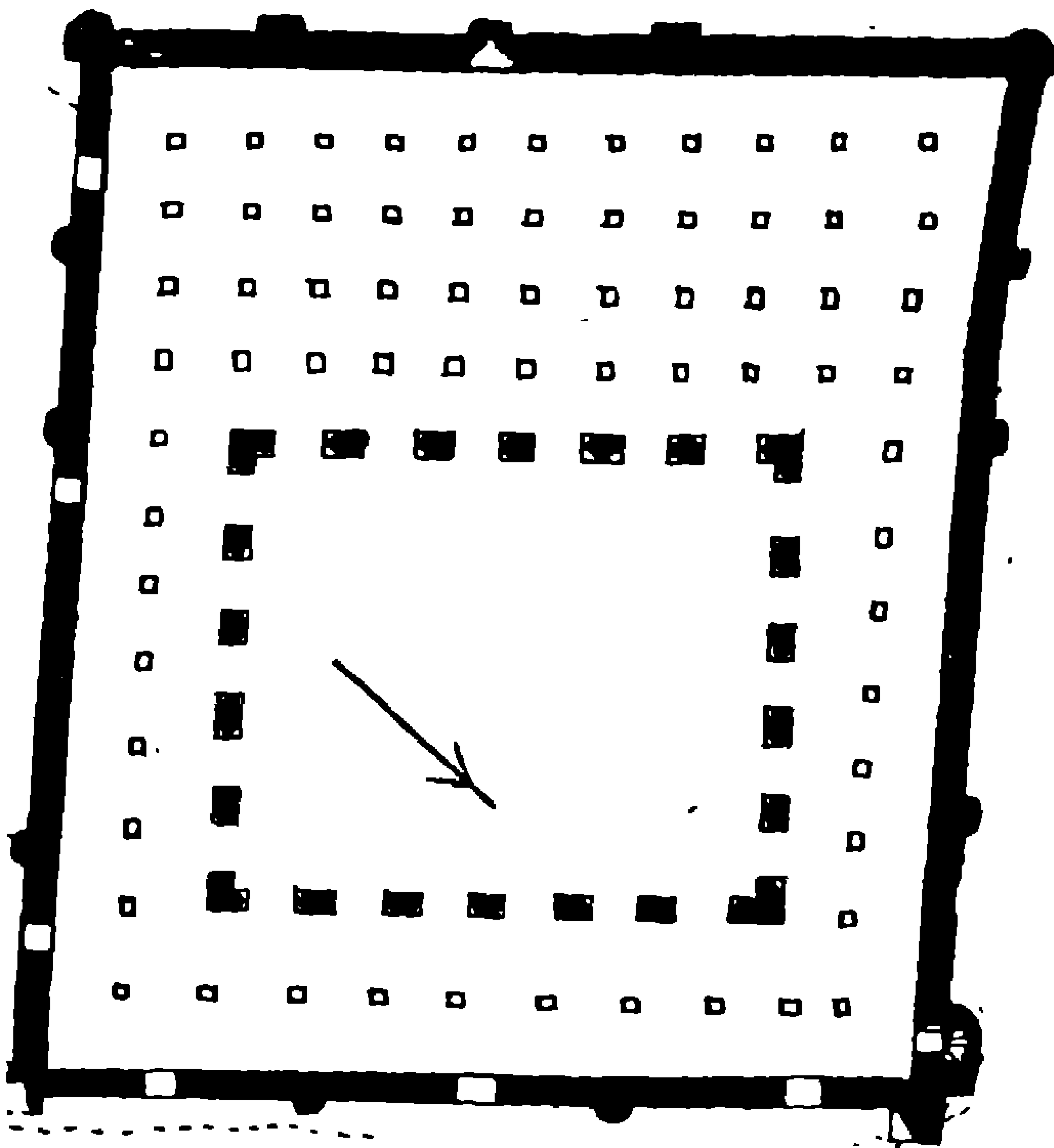
وعامة تتميز عمارة المسجد فى ذلك العصر بالتكسيه بالقيشانى الملون فى محاريبه وقبابه ومآذنه التى تتشابه فى معظم البلدان الاسلاميه فى العصر التركى .

لوحـه ٥٥



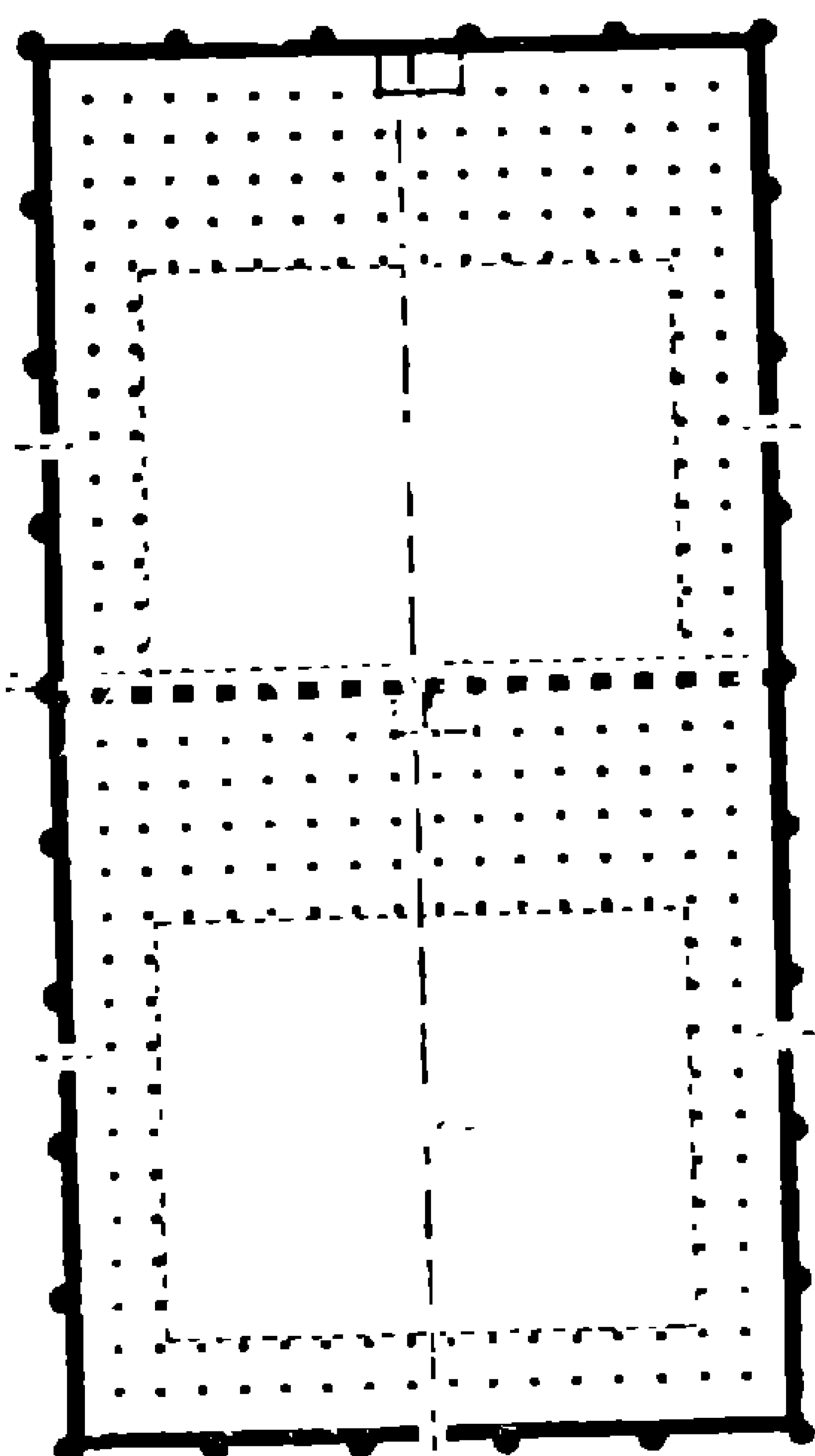
مسجد واسـط ـ العراق
(٧٠٦م)

لوحـه ٥٦

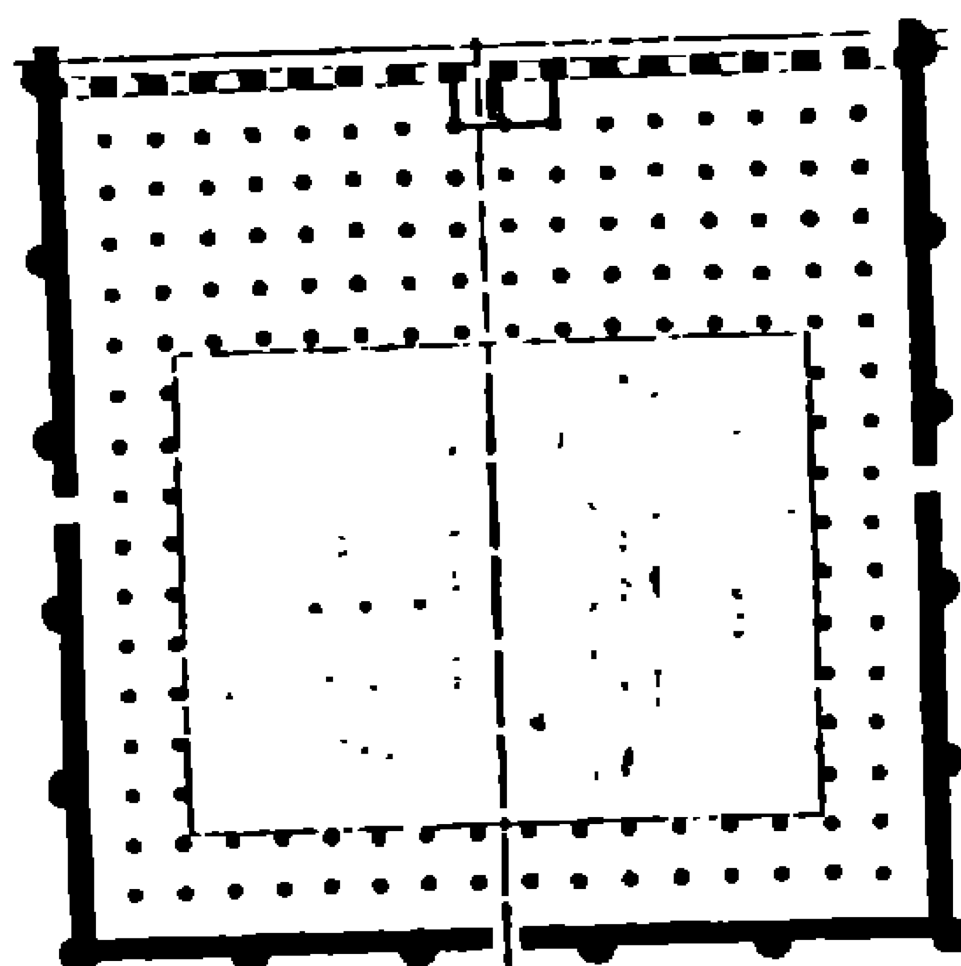


مسجد مدينة اسكاف بني جنيد
(القرن ٨ م)

لوحـه ٥٧

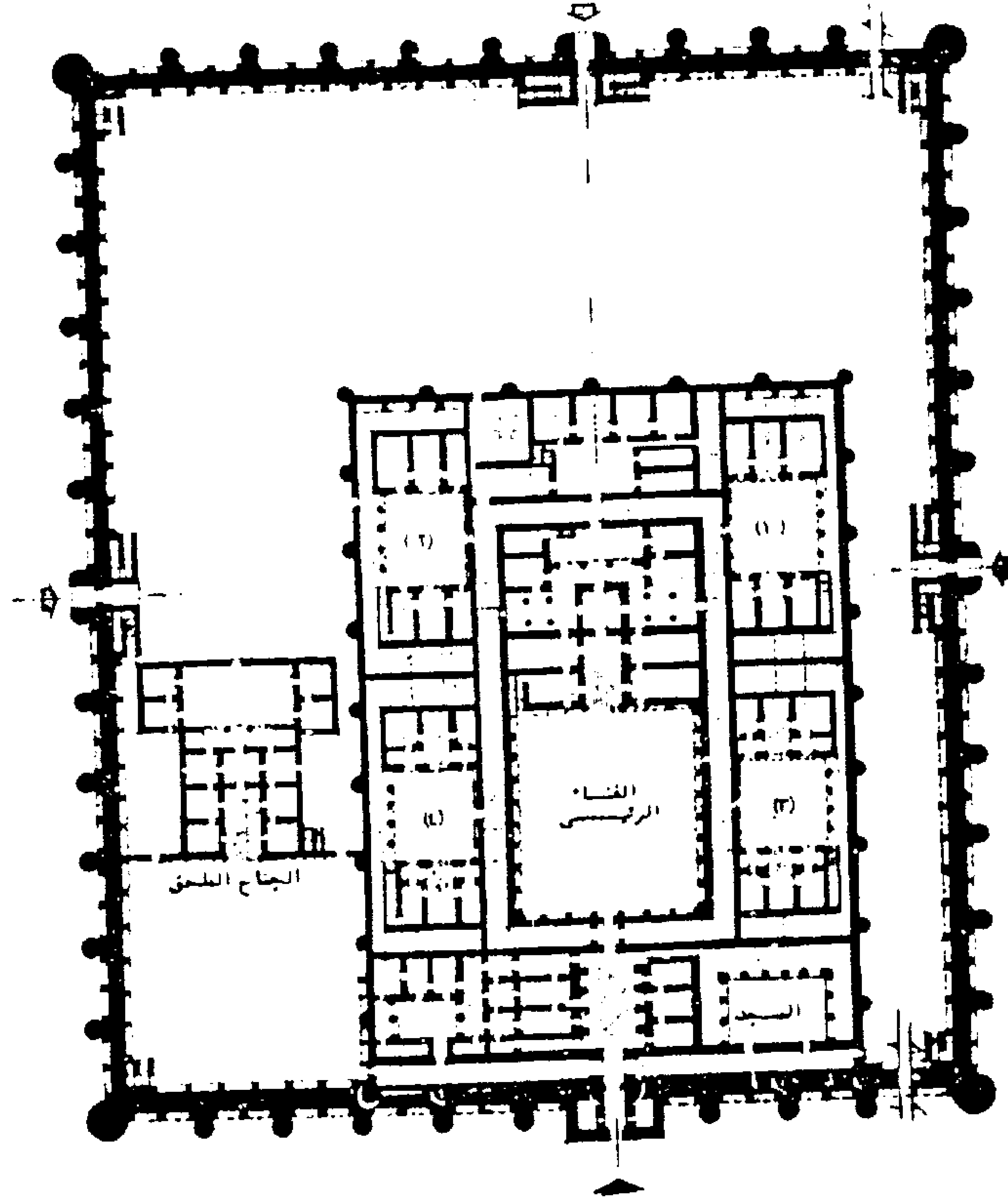


جامع بغداد فى عهد الرشيد



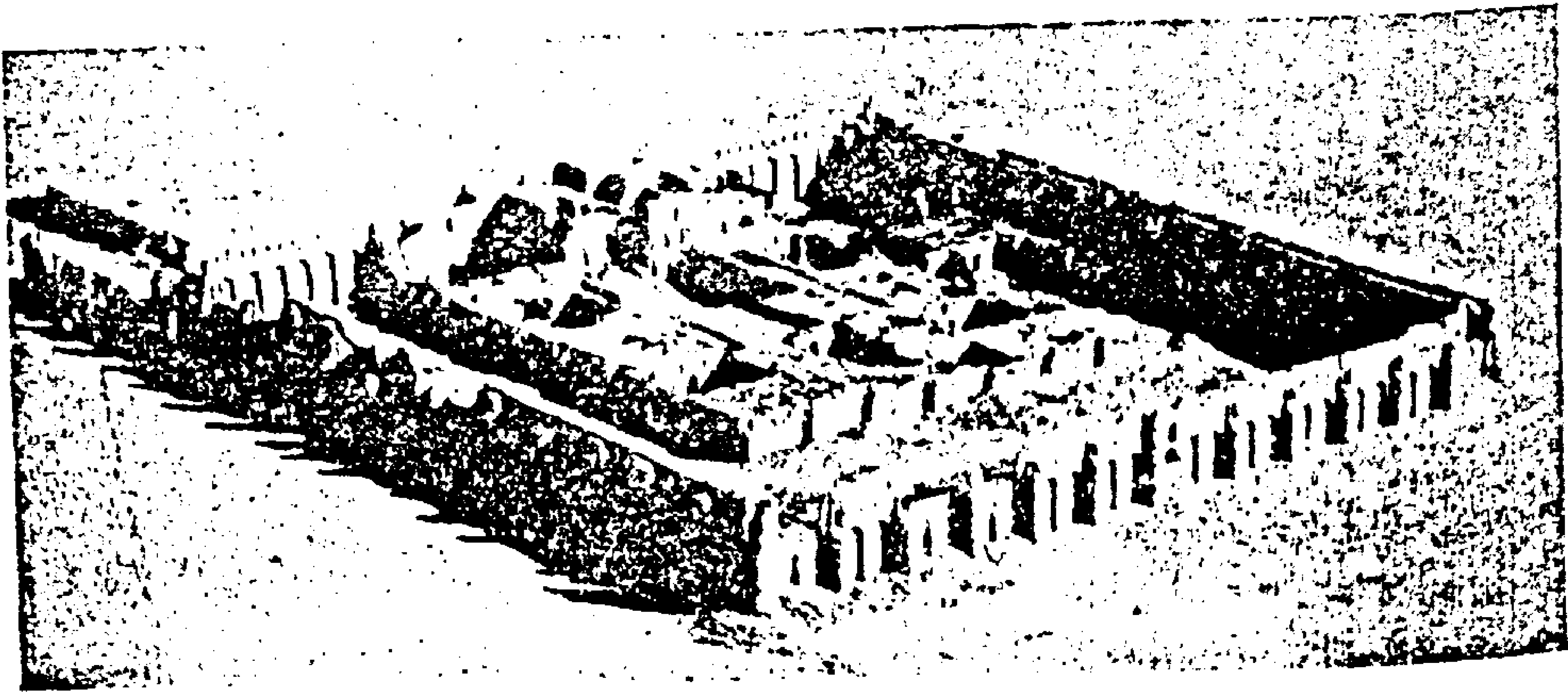
جامع بغداد (٧٦٦ م)

لوحه ٥٨

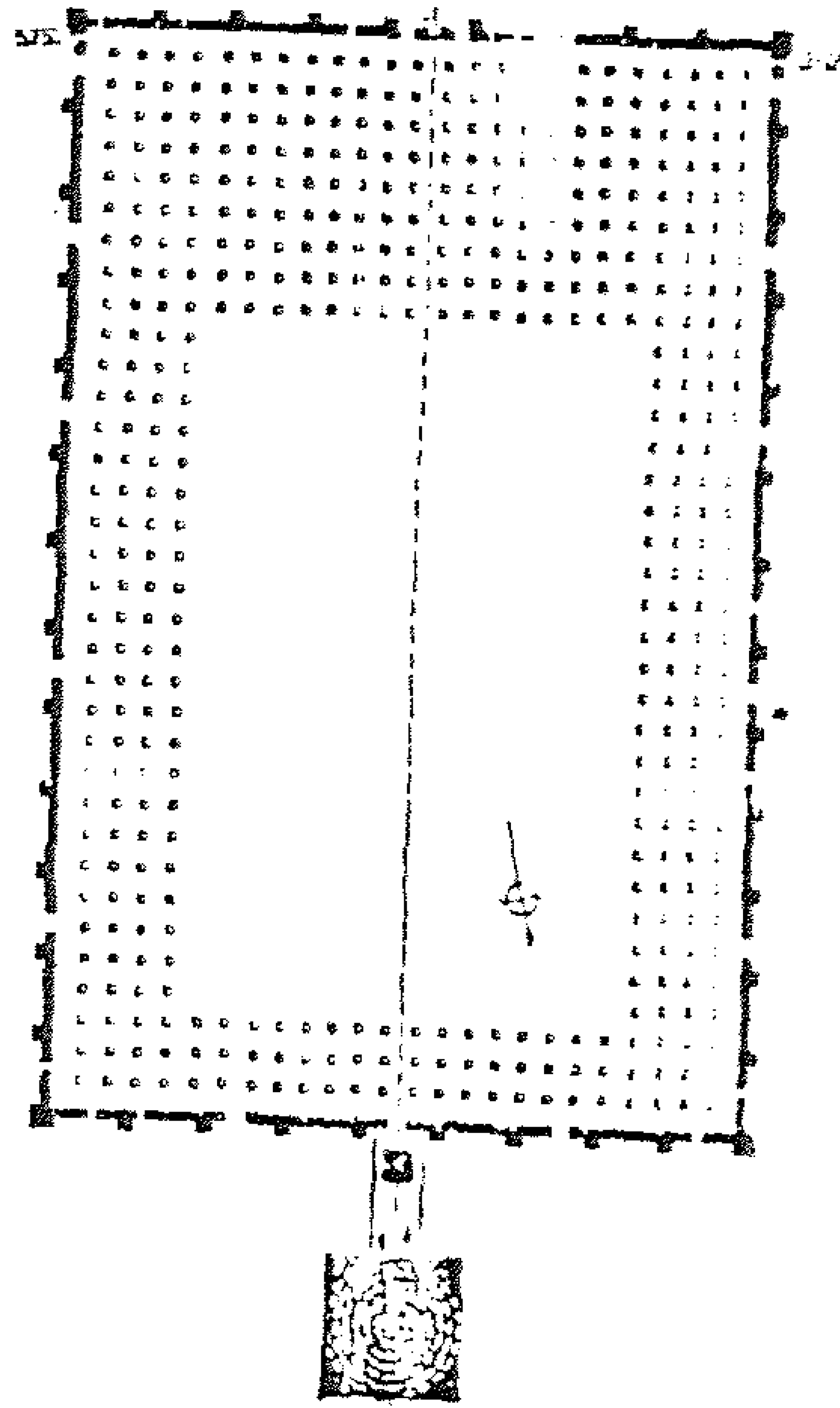


قصر الاخيضر ـ العراق

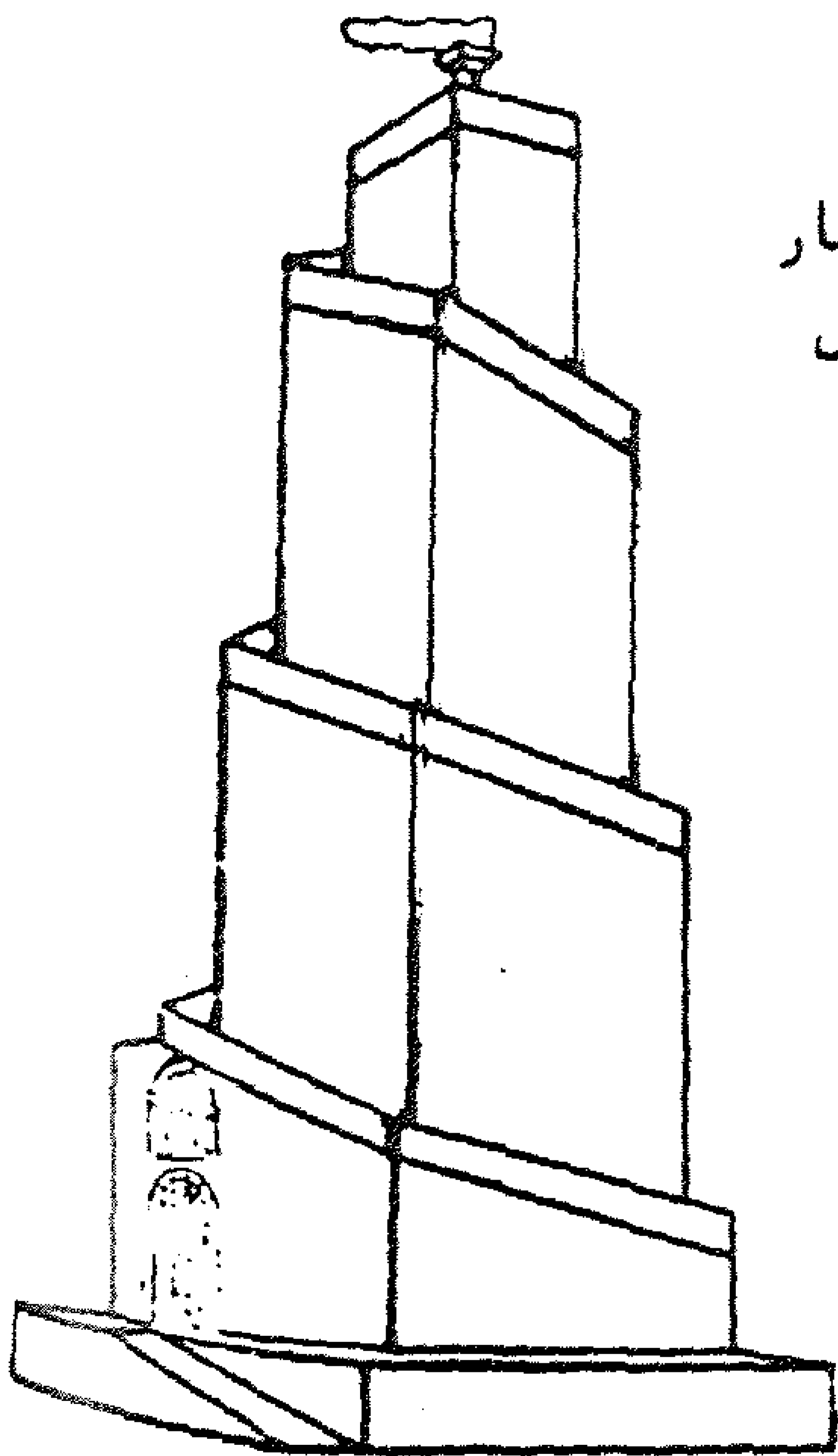
(القرن ٨ ـ ٩ م)



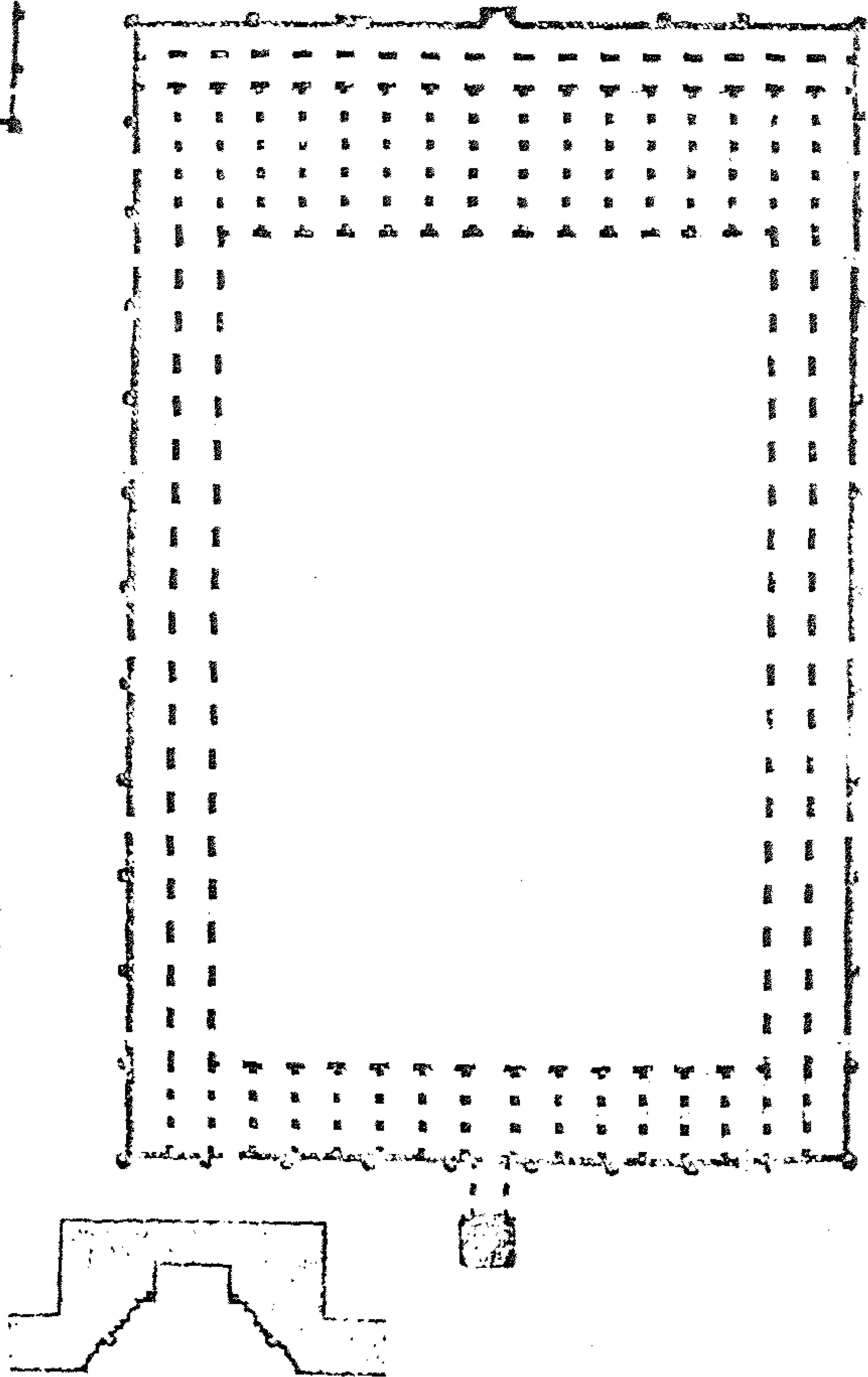
لوحـه ٥٩



مسجد سامرا ـ العراق
(القرن ٩ م)

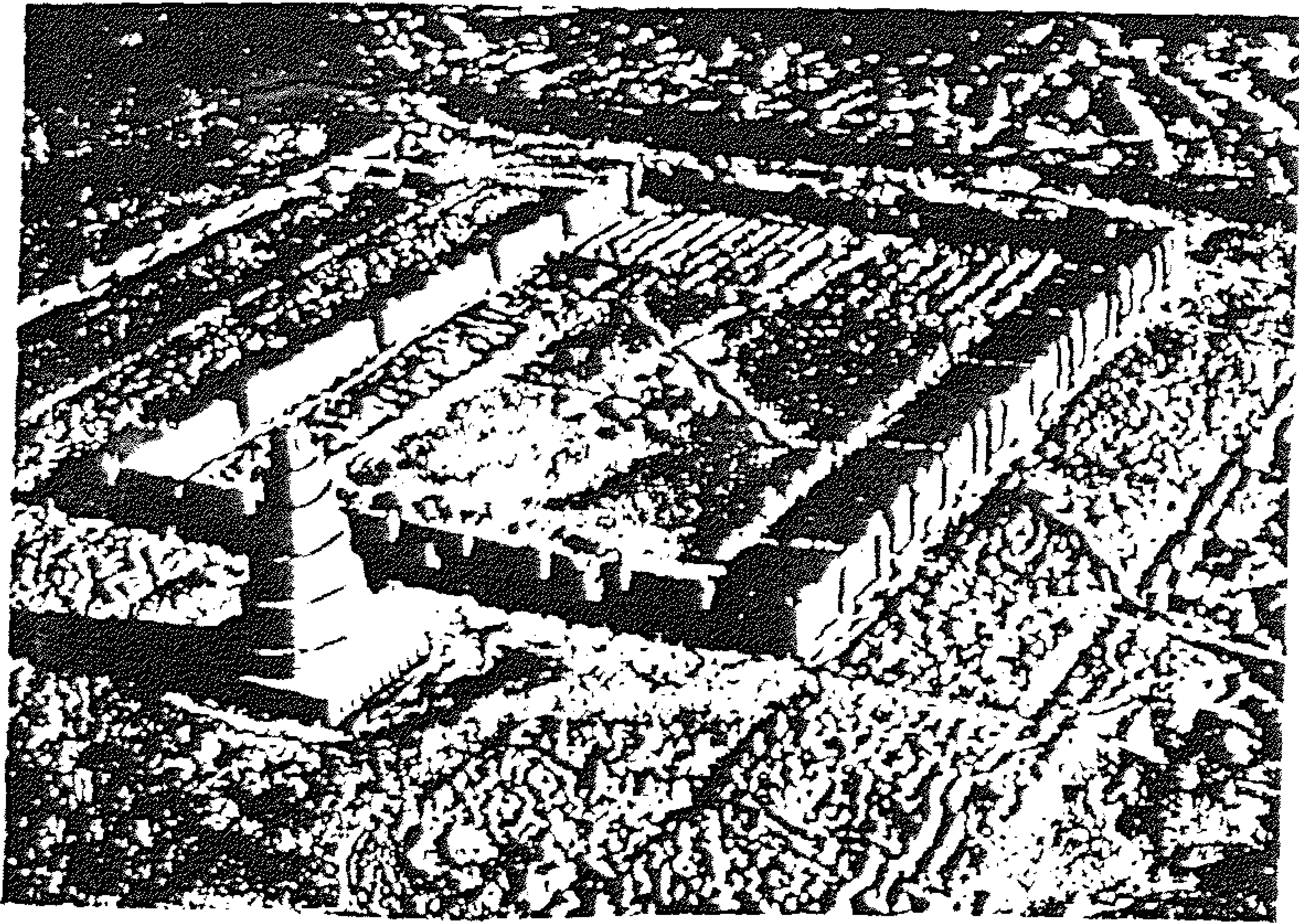


برج النار
بالفرس



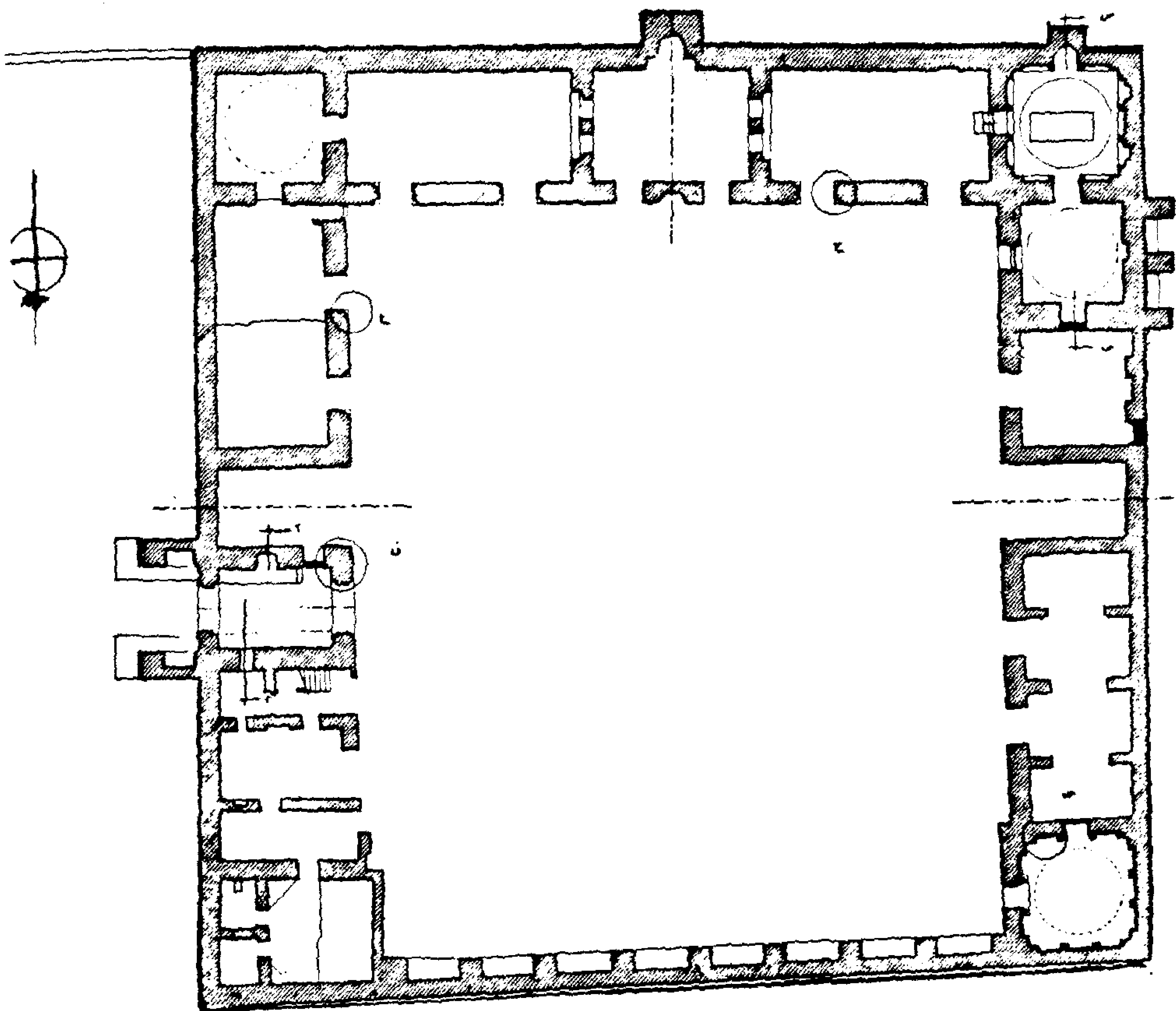
مسجد ابو دلف ـ العراق (القرن ٩ م)

لوحـــه ٦٠



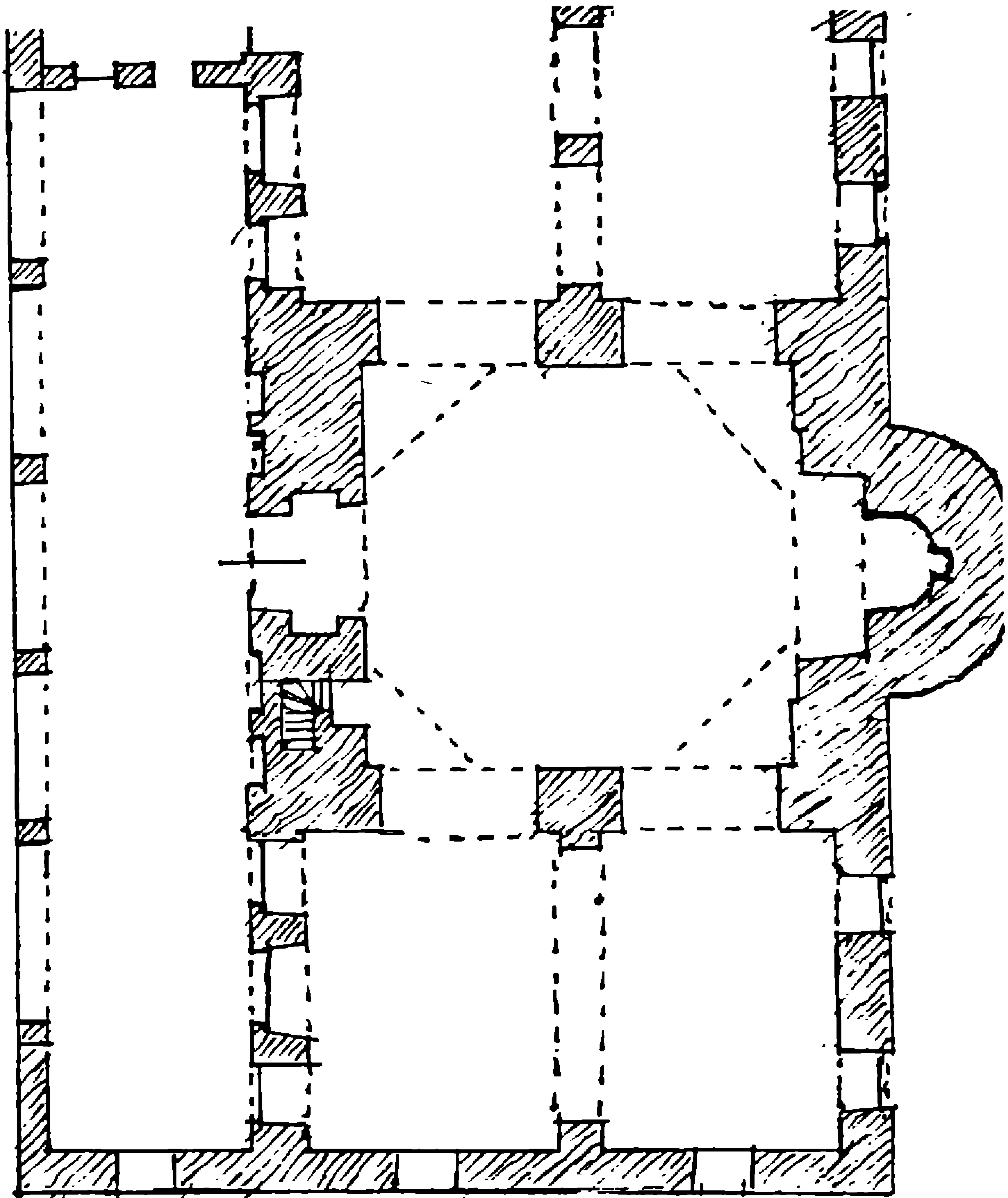
مســـجد سامرا بالعراق

لوحه ٦١



مدرسة الاربعين بتكريت ـ العراق
(القرن ١١ م)

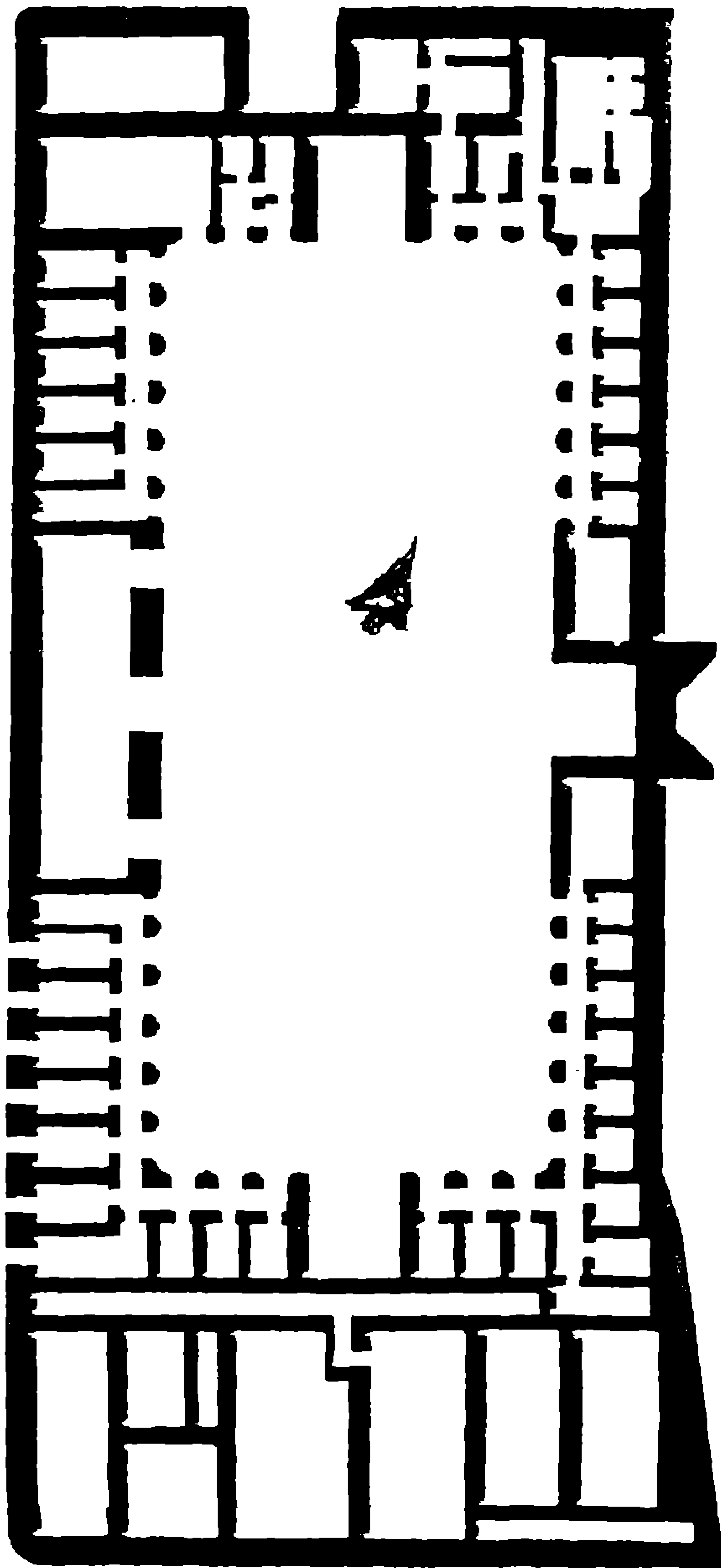
لوحـه ٦٢



جامع الاخضر ـ الموصل

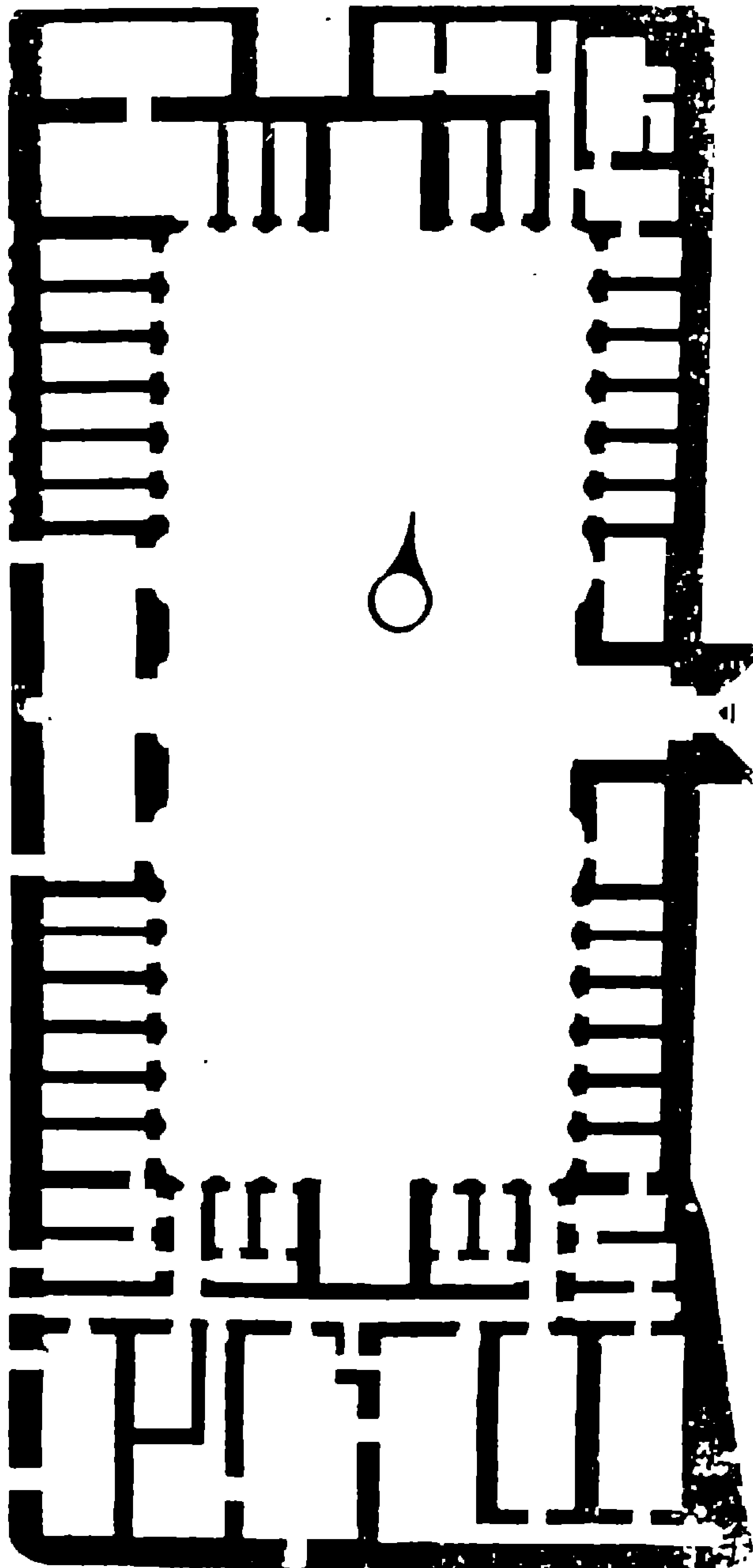
(١١٨٣ م)

لوحه ٦٣



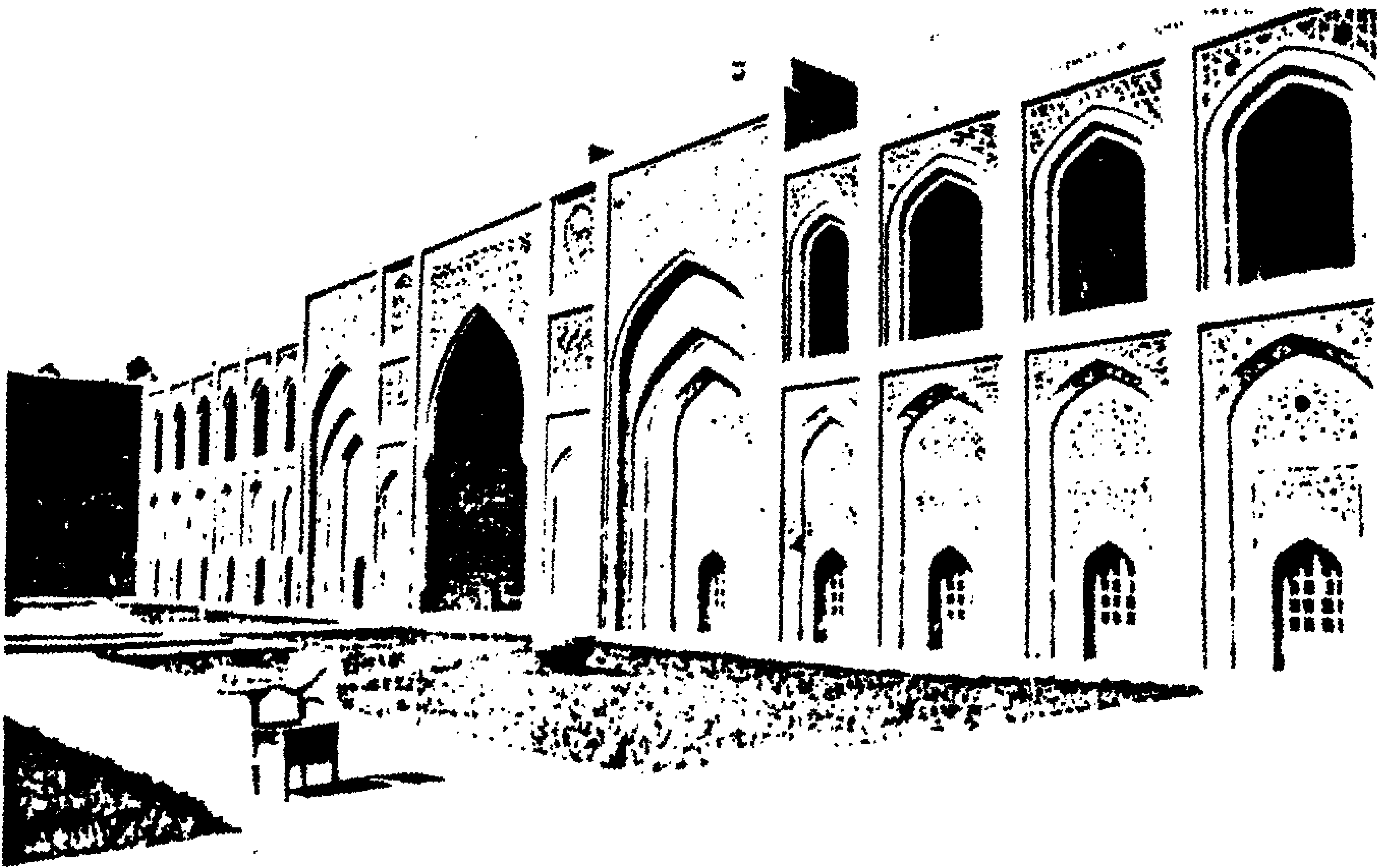
المدرسة المستنصرية ـ بغـداد ـ الطابق الاول
(١٢٢٧ م)

لوحـــه ٦٤



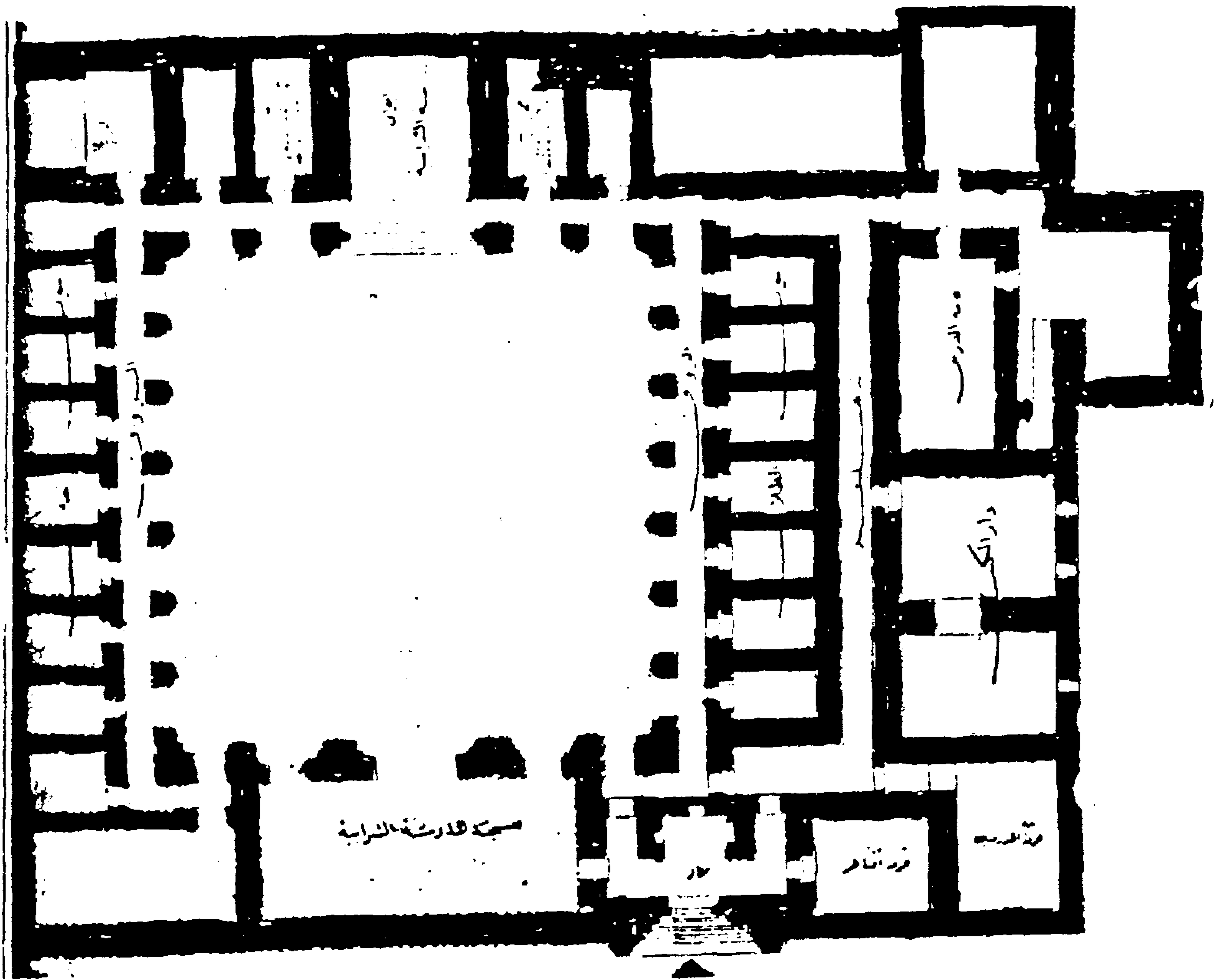
المدرسة المستنصرية ــ بغداد ــ الطابق الارضى

لوحة ٦٥



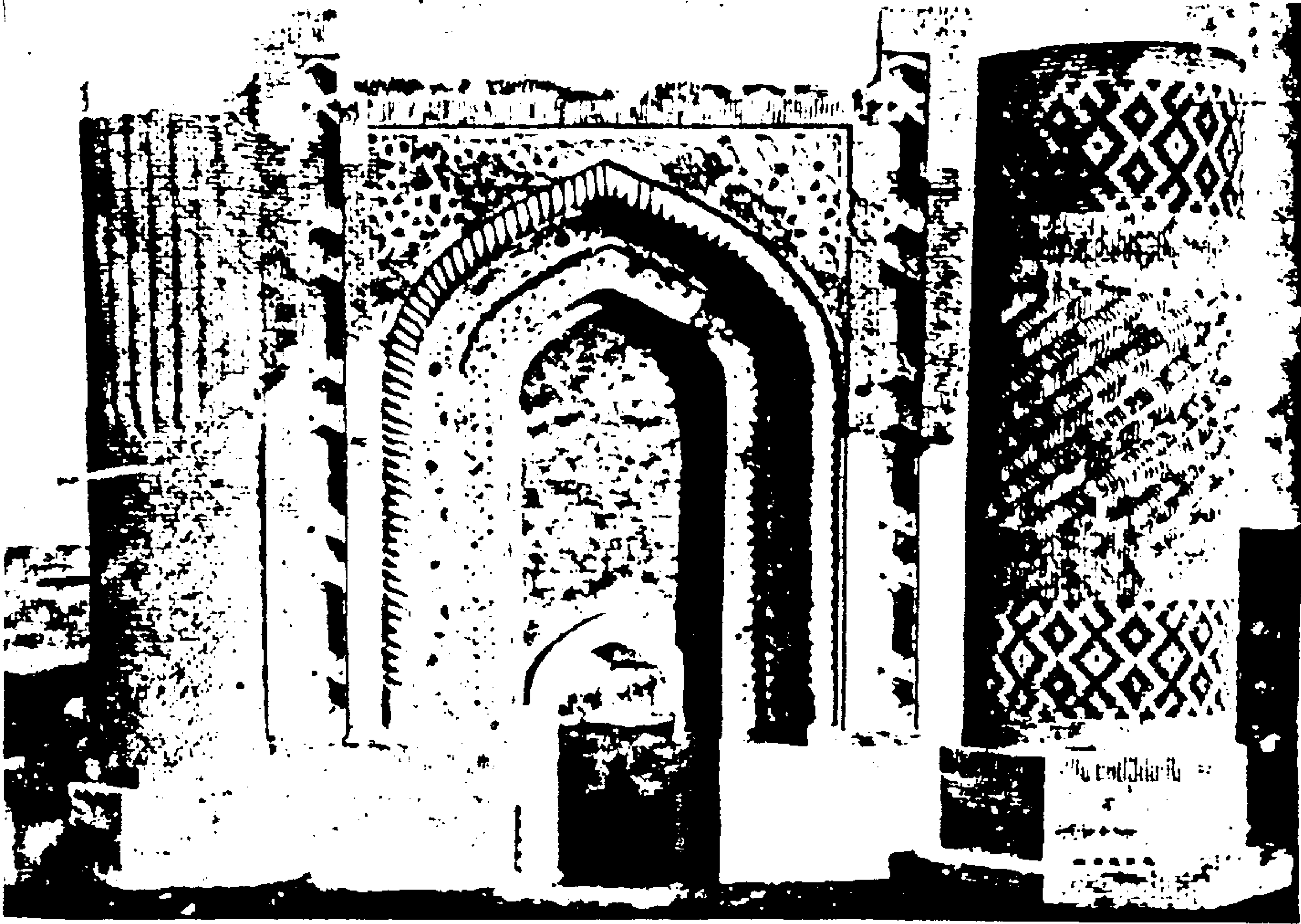
المدرسة المستنصرية ـ بغداد
من الداخل

لوحـه ٦٦



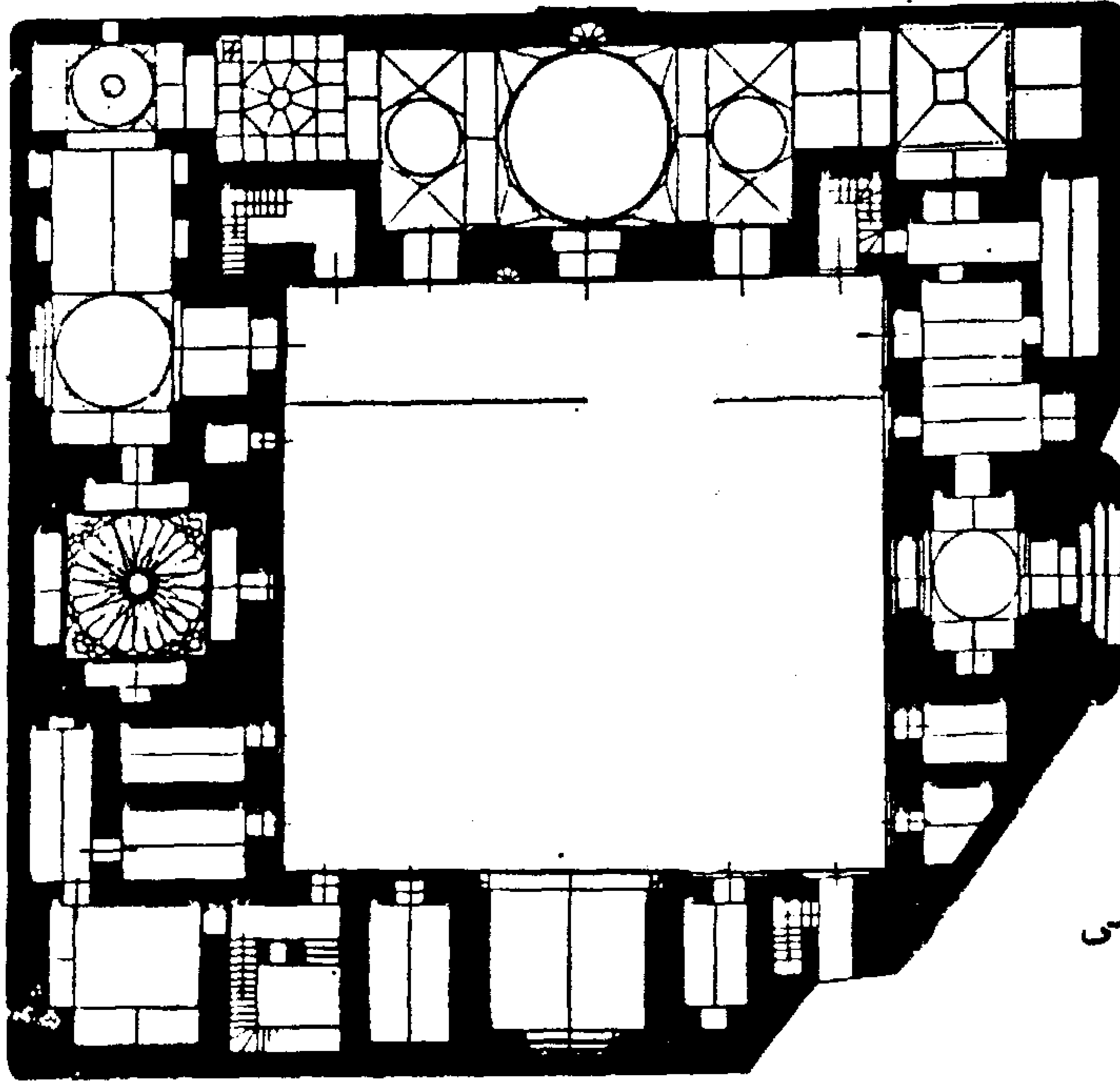
المدرسة الشرابية ـ مدينة واسط
(القرن ١٣ م)

لوحـه ٦٧



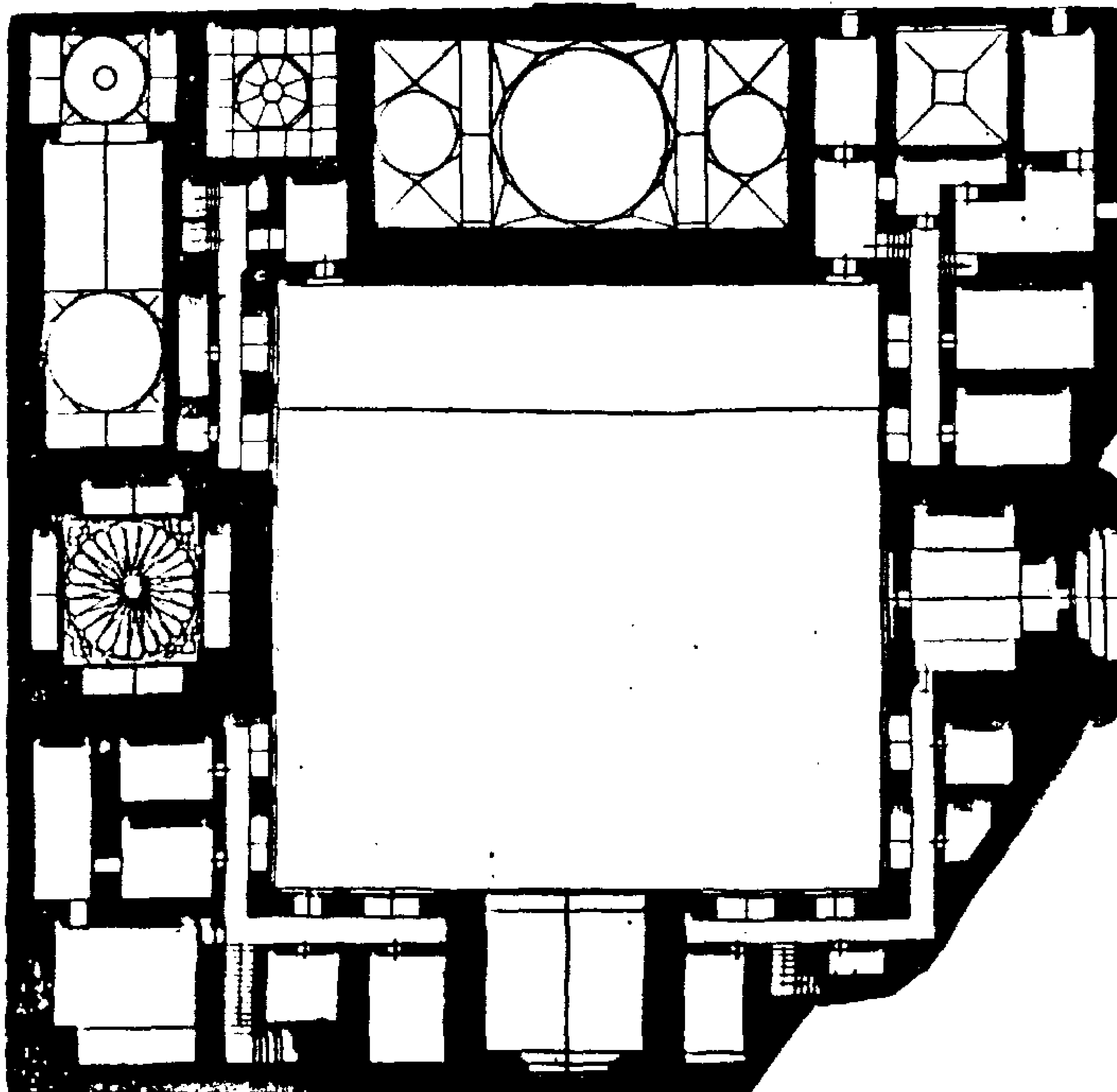
المدرسة الشرابيـة ـ واجهة

لوحه ٦٨



الطابق الارضى

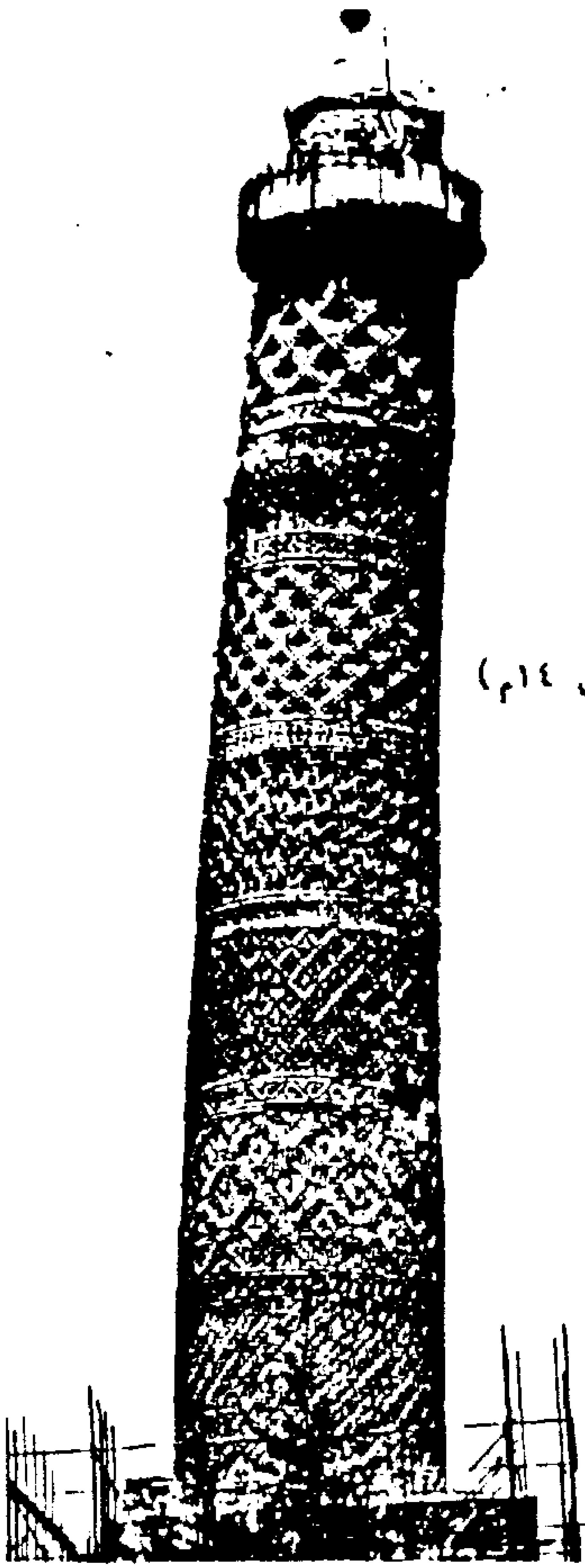
المدرسة المرجانية ـ بغداد (القرن ١٤ م)



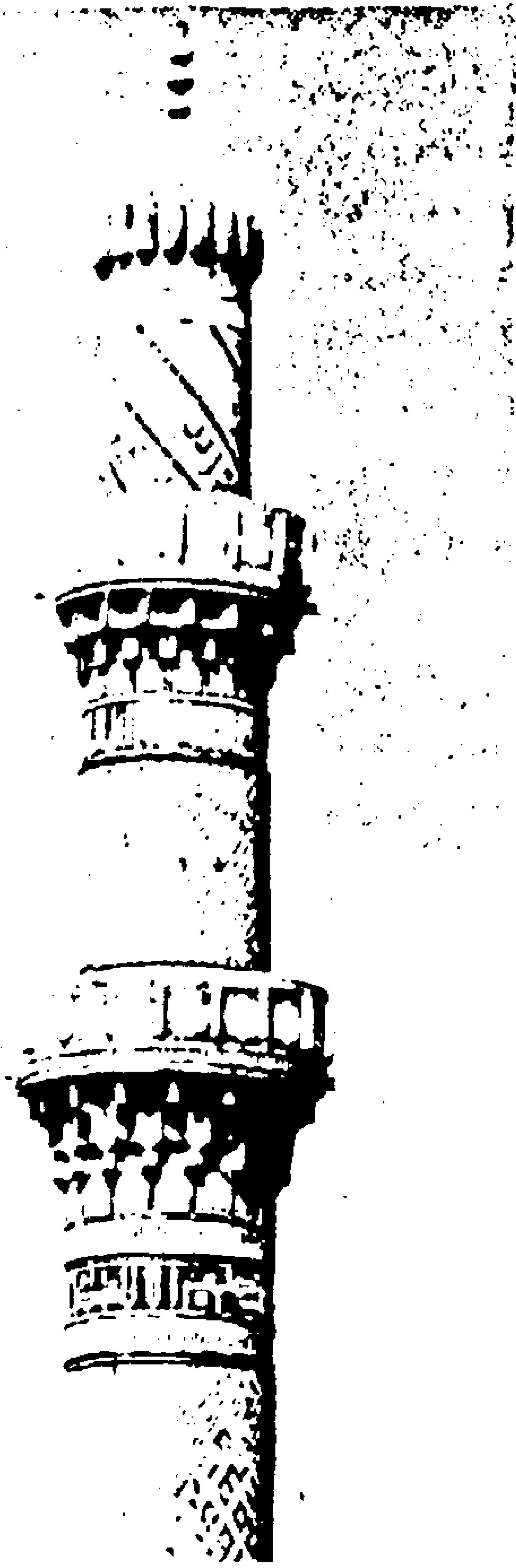
الطابق الاول

لوحـــه ٦٩

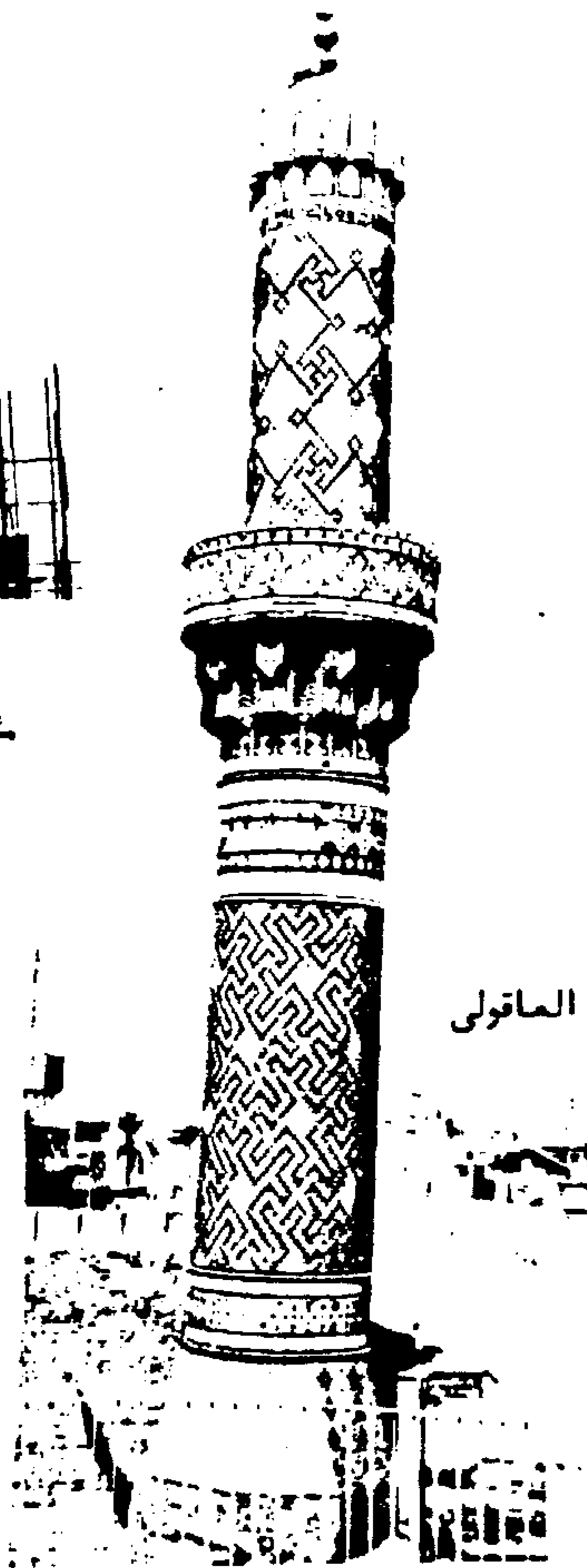
مآذن عراقية (القرن ١٤م)



مئذنه جامع الجنورى

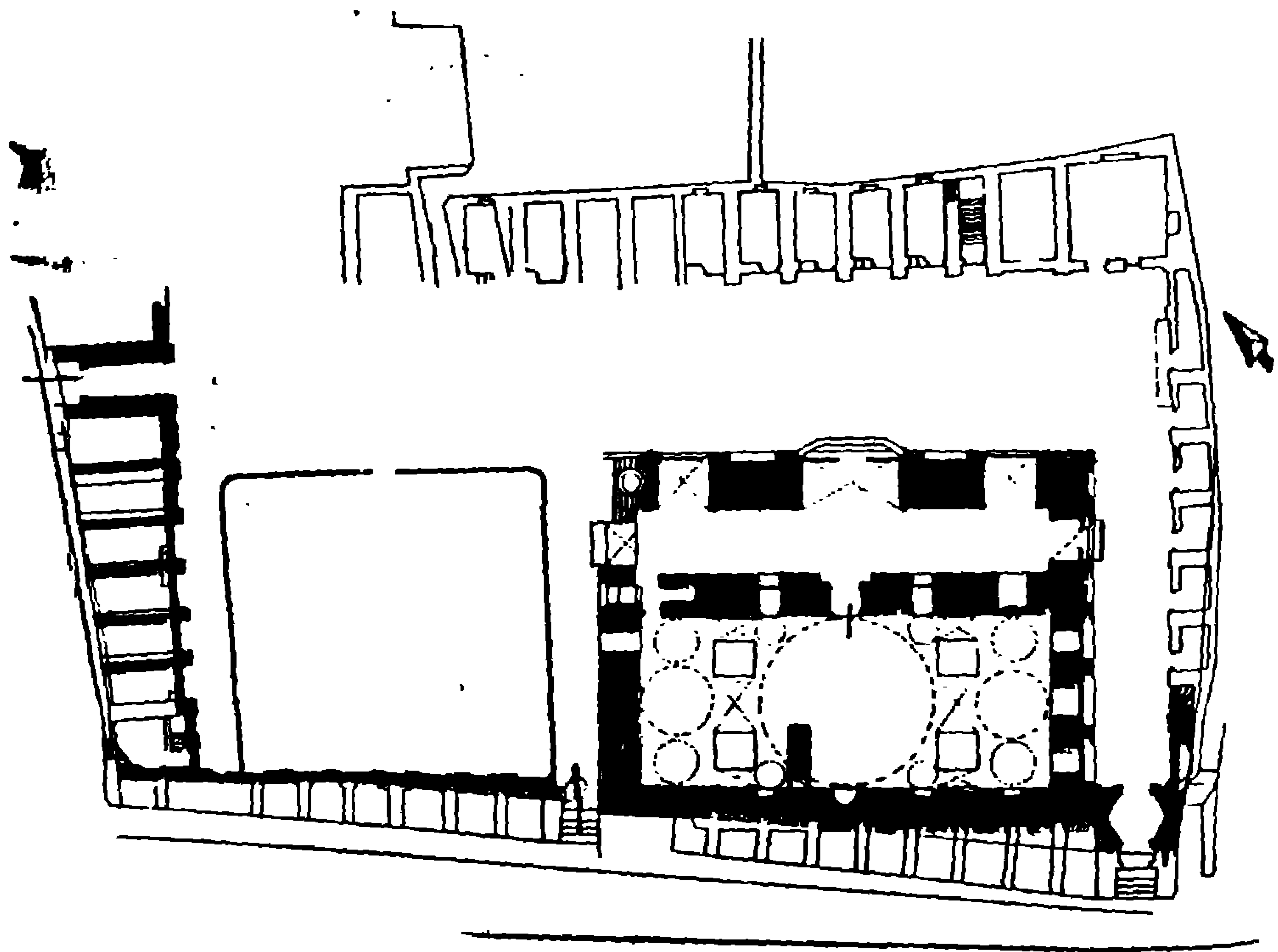


مئذنة جامع الاصفيه



مئذنه جامع العاقولى

لوحـه ٢٠



جامع الحيدرخانه (القرن ١٥ م)

٣ _ عمارة المسجد وتطورهـــــا
في شمـــال افريقيـــا والاندلـــــس

احـــداث تاريخيـــة :

عام ٦٤٧ م : بدأ العرب الاستقرار في شمال افريقيا بعد احتلالها من قبـــل الرومــــان .

عام ٦٧٠ م : قام عقبــه بن نافع الوالي الاموي بتأسيس مدينة القيروان وجامعها الكبيـــر .

عام ٧١١ م : ارسل موسى بن نصير الوالي الاموي قائده طارق لفتح الاندلس .

عام ٧٥٦ م : جاء عبد الرحمن الداخل كلاجئ اموي الى شمال افريقيا واستطـاع تكوين دولة امويه بالاندلس عاصمتها قرطبه وبنى جامعها الكبير .

اواخر القرن الثامن وحتى نهاية القرن التاسع الميلادى : حكم الاغالبــه شمـــال افريقيـــا

اواخر القرن التاسع وحتى القـــرن العاشـر الميـــلادى : ظهر الفاطميون من بين قبائل البربر وكونوا خلافة فاطميـه بمدينــة المهديه بتونس وذلك بجانب الخلافة العباسيـــة الضعيفة في بغداد .

عام ٩٦٩ م : استولى الفاطميون على مصر وبنوا القاهره واصبحت مقرا لخلافتهـم وحتى عام ١١٧١ م

القرن الحادى عشر الميلادى : حكم المرابطون جنوب اسبانيا واجزاء من شمال افريقيـــا بما فيهـا الجزائـــــر .

القرن الثانى عشر الميلادى : اقام الموحدون دولة كبيـرة وعلى رأسها عبد المؤمن وحكموا الاندلس وبعض اجزاء من شمال افريقيـــا .

اوائل القرن الثالث عشر الميلادى : انقسمت دولة الموحدين الى عدة دويلات منها دولة بنى مريـن ودولة بنى نصر وحكموا الاندلس خلال القرن الثالث عشر والقـــرن الرابع عشر الميـــلادى .

عام ١٤٩٢ م : استسلام مدينة غرناطه وخروج العرب نهائيا من اسبانيا .

منذ اوائل القرن السادس عشر	: انتشر الفن المستعرب والمدجنى باسبانيا وبناء العديد من المبانى المسيحية المتأثرة بالفن الاسلامى .
اوائل القرن السادس عشر الميلادى	: جاء الحكم العثمانى الى شمال افريقيا فيما عدا مراكش وكانت عاصمتهم مدينة الجزائر — اما مراكش فقد حكمها الشرفييون والسعديون وغيرهم وكانت عاصمتهم مدينة مراكش واستمروا حتى القرن التاسع عشر الميلادى .

امثلة من مساجد شمال افريقيا :

نلخص فيما يلى اهم المساجد والمدارس بشمال افريقيا والاندلس مع ملاحظة ان التواريخ المذكورة هى بداية انشائها :—

اولا : مساجد العصر الاموى وعصر الاغالبه حتى اواخر القرن العاشر الميلادى :

١ — جامع القيروان بتونس (٦٧٤م)
٢ — جامع الزيتونه بتونس (٧٣٢م)
٣ — جامع قرطبه باسبانيا (٧٨٦م)
٤ — الجامع الكبير بمدينة سوسه بتونس (٨٥١م)
٥ — جامع صفاقس بتونس (اواخر القرن التاسع الميلادى)
٦ — الجامع الكبير بتونس (٨٦٤م)
٧ — جامع القرويين بالمغرب (٩٥٦م)

ثانيا : مساجد المرابطين : القرن الحادى عشر الميلادى :

١ — الجامع الكبير بتلمسان بالجزائر (١٠٨٣م)
٢ — الجامع الكبير لمدينة الجزائر (١٠٩٦م)

ثالثا : مساجد الموحدين : القرن الثانى عشر الميلادى :

١ — مسجد تنميل (تنيهال) وهى قرية على جبال الاطلس بمراكش (١١٣١م)

٢ ـ مسجد الكتبية بمدينة مراكش العاصمة (١١٩٦م)
٣ ـ مسجد القصبه " " " (نهاية القرن ١٢ الميلادى)
٤ ـ مسجد حسان بالرباط (القرن ١٢ الميلادى)
٥ ـ مسجد اشبيليه باسبانيا (القرن ١٢ الميلادى)

رابعا : مساجد بنى مرين وبنى نصر وغيرهما من القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى :

١ ـ مسجد سيدى الحلوى بتلمسان (القرن ١٣ م)
٢ ـ المسجد الكبير بفاس الجديده بالمغرب (القرن ١٤ م)
٣ ـ المسجد الكبير بتازه بالمغرب (القرن ١٤ م)
٤ ـ المسجد الكبير بالمنصوره ، عند ابواب تلمسان بالجزائر . (القرن ١٤ م)
٥ ـ مسجد المزهر بالمغرب (القرن ١٤ م)
٦ ـ مسجد الشرابليين فى فاس الجديدة بالمغرب (القرن ١٤ م)
٧ ـ جامع الحمرا بمدينة فاس بالمغرب (القرن ١٤ م)
٨ ـ مدرسة الصهاريج " " (القرن ١٤ م)
٩ ـ مدرسة بوعنانيه بفاس بالمغرب (القرن ١٤ م)

خامسا : مساجد العصر التركى : منذ القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادى :

١ ـ مسجد على بتشنين بالجزائر (١٦٢٢م)
٢ ـ مسجد يوسف داى بتونس (١٦١٠م)
٣ ـ مسجد حموده باشا بتونس (١٦٥٤م)
٤ ـ مسجد سيدى محرز بتونس (١٦٧٥م)

سادسا : مساجد مراكش : من القرن السادس عشر الميلادى

١ ـ جامع باب دوكالا بمراكش بالمغرب (١٥٥٧م)

عمارة المسجد وتطورها في العصر الاموى وعصر الاغالبـة : (لوحه ٧١ ـ ٧٩)

ان اقدم المساجد الاولى التى اقيمت فى شمال افريقيا من العصر الاموى هـو جامع القيروان (٦٧٤م) وجامع الزيتونه (٧٣٢م) ، ومنذ الفتح العربى لاسبانيا اقيم جامع قرطبه (٧٠٦م) وفى عصر الاغالبـه وهم اتباع العباسيين الذين حكموا شمـال افريقيا بنوع من الاستقلال كما حكم احمد بن طولون مصر ، عمل الكثير من الاضافـات والتوسعات فى المساجد السابقه فاقاموا بكل منها ثلاثة اروقه اخرى تحيط بالصحن وكـل رواق منها يتكون من بلاطه واحدة • وبذلك استكمل تخطيط هذه المساجد واصبحـت على النظام التقليدى والشبيه بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى عهد الخليفة عثمان ، ونلاحظ ان الاغالبـه احتفظوا بالكثير من عناصر هذه المساجد الاولى ـ عند توسعتها ـ فمثلا نجد انهم احتفظوا بالمحراب القديم لجامع القيروان وكذلك بالطابع الاول البرجى الشكل لمئذنتـه •

بنى الاغالبه العديد من المساجد فى شمال افريقيا على التخطيط التقليـدى، اهمها جامع سوسـه وجامع صفاقس وجامع القرويين •

ونستطيع ان نلخص مميزات مساجد تلك الفترة وتطورها فيما يلى :ـ

١ ـ كانت المساجد الاولى عند بداية انشائها تشمل رواقا واحدا هو بيت الصـلاه المطل على الصحن •

٢ ـ معظم مساجد هذه الفترة ذات مساحة كبيرة اسوة بما اتبع فى مساجد الامويـين ببلاد الشام ومساجد اوائل العصر العباسى بالعراق • لذلك يمكن القول بان هذا الاسلوب جاء من هذه البلاد الى شمال افريقيا •

٣ ـ الشكل العام للمساجد الاولى كان مستطيلا بشكل عمودى على جدار القبلـه كما فى مسجد القيروان وقد انتقل هذا الشكل الى المشرق العربى فوجد نـاه فى مساجد العصر العباسى الاول كما فى مساجد سامرا ، فى القرن التاسـع الميلادى •

٤ ـ يتكون رواق الصلاه فى مساجد تلك الفترة من بلاطات تسير عمودية على جدار القبله وتنتهى عند البلاطه الاولى الموازيه لهذا الجدار ، وقد انتشر هـذا

الاسلوب في معظم مساجد شمال افريقيا وكذلك في مساجد سامرا بالعـــراق .
هذا الوضع من المحتمل جدا ان يكون قد اقتبس من المسجد الاقصى بفلسطين عند اعادة بنائه في العصر الاموى عام ٦٨٥م حيث شمل بيت الصلاة في ذلـك الوقت بلاطات تتعامد على جدار القبله ، وفي عام ٧٨٠م اقام المهدى البلاطه الاولى في رواق هذا المسجد موازيه لجدار القبله وبذلك اصبحت البلاطـــات المتعامده في رواق الصلاة تنتهى عند هذه البلاطه الموازيه وهذا هو الوضـــع الذى نراه في مساجد ذلك العصر بشمال افريقيا والتى يرجع تاريخها الى مابعد تاريخ المسجد الاقصى وكما هو الحال ايضا في مساجد العصر العباسى الاول بسامرا وهما مسجدا سامرا وابو دلف والمؤرخان ما بين عامى ٨٥٠م ـ ٨٦٠م .

كما اننا نجد ان البلاطه الاولى الموازيه لجدار القبله في جميع هذه المساجد ذات عرض كبير لكى تستوعب اكبر عدد من صفوف المصلين فلا يعوقهم أية اعمـــدة أو دعائم من رؤية الامام او الخطيب وهذه الصفوف الاولى هى المفضلة دائما .

٥ ـ نجد ان البلاطه الوسطى في رواق الصلاه التى امام المحراب والمتعامدة علـــى جداره اعرض من البلاطات الاخرى ، وهذا العنصر جاء ايضا من بلاد الشـام كما في الجامع الاموى بدمشق ولا نستطيع ان نسميه بالمجاز القاطع واني افضـل تسميته بالبلاطه القاطعه وقد رأينا هذا العنصر منتشرا في الكثير من مساجـــد العالم الاسلامى والغرض منه كما ذكرت سابقا هو التأكيد على موقع المحـــراب وما للمحراب من اهمية في عمارة المسجد .

كثيرا مانجد ان عرض تلك البلاطه مساو لعرض البلاطه الاولى الموازيه لجدار القبله مما ينتج عنه شكل (حرف تى T) . عندئذ قام مؤرخو الغرب ذاكريـن ان هذا الشكل هو الشكل الناتج من اتصال صحن الكنيسة البازيليكية بالصالـــة العرضيـــة ، ومن ثم ذكروا بان تصميم رواق الصلاه بالمسجد الاقصى وغيره ناتج ومقتبس من الكنيسة البازيليكية . وبالطبع ليس في هذا القول اية صحة كما ذكرت سابقا .

اما جعل هاتين البرطتين متساويتين في العرض فلكي يقام على المساحة المربعة الناتجه من تقاطعهما قبه كبيرة يحيطها نوافذ لانارة هذا الرواق وخاصة امام المحراب البعيد عن الصحن المكشوف • كما امكن بناء قباب اخرى كبيرة عند نهايتي البلاطه الموازيه لنفس الغرض • وكثيرا مانجد قبة اخرى في نهاية البلاطه القاطعة او الوسطى مطله على الصحن لزيادة التاكيد على اهمية المحراب ولا يمكن ان تكون هذه البلاطه مدخل الشرف لرواق الصلاه كما يدعون •

٦ — في عصر الاغالبة ظهرت انواع اخرى من التسقيف والذى وجدناه في المشرق الاسلامى فعلاوة على السقف المستوى الخشبى كما في القيروان وعلاوة على الاسقف الجمالونية الخشبية كما في جامع قرطبه فقد وجدنا تغطيه بلاطات رواق الصلاه باقبية مستمره وباقبيه متقاطعه كما في جامعي سوسه وصفاقس •

٧ — شذ مسجد واحد من مساجد تلك الفترة وذلك بالنسبة لبلاطات رواق الصلاه حيث تسير موازيه لجدار القبله بدلا من كونها متعامدة عليه • هذا المسجد هو مسجد القرويين بفاس (٩٥٦م) وقد لاحظنا في تخطيطه بعض التطور فالشكل العام له مستطيل في اتجاه مواز لجدار القبله مخالف بذلك اشكال المساجد المعاصره له والتى تتعامد مع جدار القبله • كما نجد زيادة عرض الرواقين الجانبين على حساب الصحن الذى صغرت مساحته بشكل ملحوظ • وقد اثر تخطيط هذا المسجد في بعض المساجد التى جاءت بعد ذلك •

٨ — تقع مآذن مساجد تلك الفترة في الضلع الشمالي اى في الواجهة الرئيسية للمسجد • اما في منتصفها او عند نهايتها وتبرز عنها قليلا ويجاورها المدخل • وربما جاء هذا الوضع من مساجد سامرا • وظل هذا مستمرا في معظم مساجد شمال افريقيا وكانت هذه المآذن برجية الشكل ذات قطاع مربع مكونة من طابقين او ثلاثة : الطابق الاول مرتفع ارتفاعا كبيرا والثانى مربع قليل الارتفاع والعرض عن الطابق الاول وكذلك الحال في الطابق الثالث الذى يعلوه قبه صغيرة • وتعتبر مئذنة جامع القيروان هى اقدم المآذن الاسلامية التى لازالت باقية الى الآن • هذا الشكل البرجي لابد وأنه قدم من بلاد الشام مع الامويين عند فتح تلك البلاد •

٩ ـ في هذا العصر كانت العقود الاكثر انتشارا هي العقود نصف الدائرية ذات حدوة الحصان .R.H.S وقد جاء هذا الشكل من سوريه حيث وجدناه في الجامع الاموي بدمشق . كما ظهرت لنا في جامع قرطبه عقود بعضها فوق بعض مقتبسه من الفن الروماني . كذلك نجد عقودا متقاطعه ومتشابكة تعد ابتكارا اسلاميا .

١٠ ـ كان الانتقال من المربع الى المثمن او الدائرة عند تغطيه المساحة المربعة بقبه عن طريق الحنايا الركنيه SQUINCHES ذات الشكل المحارى . كما ان شكل تلك القباب ذات قطاع مفصص تظهر من الخارج بشكل فصوص وقد استعمل هذا الشكل في كثير من القباب التي جاءت بعد ذلك .

١١ ـ في ذلك العصر ظهرت لنا المحاريب المستويه كما في جامع القرويين وهذا تأثير عراقي كما في مسجد سامرا ، علاوة على المحاريب المضلعة والتي تشبه حدوة الحصان . واحيانا نجد جدارها يبرز من الخارج قليلا . ويعتبر محراب جامع القيروان عند انشائه من اقدم المحاريب وهو نصف دائرى ويتميز بانه مكسى بالرخام ويعلوه طاقية نصف دائرية من الخشب .

ـ <u>عمارة المسجد وتطورها في عهد المرابطين</u> : (لوحه ٨٠ ـ ٨١)

عمارة المسجد في تلك الفترة شملت القرنين الحادى عشر والثاني عشر وكان معظمها في الجزائر وأهمها الجامع الكبير بمدينة الجزائر ومسجد ندروما ومسجد تلمسان وتتميز عمارة المسجد في هذه الفترة بما يلي :ـ

١ ـ الشكل العام المربع او المستطيل في اتجاه جدار القبلة بعكس ماكان عليه في الفترة السابقة .

٢ ـ تعريض البلاطه الوسطى من رواق الصلاه امام المحراب يعلوها قبه او قبتان من الامام والخلف .

٣ ـ زيادة عمق رواق الصلاه وزيادة مساحة الاروقه الاخرى وذلك على حساب الصحن الذى اصبح صغير المساحة .

٤ ـ جميع بلاطات رواق الصلاة تسير عمودية على جدار القبله ويقطعها صف أو صفان من العقود التي تسير موازية لجدار القبله • وتغطى هذه الاروقه جمالونات خشبية مغطاه بالقرميد •

٥ ـ تقع المآذن البرجية اما فى منتصف الرواق المقابل لرواق الصلاة وفى نفس محور المحراب كما فى جامع تلمسان او فى احد اركان الواجهة الرئيسية وتبرز عنه كما فى مآذن الفترة السابقه •

٦ ـ معظم محاريب مساجد تلك الفترة مضلعة بشكل نصف دائرى وتبرز من الخارج مكونه غرفه خلفها •

ـ عمارة المسجد وتطورها فى عهد الموحديين : (لوحه ٨٢ ـ ٨٤)

اما عصر الموحدين فقد احتفظت مساجدهم بالكثير من عناصر المساجد السابقة مع بعض التطورات حيث نجد مسجدى الكتبية وتنميل بمراكش وجامع اشبيلية بالاندلس ونلاحظ بها

١ ـ بلاطات رواق القبله متعامدة على جدار القبله كما فى المساجد الاولى •

٢ ـ البلاطه الوسطى بنفس عرض البلاطه الاولى الموازيه لجدار القبله والتى تستقبل البلاطات الاخرى •

٣ ـ الشكل العام للمسجد هو المستطيل فى اتجاه جدار القبله •

٤ ـ الصحن صغير وغالبا ماكان مستطيلا فى اتجاه مواز لجدار القبله •

٥ ـ موقع المئذنه فى نهاية الواجهه الشمالية كما هى العادة •

٦ ـ التسقيف بالجمالونات الخشبية المغطاه بالقرميد •

وهناك بعض التطورات جاءت فى هذا العصر :ـ

١ ـ تعدد القباب فى البلاطه الاولى فنجد ثلاث قباب كما فى مسجد تنيمال (أو تنميل) واحده امام المحراب واثنتان فى نهاية هذه البلاطه • وهذا الوضع وجدناه فى معظم مساجد الفاطميين بمصر • واحيانا نجد خمس قباب فى هذه البلاطه واحدة امام المحراب واثنتان فى كل طرف •

٢ ـ تغطيه البلاطه الوسطى في رواق الصلاه باقبيه متقاطعه وذلك بتقسيم هـذه البلاطه الى عدة مساحات مربعة بواسطة العقود التي تسير في الاتجاهين •

٣ ـ ترك لنا عصر الموحدين العديد من المآذن البرجية الجميلة ذات النسب الوثيقة فنجد للمئذنة المشهورة البرجية الشكل والتي تعتبر اجمل مآذن هذا العصر وهي المسماة بالجيرالدا وهي مئذنه مسجد اشبيليه الذي يشبه تخطيطه جامع الكتبيه وقد تهدم هذا الجامع وحل محله الكاتدرائية الحالية ولم يبق منه الا هذه المئذنه التي بنيت من الطوب المحروق يصعد اليها عن طريق منحدر داخلي يلف حول نواة عبارة عن غرفة مربعة تبرز من اعلى ـ كما نجد مئذنه جامع الكتبيه وهي من الحجر ومئذنه جامع حسان وهي من الحجر ايضا ولكنها لم تكتمل • وجميع هذه المآذن تقع في القرن ١٢ وتعتبر هذه الابراج او المآذن من اجمل التحف الاسلامية •

ـ عمارة المسجد وتطورها في عهد بني مرين : (لوحة ٨٥ ـ ٨٩)

اما في القرن ١٣ اي في عصر بني مرين فنجد ان مساجد اسبانيا قد قلت بدرجة كبيرة ولكن في شمال افريقيا نجد في الجزائر جامع المنصورة على حدود مدينة تلمسان وجامع سيدي الحلوى بتلمسان ايضا •

وتتميز جميع هذه المساجد بانها بسيطه وصغيرة المساحة وذلك بالنسبة لمساجد الموحدين •

احتفظت مساجد القرن ١٣ بما يلي :ـ

١ ـ ببلاطات رواق القبله المتعامدة على البلاطه الاولى الموازيه لجدار القبلـه كما هي العادة •

٢ ـ احتفظت بالقباب المضلعة •

٣ ـ وجود الدعائم المربعة بدلا من الاعمدة •

٤ ـ التسقيف الخشبي المستوى او الجمالوني •

٥ ـ موقع المئذنه في الواجهه الشمالية •

٦ ـ وجود قبـه امام المحراب ٠

٧ ـ المداخل التذكارية (البارزه)

٨ ـ العقود النصف دائرية ذات شكل حدوة الحصان او ذات الفصوص ٠

٩ ـ الصحن المربع الصغير ٠

١٠ـ الغرفـه التى خلف المحراب ٠

هذا وقد حصل بعض التطورات حيث عملت فى بعض المساجد ثلاث بلاطات ملاصقه لجدار القبله وموازية له بدلا من بلاطه واحده ،كما فى جامع المنصوره وقد غطيت المساحـة المربعة امام المحراب والناتجه من هذه البلاطات بقبه كبيرة مغطاه بسقف هرمى خشـبى ٠

وفى القرن ١٤ نجد ان معظم مساجدها تقع فى المغرب وتشبه تماما المساجـــد التقليدية القديمة بالمشرق الاسلامى ، كما فى مسجد الزهر ومسجد ابو الحسن فى التلسه الصغيره ومسجد السرابليين فى فاس الجديدة من حيث بلاطات روان الصلاه الموازيـه لجدار القبله مع الاحتفاظ باساليب القرن ١٣ ويشذ عن هذه المجموعة جامع الحمـــراء والجامع الكبير بمدينة فاس الجديدة حيث يشبه تصميمها مساجد تلمسان من حيـــث بلاطات روان القبله المتعامده على البلاطه الاولى ٠

كما نلاحظ فى مساجد هذه الفترة القباب ذات الاضلاع والعقود المتقاطعة كالتى رأيناها فى جامع قرطبه وفى مسجد تازه ومسجد فاس الجديدة وربما كانت هذه الاضلاع هى الطريقه الانشائية التى اقتبست من المشرق الاسلامى اولا ثم تطورت فى اسبانيـــا واصبحت من معالم الاقبيــه القوطيه ذات الاضلاع ٠

كما نلاحظ فى جامع ابو الحسن فى التلسه الصغيره ان مئذنته تقع فوق المدخـل الرئيسى فى منتصف الواجهة الاماميه ٠

المـدارس :

ابتداء من القرن ١٣ وفى عصر بنى مرين ظهرت لنا لاول مرة تخطيط المدرسـة الدينية فى شمال افريقيا بجانب المساجد السابقه ٠٠ واذا تتبعنا تاريخ تلك المدارس نجدها اول ما نشأت كانت فى خراسان فى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى ثم دخلت

بعد ذلك العراق فنجدها فى المدرسة المستنصرية ثم انتقلت منها الى سوريه ثم الى مصر فى نهاية القرن ١٢ ثم وجدناها فى شمال افريقيا فى القرن ١٣ وربما تكون قد انتقلت اليها عن طريق سوريه الى تونس ثم الجزائر والمغرب •

لم نجد بهذه المدارس اضرحة كالتى وجدناها فى مصر وسوريه ، كما اننا لا نجد التخطيط المتعامد الذى رأيناه بمصر وهو التخطيط الذى انفردت به مصر عن بقية العالم الاسلامى •

نلاحظ ان التصميم الاكثر انتشارا فى شمال افريقيا هو : صحن مكشوف يتصدره قاعة مستطيله هى قاعة الصلاة وتمثل الضلع الجنوبى الشرقى للمستطيل ، ويتوسط هذا الضلع المحراب ذو شكل حدوة الحصان وفى محوره نجد المدخل الرئيسى • ويحيط بالصحن من الجهات الثلاث غرف سكنى الطلاب وقاعات التدريس والمرافق اللازمة واحيانا نجد امام هذه الغرف رواقا من بلاطه واحدة يتكون من عقود محموله على بعض الاعمدة • وفى احد اركان الواجهة الامامية نجد المئذنه البرجية • وغالبا يتوسط الصحن نافوره كما هى العادة • ومن أمثله هذا التصميم العديد من مدارس بنى مرين خاصة فى مراكش مثل مدرسة الصهاريج ومدرسة العطارين وغيرها •

وفى تونس نجد مدرسة بوعنانيه وتتميز هذه المدرسة بالتخطيط ذات الايوانات وهى تشبه التصميم السابق علاوة على وجود قاعتين مربعتين سقفهما عبارة عن قبو مستمر وهما متقابلان على جانبى الصحن خصصا للدراسة •

كما نجد بتونس بعض المدارس بها ضريح المنشىء علاوة على سبيل وذلك فى العصر التركى كما فى المدرسة السليمانية بتونس من عهد على باشا من القرن الثامن عشر الميلادى • وقد انتقل هذا التصميم الى الجزائر كما فى مدرسة سيدى العنابى (القرن الثامن عشر الميلادى) •

عمارة المسجد وتصورها فى العصر العثمانى : (لوحه ٩٠ ـ ٩٣)

عندما جاء العصر العثمانى بشمال افريقيا فى القرن السادس عشر الميلادى ، كان من الطبيعى ان يحمل معه التأثير البيزنطى الذى عم جميع البلدان الاسلامية فيما عدا ايران ومراكش .

ومن أهم المعالم المعمارية لمساجد ذلك العصر هى القباب التى تغطى قاعات الصلاة المربعة . نجد من هذا التخطيط مسجد سيدى محرز بتونس ومسجد على بتشنين بالجزائر ، وهما من القرن السابع عشر الميلادى . يتكون هذا التخطيط من قاعة واحدة متسعة مربعة الشكل بداخلها دعائم ضخمة تحمل قبه مركزيه كبيرة يحيطها بعض القباب الصغيرة وانصاف القباب .

كما نجد تصميما آخر من مساجد ذلك العصر يميل تخطيطها الى التخطيط التقليدى كما فى مسجد حمودة باشا بتونس حيث نجد به ان البلاطه الاولى تسير موازية لجدار القبله وهى اعرض من بقية بلاطات رواق الصلاة ، كما يتساوى هذا العرض مع البلاطه القاطعة المتعامدة على جدار المحراب . ويغطى تقاطع البلاطتين قبه تقع امام المحراب . وتسقف هذه القاعة بعدة أقبية متقاطعة كما يتقدمها رواق أمامى ويحيطها من ثلاث جهات فناء أو زيادة كالتى رأيناها بمسجد احمد بن طولون بالقاهرة .

أما فى المغرب فلم نجد بها هذا التأثير التركى واحتفظ تخطيط مساجدها بنمط مساجد بنى مرين فهى صغيرة ، رواق الصلاة فيها مكون من بلاطات متعامدة على البلاطة الاولى الموازية لجدار القبله والتى يعلوها ثلاث قباب ـ كما نجد البلاطه الوسطى اعرض من البلاطات الاخرى ، ونجد أمام رواق الصلاة الصحن المحاط من ثلاث جهات ببلاطه واحدة . ويتوسط الضلع الشمالى المدخل الرئيسى على محور المحراب

ويعلوه قبه . وفى نهاية الواجهه نجد المئذنه البرجية . وكثيرا مانجد دورات الميساه بعيده عن رواق الصلاه متصله باحد اضلاع المسجد . ومن امثلة تلك المساجد جامع باب دكالا بمراكش فى القرن السادس عشر الميلادى .

وفى تونس نجد بعض المبانى وهى اماكن للعبادة والتنسك تبنى من مدافن الاولياء والصالحين وتسمى بالزوايا مثل زاوية سيدى الجاليزى بتونس ولانستطيع ان نسمى هذه المبانى بالمساجد بالرغم من وجود قاعة للصلاه بها .

نستخلص مما تقدم ان عماره المسجد وتطورها بوجه عام فى شمال افريقيا والاندلس كانت كما يلى :ـ

١ ـ المساجد الاولى فى العصر الاموى كانت عند انشائها ليس بها سوى رواق الصلاه مطل على الصحن . كما كانت هذه المساجد ومساجد الاغالبه كبيره المساحة وتخطيطها بوجه عام هو التخطيط التقليدى . أى صحن تحيطه اروقه اكبرها رواق الصلاه .

٢ ـ ان الشكل العام لهذه المساجد اما مربع او مستطيل فى الاتجاه الموازى لجدار القبله او المتعامد عليه .

٣ ـ معظم اروقه هذه المساجد كانت البلاطه الاولى فيها ذات عرض كبير وتسير دائما موازيه لجدار القبله كما انها كانت بنفس عرض البلاطه الوسطى أى البلاطه القاطعة اما بقيه بلاطات رواق الصلاه فهى متعامدة على البلاطه الاولى وهناك مساجد قليلة نجد بلاطات رواق الصلاه فيها تسير موازية لجدار القبله .

٤ ـ كثيرا مانجد فى رواق الصلاه صفا او اكثر من العقود تسير موازيه لجدار القبلـه وتقطع بلاطات هذا الرواق .

٥ ـ وجود قبه امام المحراب فى بداية البلاطه القاطعة (الوسطى) وكثيرا مانجد قبه اخرى فى نهايته مطله على الصحن ـ كما نجد احيانا قبابا صغيره فى نهايتى البلاطه الاولى الموازية لجدار القبلة .

٦ ـ لم نجد اضرحة فى مساجد شمال افريقيا او الاندلس .

٧ ـ انتشرت السقوف الجمالونية الخشبية وكذلك الاقبية الطوبية التي تغطى الاروقـــه .

٨ ـ توجت الجدران في كثير من الاحيان بكرانيش خشبية بارزة بروزا كبيرا ومحولة علـــى كوابيل خشبية مما اعطى الواجهات البيضاء جمالا .

٩ ـ استعمل العقد نصف الدائرى ذو حدوة الحصان بكثرة في عقود تلك المساجـــد وفي محاريبها .

١٠ ـ تميزت هذه المساجد بمآذنها البرجية التي تقع دائما في الضلع الشمالى أى فـــى الواجهة الرئيسية ويجاورها المدخل .

١١ ـ تعتبر العقود المتقاطعه بجامع قرطبة عنصرا مبتكـرا اسلاميا لم نجده في مساجـــد المشرق الاسلامى .

١٢ ـ كثيرا ما استبدلت الاعمدة بدعائم مربعه او مستطيلة محلاه احيانا باعمدة متصلـــــة في اركانها كما في جامع احمد بن طولون .

١٣ ـ نجد دائما دورات المياه بعيده عن رواق الصلاه او خارج المسجد .

١٤ ـ تميزت مساجد بنى مرين بانها صغيره ذات صحن مربع وذات قباب كثيرة في البلاطه الاولى كما نجد بهذه المساجد المداخل التذكارية .

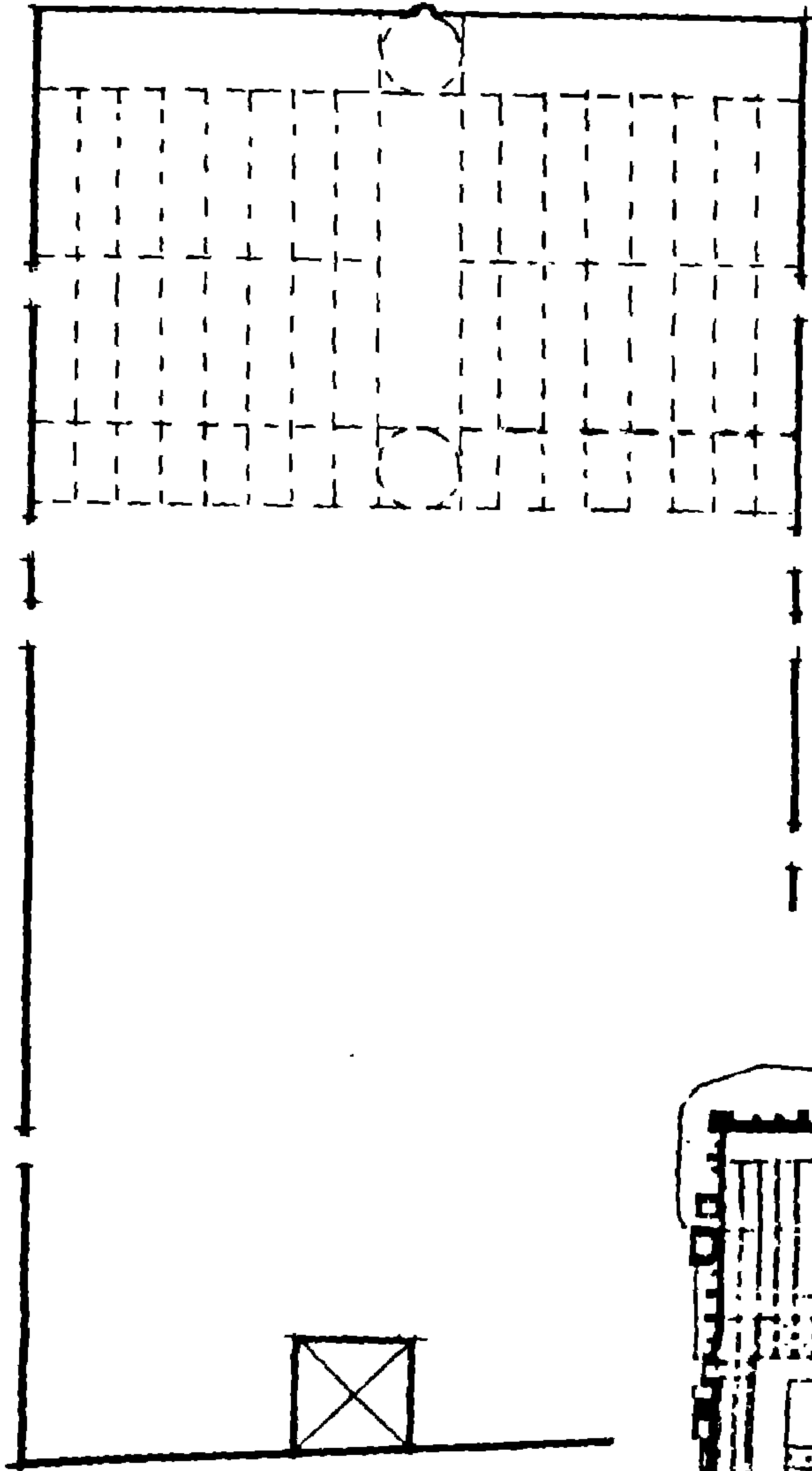
١٥ ـ قل بناء المساجد في اسبانيا وخاصه ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى ولم ينج جامع قرطبه فقــد بنى داخل رواق الصلاه فيه هيكل كنسى بعد خروج المسلمين من اسبانيا .

علاوة على هذا الجامع نجد العديد من المساجد قد حولت الى كنائس او هدمــت وبنى مكانها مبان كنسية . ومن امثلتها جامع باب المردم او المردوم في طليطلــه وهو مسجد صغير ادخل عليه بعض التعديلات والاضافات واصبح الان كنيســـــة دى كريست دى لاليتز . ويتكون هذا المسجد من مساحة مربعة قسمت بثـــلاث بلاطات في الاتجاهين تكون تسع مساحات مربعة محمولة على بعض الدعائم وكـــل مساحة منها مغطاه بقبه ذات اضلاع من تكوينات زخرفية مختلفة .

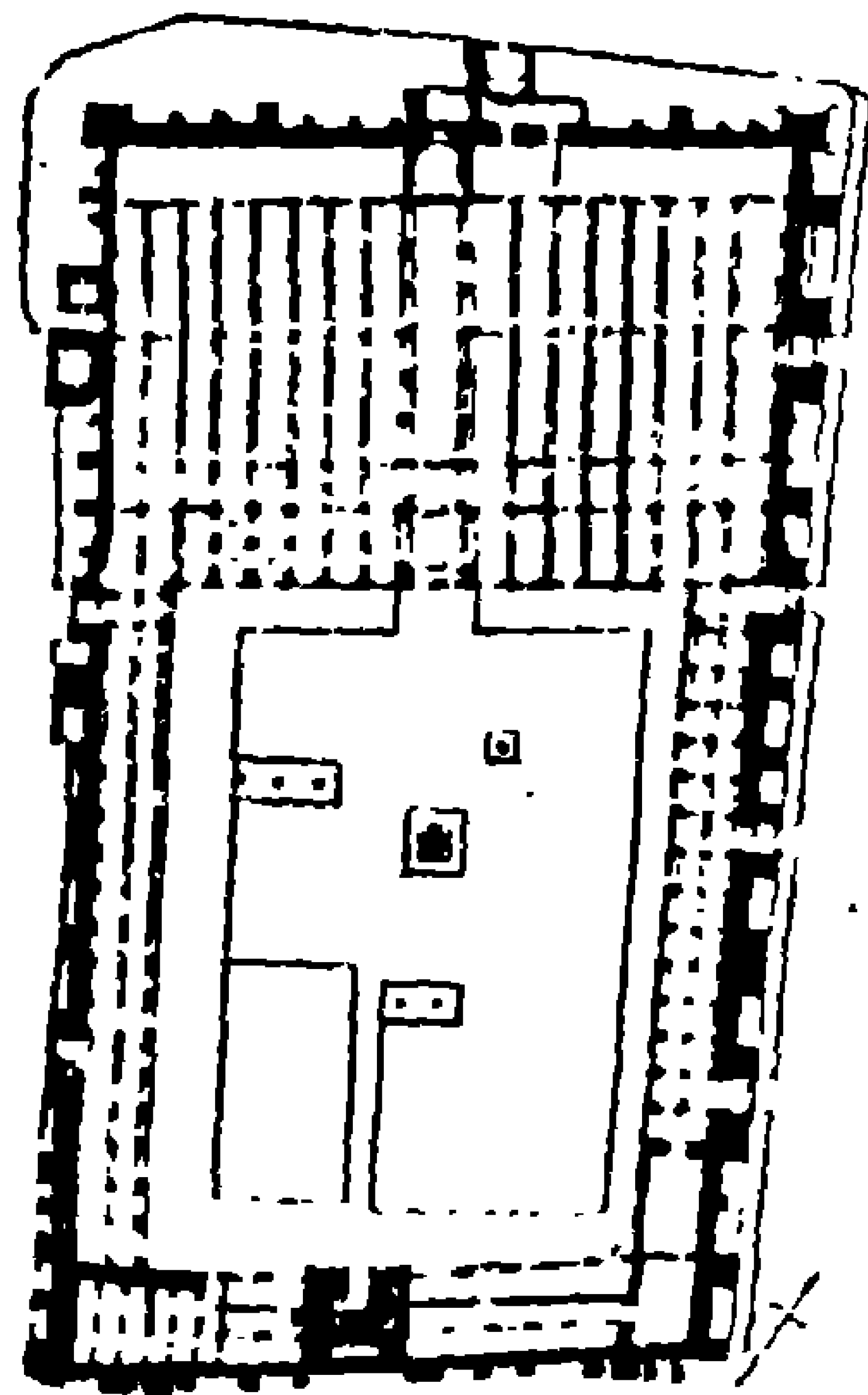
كذلك نجد كاتدرائية اشبيلية التى حلت محل جامعها الكبير ولم يبق من هــذا المسجد الا مئذنته التى اضيف اليها طابق علوى واصبحت برجا للنواقيس وتسمى

١٦ـ تاثرت مساجد شمال افريقيا فى العصر العثمانى بالفن البيزنطى من حيث طرق التسقيف بالقباب • وبطراز المآذن العثمانية التى انتشرت فى جميع انحاء العالم الاسلامى فيما عدا ايران والمغرب •

لوحه ٧١

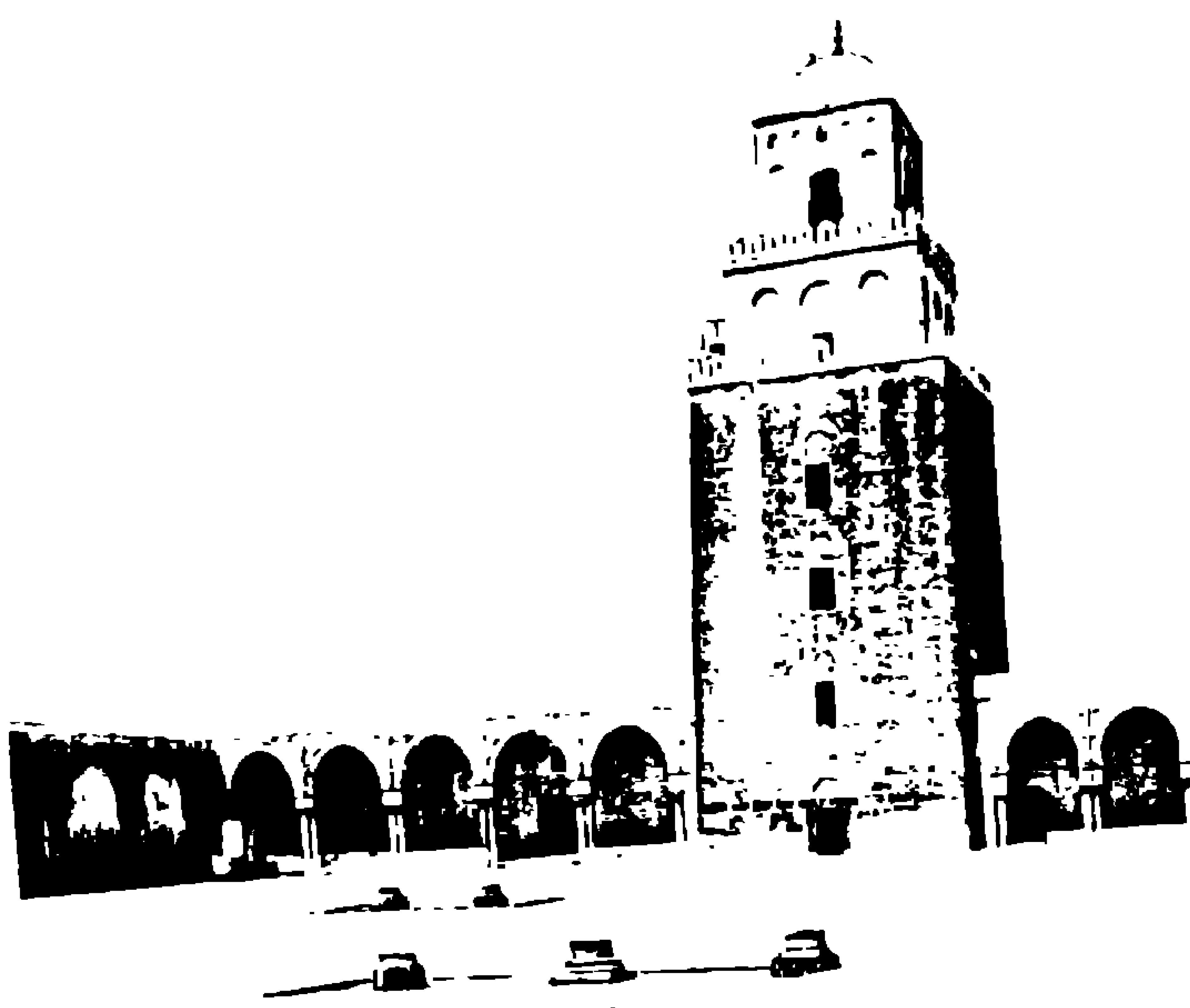


جامع القيروان ـ بتونس (٦٧٤ م)



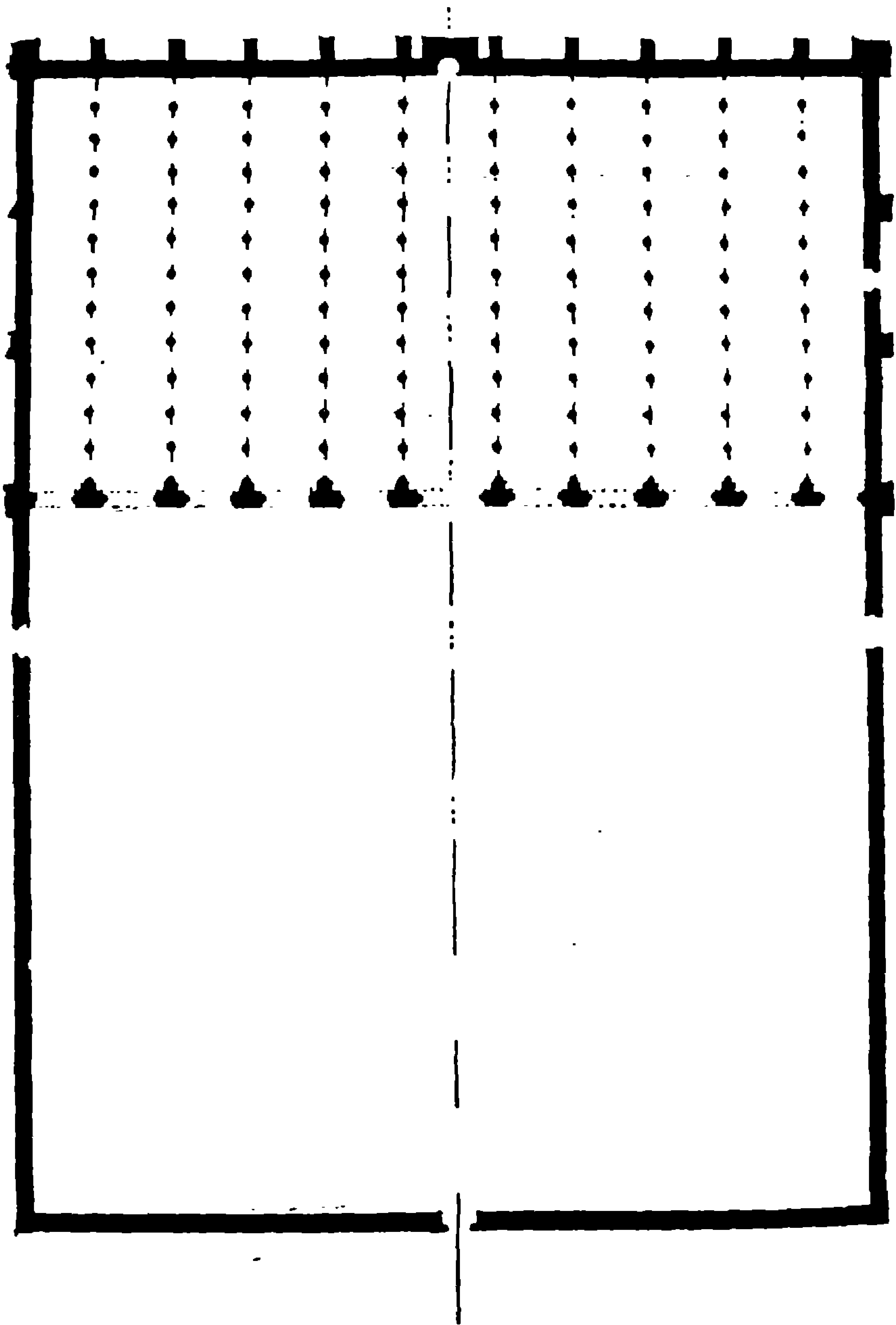
المسقط الحالى

لوحه ٧٢



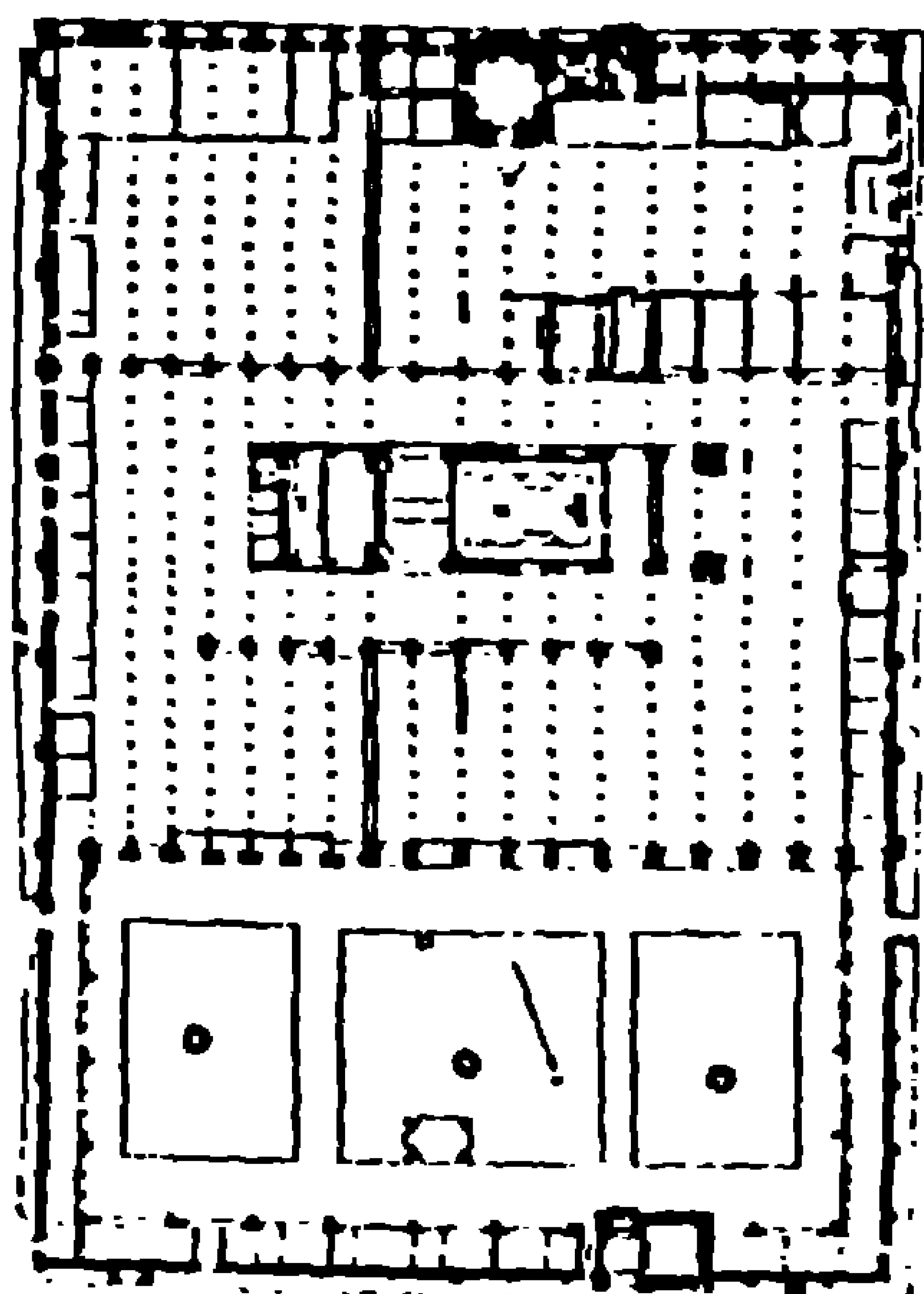
جامع القيروان — من الداخل

لوحه ٧٣

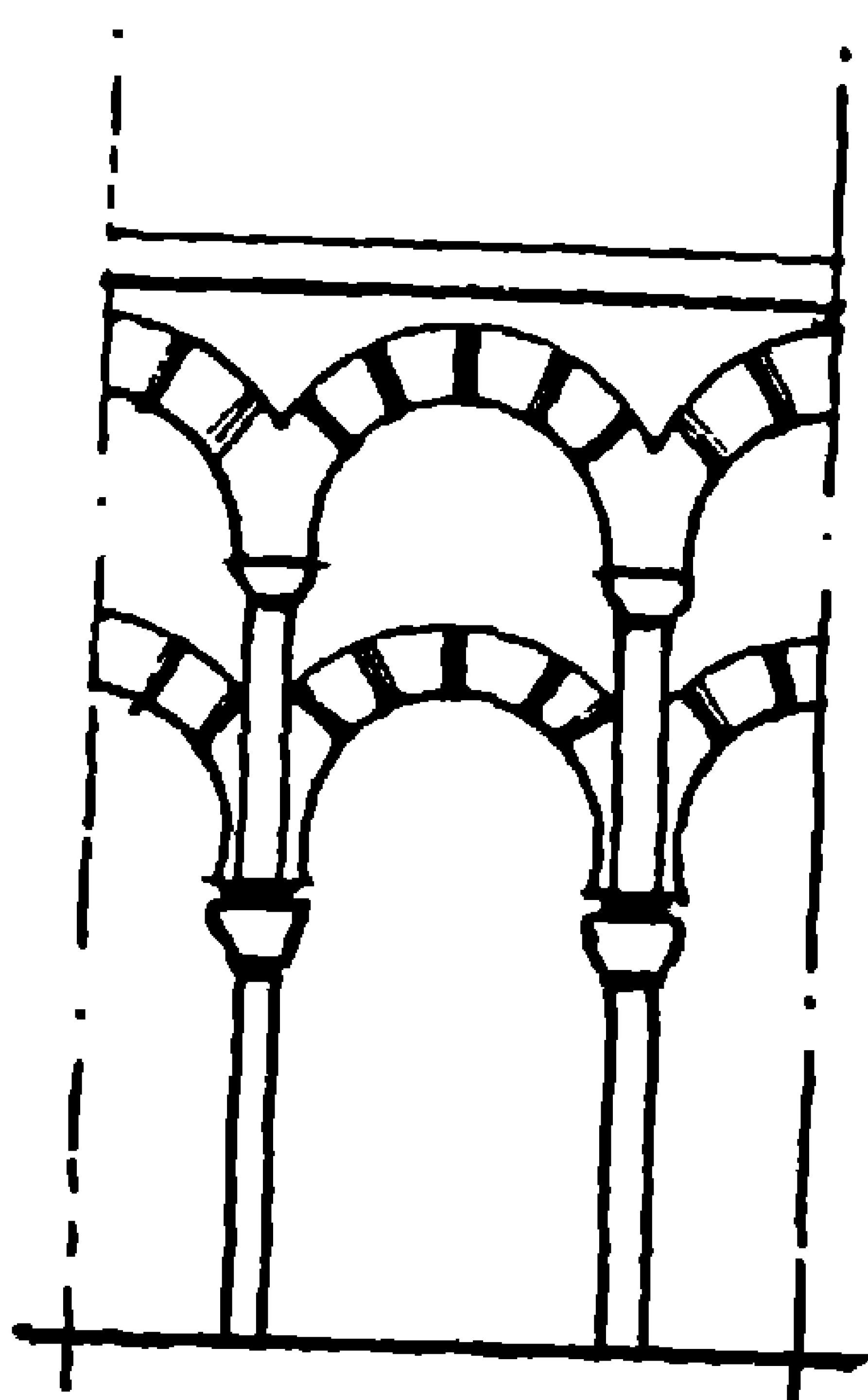


جامـع قرطبـه ـ الاندلس (٧٨٦ م)

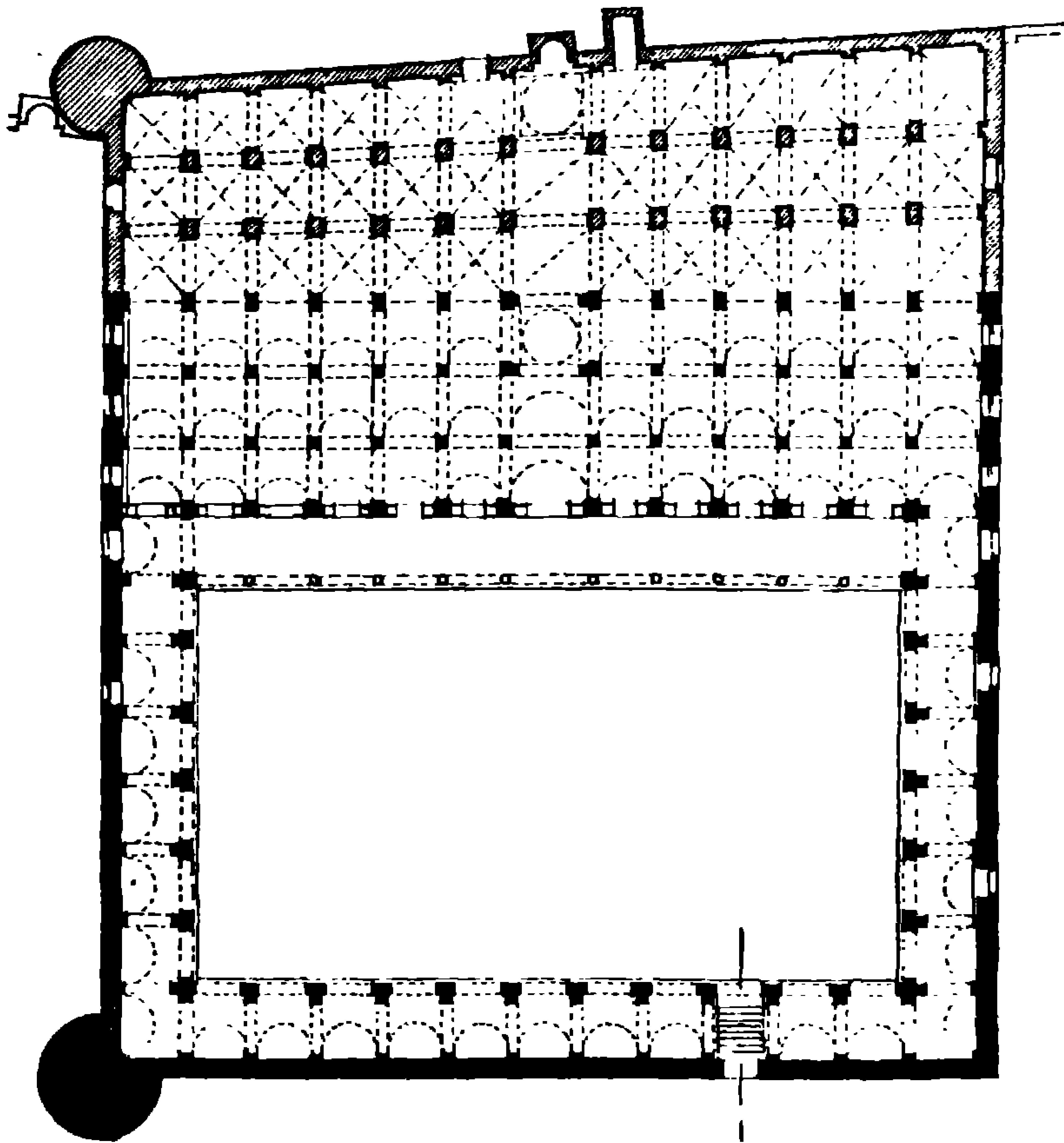
لوحه ٢٤



جامع قرطبه

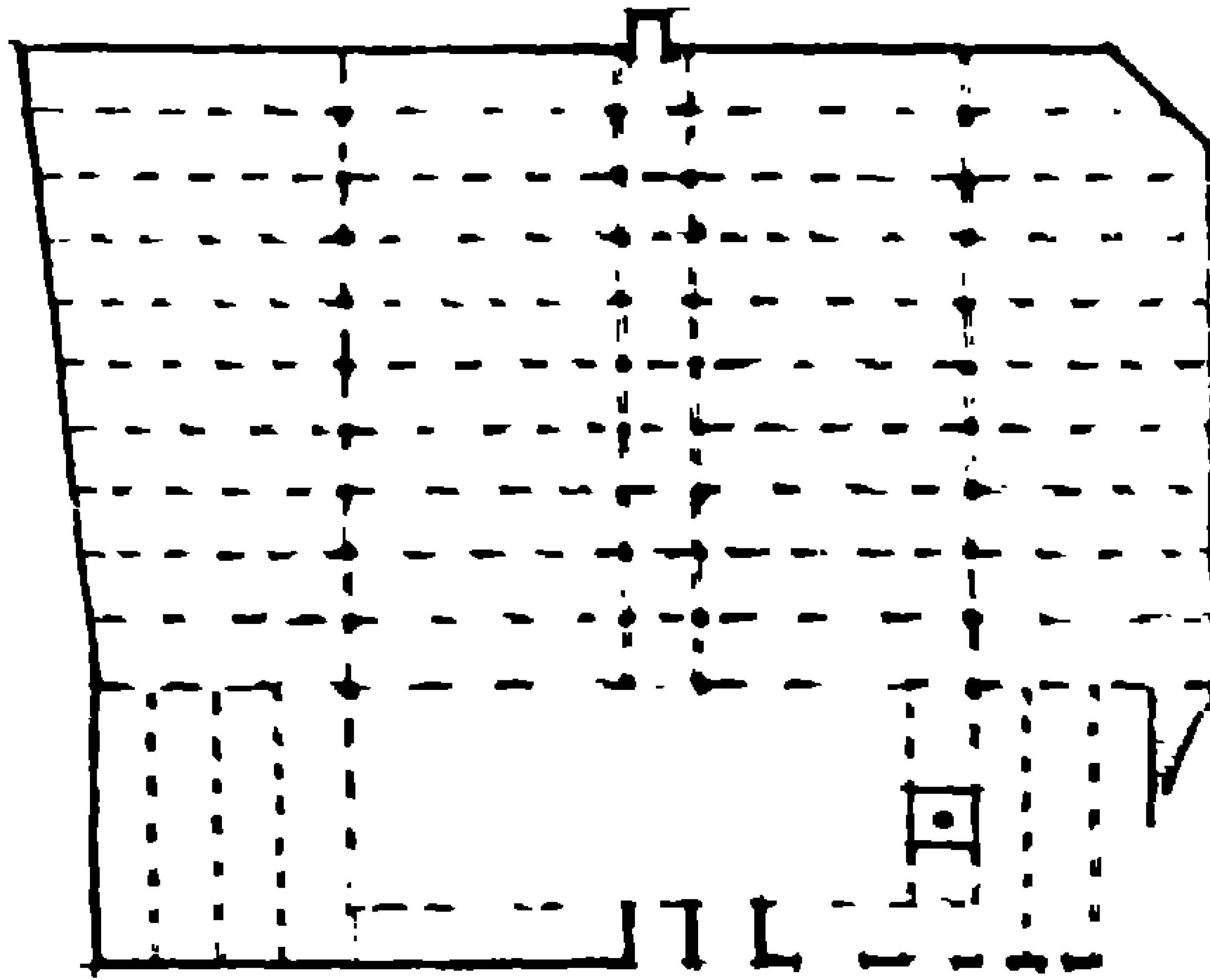


لوحة ٢٥



جامع الكبير ـ بوسه ـ الرباط (٨٥١ م)

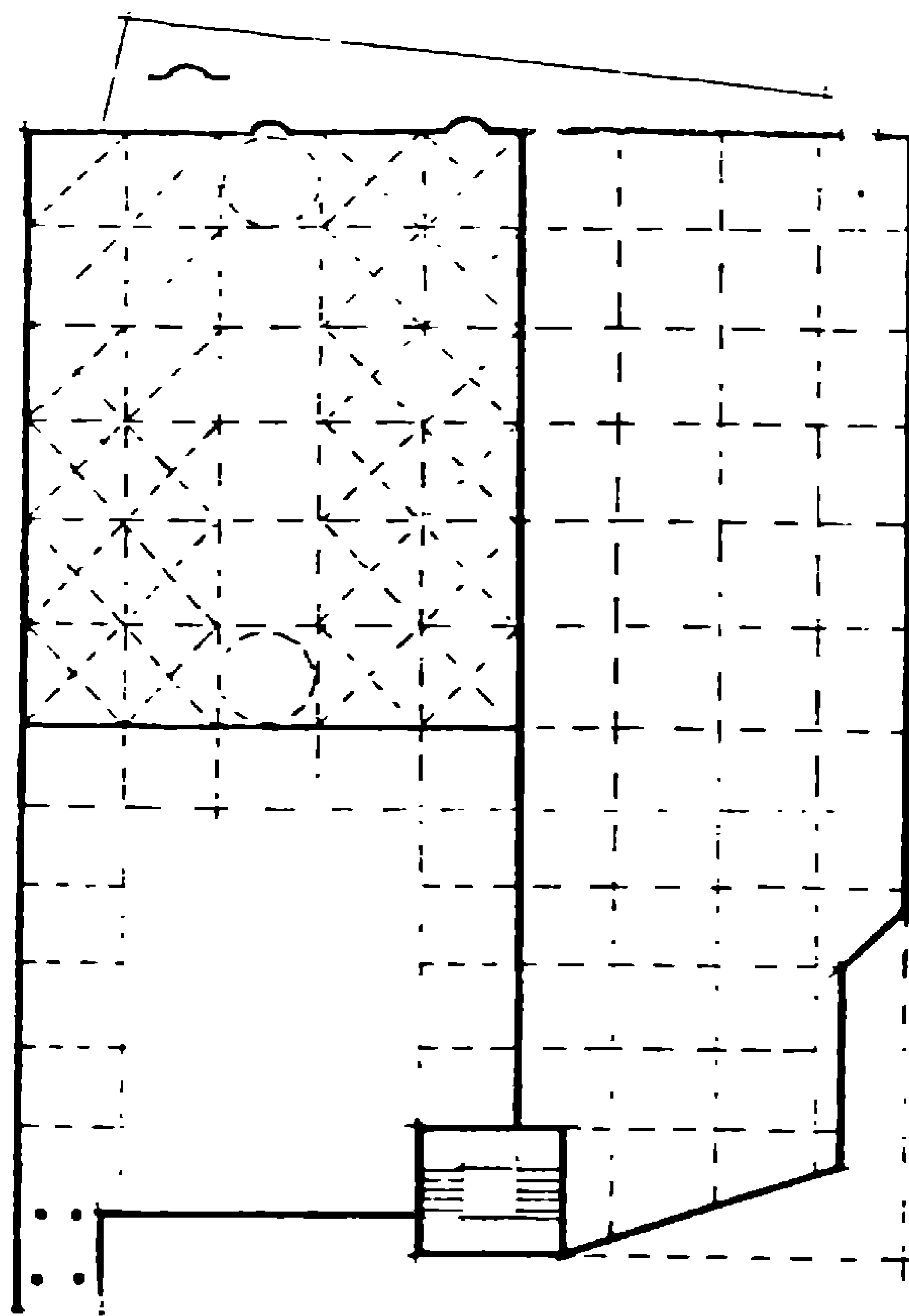
لوحـــه ٧٦





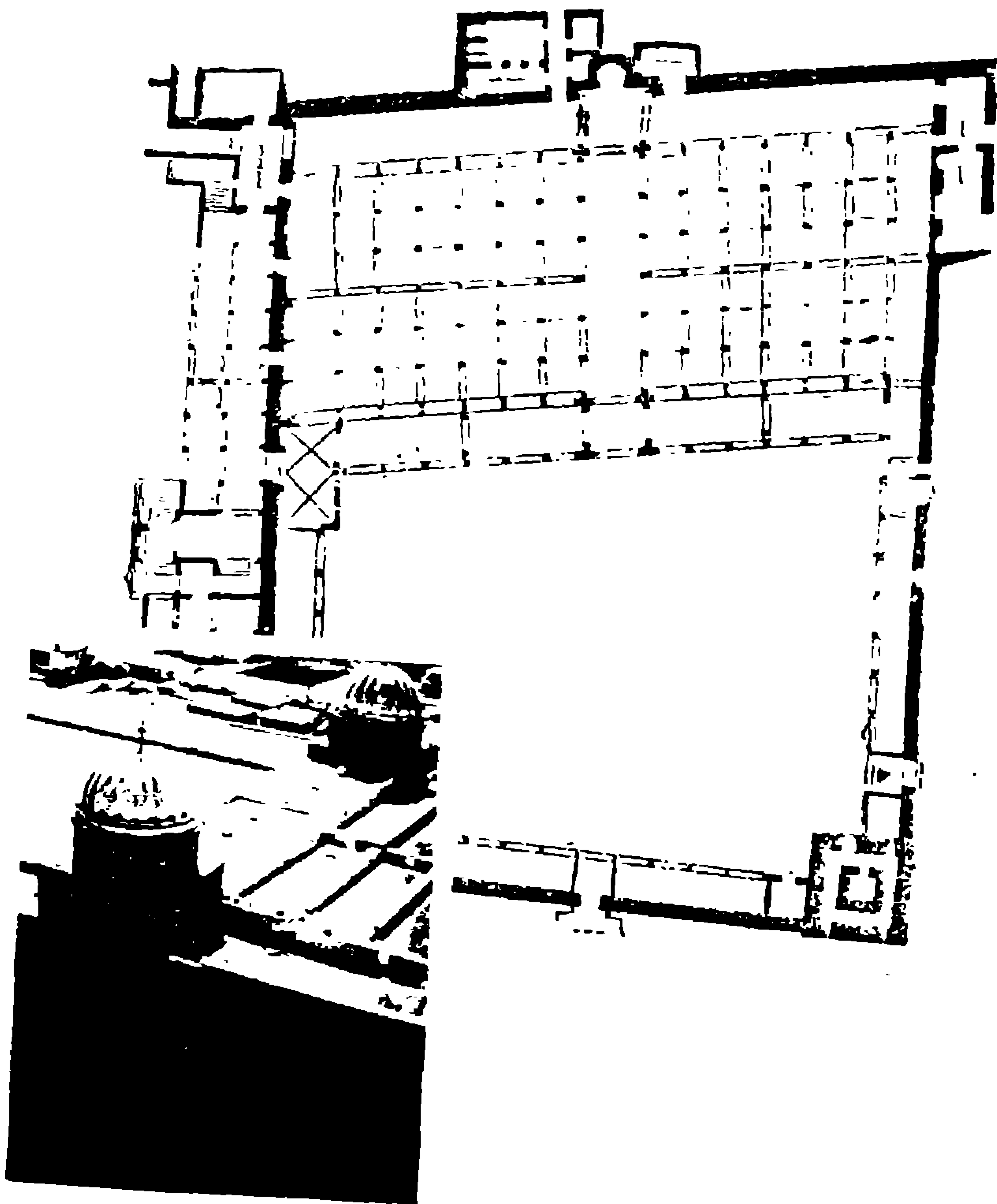
جامع القرويين بالمغرب (٩٥٦ م)

لوحه ٧٧



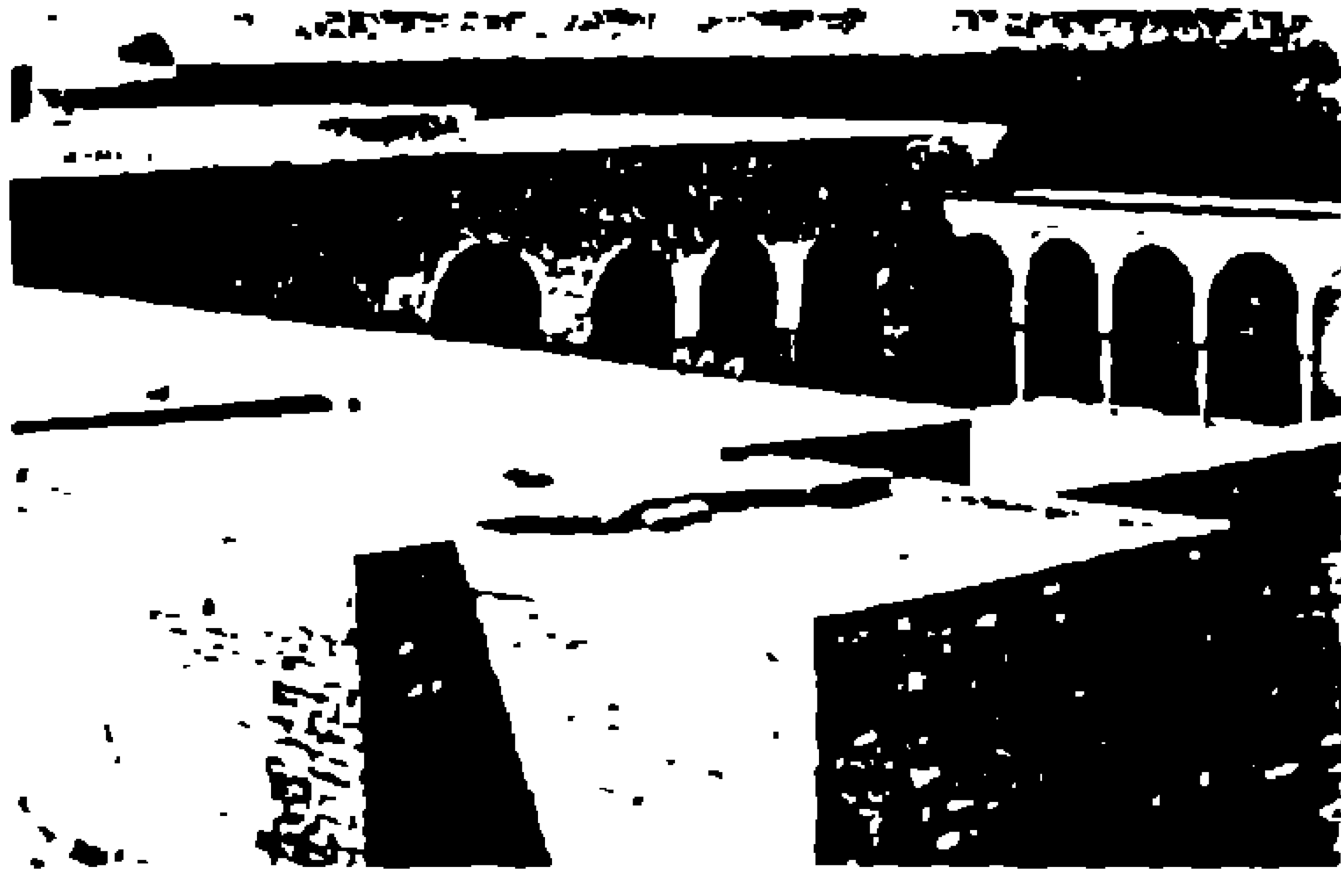
جامع سفاقس ـ تونس (القرن ٩ ـ ١٠ م)

لوحه ٧٨

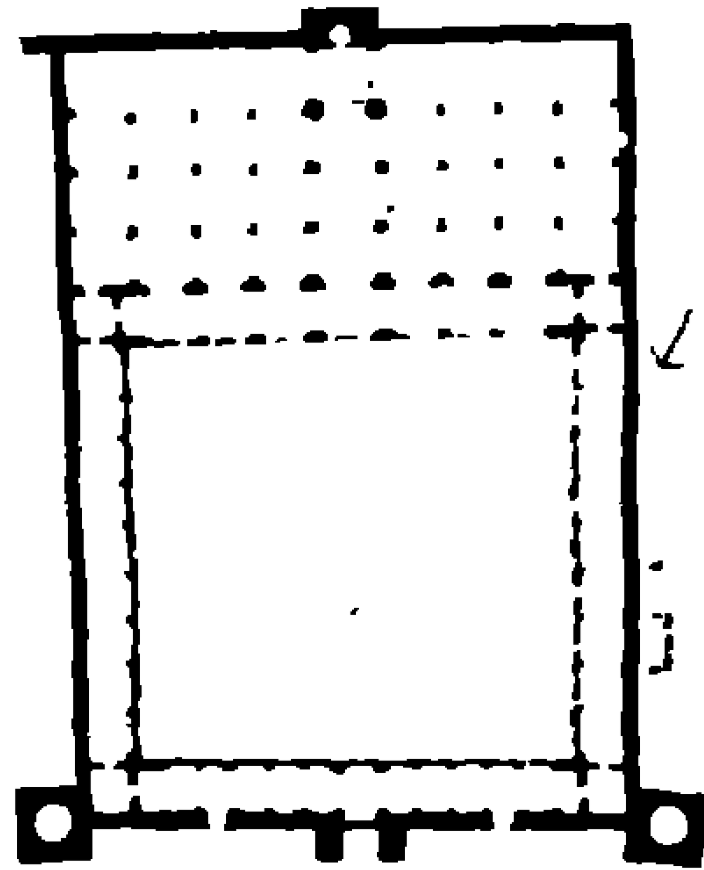


جامع الزيتونه ــ تونس (القرن ٩ ــ ١٥ م)

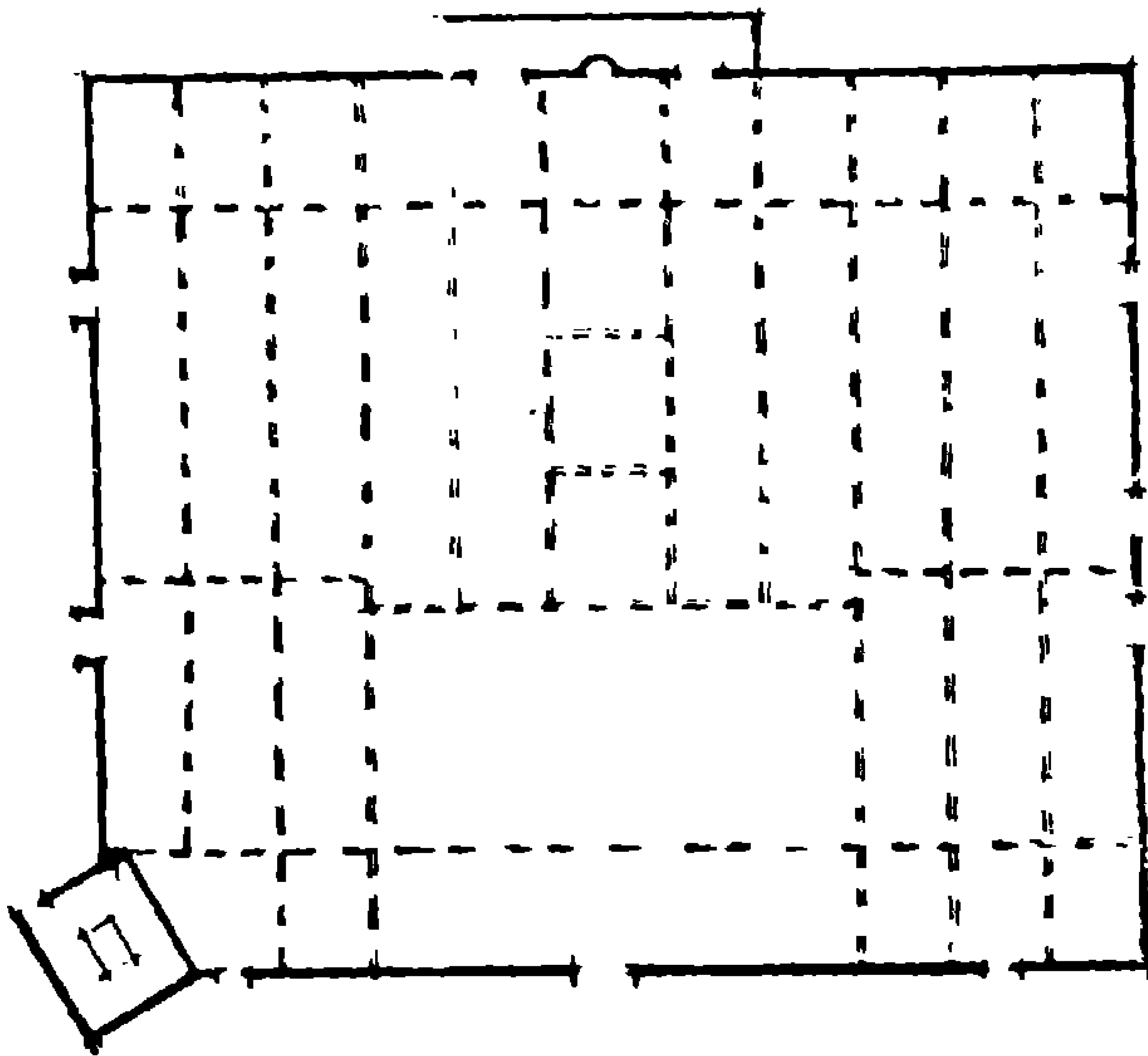
لوحـــة ٧٩



جامع المهدية ـ تونس (٩١٦ م)

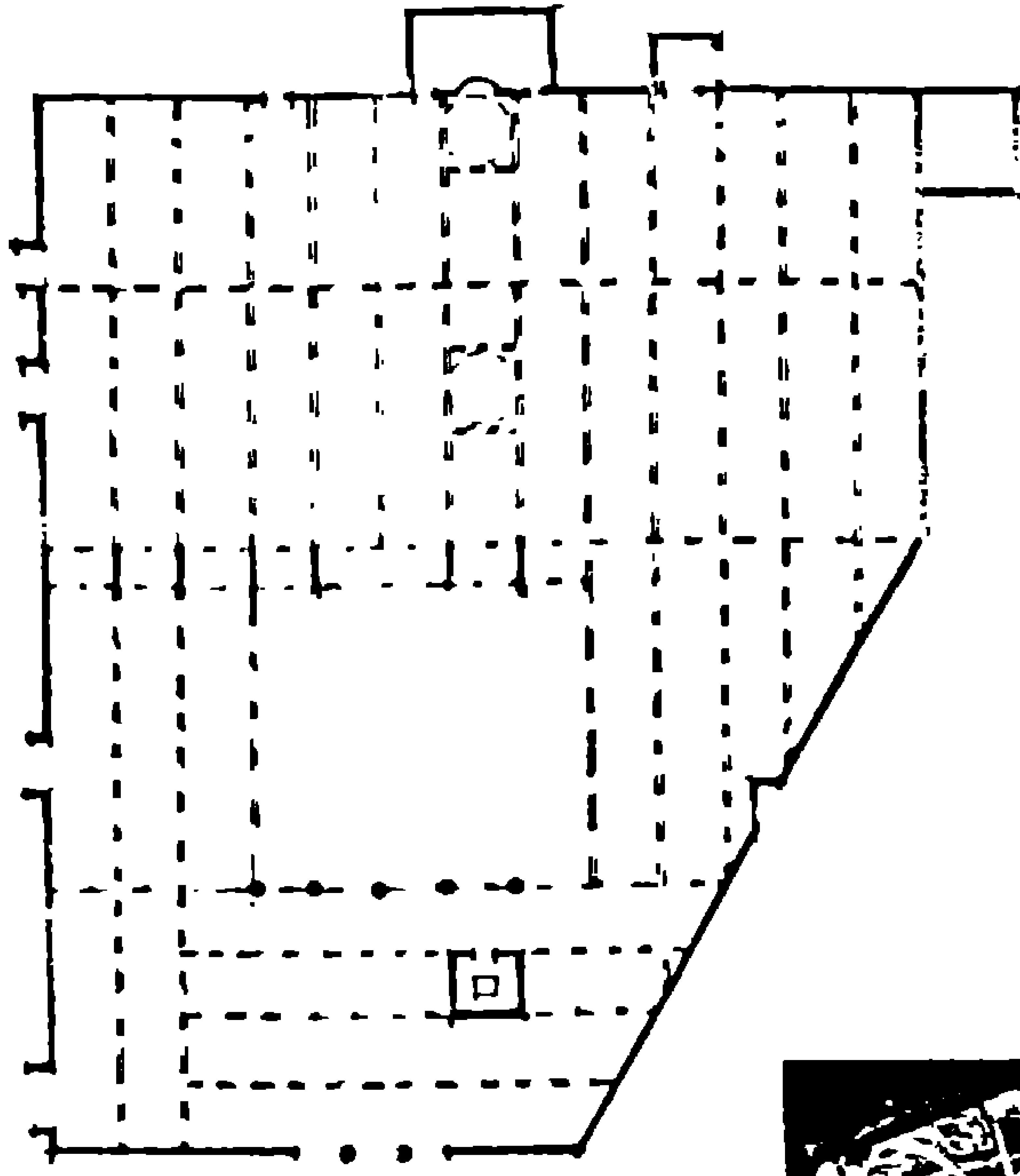


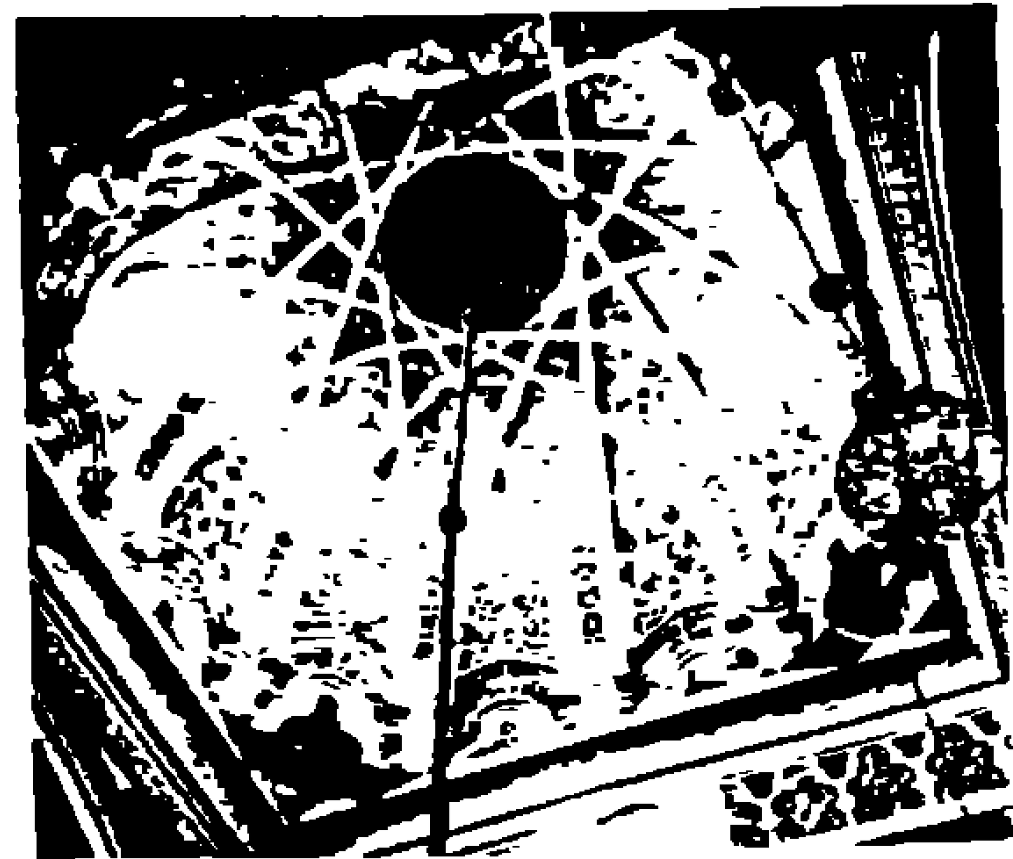
لوحـه ٨٠



الجامع الكبير بالجزائـر (١٠٩٦م)

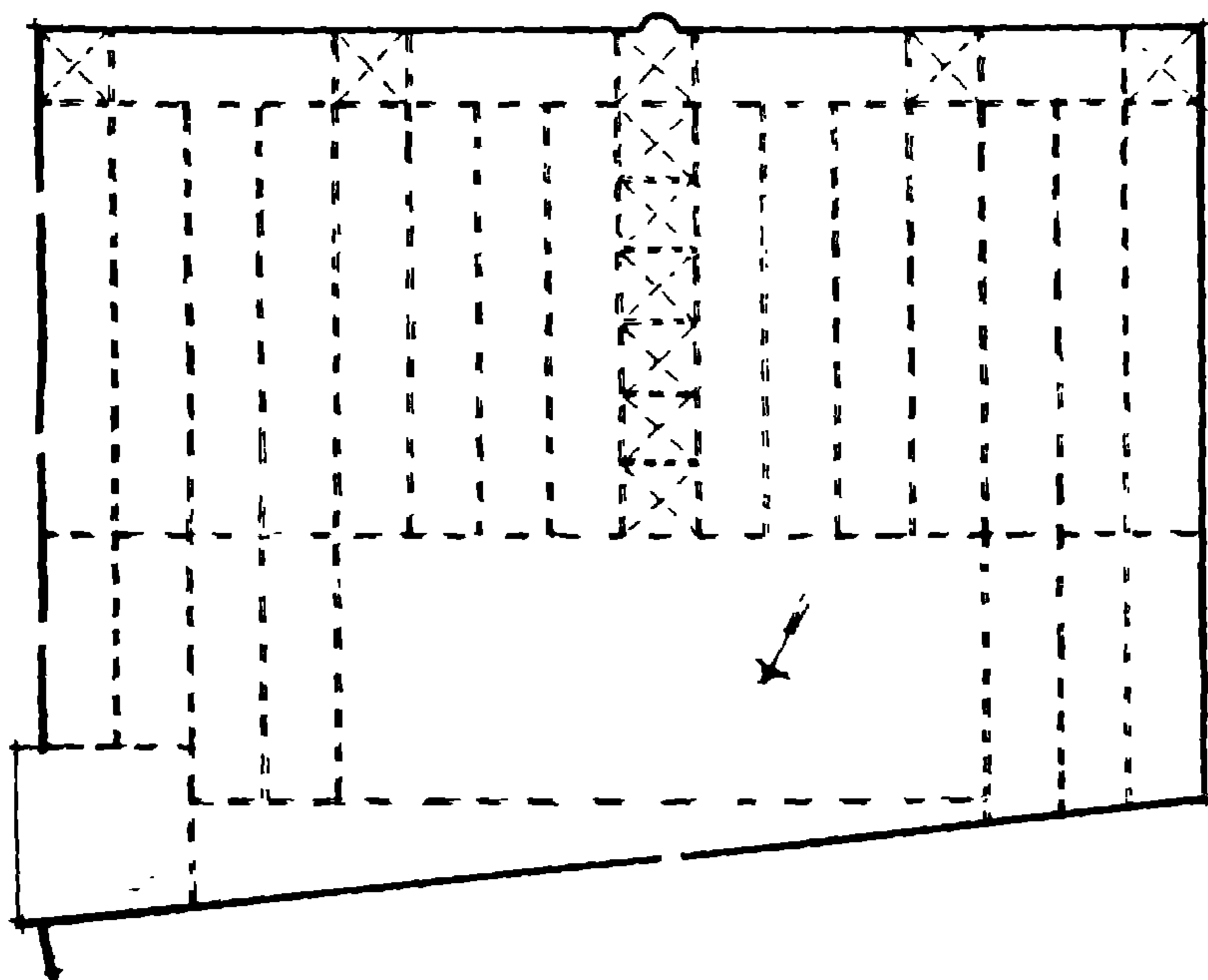
لوحه ٨١



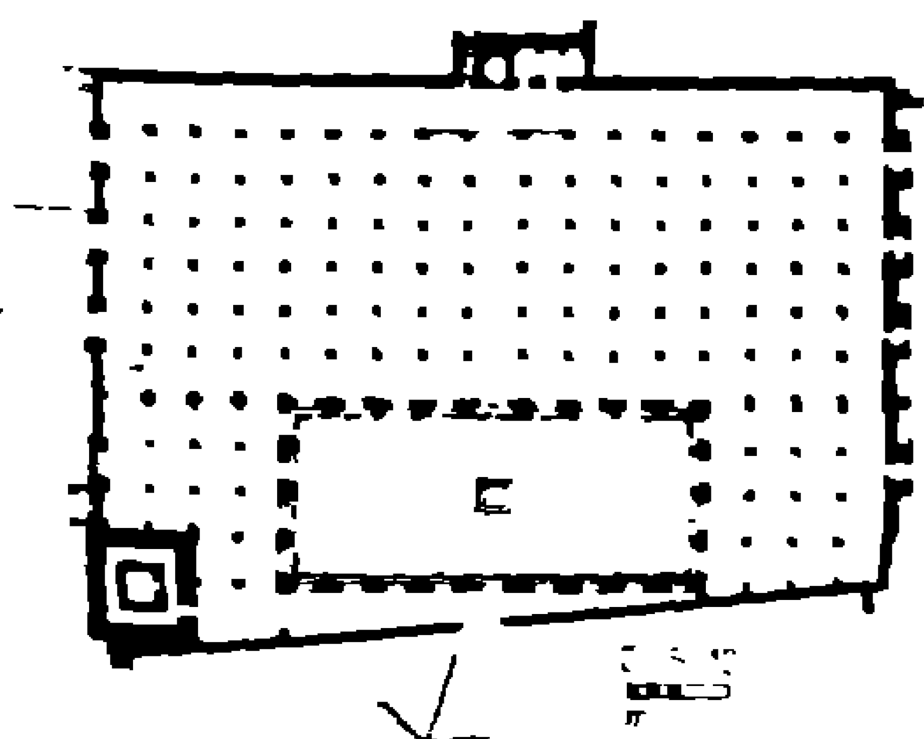


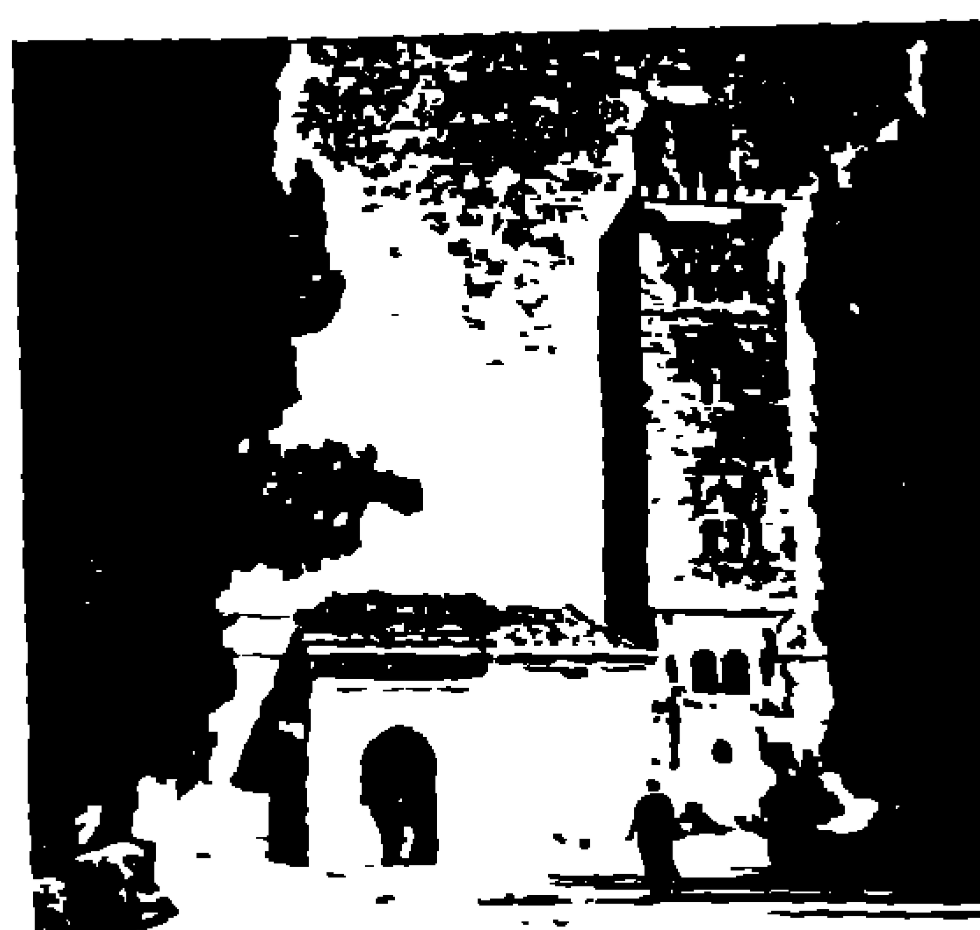
الجامع الكبير بتلمسان ـ الجزائر
(١٠٨٣ م)

لوحـــه ٨٢

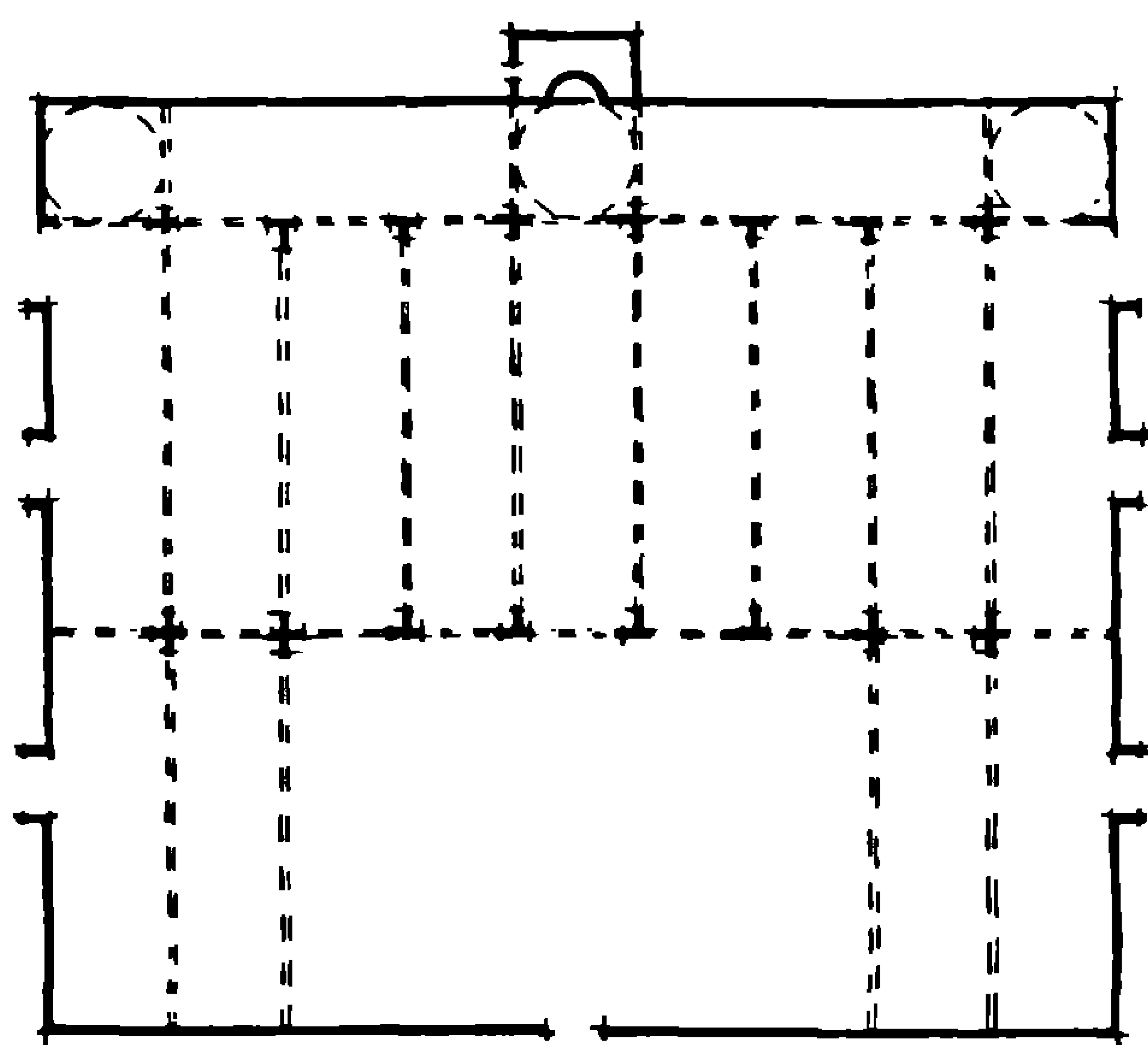


مسجد الكتبية ـ مراكش (١١٩٦م)



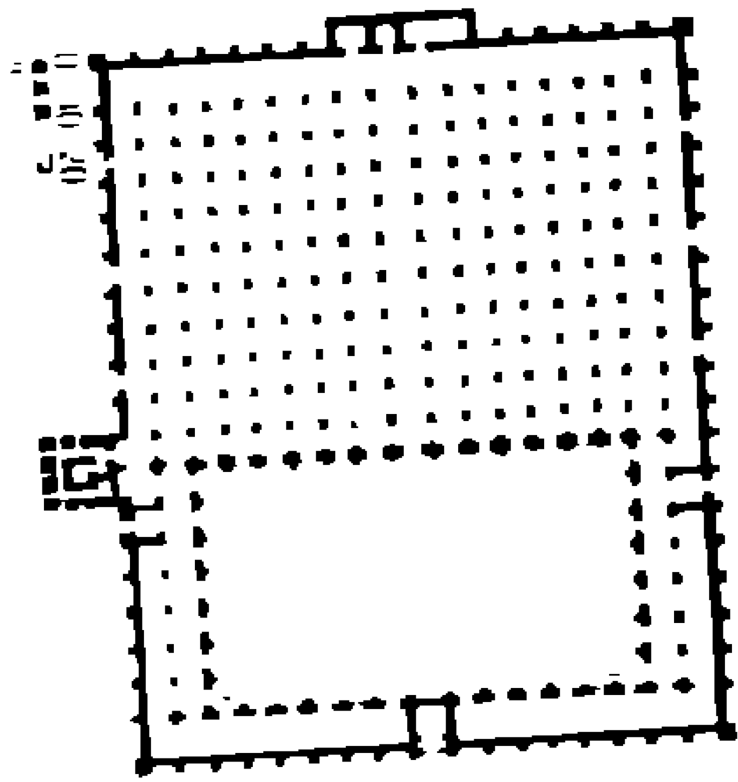


لوحـــه ٨٣

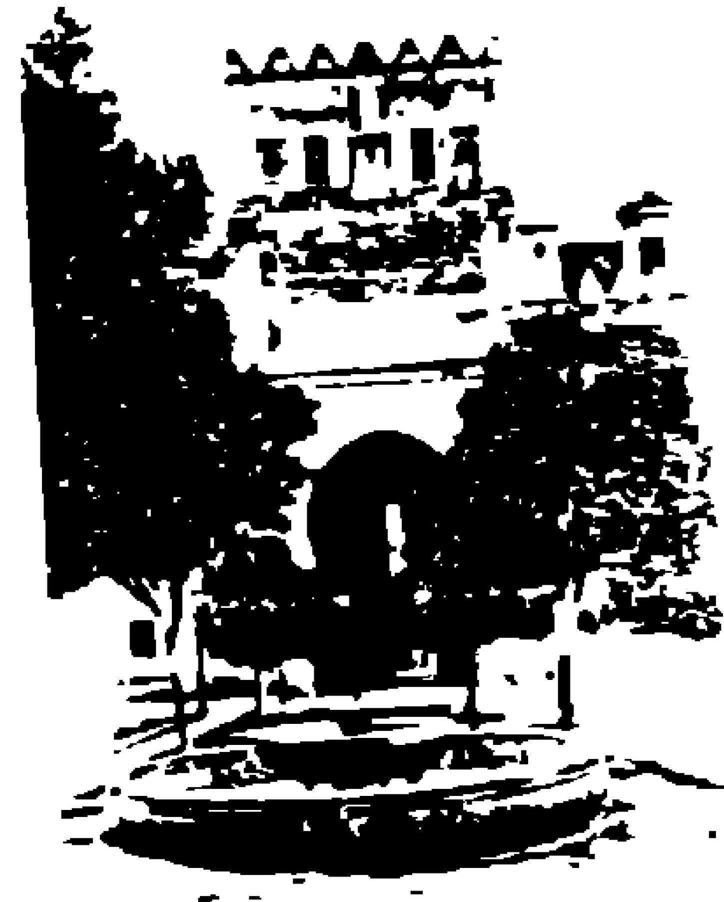


مسجد تنميل - مراكش (١١٣١ م)

لوحه ٨٤



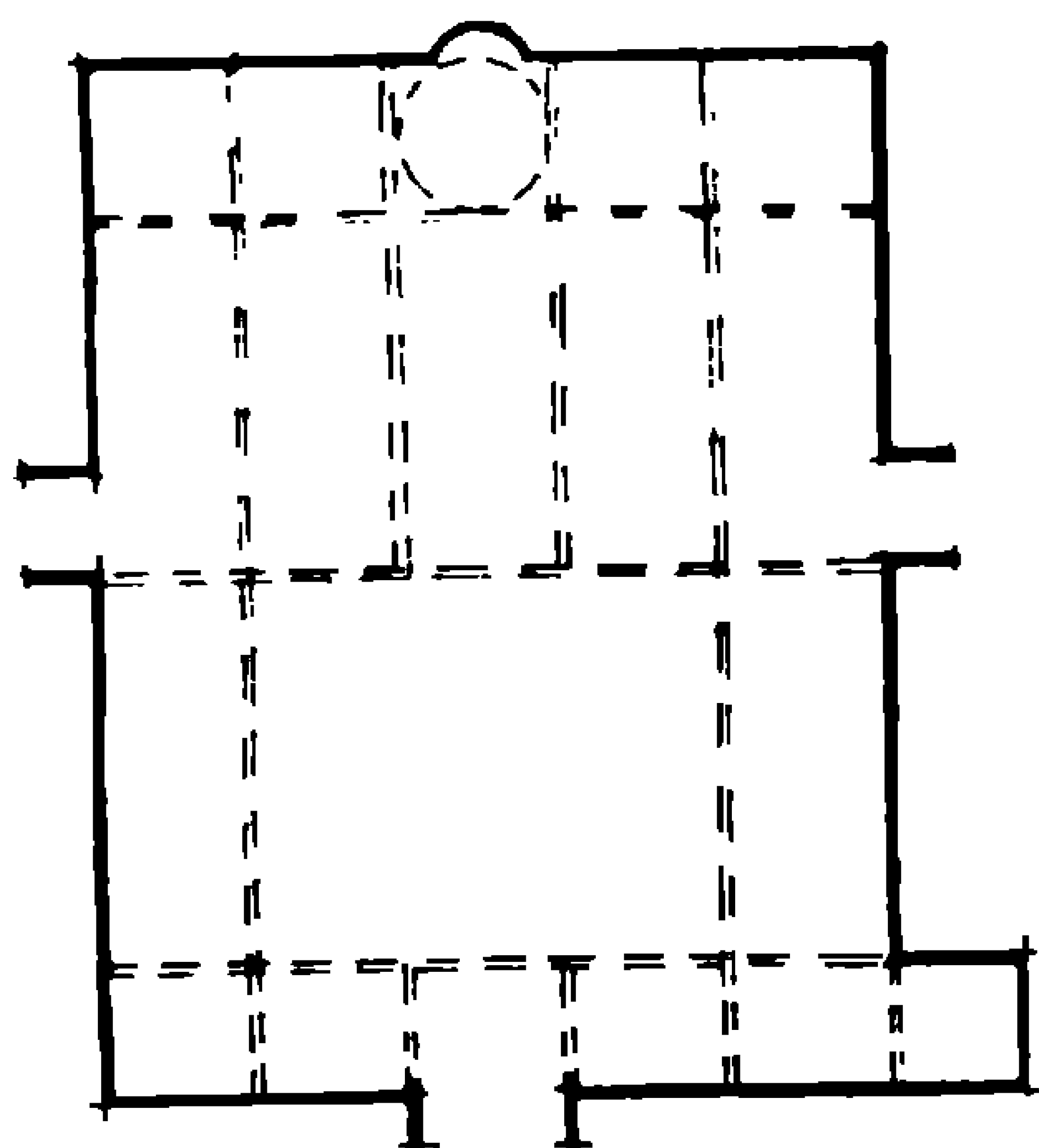
جامع اشبيلية ـ اسبانيا
(١١٧١ م)





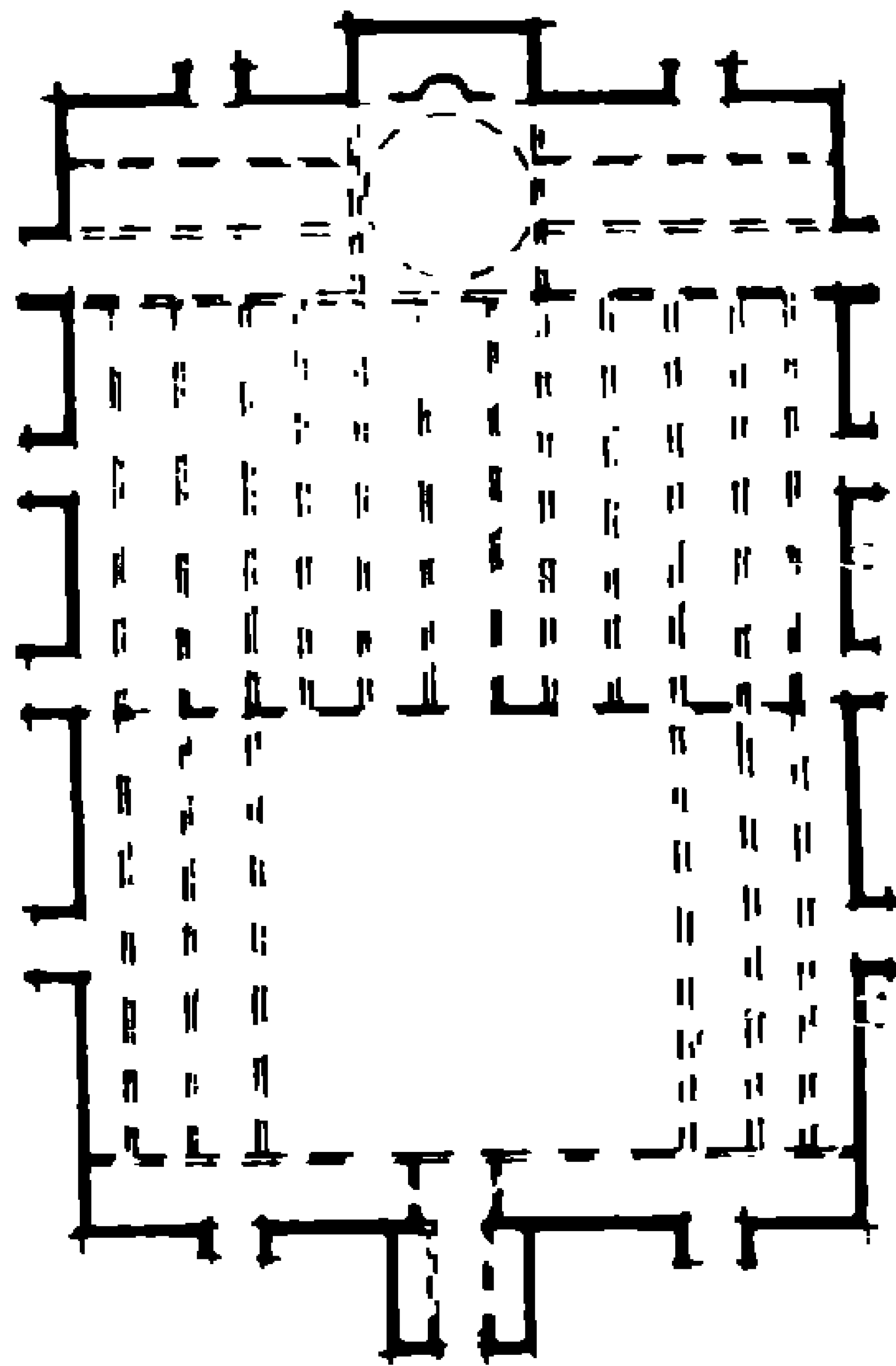
الجيرالدا

لوحه ٨٥

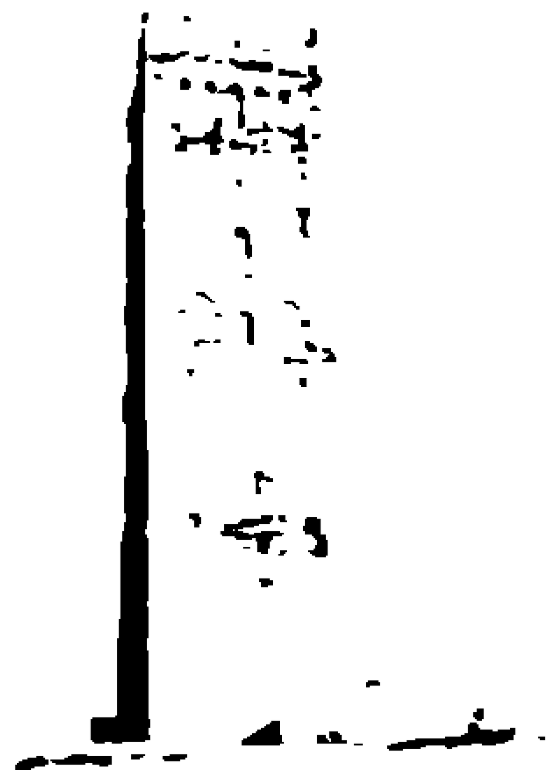


مسجد سيدى الحلوى _ تلمسان
(القرن ١٣ م)

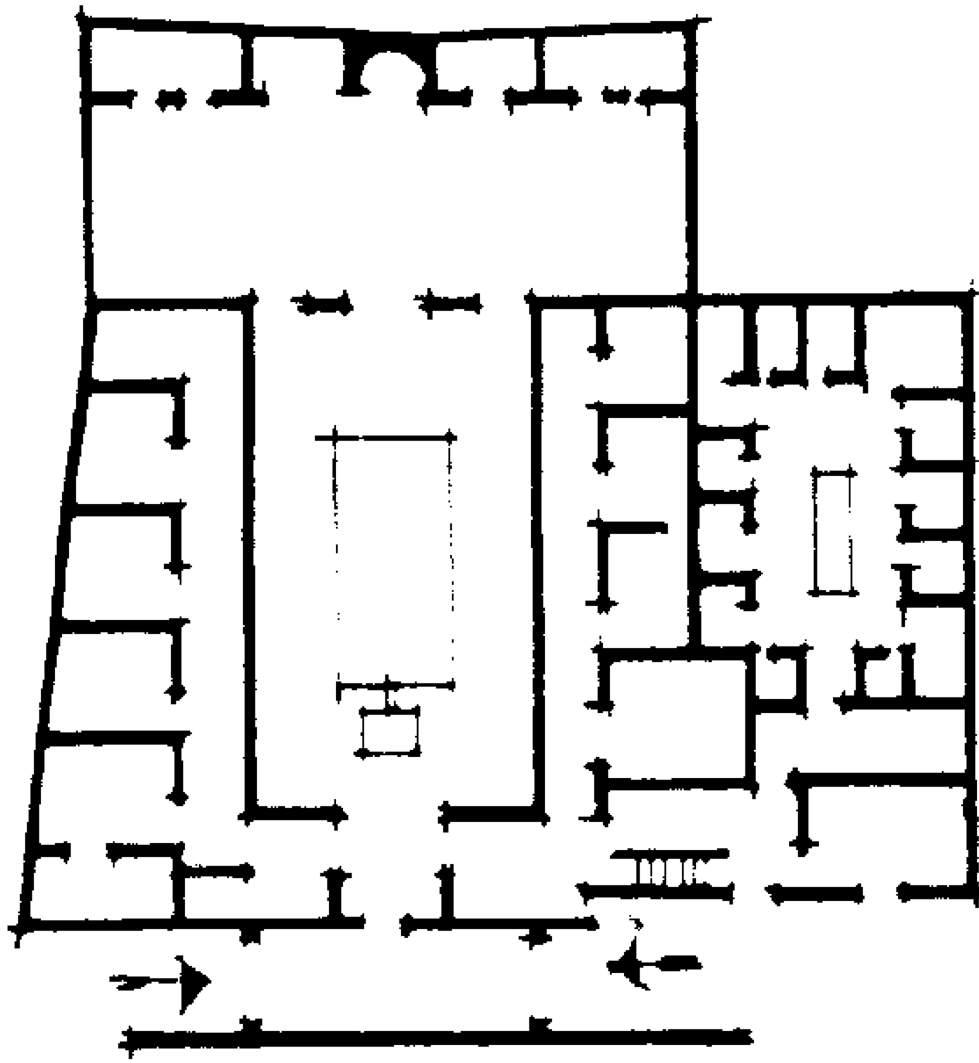
لوحه ٨٦



الجامع الكبير بالمنصوره ـ تلمسان
(القرن ١٤ م)



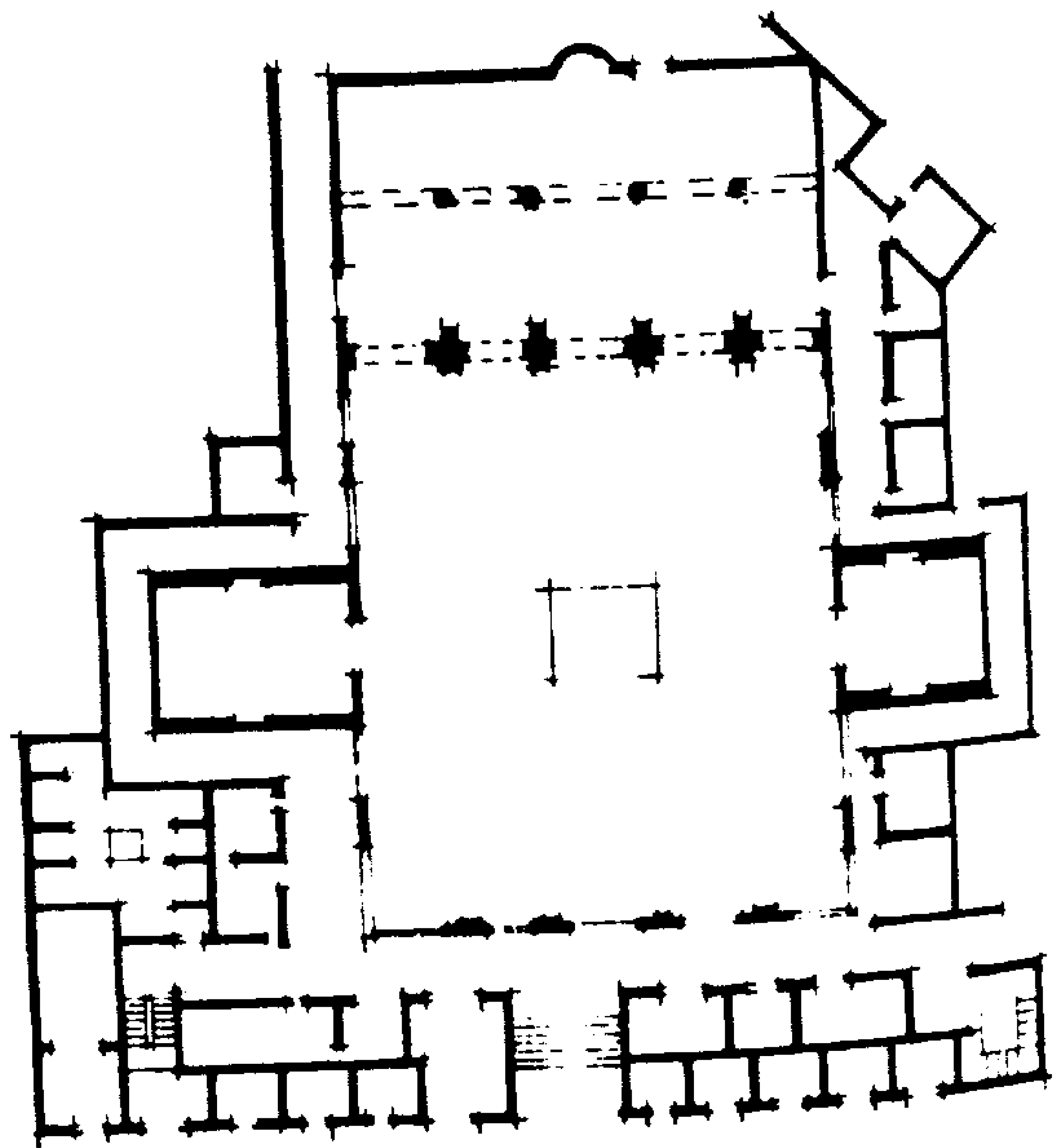
لوحـه ٨٧



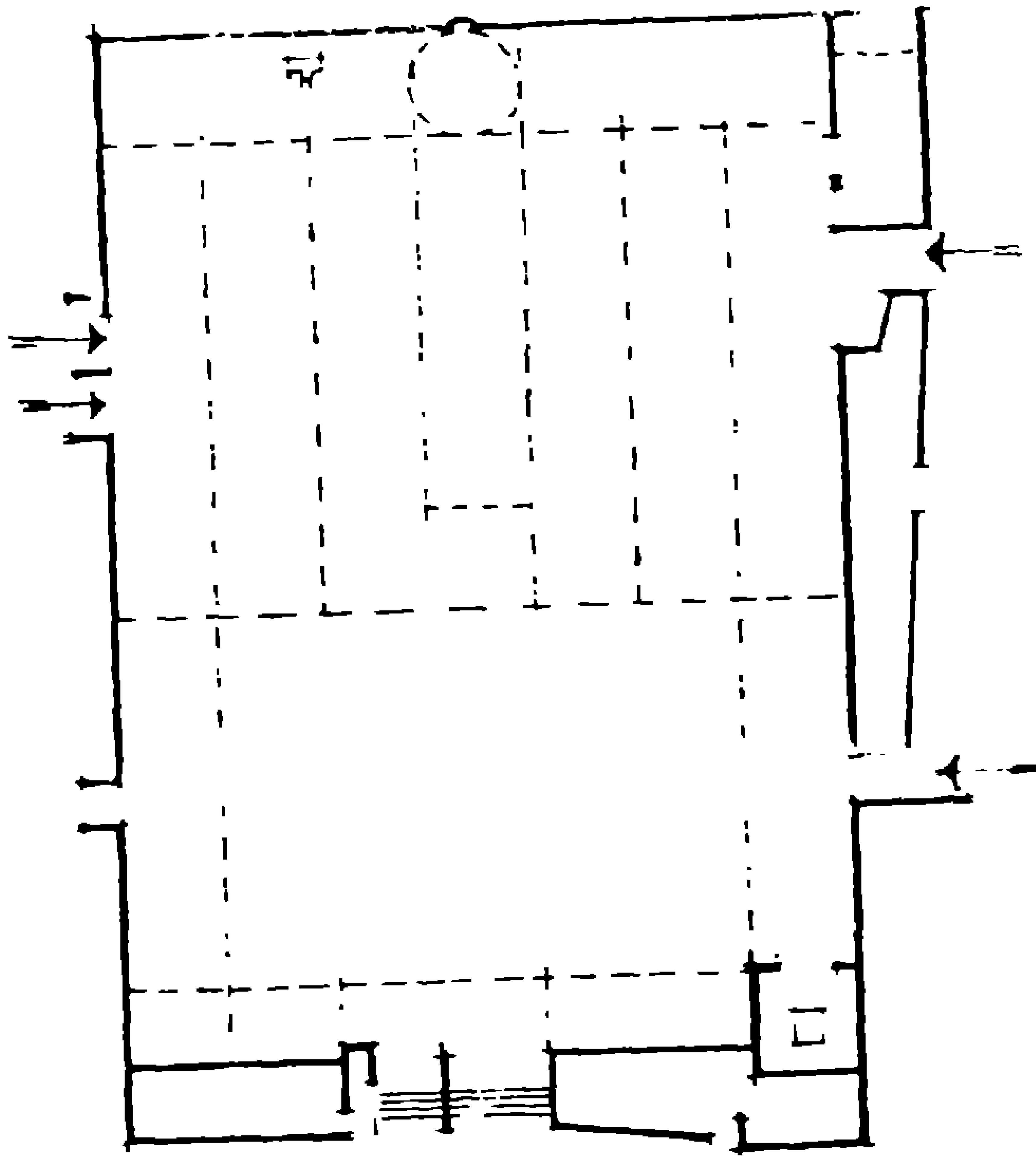
مدرسة الصهاريج ـ المغرب
(القرن ١٤ م)



مدرسة بوعنانية ـ المغرب
(القرن ١٤ م)

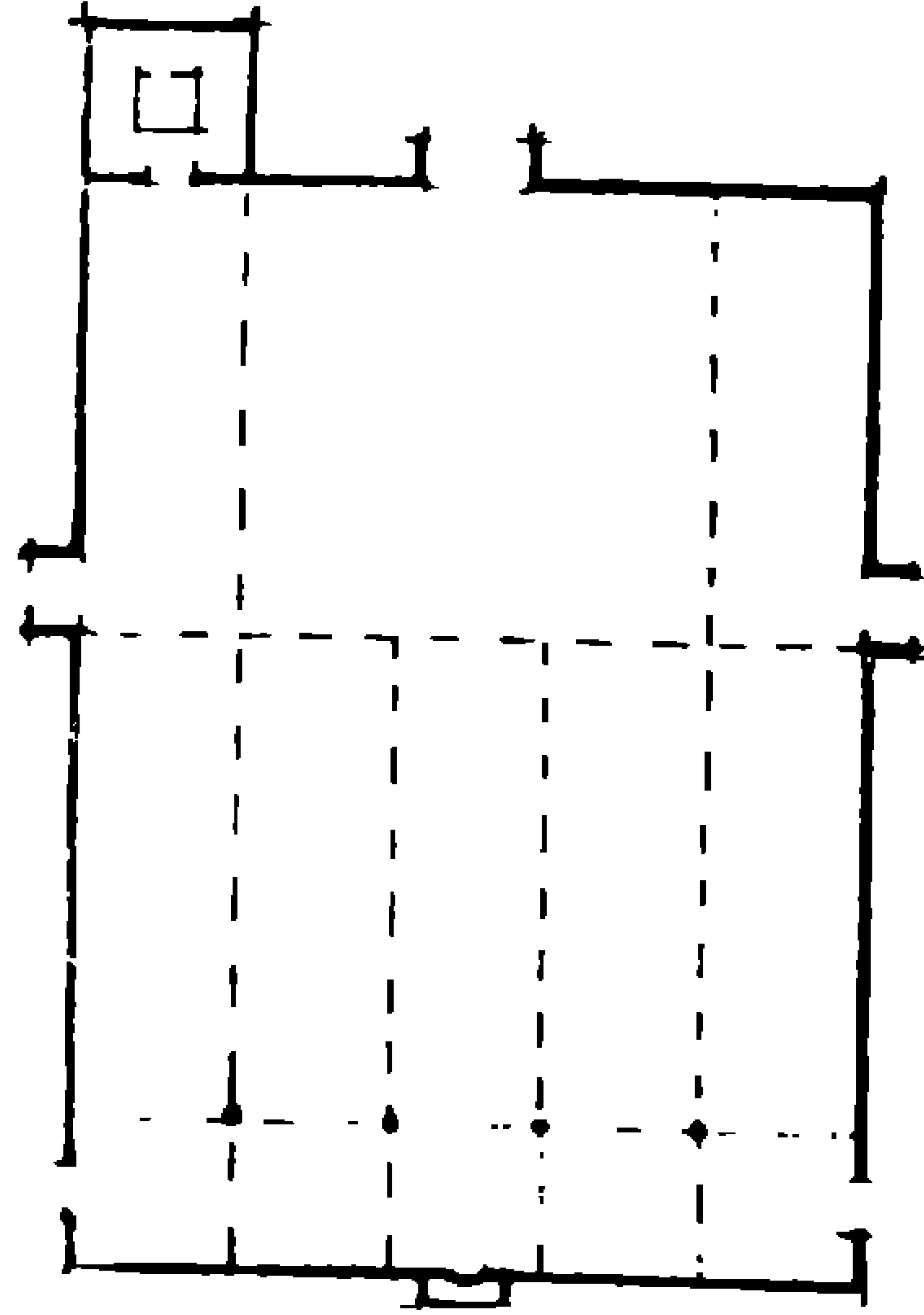


لوحه ٨٨



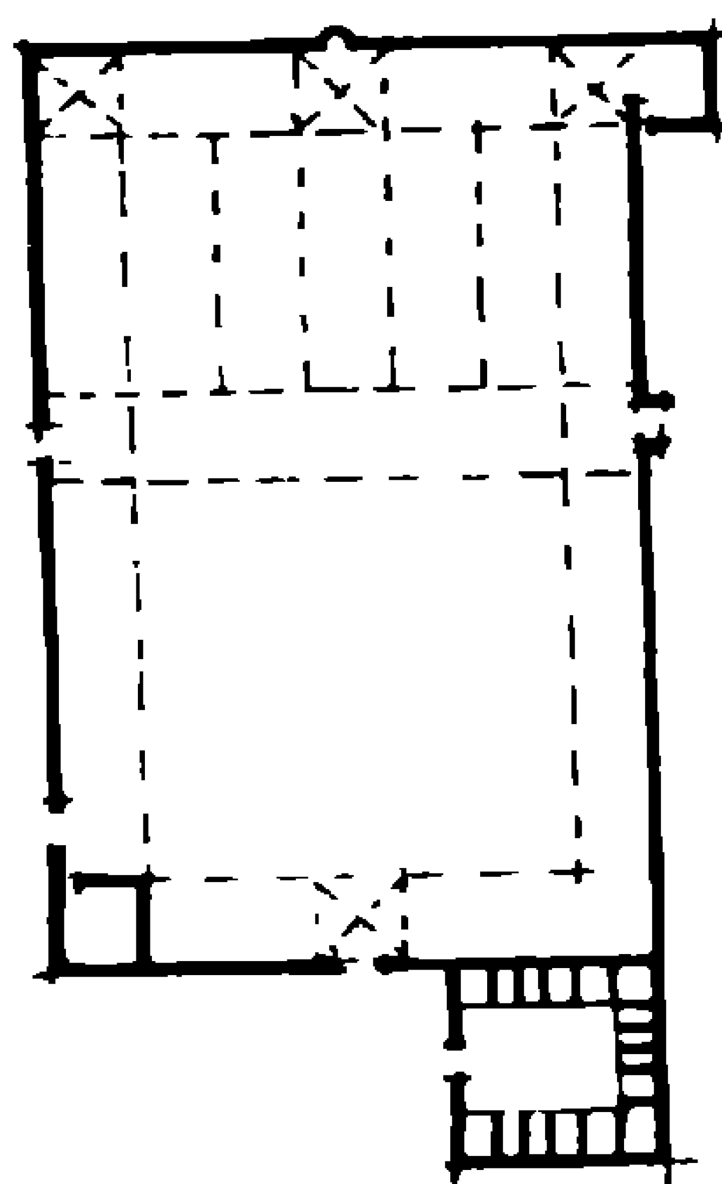
الجامع الكبير بفاس الجديدة ـ المغرب
(القرن ١٤ م)

لوحــه ٨٩



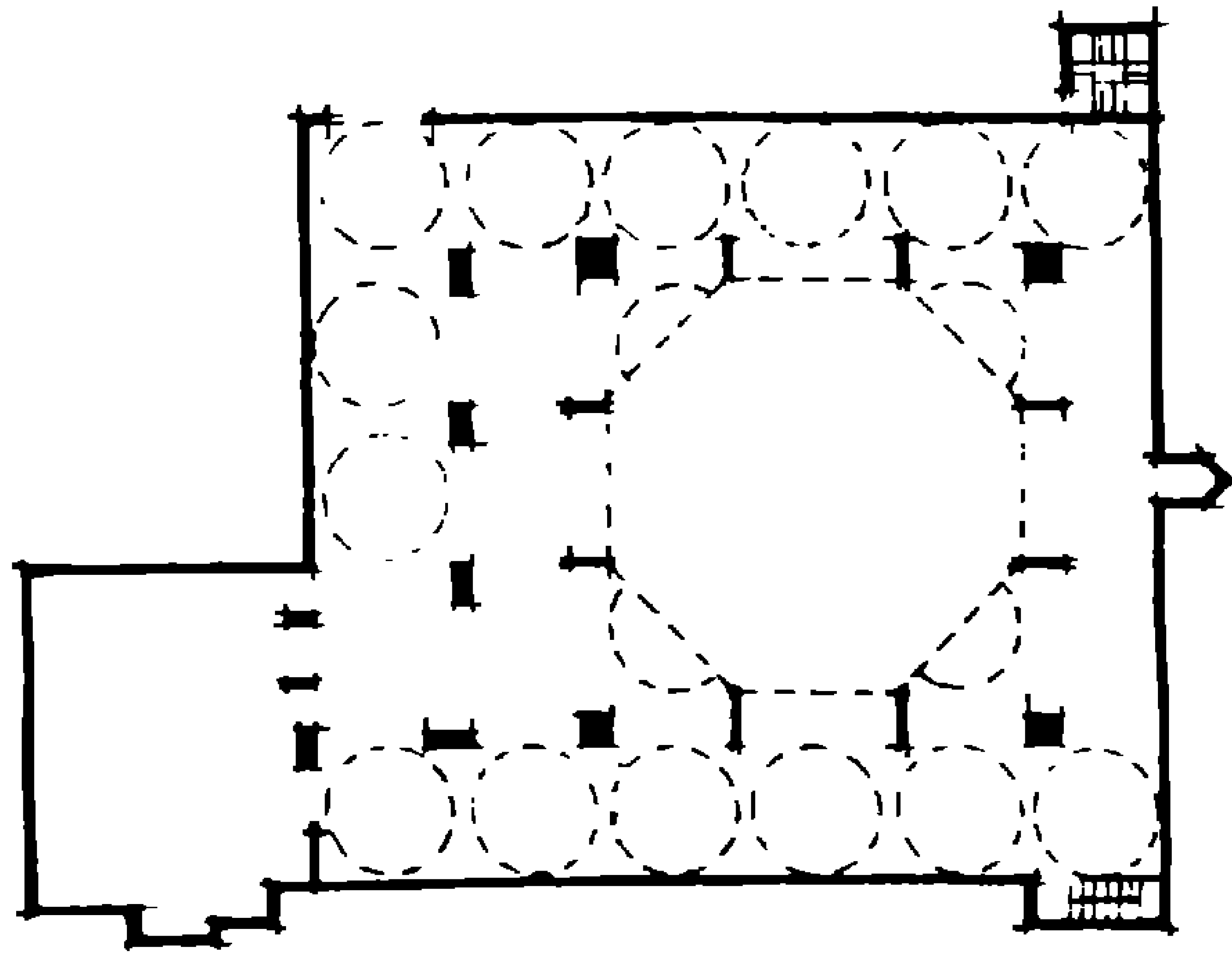
مسجد الحمرا بفـاس الجديدة ـ المغرب
(القرن ١٤ م)

لوحـــه ٩٠



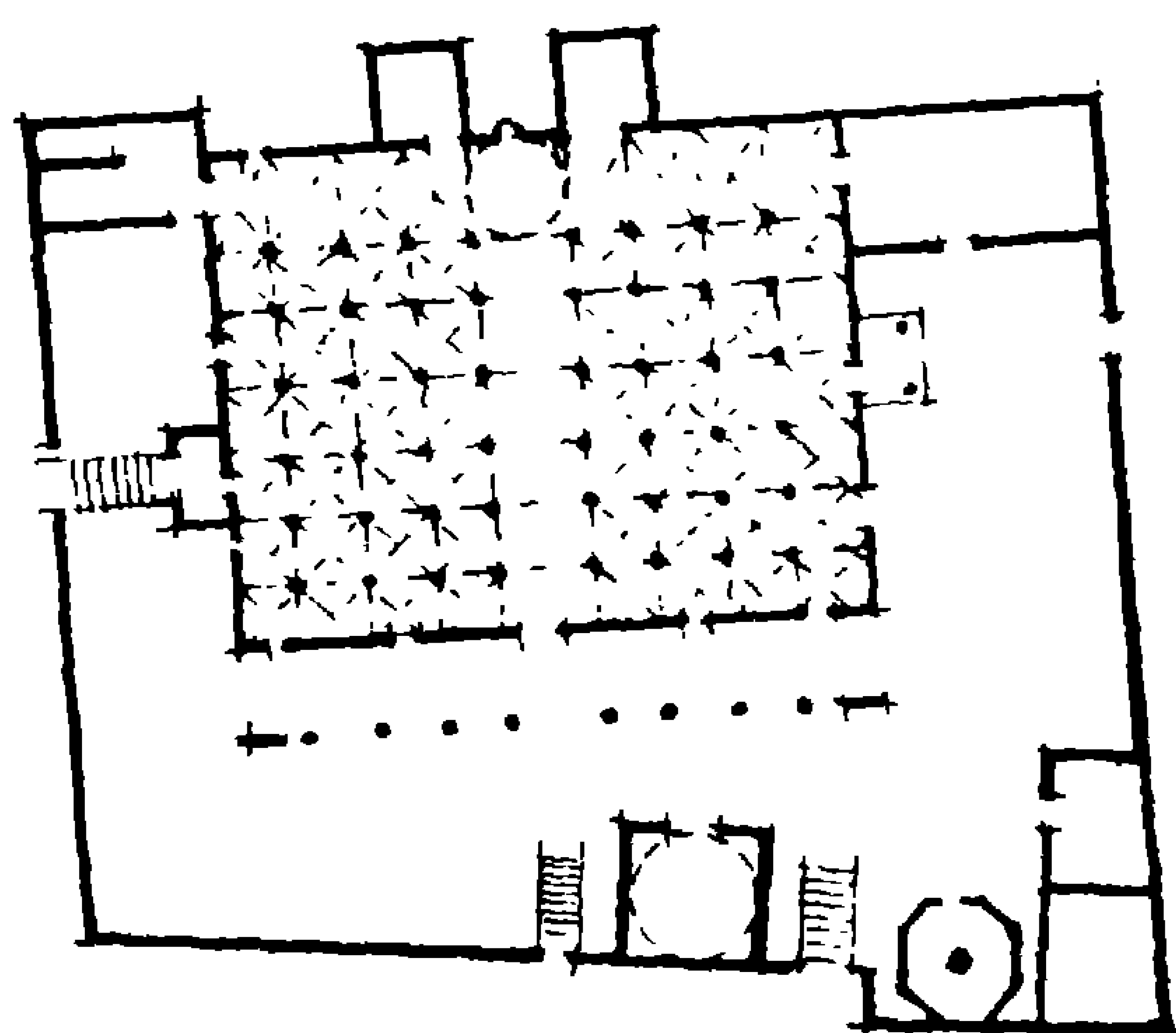
جامع باب دوكالا ـ مراكش (القرن ١٦ م)

لوحـه ٩١



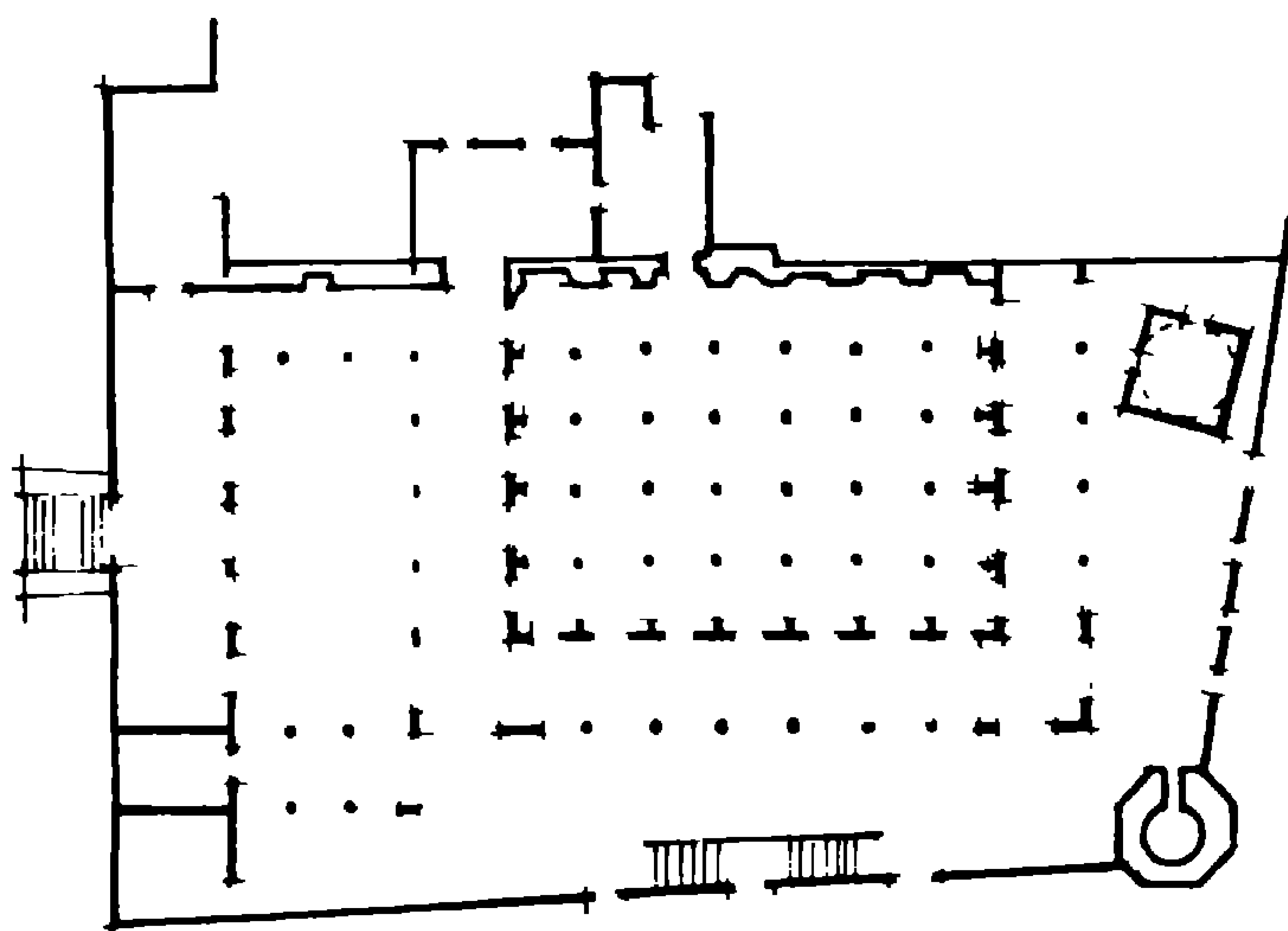
جامع بتشنين علـى ـ الجزائر (١٦٢٢ م)

لوحـه ٩٢



مسجد يوسف داى ـ تونس (١٦١٠ م)

لوحـــة ٩٣





مسجد حموده باشا ـ تونس
(١٦٥٤م)

٤ ـ عمارة المسجد وتطورها فى الهند

مقدمة تاريخية

منذ عهد الامويين كانت هناك غزوات اسلامية على الهند ، ولكن منذ بداية القرن الحادى عشر بدأ التوسع الاسلامى يظهر بصورة واضحة . ويعتبر القرن الثانى عشر الميلادى هو التاريخ الحقيقى لبداية الفن الاسلامى فى الهند حينما جاء محمود الغزنوى واستولى فى عام (١١٩٣م) على معظم بلاد شمال الهند ، وتكونت دولتان اسلاميتان احداهما استقرت فى دلهى والاخرى استقرت فى البنجاب فى العاصمة القديمة جور GUR . وفى عام (١٣١٦م) ظهرت دويلات صغيرة مستقلة ولكل منها عاصمتها فنرى مثلا احمد أباد وجانبور وبيجابور وغيرها .

وفى الفترة التى تقع ما بين عامى (١١٩٣م) و (١٥٢٥م) أى فترة ما قبل دخول المغول الى الهند نجد أن الفن الاسلامى هناك لازال يميل كلية الى الطراز الهندى . أما الفترة الثانية وهى المغوليه فتبدأ من عام (١٥٢٦م) الى عام (١٧٢٠م) . وكان مؤسس هذه الدولة السلطان بابار BABAR واستقر فى أجرا AGRA واستولى على هذه الدويلات الصغيرة ، وكان محبا للفنون عامه وبخاصة الايرانية : من الموسيقا والشعر، كما بعد عن الفلسفه الهندية ، ولذلك دخلت الفنون الايرانيه على الفن الاسلامى بالهند ، وظل الطراز الهندى جنبا الى جنب مع الفن الايرانى . وقد ظهر هذا التأثير بشكل واضح فى طرق الانشاء .

ومن أهم ملوك المغول السلطان اكبر AKBAR (١٥٥٦ ـ ١٦٠٥م) انشأ مدينة فاتح بور سيكرى بالقرب من أجرا وكانت زاخره بمختلف المبانى وجعلها العاصمة . كما نجد من اهم ملوك المغول أيضا السلطان شاه جهان SHAH JAHAN (١٦٢٨ ـ ١٦٥٨م) حيث بلغ الفن الاسلامى فى عهده الى الذروه ، وتوج اعماله بانشاء تاج محل باجرا ومسجده الجامع بدلهى . وبعد موت هذا السلطان جاء ابنه وبموته عام (١٧٠٧م) انقضى العصر المغولى ، ثم جاء الحكم البريطانى . وفى عام (١٩٤٧م) انقسمت البلاد الى جمهورية الهند وجمهورية باكستان .

كما ذكرنا سابقا فاننا نجد التأثير الهندى والتأثير الايرانى وكلا الفنين الهندى والايرانى من الفنون الاصيله ذات الجزور العميقه ونذكر من التأثيرات الايرانية على الفن الاسلامى بالهند انتشار استعمال العقد الفارسى المسمى KEEL ARCH وكذلك استعمال الايوانات والتى تكون مداخل بارزه للمساجد، وفى بيت الصلاه نجد قاعة القبة التى امام المحراب ببعض المساجد المغولية بالهند •

أما التأثير الهندى فى الفن الاسلامى فنراه واضحا فى انشاء القباب ذات بروز المداميك الافقيه وفى الجزء العلوى البارز من الاهاوفى القباب الصغيرة التى ترتكز على قوائم صغيره تعلو السقف مفتوح فيما بينها لانارة القاعات وخاصة قاعات الصلاة •• كذلك نجد هذا التأثير الهندى فى الدعائم والاعمدة ذات الطراز الهندى التى تعلوها كوابيل مدرجه ومزخرفه تتصل مع بعضها من أعلى بشكل اعتاب أفقية ، كذلك نرى القواطيع والحشوات الرخامية المفرغه باشكال زخرفيه •• هذا علاوة على الزخارف والتصوير الجدارى ذى الطابع الهندى •

ـ عماره المساجد الاولى وتطورها :ـ (لوحه ٩٤)

لاشك أن المساجد الاولى فى الهند كانت بدائية وأنها تهدمت وربما كانت من الخشب أسوة بما كان متبعا فى المعابد الهندية •

ومن أقدم هذه المساجد مسجد قوة الاسلام من القرن الثانى عشر الميلادى بدلهى القديمة بناه القائد قطب الدين عام (١١٩٨م) ولم يبق من هذا المسجد الا مئذنته المشهوره باسم قطب منار وبقايا بعض المبانى والقباب • أما المئذنه فتتكون من عمود اسطوانى مقطعه مضلع وكأنه حزمه من سيقان نباتيه قطره السفلى اكبر من قطره العلوى تقطعه اربع بلكونات بارزه • والجزء العلوى من هذه المئذنه يدل على انه بنى فى عصر آخر متقدم • كما يدل بناء القبه على انها شبيهه بقباب المعابد الهنديه وقد بنيت بطريقة بروز المداميك الافقيـة •

_ عمارة المسجد وتطورها في القرن الثالث عشر الميلادى :_ (لوحة ٩٥)

من مساجد هذا القرن نستطيع أن نحكم على تخطيط المسجد في تلك البلاد حيث لا يبعد عن التخطيط العام الا في بعض الاختلافات في التفاصيل والانشاء • فالمسجد الهندى ذو شكل مربع أو مستطيل ضلعه الطويل يكون جدار القبله ويتوسطه محراب أو اكثر ونجد في الضلع المقابل المدخل الرئيسى واحيانا نجد مدخلين أو ثلاثة تؤدى الى الصحن •

وبالرغم من استمرار التخطيط العام لمساجد الهند الا اننا نجد بعض المساجد القليلة تشذ عن هذا التخطيط وكانت متأثره بالمعابد البوذية •

ومن أمثلة مساجد هذا القرن نجد مسجد اجمير AJMIR بنى أثناء حكم ALTMASH بين عامى (١٢١١ _ ١٢١٥م) تخطيطه يتكون من صحن مكشوف تحيطه أروقة من الجهات الاربعه ، واكبرها رواق القبله الذى يتكون من عدة بلاطات، وتلك التى امام المحراب قد قسمت الى مساحات مربعه غطى كل منها بقبه ترتكز على ثمانية اعمده _ أما بقية البلاطات فمسقفه بكمرات وأعتاب افقيه تحمل السقف الخشبى المستوى على الطراز الهندى •• أما البلاطات الثلاث التى تحيط بالصحن فهى أيضا مقسمه الى مساحات مربعه يعلوها القباب الصغيرة •

نجد بالجدار الخارجى لهذا المسجد اربعة اكتاف ضخمه تبرز من اركانه الاربعه كما ان له مدخلين تذكاريين أحدهما في منتصف الضلع الشمالى في محور المحراب ، والآخر يبرز بروزا كبيرا ومغطى بقبة في منتصف الضلع الشرقى أسوة بما هو متبع في المعابد الهندية حيث كانت مداخلها تتجه دائما نحو الشرق •

لم نجد رواق الصلاه مطلا على الصحن بأعمدته وعقوده كما هى العادة في التصميم التقليدى بل بنى حائط أمام هذا الرواق كساتر SCREAN فتح به سبع فتحات معقوده بعقود مدببه من النوع المنتشر بايران والمسماه بالعقد الفارسى • ونلاحظ أن الفتحه الوسطى اكثر اتساعا وهى المقابله للمحراب الاوسط ولذلك فقد كانت اكثر ارتفاعا من بقية الفتحات كما ترتفع على جانبيها شبه مئذنتين قصيرتين قطاعهما يشبه قطاع قطب منار •

ـ عمارة المسجد وتطورها فى القرن الرابع عشر الميلادى :ـ (لوحة ٩٦ ـ ٩٧)

نجد من مساجد هذه الفترة مسجد ادينـاه ADINAH بالقرب من مدينة جـور بالبنجاب بنى أثناء حكم سيكندر SIKANDAR شاه (١٣٥٨ ـ ١٣٨٩ م) ويحمل هذا المسجد العديد من النصوص العربية وتصميمه يقرب من التخطيط العادى من حيث أنه مستطيل يتوسطه فناء تحيط به أربعة اروقه اكبرها رواق القبلة وهذه الاروقه تطل على الفناء عن طريق جدار فتح به عدة فتحات معقوده كالتى وجدناها فى مساجـد الفترة السابقة ٠

وما يلفت النظر فى هذا المسجد هو المجاز العريض الذى يخترق رواق القبلـــه وينتهى عند المحاريب الثلاث الشبيهه بالابواب الهندية ٠ أما سقف اروقه هذا المسجد فهى شبيهه بالاسقف المستعمله فى بلاد البنجاب وهى الاقبيه المستموه ٠

وفى عام (١٣٤٧م) ظهر لنا فى مدينة كلبراجا KULBARAGA مسجد عا الجامع ويعتبر تحفه معماريه من حيث المسقط الافقى البعيد كل البعد عن التخطيط التقليـدى للمسجد فهو شبيه بالمعابد الهنديه ، حيث لانجد به الصحن المعتاد ،وانما يتكـون من قاعة واحدة مستطيلة مملوءه بالدعائم يرتكز عليها أعتاب تقسم القاعه الى عدة مربعات مغطاه بقباب صغيره ، وهناك قبه كبيرة امام المحراب الذى يتوسط الضلع الصغيـــــر للمستطيل ٠ وعلى امتداد هذه القاعه من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبله مساحـات اخرى مغطاه بالاقبيـه المستموه والقباب ومن الممكن تشبيه هذه المساحه التى تحيـــط بالقاعه بالزياده الموجوده بجامع احمد بن طولون ٠ احيطت هذه المساحه من الخـارج بدعائم تحمل فيما بينها عقودا مدببه تكون مداخل للمسجد من ثلاث جهات كما ان هذه العقود تدل على ان البناء مسجد بالرغم من ان تخطيطه الداخلى والمواد التى بنى بها والكثير من دعائمه مأخوذه من المعابد الهندية القديمة والتى هدمها المسلمون ٠

ـ عمارة المسجد وتطورها منذ بداية القرن الخامس عشر وحتى اوائل القرن السادس عشـر الميـلادى : (لوحه ٩٨ ـ ١٠١)

منذ اواخر القرن الرابع عشر واوائل القرن الخامس عشر الميلادى انتشر الاسـلام

فى عدة مدن ومقاطعات هندية كمدينة احمد اباد وجانبور وملاوا وغيرها ولكن لازال التأثير الهندى واضحا فى عمارة مساجدها كما نجد العقد المدبب الفارسى متحدا مع الاعتاب والكوابيل الهندية •

ومن أمثلة مساجد تلك الفترة مسجد أتالا ATALA بجانيور ولا يخرج تصميمه عن التخطيط المعتاد الا أننا نجد بواجهة رواق الصلاة المطله على الصحن مدخلا ضخما يتكون من عقد مدبب يبرز من جانبيه كتفان ضخمان لهما جوانب مائله يبدو ان كمأذن لهذا المسجد •

كما نجد أيضا المسجد الجامع لمدينة احمد أباد بناه السلطان احمد شاه عند توليته الحكم فى عام (١٤١١ م) اثناء بنائه تلك المدينة، تخطيطه كالمعتاد : صحن تحيطه اروقه من الجهات الاربعة اكبرها رواق الصلاه حيث يكون مستطيلا يبرز عن ضلع الصحن وبه خمسة محاريب جدرانها بارزة من الخارج وعلى جانبى كل منها شباك •

وما يسترعى النصر فى سقف رواق الصلاه التدرج فى ارتفاعاته وبذلك يعطينا شكلا هرميا فى المنظور الداخلى حيث ان أعلى جزء فيه هو الجزء الاوسط أمام المحراب الاوسط وهذا هو الطابع المنتشر فى المعابد الهندية ، كما نلاحظ ان القبه التى تغطى هذا الجزء الاوسط يتكون من ثلاثة طوابق عن طريق طابقين مسروقين (ميزانين) • ويقل ارتفاع رواق الصلاه عند الاطراف المكون من طابق واحد فقط • هذا التدرج فى الارتفاعات أضفى على بيت الصلاه جمالا فى تصميمه الداخلى بما حوى من زخارف وحليات ومن طريقة أنشائه ، ولذلك لا يمكننا القول بان هذا التصميم اسلامى بل هو هندى فى مجموعه وحتى محاريبه الشبيهه بالابواب الهندية • هذا التدرج قصد به الاهتمام وجذب الانظار لاهم عنصر فى المسجد وهو المحراب • وذلك بديلا عن المجاز القاطع، كما نلاحظ أن الاضاءه فى رواق الصلاه أضاءه خافته تعطى جوا من الهدوء والخشوع لله سبحانه وتعالى وذلك بفضل تلك المناسيب فى الاسقف التى تعلوها القباب المرتكزه على قوائم مفتوحه الجوانب وبذلك لاتدع أشعة الشمس من الدخول الى قاعة الصلاه •

أما واجهة هذا الرواق المطله على الصحن فيظهر فيها هذا التدرج ايضـــــا فالجزء الاوسط المرتفع يتوسطه عقد مدبب كبير وعلى جانبيه جزءان أقل ارتفاعا يختـــرق كلا منهما عقد مدبب أقل عرضا وارتفاعا من العقد الاوسط وتشمل الجوانب المنخفضـة بعض العقود الكبيرة والصغيرة بالتوالى . كما نجد على جانبى العقد الاوسط كتفيـــن بارزين كانا يحملان مئذنتين ليست لهما علاقه بالمآذن العربية فقد كانتا تشبهان الى حد كبير الاعمدة التذكارية الهندية التى كانت تبنى تخليدا للانتصارات. وقد هدمت هـذه الاكتاف نتيجة لبعض الزلازل.وجدار الفتحات الثلاث التى تؤدى الى بيت الصـــلاة مفصوله عنه بمساحة مكشوفه لكى يعطى هذا الجدار احساسا بانه حاجز SCREAN امام بيت الصلاه تحميه من الحرارة الخارجية .

وفى اوائل القرن السادس عشر الميلادى نجد بعض المساجد التى قلدت المسجد السابق ذكره ومن أهم هذه المساجد مسجد مدينة شامبانير CHAMPANIR والـتى تقع على بعد ٧٨ ميل جنوب شرق مدينة احمد اباد وكانت عاصمة للسلطان محمود شـاه بيجاراه منذ عام (١٤٨٤م) وظلت العاصمة الاسلامية فى الهند حتى عـام (١٥٣٦م) وبنى هذا السلطان مسجدها الجامع فى عام (١٥١١م) ويعتبر تخطيطه نموذجـا لمساجد الهند حيث يتكون من فناء يطل عليه رواق الصلاه المكون من عـدة بلاطــات مغطاه باحدى عشرة قبـه كبيرة بينها اخرى صغيرة ويجمعها سقف خشبى مدرج . كما نجد بجدار القبلـه سبعة محاريب اكبرها الاوسط حيث تتسع امامه الاعمدة مكونــة ما يشبه المجاز القاطع وتعلو المساحـة الوسطى امـام المحـراب الاوســط الرئيسى قبـه ترتفع عن باقى القباب بنيت باضلاع رأسيه حجرية مخالفـة بذلك الطريقـة العادية ذات المداميك الافقية والتى استعملت فى بناء القباب الاخرى . كما نلاحـظ ان سقف رواق هذا المسجد يشبه الى حد كبير مسجد احمد اباد من حيث ان الجـزء الاوسط منه يرتفع سقفه بمقدار ثلاثة طوابق محاطه ببلكون من الجوانب وعلـى جانبـى مدخل هذا الجزء المطل على الصحن تبرز مئذنتان رشيقتان ارتفاع كل منهـا حوالـى مائة ذراع وبداخلهما سلمان حلزونيان يؤديان الى بلكون الجزء الاوسـط الداخلـى لرواق الصلاه والى المئذنتيـن . أما الشكل الخارجى لهاتين المئذنتين فنجـد

فيهما الطابق الاول بشكل مثمن والطابق الثاني ذا ستة عشر ضلعا والطابق الاخير مستدير يعلوه قبه صغيره • وترتفع هذه المجموعة عن بقية واجهة رواق الصلاه وعلى كل جانب منها بابان يؤديان الى الرواق وبذلك يكون مجموع مداخل هذا الرواق خمس فتحات معقوده بعقود مدببه اكبرها الاوسط وامام هذه الابواب مساحة مكشوفة تفصلها عن الرواق كما هي العادة • أما بقية الواجهه فنجد بها عدة شبابيك كالتي على جانبي المحاريب مملوءه بحشوات مفرغه بزخارف هنديه • ومن العناصر المميزة التي تعلو هذه القباب وغيرها من القباب الهنديه وجود رمز هندي يشبه كأس الماء WATER POT

في هذا المسجد نجد اربع مآذن اخرى ارتفاع كل منها خمسون قدما تقع في اركان رواق الصلاه المستطيل الشكل • أما الاروقه الثلاثه التي تحيط بالصحن فكل منها يتكون من بلاطه واحده مقسمه الى عدة مساحات مربعه وكل مساحه منها مغطاه بقبه صغيره • وفي كل ضلع من اضلاع هذه الاروقه مدخل يؤدي الى الصحن المدخل الشرقي منها يبرز بروزا كبيرا ومغطى بقبه •

يمكن ملاحظه في رواق الصلاه بهذا المسجد بعض النسب التي اتبعت فمثلا نجد ان المستطيل المكون لهذا الرواق يتكون من مربعين كذلك نجد أن الجزء الاوسط المرتفع في واجهة هذا الرواق يكون مربعا ضلعه حوالي ٥٠ قدم وهو نصف الارتفاع الكلي للمئذنتين اللتين على جوانبه كما أن هذا الجزء هو الغني بالزخارف _ أما اطراف الواجهه وهي التي بها الشبابيك فكل منها يكون نسبه مربعه ايضا •

وعلاوه على ماذكر نجد جامع راني سيباري RANI SIPARI (١٥١٤ م) بنى بعد موت السلطان محمود شاه بيجاراه PEGARAH بنته احدى ملكات هذا السلطان • وهو جامع صغير ولكن ما يسترعى النظر فيه هي الدراسة المعمارية التي بواجهته ومآذنه التي تشبه لحد كبير مآذن القاهرة •

- عمارة المسجد وتطورها في العصر المغولي :ـ (لوحة ١٠٢ _ ١٠٥)

يعتبر السلطان اكبر AKBAR (١٥٥٦ _ ١٦٠٥م) من أهم حكام تلك الفترة أنشأ مدينه فاتح بور سيكرى بالقرب من أجرا وكانت عامره بالمبانى الاسلاميه ومنها مسجدها الجامع الذى انشأه هذا السلطان • يتكون هذا المسجد من شكل مربع تقريبا متجه نحو الجهات الاصليه ومدخله الرئيسى يتجه نحو الشرق كما هى العادة •

نجد في هذا المسجد التأثير الايراني الذى يتضح من مدخل رواق الصلاه المكون من ايوان مفتوح على الصحن بكامل عرضه ومتوجا بنصف قبه ويقع في منتصف واجهة هذا الرواق •ويؤدى هذا الايوان الى صالة القبه امام المحراب وهذا ما رأيناه في المساجد الايرانيه • هذا التأثير الايراني مزج بالتفاصيل والزخارف والدعائم وطرق الانشاء الهنديه كما ان القباب لازالت تبنى بالطريقه الهنديه وبالرمز الذى يعلوها •

هذا المسجد يتكون من بيت الصلاه المنقسم الى ثلاثة أجزاء حيث نجد على جانبى الجزء الاوسط صالتين يتوسط كل منهما مساحه مربعه مغطاه بقبه صغيره امامها محراب ويحيطها من ثلاث جهات سقف مستو يرتكز على دعائم بها كوابيل • ونجد على جانبى هاتين الصالتين بعض الغرف كالتى تحيط بالصحن والتى يتقدمها رواق ذو بلاطه واحده • وكانت جميع هذه الغرف تستخدم للتدريس حيث كان هذا المسجد يستعمل كمدرسه دينيه ايضا • وفى منتصف الضلع الخارجي المقابل لرواق الصلاه نجد مدخلا تذكاريا أقل ضخامه من المدخل الشرقي الذى يعتبر تحفه معماريه قائمه بنفسها بقاعاتها وقبابها الصغيرة التى تحيط بالقبه الكبيرة الوسطى • هذه القباب الصغيره ترتكز على رقبه مثمنه محموله على قوائم مرتفعة فوق السقف مكونه مساحات مربعة كما هى العادة فى الانشاء الهندى • ونلاحظ وجود عدة فتحات معقودة بالسور الخارجي تؤدى الى الصحن الذى شمل بعض الاضرحة بنيت فى عصور متقدمه •

وفى منتصف القرن السادس عشر الميلادى نجد المسجد الجامع لمدينة بيجابور BIJAPUR أنشأه الشاه على عادل الاول وقد حمل العديد من التأثيرات الهنديـة فى عقوده وقبابه • ويتكون المسجد من صحن تحيطه الاروقه من ثلاث جهات ورواق

الصلاه اكبرها يتوسطه قبه كبيرة امام المحراب ذات شكل بصلى مشتقــــه من قبــاب جنوب الهند والتى سبق ان ظهرت فى عدة مساجد اخرى وترتكز على رقبه فتح بهـــا بعض الشبابيك المعقود ، ومحموله على عدة عقود متقاطعه تكون شكلا نجميا ترتكـــز على اثنتى عشرة دعامه هنديه ويعلو هذه القبه قائم (بيناكل) به التأثير التركى .

وبقيه هذا الرواق مقسم الى مساحات مربعة بواسطة الاعتاب والكوابيل المرتكزة على الدعائم كما هى العادة فى المساجد الهنديه ، ويغطى كل مساحة من هـــذه المساحات المربعة قبه صغيره منخفضه مدفونه فى سمك السقف الذى يظهر مستويا مـــن اعلاه اما الرواقان الجانبيان فكل منهما مكون من بلاطه واحده مغطاه بنفس الطريقـــه التى غطى بها رواق الصلاه . ويتوسط هذين الرواقين مدخلان يؤديان الى الصحن ، الشرقى منهما بارز بروزا كبيرا ، كما نجد عند نهايتى جدارى هذين الرواقيـــــــن مئذنتين مستديرتين — أما الضلع المقابل لرواق الصلاه فلا وجود له . وقد أضيـــــف فى عصور متقدمه بعض المداخل والمبانى الاخرى .

وفى القرن السابع عشر الميلادى جاء الشاه ابراهيم الثانى (١٦٢٦—١٦٨٤م) بعد الشاه على عادل وبنى مسجده الجامع والعديد من المبانى الاخرى وكلها تحمل التأثير الهندى خاصة تلك القباب التى نراها بتاج محل والتى لها الطابع الهنــــدى المميز BULBUS OR LOTUS FORM

فى هذا القرن بنى الشاه جهان المسجد الجامع بدلهى (١٦٤٤—١٦٥٨م) لينافس المسجد الجامع بفاتح بور سيكرى وهو يشبهه فى مسقطه الافقى وفى قبابـــــــه الثلاث برواق الصلاه الوسطى اكبرها وهى ذات الشكل البصلى . كما يظهر فى رواق الصلاه بهذا المسجد التدريج فى سقفه والشكل الهرمى فى قطاعه الطولى كما فى جامع فاتح بور سيكرى واضح التاثره بالمعابد الهندية .

صمم هذا المسجد ليلفت الانظار من بعد وليكون رمزا يجذب أعين المؤمنيـــــن ولاظهار عظمة الدين الاسلامى نظرا لنسبه الجميله ووحدته المعمارية وتصميمه الخارجى حيث انه مبنى على قاعدة مرتفعة وبه ثلاثة مداخل تذكارية تعلوها القباب ، وفـــــى

اركان رواق الصلاة عند واجهته المطلة على الصحن مئذنتان رشيقتان مميزة عن المساجد الاخرى يبلغ ارتفاع كل منها ١٣٠ قدم ، كما نجد مئذنتين أقل ارتفاعا فى اطـــراف مدخل رواق الصلاة المكون من عقد مدبب كبير ، فتحت به عدة فتحات معقودة فــــى السور الخارجى للصحن ٠

من هذه الدراسة يمكن تلخيص عمارة المسجد وتطورها في الهند كما يلي :ـ

١ ـ انتشار التخطيط التقليدي في معظم المساجد أي صحن تحيطه اروقه من الجهات الاربعة ورواق القبلة اكبرها •

٢ ـ الاروقه الشرقيه التي تحيط بالصحن تتكون من بلاطة واحدة •

٣ ـ انتشار التسقيف بالقباب الكبيرة والصغيرة في جميع الاروقه وذلك بعد تقسيمها الى مساحات مربعة •

٤ ـ كثيرا ماتجد قبه كبيره امام المحراب كما اتسعت المسافة بين الاعمدة الوسطى في رواق الصلاه تذكرنا بالبلاطه القاطعه وذلك لاعطاء أهمية لموقع المحراب •

٥ ـ الاهتمام الكبير بالدراسة المعمارية المتطوره خاصة لرواق الصلاه سواء من حيث تصميمه الداخلي أو من حيث واجهته المطله على الصحن أو من حيث قطاعاته الطوليه التي نراها مدرجه • وهذا الوضع لا يسمح بدخول الشمس لرواق الصلاه ويعطى أهميه للمحراب الاوسط •

٦ ـ في كثير من المساجد نجد جدارا به مداخل لرواق الصلاه ويبتعد عنه قليلا بمساحة مكشوفه • وذلك لكي يقلل من كميه الضوء الداخل الى رواق الصلاه ـ كما نلاحظ ان الفتحه الوسطى لهذه المداخل اكبر من غيرها ويعتبر هذا الجدار بمثابة ستاره SCREAN •

٧ ـ معظم العقود تأخذ الشكل المدبب بالاضافة الى العقد الفارسي •

٨ ـ دعائم هذه المساجد ذات طراز هندى أو منقوله من معابد هندية قديمة وتحمل هذه الدعائم كوابيل خشبيه مدرجة وذات زخارف بحيث تعطى اعتابا افقيه أو شبه معقوده •

٩ ـ وجود التأثير الهندى خاصة في كثير من المساجد ويتضح هذا من :ـ
(أ) الدعائم سابقه الذكر (ب) القباب الصغيره المرتكزه على قوائم قصيره ليس بينها أي حاجز (أي مفتوحه فيما بينها) وكثيرا ما وضعت هذه القباب على فتحات في الاسقف الخشبية المستوية • ووظيفة هذه القباب لادخال الضوء

غير المباشـــر الى الاروقه • (جـ) كما نجد التأثير الهندى فى طريقة انشـــاء القباب التى عملت ببروز المداميك الافقية • (د) المداخن التذكارية المتجهه نحو الشرق كالمعابد الهندية •

١٠ـ بجانب التأثير الهندى والذى انتشر فى العصور الاولى نجد التأثير الايرانى الذى جاء بعد ذلك ويتضح هذا التأثير فيما يلى : ـ

(أ) المآذن الاسطوانيه (ب) العقد الفارسى (جـ) القباب البصليه

(د) المداخن التذكارية ذات الواجهه المستطيله يتوسطها عقد كبيـــر •

(هـ) الايوان المفتوح المغطى بنصف قبه (و) قاعة القبه وهى المساحة الـتى امام المحراب والمغطاه بقبه ترتكز على دعائم ضخمه والتى أدت الى تقسيم رواق الصلاه الى ثلاثة اجزاء •

١١ـ علاوه على التاثيرات السابقه نجد بعض التاثيرات التركيه القليله الواضحه فـــى استعمال المثلثات الكرويه لمنطقه انتقال من المربع الى الدائرة عند تغطيـــه المساحات المربعة بالقباب • وكما يتضح من وضع قوائم تعلو القباب حاملـــة الهلال •

١٢ـ نلاحظ ان رواق الصلاه فى معظم المساجد يأخذ الشكل المستطيل استطالـــة موازيه لجدار القبله • كما ان الشكل العام لهذه المساجد يكون شكلا مستطيلا او مربعا •

١٣ـ تعدد المحاريب فى المسجد الواحد والشكل العام لهذه المحاريب هو نصـف الدائرى وفى بعض المساجد القليله نجد محاريبها بشكل مستطيل وكثيرا ماتبرز هذه المحاريب من الخلف •

١٤ـ احيانا توجت جدران المسجد بادتاف جداريه تبرز بشكل مستطيل او نصف دائرى وخاصة فى اركانه وفى جدران رواق الصلاه •

١٥ـ غالبا ما تأخذ اضلاع المسجد الاتجاهات الاصلية حيث يقع بيت الصلاه فى الجانب الجنوبى خاصة فى مساجد وسط وشمال الهند •

١٦ـ نجد فى بعض المساجد مدخلا محوريا مع المحراب أى فى منتصف الضلع الشمالى

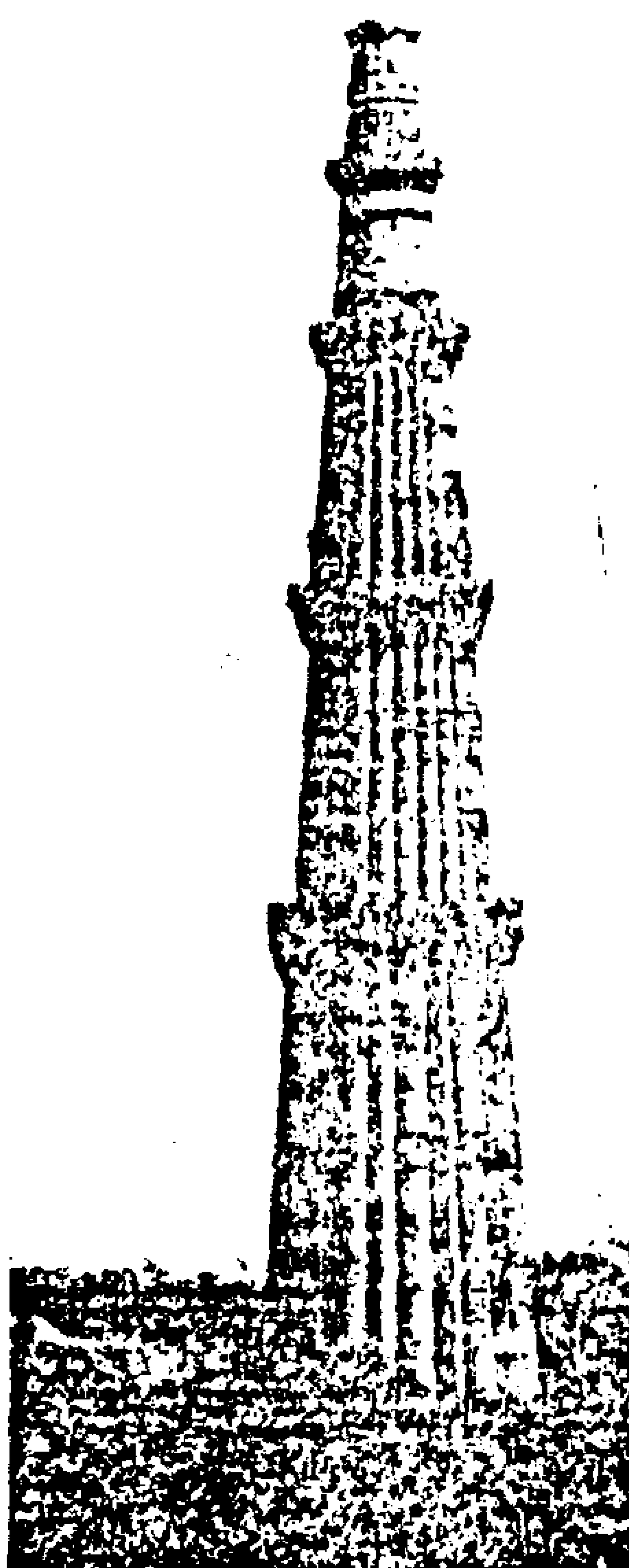
ولكن بجانب هذا نجد المدخل التذكارى فى الجهة الشرقية وربما نجد بابـا آخر فى الجهة الغربية وكلها تؤدى الى الصحن •

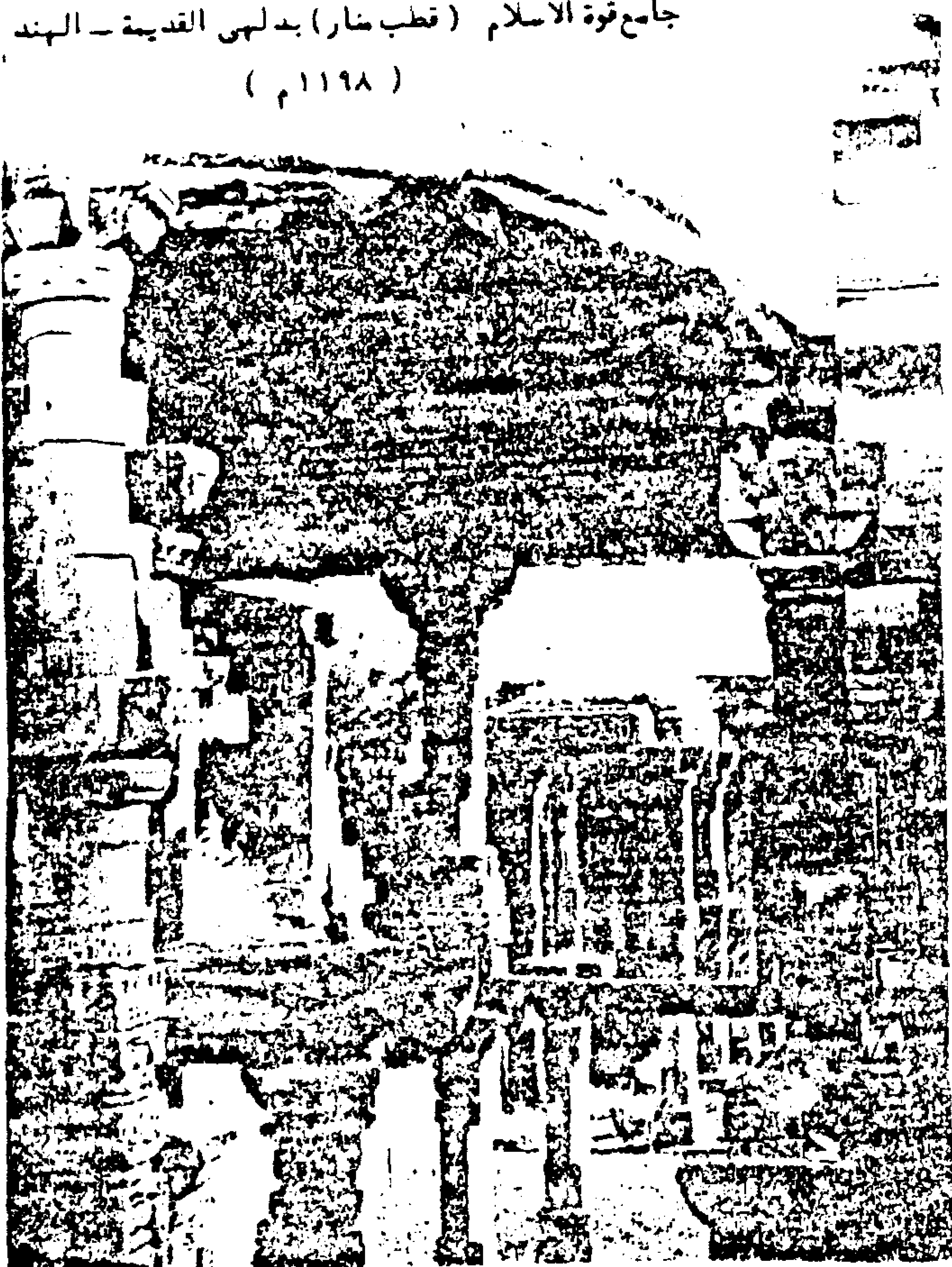
١٧ـ نجد فى كثير من مساجد الفترة الاولى الجدار الخارجى لصحن المسجد مكونـا من عدة عقود مفتوحة للخارج كما نجد معظم مآذن تلك الفترة ذات تاثير هندى ثـم تطورت واصبحت اسطوانية متاثرة بالمآذن الايرانية كما ان بعض هذه المـــآذن شبيهة بمآذن القاهرة •

١٨ـ القباب الاولى كانت ترى من الداخل مخروطية الشكل نظرا لطريقة بنائها بواسطة بروز المداميك الافقية •اما من الخارج فكانت ذات شكل دائرى او مدبب وابتداء من القرن السابع عشر الميلادى كان الشكل المميز لهذه القباب هو الشكل البصلى •

١٩ـ واخيرا يجب ان نعترف بأن عمارة المسجد فى الهند هى عمارة متطورة ذات تصميم جيد ودراسة عميقة سواء فى المساقط الافقية أو الوجهات أو القطاعات وقد احتفظت بالخطوط الرئيسية للمسجد •

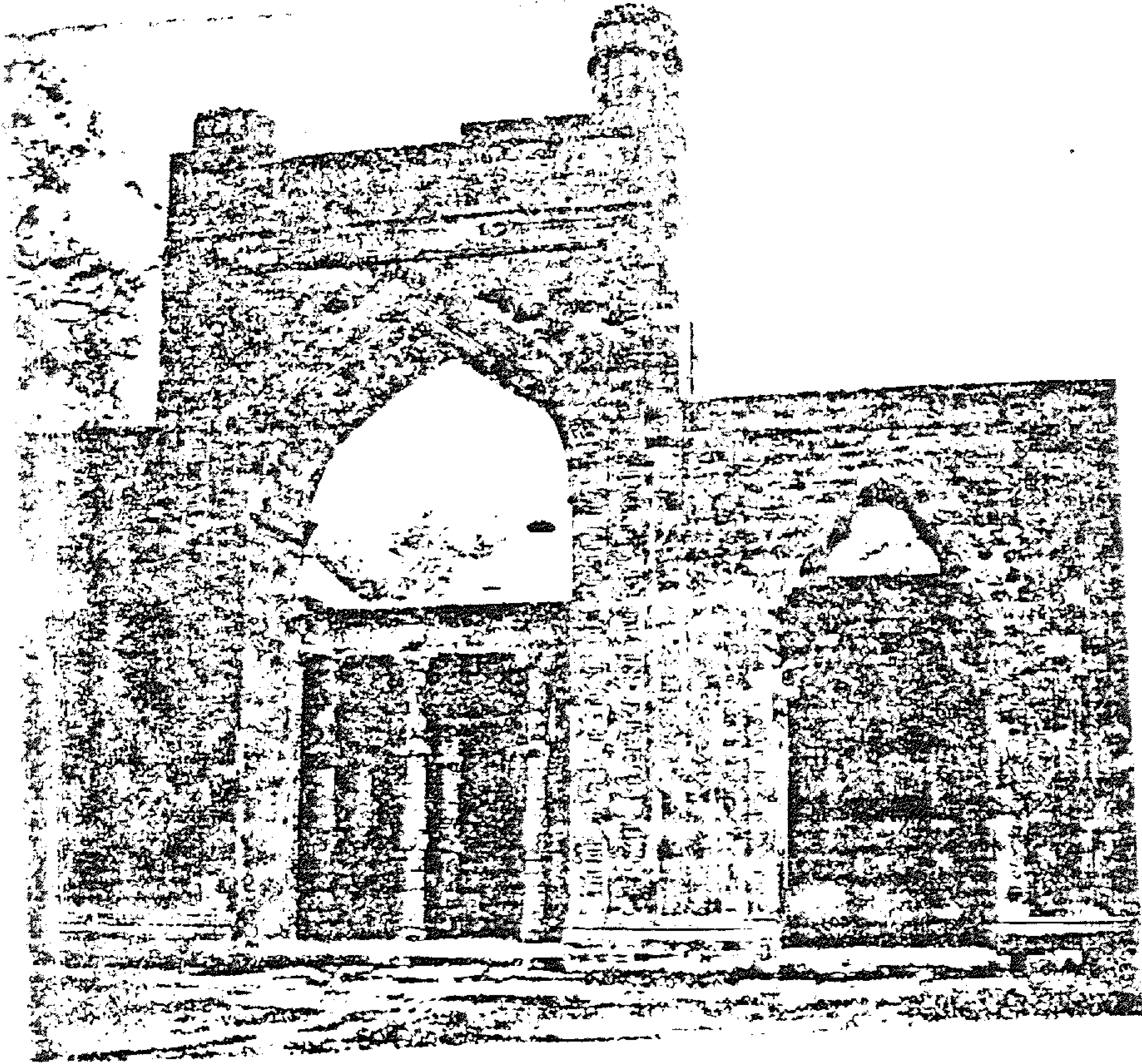
لوحـــة ٩٤

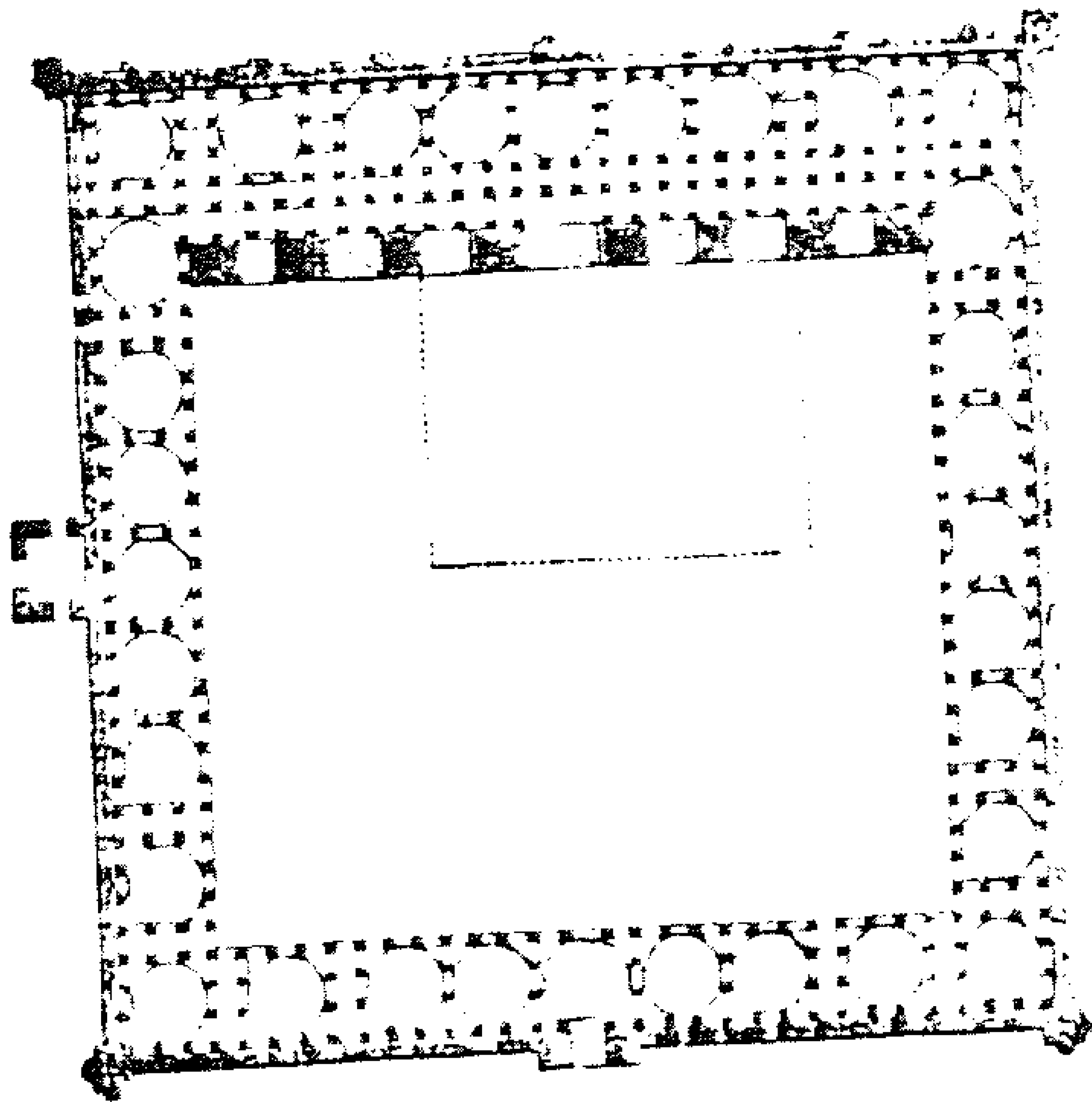




جامع قوة الاسلام (قطب منار) بدلهى القديمة ـ الهند
(١١٩٨م)

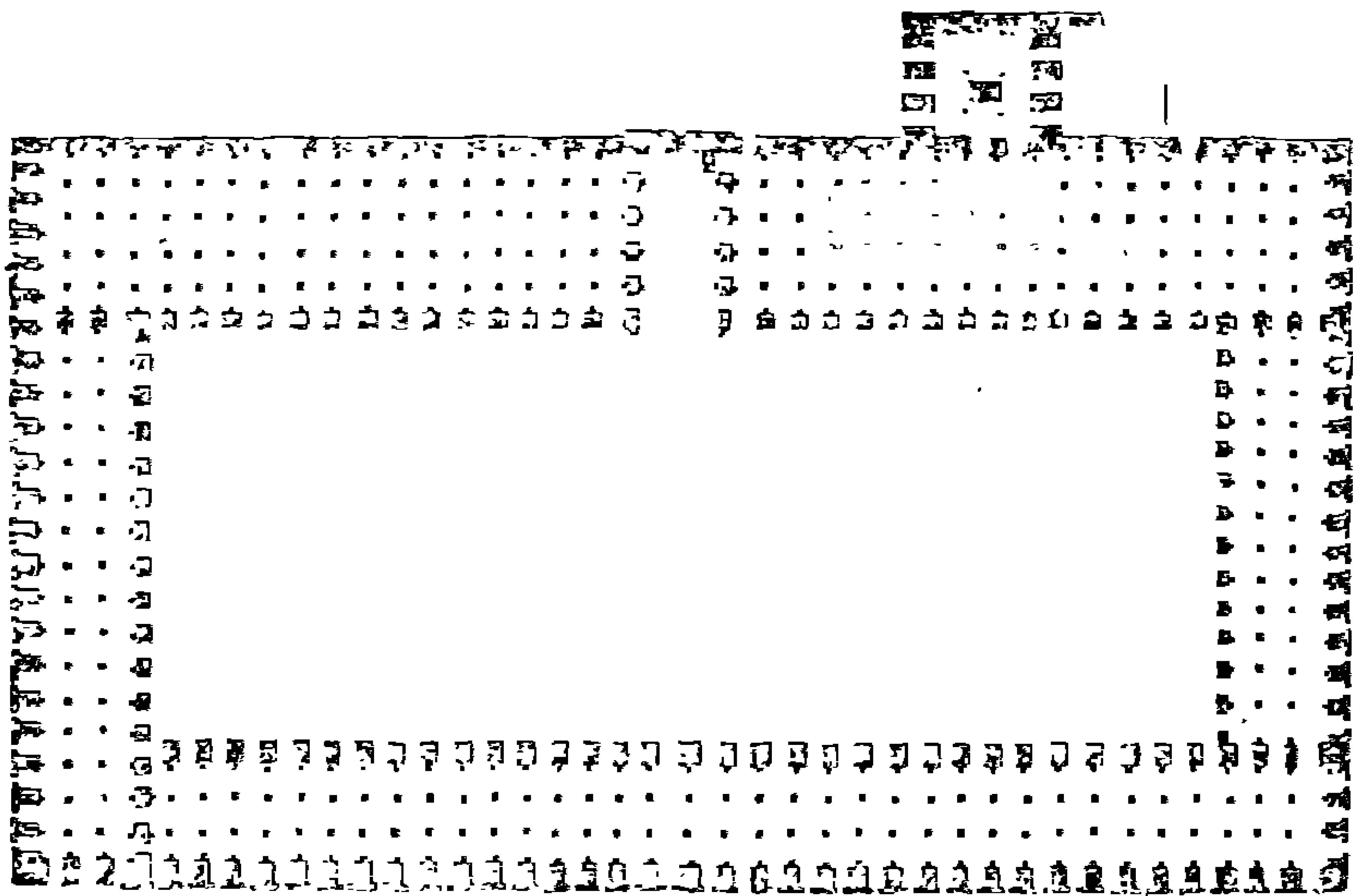
لوحـــه ٩٥





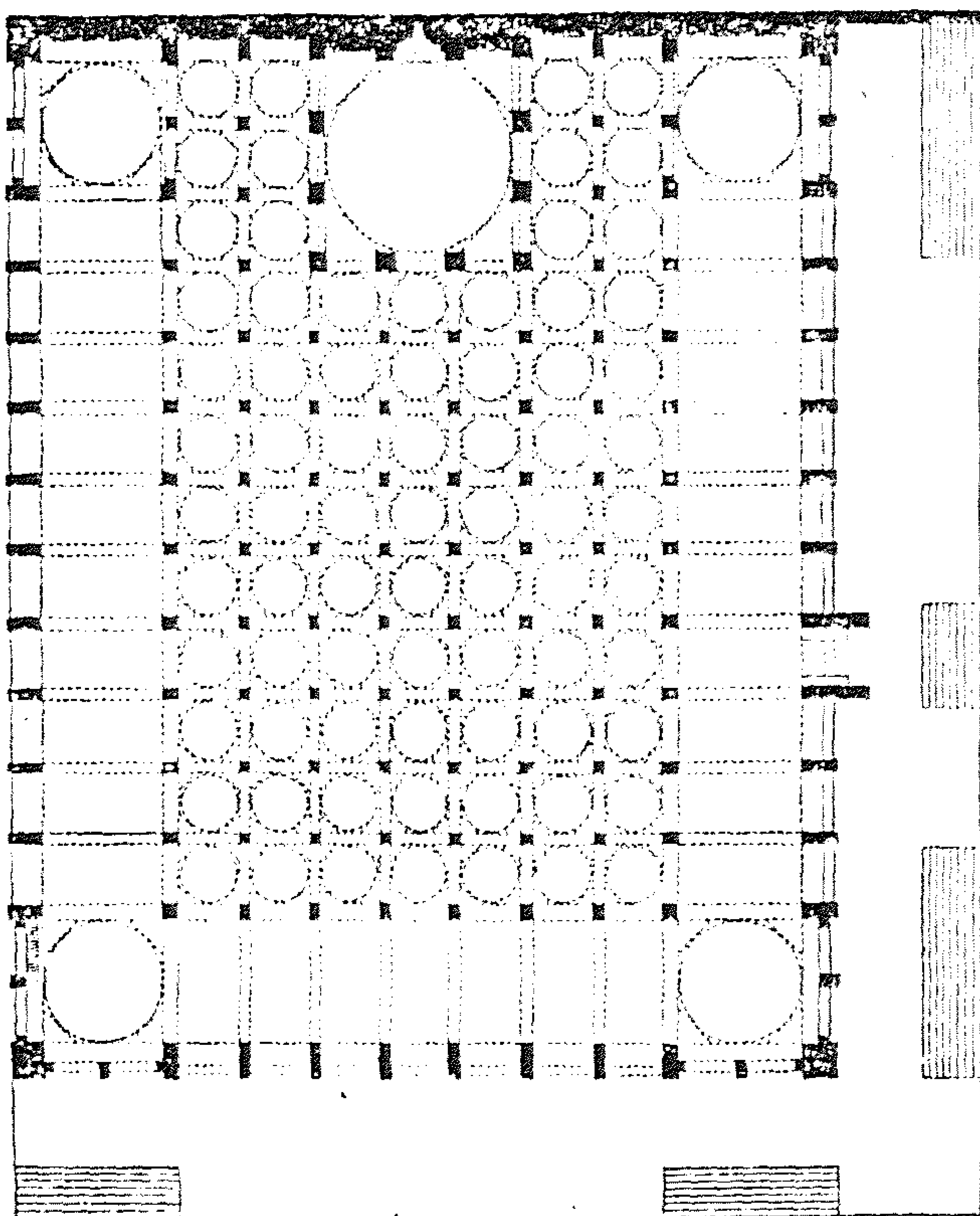
مسجد مدينة اجمير
(القرن ١٢ م)

لوحة ٩٦



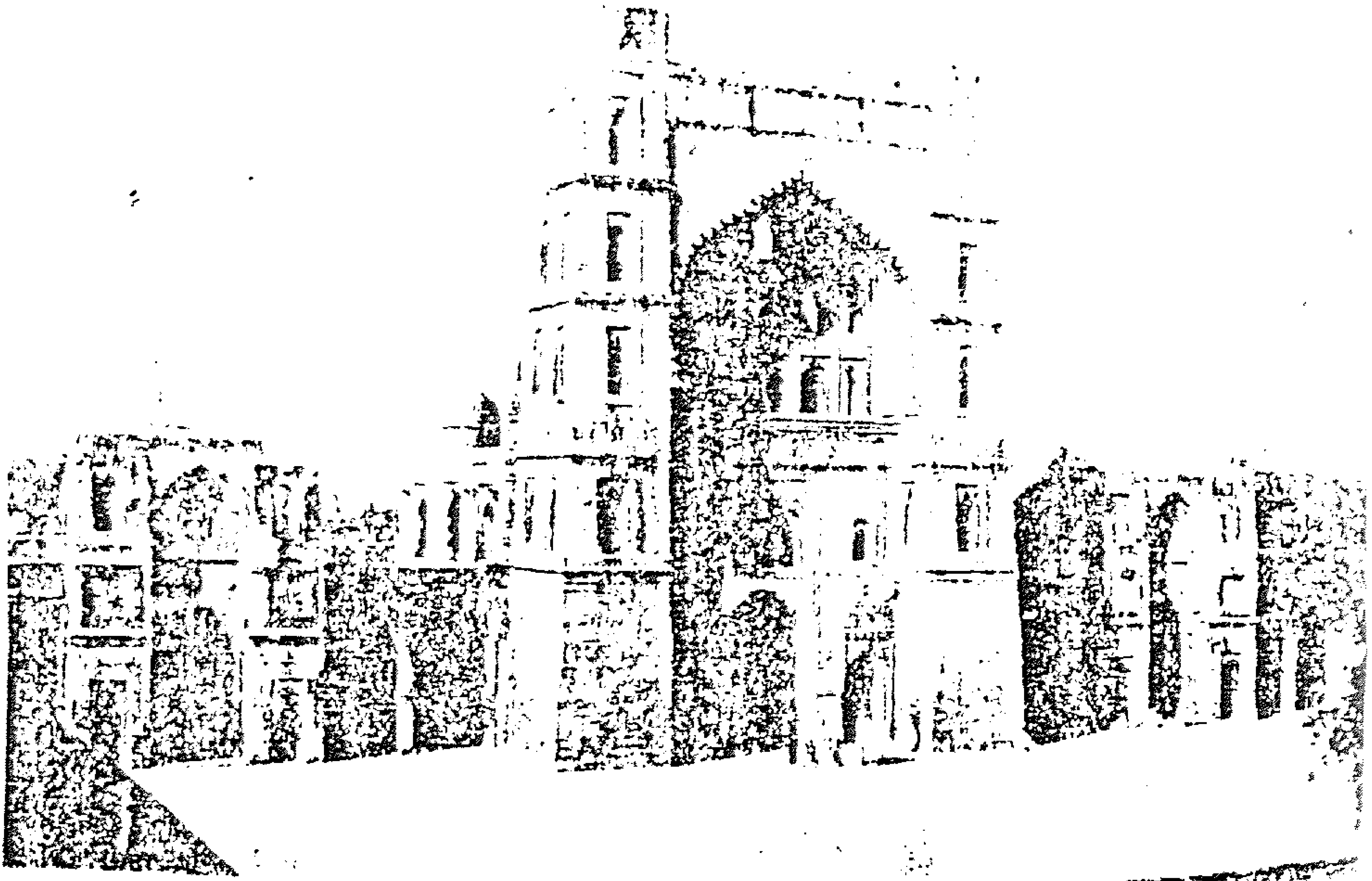
مسجد ادينـاء ـ الهند (١٣٥٨ م)

لوحه ٩٧



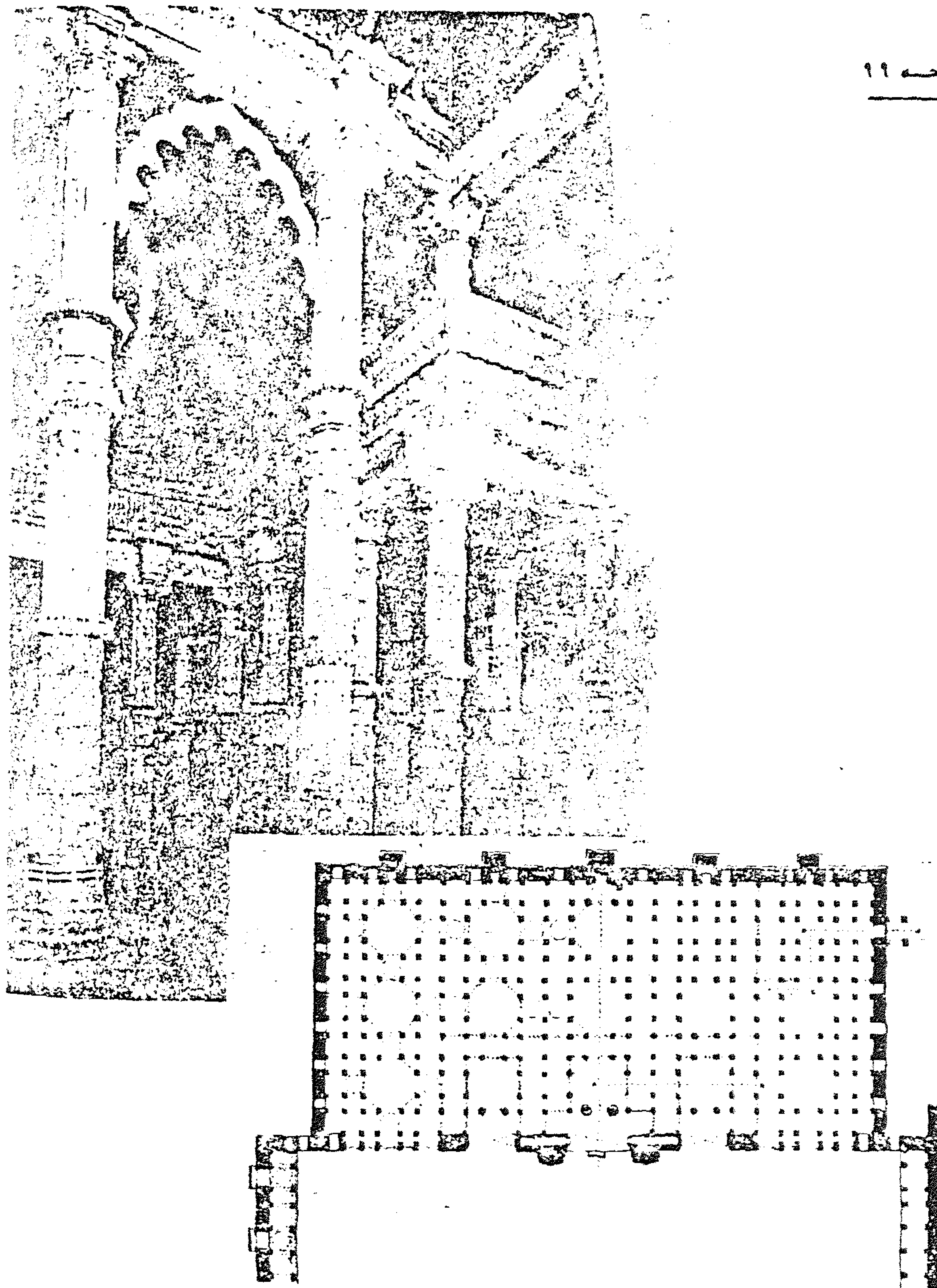
مسجد كلبراجا ـ الهند (القرن ١٤ م)

لوحه ٩٨



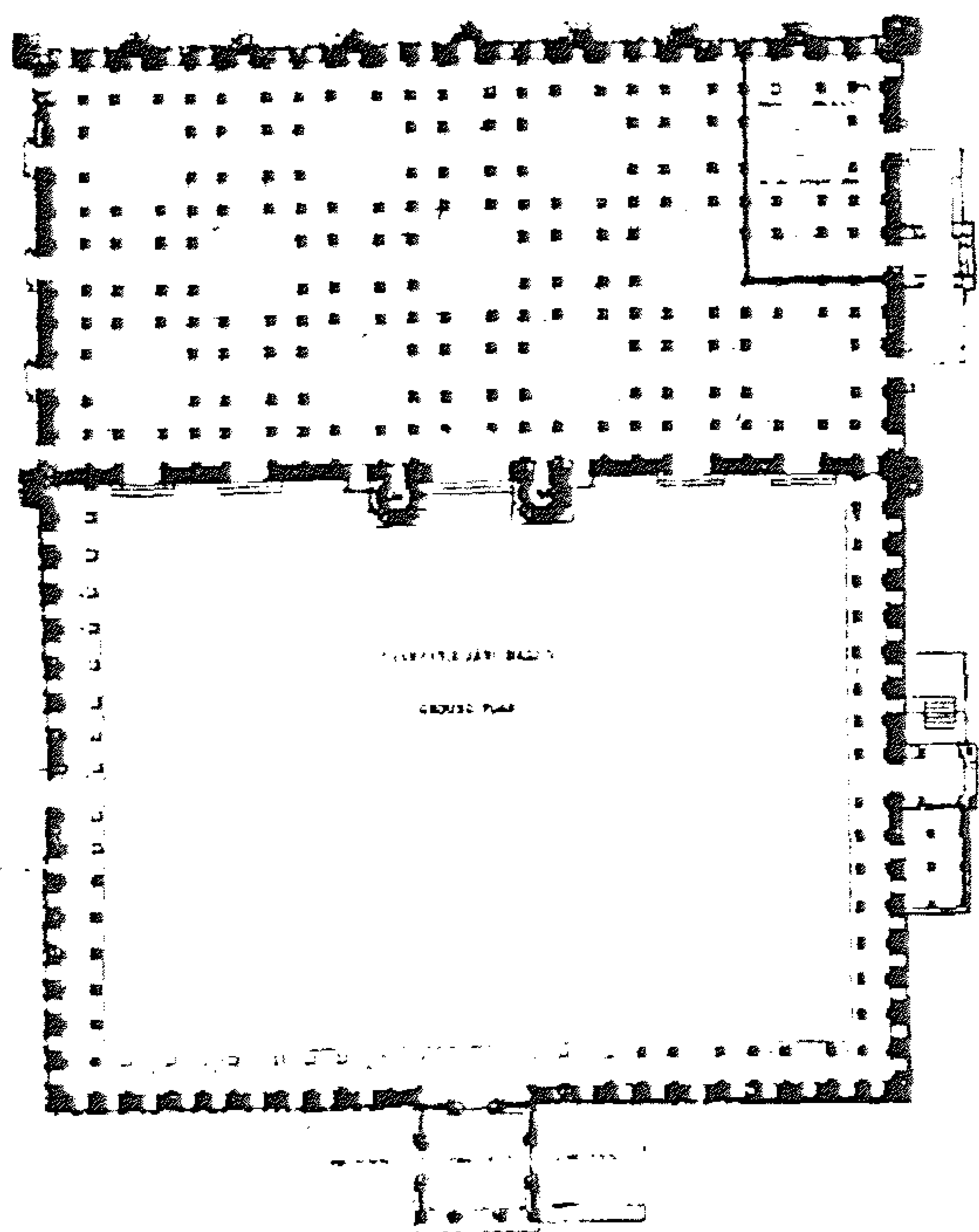
مسجد عطا الله بجانبور ـ الهند (القرن ١٥ م)

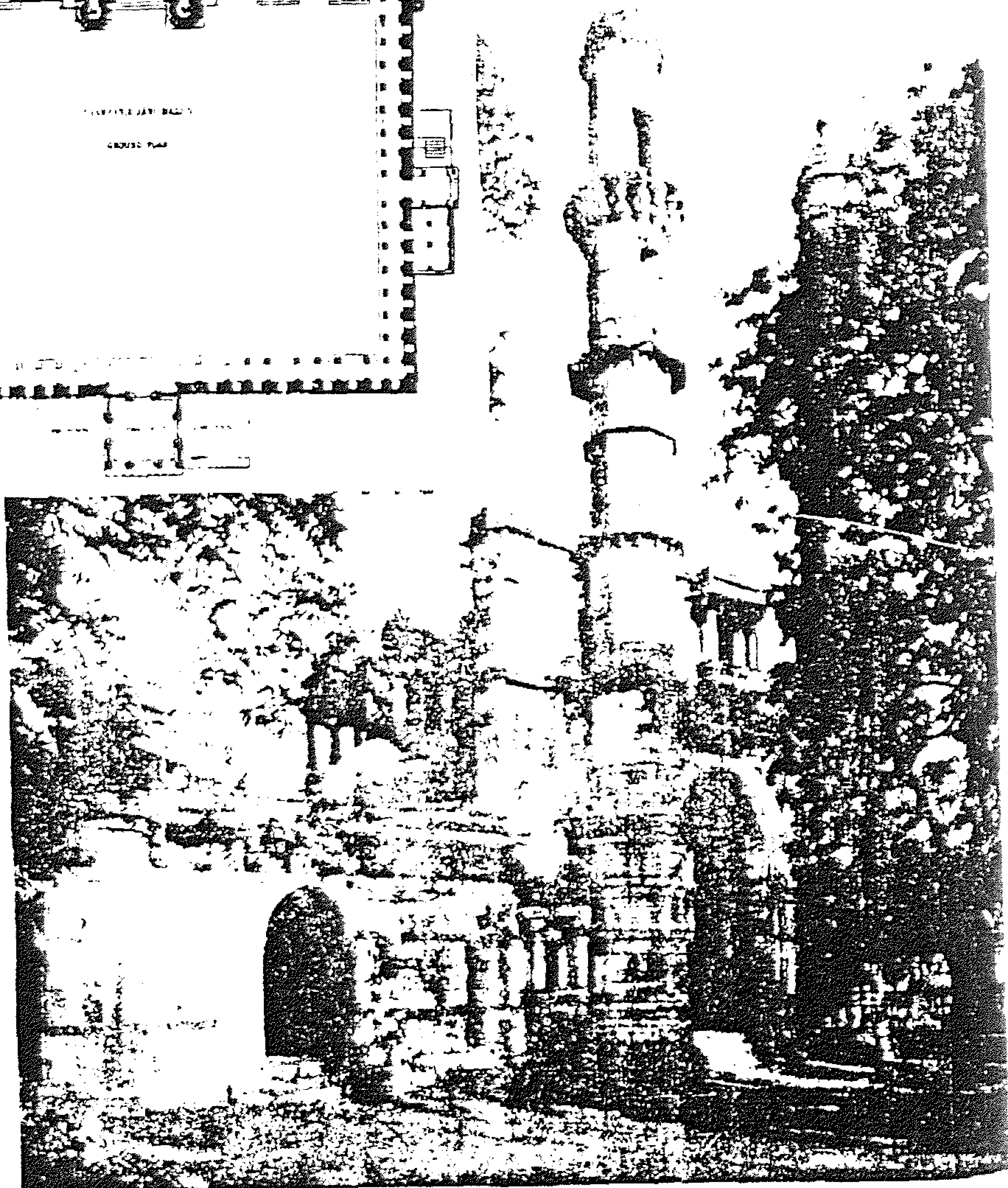
لوحـه ٩٩



مسجد احمد اباد (١٤١١م)

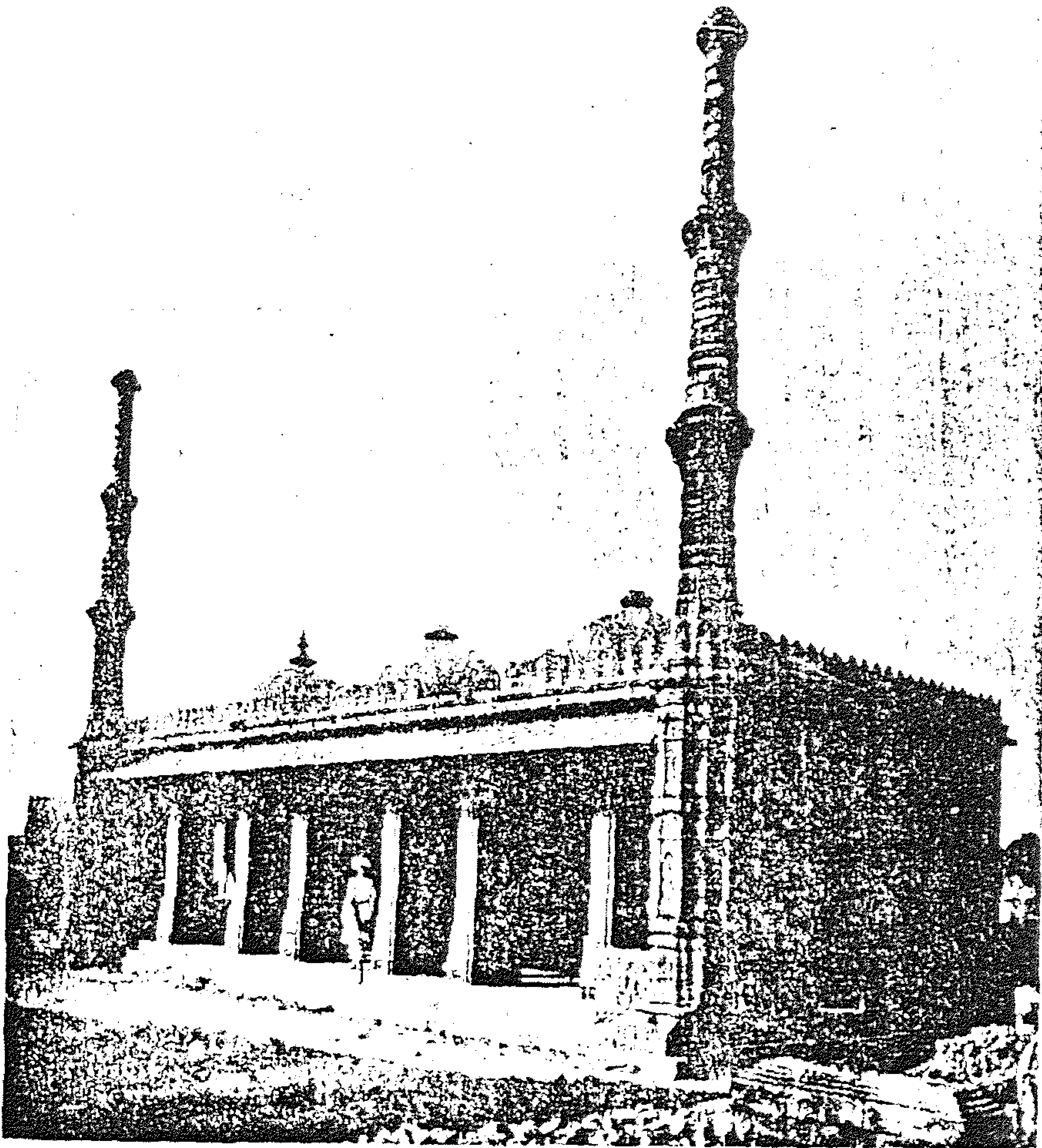
لوحة ١٠٠





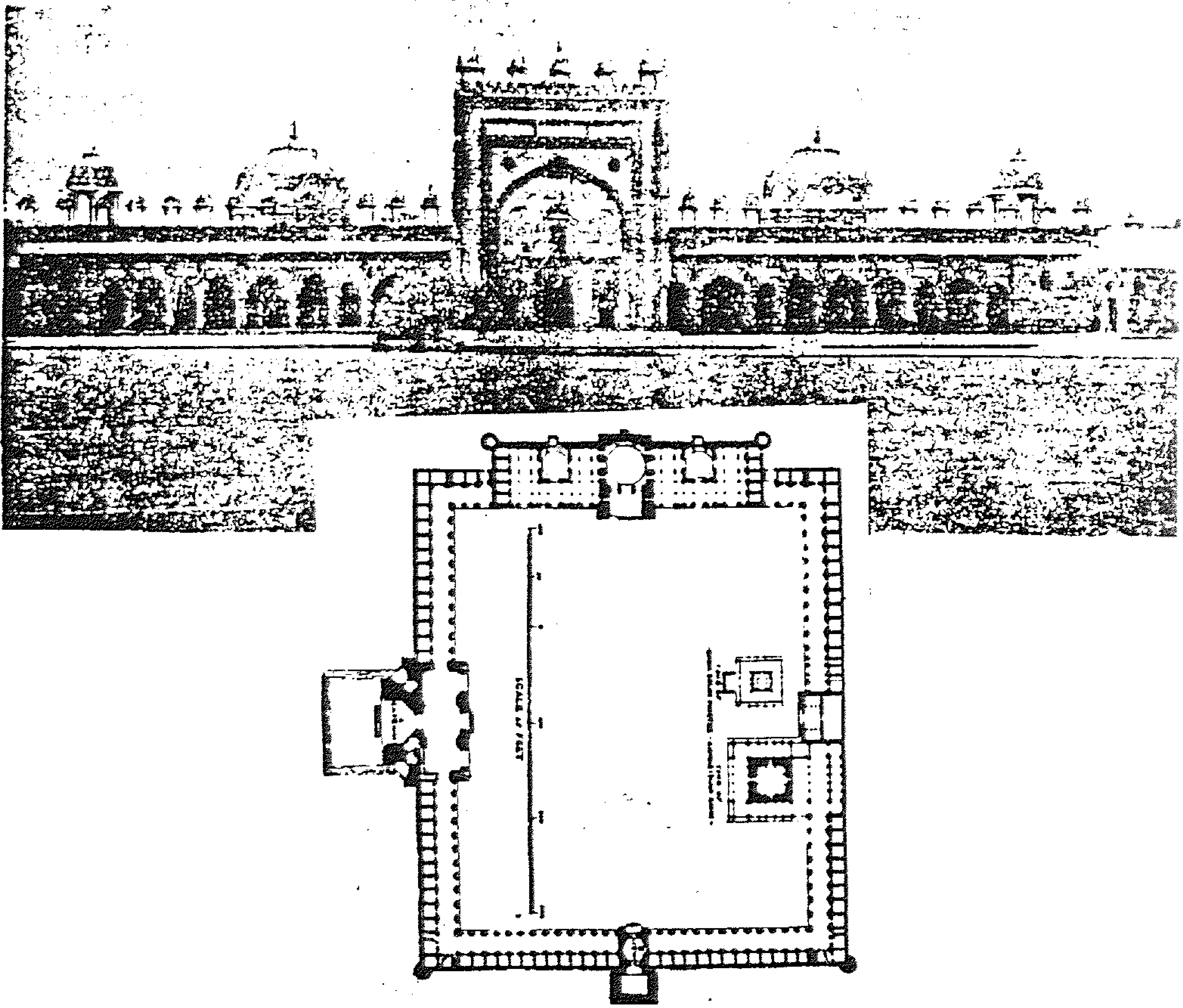
المسجد الجامع بمدينة تانبانير (القرن ١٦ م)

لوحه ١٠١



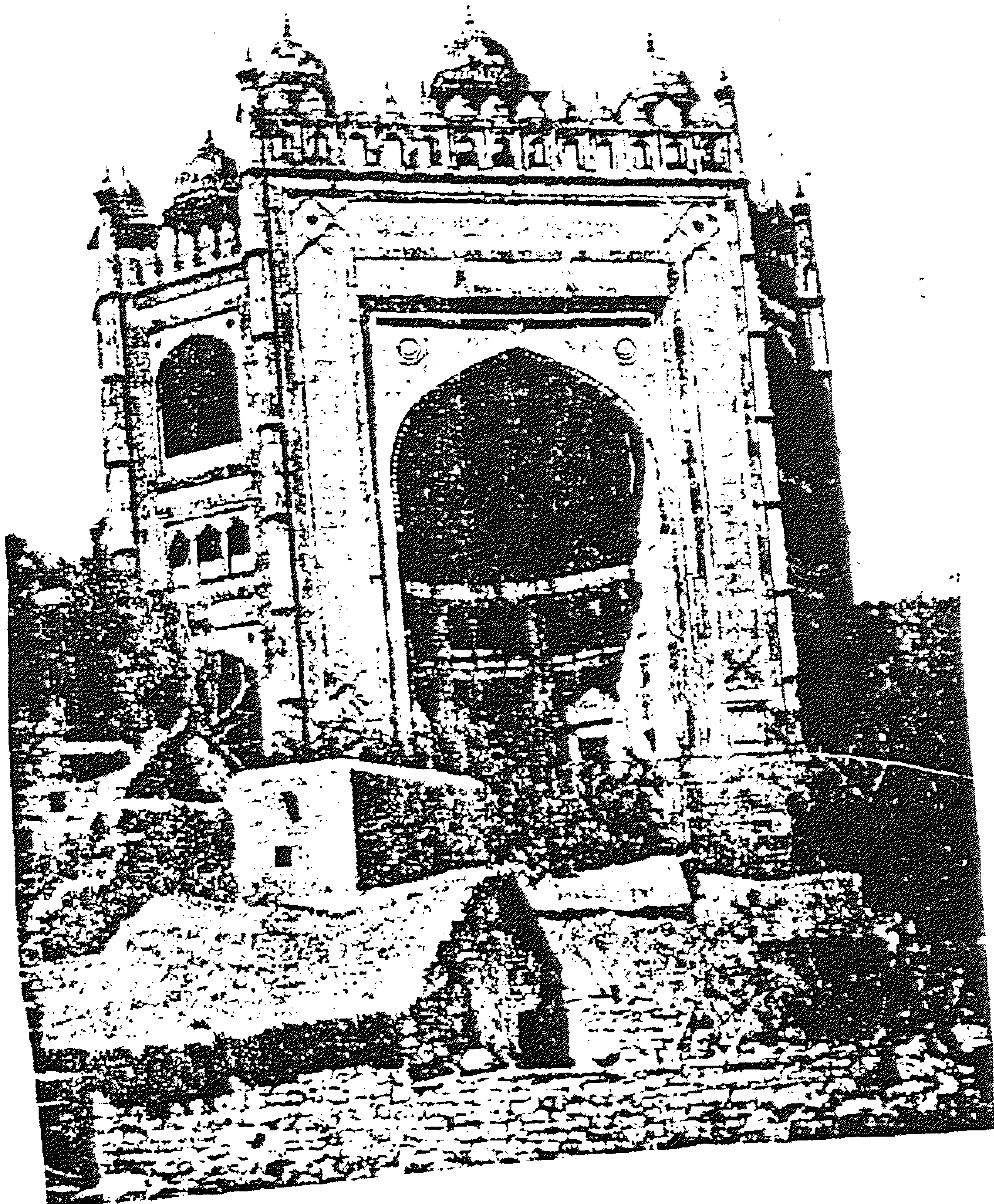
مسجد رانى سيبارى باحمد اباد ـ الهند (القرن ١٦ م)

لوحة ١٠٢



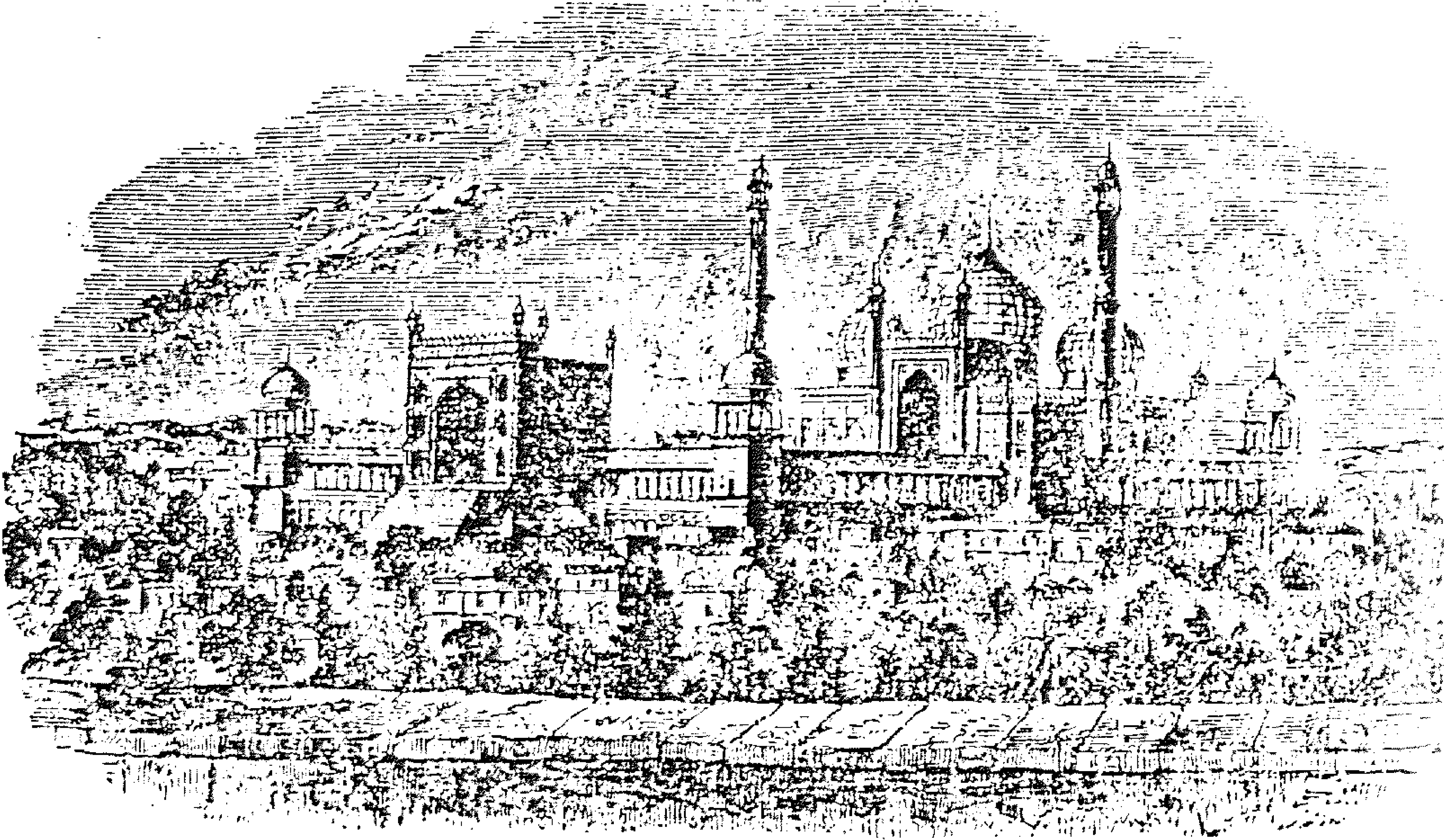
المسجد الجامع بمدينة فاتح بور سيكرى (القرن ١٦ ـ ١٧ م)

لوحه ١٠٣



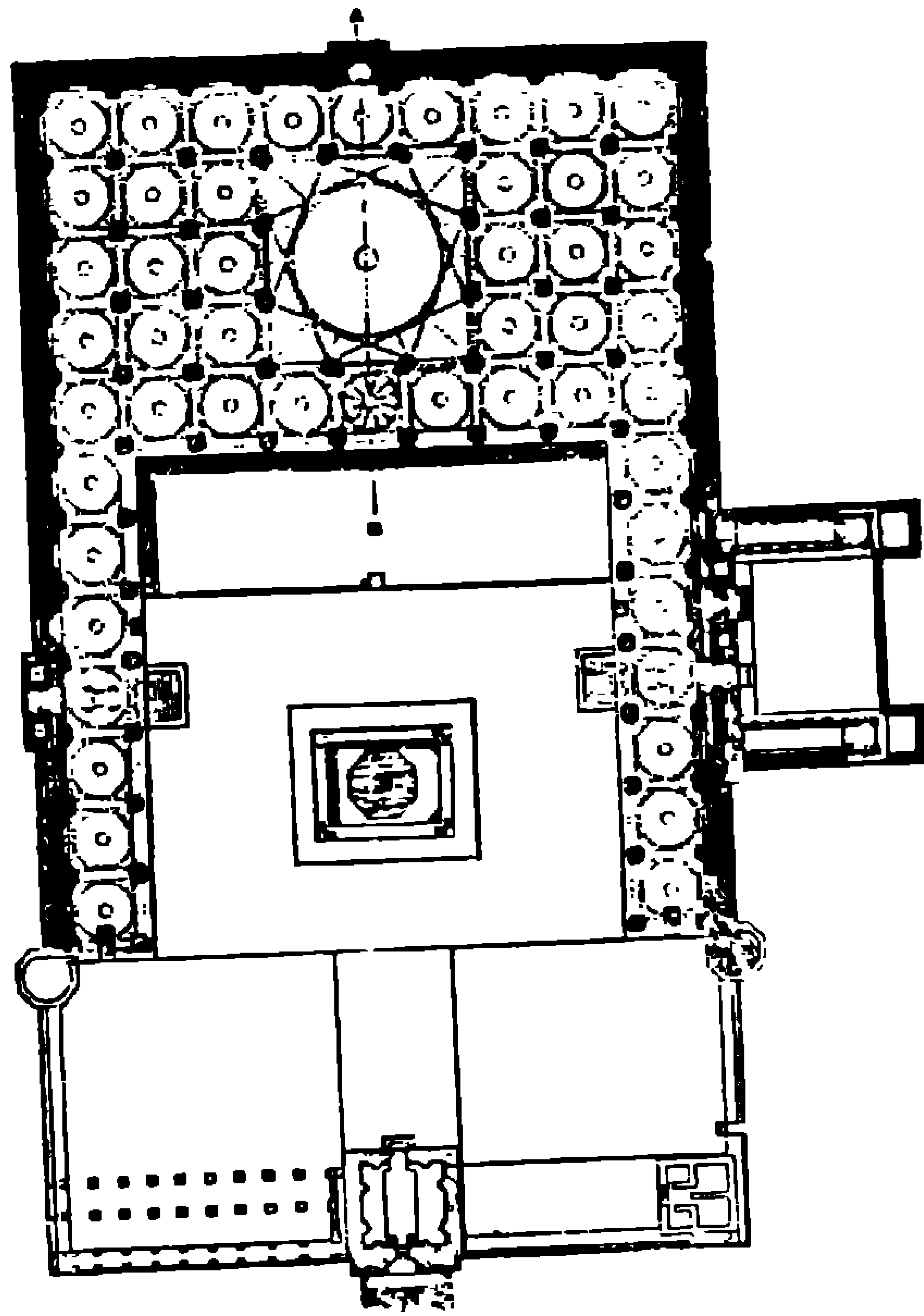
المسجد الجامع بمدينة فاتح بورسيكري _ الواجهة

لوحـه ١٠٤



المسجد الجامع بدلهى ـ الهند (القرن ١٧ م)

ش ١٠٥



المسجد الجامع بمدينة بيجابور (القرن ١٦ م)

٥ ــ عمارة المسجد وتطورها في ايــــران

مقدمـــة تاريخيـــة

استولى العرب على بلاد الفرس في عهد الخلفاء الراشدين في القرن السابــع الميلادى ثم أصبحت تحت الحكم الاموى (٦٦١ــ٧٥٠م) ثم الحكم العباســــــى (٧٥٠ــ١٢٥٠م) • وفي ذلك العصر جاءت في بلاد الفرس الدولـة الغزنويــــة (٩٦٢ــ١١٨٦م) ثم دولة السلاجقه (١٠٣٧ــ١٣٠٠م) التي استولت على معظـــم بلاد المشرق العربي •• والسلاجقه من التركمان الرحل من آسيا الوسطـى استقـــروا في ايران وهم من السنيين • واهتموا بالفنون وكان لهم صراز معمارى مميز بالضخامـــة والاتساع والمظهر القوى كما تميزت زخارفهم برسوم الكائنات الحية المحوره عن الطبيعــة • وأهم أثارهم ظهرت في آسيا الصغرى وارمينيه وبلاد الجزيرة وبلاد الشام ــ اهتمــــوا ببناء الاضرحة البرجيه ذات الاشكال الاسطوانية أو المضلعة •

تميز العصر السلجوقي أيضا وخاصة القرنين ١٢،١٣ بزخرفة الجدران بالقيشاني والفسيفساء واستعمال المحاريب المسطحة المرسوم عليها محراب على جانبيه عمودان مـــن الجص أو القيشاني كما استعملوا الخط النسخي مع الكوفي المزهر • ويرجع الفضـل الــى السلجوقيين في انشاء المدارس في ايران والتي اتخذها بعدهم المغول والتيموريــــــون وكانت أداة لنشر التعاليم الدينية السنية علاوة على كونها مساجد للصلاة •

وبعد العصر السلجوقي الذى يعتبر من أزهـــى العصور الفنية في ايران جــــاء المغول وقضوا على السلاجقه وكونوا الدولة المغولية وقد جاءوا من صحراء غوبـــى وأفلحوا في السيطرة على الصين ثم انطلقوا الى الشرق الاوسط بقيادة جنكيزخان • ثم استطــــاع هولاكو من فتح بغداد عام ١٢٥٨م وان يقتل الخليفة المستنصر آخر الخلفاء العباسيين • وبذلك انتهت الدولة العباسية • وأسس هولاكو في ايران اسرة حكمتهــا حــتى عـــام (١٣٢٦م) واعتنقوا الاسلام وكانت فنونهم متأثرة بالفن الصيني لحد كبير • شيدوا العديد من الاضرحة البرجية كما كان عند السلاجقه ومن مساجدهم مسجد ترامين وجوهر شـــاد

بمدينة مشهد • وعند انتهاء دولة المغول عام (١٣٣٦م) جاء تيمورلنك وقضى عليهم تماما وكون الدولة التيمورية التي حكمت تلك المنطقة من عام (١٣٦٩م الى عام ١٥٠٠م) •

انشأ التيموريون العديد من المساجد التي تميزت مبانيها بالضخامة ذات المداخل التذكارية المرتفعة ومن اهم مساجدهم الجامع الازرق بتبريز وكانت عاصمتهم سمرقند ومن مدنها سلطانيه • كما انتشر في ذلك العصر بناء المدارس التي استعملت كمساجد كالنظام السلجوقي ومن امثلتها التي لازالت موجوده مدرسة خرجرد (١٤٤٥م) على مقربة من الحدود الافغانية • كما أبدع التيموريون في استخدام التكسية بالقوالب والفسيفساء الخزفيه لزخرفة الواجهات كما انهم استخدموا المقرنصات بكثرة وعمل المحاريب من القيشاني ذي البريق المعدني •

ثم جاءت بعد ذلك الاسرة الصفويه عام (١٥٠٢م) على يد الشاه اسماعيل الاول وهو من أصل ايراني ومنذ هذه الاسرة أصبح المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي لايران وكانت عاصمتهم تبريز في بادئ الامر وكان عصر الشاه عباس الاكبر من ازهى العصور الفنية بايران ونقل العاصمه الى اصفهان في القرن السادس عشر الميلادي وبنى فيها العديد من المساجد والقصور ومن أجمل مساجدها مسجد الشاه عباس المسمى بالجامع الملكي الكبير • كما نجد من اثار هذه الدولة ضريح ومسجد الشيخ صفي الدين باردبيل من القرن السادس عشر الميلادي • أما المدارس فأبدعها مدرسة نادر شاه عام (١٧٠٠م) • كما نجد من آثار هذه الدولة ميدان شاه المنسق والمخطط بالطرقات والحدائق والعديد من الخانات والقصور • ثم سقطت الدولة الصفويه في يد الافغان الذين حكموا ايران من عام ١٧٢٢ الى عام ١٧٢٩م ثم جاءت بعد ذلك دويلات ضعيفه الى ان جاءت الاسرة البهلويه وبعدها جاءت الثورة الاسلامية.

ومتتبع دراسة أهم مساجد ايران حسب ترتيبها التاريخي نستطيع ان نستنتج ما يلي :ـ

ـ عمارة المساجد الاولى وتطورها : (لوحة ١٠٦ ـ ١٠٨)

لم يبق من المساجد الاولى منذ الفتح الاسلامى شيئا الآن وذلك بسبب بنائها بمواد بنائيه ضعيفه كالخشب أو الطوب اللبن وكذلك بسبب الحوادث والحروب التي تعرضت لها تلك المنطقه •

ويعتبر مسجد دمغان الواقع في الجنوب الشرقي لبحر قزوين والمؤرخ من القرن التاسع الميلادى هو من اقدم المساجد التى يمكن ان نتعرف على تخطيطها فهو ذو شكل مستطيل يتعامد مع جدار القبله • هذا الشكل رأيناه في المساجد العباسية بالعراق كمسجد ابى دلف • لذلك نستطيع القول بان المساجد الاولى الايرانية لابد وانها كانت متأثره بعمارة سامرا ليس فقط بالنسبة لشكلها العام وانما ايضا لكونها مبنيه بالطوب الاحمر وكذلك بدعائمها الضخمة بدلا من الاعمدة الصغيرة المنقوله من مبان اخرى كما شاهدنا ذلك في عمارة صدر الاسلام •

تاثرت عمارة المسجد في ايران فى تلك الفترة بالتصميم العام التقليدى للمسجد من حيث انه صحن تحيطه اروقه من جميع الجهات رواق القبله اكبرها.فى تلك المساجد الاولى وجدنا المسافه التى بين الدعائم الوسطى اعرض من غيرها وذلك فى رواق الصلاه وربما جاء هذا التأثير من سوريه حيث وجدنا ذلك في الجامع الكبير بدمشق ولكن لا نستطيع ان نسمى هذه المساحه المتسعة فى مساجد ايران بالمجاز القاطع كما فى دمشق • وانما اريد بذلك التاكيد على اهمية المحراب •

في ذلك المسجد نرى ان بلاطات رواق الصلاه محموله على عقود ذات شكل أهليجي تسير متعامده على جدار القبله كما أصبحت تغطيه هذه البلاطات باقبية مستمره وهو التسقيف المعتاد في العماره الفارسية الساسانية • أما مدخل هذا المسجد فهو جانبي يؤدى الى الصحن وربما كان له مداخل اخرى خاصة المدخل المحورى مع المحراب وقد اختفت الآن بسبب المباني التى التصقت بالمسجد في عصور متأخره •

وفى القرن العاشر الميلادى تغير الشكل العام للمسجد واصبح مستطيلا موازيا لجدار القبله حيث نجد مسجد نايين ويقع شرقى اصفهان واحتفظ ايضا بالتصميم التقليدى من حيث الصحن والاروقه كذلك احتفظ بتصميم مساجد القرن التاسع من حيث الدعائم الضخمه الطوبية والعقود الفارسية والبلاطات التى تسير عمودية على جدار القبله وعلى المسافه الوسطى امام المحراب اوسع من غيرها • ولكن حصل هنا تطور ملموس فى زيادة عرض الاروقه الجانبيه دون الرواق المقابل لرواق الصلاه والذى يسع المدخل الرئيسى للمسجد • وكانت الزيادة فى مساحة هذين الرواقين على حساب الصحن الاوسط ربما كان ذلك لتستوعب اكبر عدد من المصلين بالاضافة الى رواق الصلاه حيث لانجد أى فاصل او جدار بين هذا الرواق والرواقين الجانبيين ـ هذا التطور ظهر فى ايران منذ القرن العاشر واستمر فى كثير من مساجدها • فى هذا العصر بدأت تظهر الزخارف الجصيه على جدران المسجد ومن الطبيعى فقد اقتبس هذا من العراق •

عمارة المسجد وتطورها فى العصر السلجوقى : (لوحة ١٠٩ ـ ١١٠)

كان اول بناء لمسجد الجمعه باصفهان والمسمى بالجامع الكبير فى القرن الثامن الميلادى ولم يبق من تصميمه الاول شيء الآن وربما كان على نمط المساجد الاولى • وفى القرن الحادى عشر الميلادى اعاد بناءه السلطان ملكشاه السلجوقى وتميز بالتسقيف بالاقبيه والقباب وظل تخطيطه على النمط التقليدى مع الاحتفاظ بزيادة مساحة الرواقين الجانبيين والشكل المستطيل لرواق الصلاه الموازى لجدار القبله ببلاطاته العمودية •

وفى بداية القرن الثانى عشر الميلادى طرأ تطور آخر جديد حيث أقيم فى رواق القبله قبتان الاولى امام المحراب والثانية مطله على الصحن وتكاد تكونان ملتصقتين وهذه القباب تغطى البلاطات الثلاث الوسطى من رواق الصلاه امام المحراب ومحموله على دعائم ضخمه •

وفى تطوير آخر خلال القرن الرابع عشر الميلادى استبدلت القبه التى تطل على الصحن بايوان كبير مفتوح بكامل عرضه على الصحن ومغطى بقبو مستمر ذى عقد فارسى

كبير يرتفع فى وسط واجهة رواق الصلاه المطله على الصحن وعلى جانبيه عقود فارسية صغيرة • وارتكز هذا الايوان على حوائط جانبيه ضخمه • بهذا التصميم نجد ان رواق الصلاه أصبح يتكون من ثلاثة اجزاء : رواقين جانبيين وبالوسط امام المحراب قاعة القبه وخلفها الايوان • ـ ومن هذا التاريخ أيضا انشىء ثلاثة ايوانات صغيرة مفتوحة على الصحن فى منتصف الاروقه الثلاثه المحيطه بالصحن واضيفت بعض القاعات والغرف على جوانب هذه الايوانات على طابقين • واتخذ الايوان المواجه لرواق الصلاه كمدخل تذكارى فى وسط الواجهه وفى محور المحراب • عمل هذا التطور ليؤدى المبنى وظيفة دراسة المذاهب السنيه علاوة على وظيفته كمسجد كما أن الغرف المحيطه بالصحن من ثلاث جهات قد خصصت للتدريس ولسكنى الطلبه ومرافقهم •

هذا التصميم وان كان قد عالج معماريا واجهات الاروقه المطله على الصحن حيث نجد واجهة رواق الصلاه اكثر دراسة كما انه عالج احتياجات التدريس الا أنه سبب عيوبا فى التصميم الداخلى لرواق الصلاه ـ حيث لا نجد فيه الفراغ الواحد والاستمرارية والوحدة UNITY and CONTINUITY والتى وجدناها فى المساجد التقليدية •

يرجع الفضل الى السلاجقه فى انشاء المدارس الدينية كما ذكرت سابقا حيث كانت اول مدرسة اقيمت فى العالم الاسلامى بمدينة نيسابور فى خراسان ولكنها اندثرت الآن وربما كانت اطلال المدرسة النظامية جنوب غرب نيسابور والتى انشئت عام (١٠٨٧م) هى اقدم مدرسة لازالت باقيه الى الآن وبها بيت الصلاه مطلا على الصحن • ومنذ القرن الحادى عشر انتشر تصميم هذه المدارس فى معظم بلدان العالم الاسلامى •

اعتبر تصميم مسجد الجمعه نموذجا لمعظم مساجد ايران من حيث وجود الصحن يحيطه اربعه اروقه رواق القبله اكبرها • ويتوسط هذه الاروقه ايوانات اربعة مطله على الصحن اكبرها هو ايوان رواق القبله حيث يتقدم القبه الكبيرة التى امام المحراب ويكون الايوان الشمالى المدخل الرئيسى الذى يقع فى محور المحراب •

ومن مساجد القرن الرابع عشر الميلادى نجد مسجد فيرامين بجنوب طهران تصميمه لا يخرج عن التصميم المذكور حيث نجد الايوانات مغطاه باقبية مكسورة والمدخل مغطى بنصف قبه • وفى هذا المسجد نجد ان بلاطات رواق الصلاه مغطاه باقبية

مستمرة تسير عمودية على جدار القبلة كما هي العادة والقبة الكبيرة ترتكز على رقبـــة مربعة والانتقال من المربع الى المثمن كان عن طريق الحنايا الركنية SQUINCHES

عمارة المسجد وتطورها في العصر التيموري : (لوحه ١١١ ـ ١١٣)

وفي القرن الخامس عشر الميلادي نجد جامع جوهر شاد احدى الاميرات التيموريات مدينة مشهد ولا يخرج تصميمه عن المساجد السابقة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي •

وفي المسجد الكبير في يسزر وهو من القرن الرابع عشر والخامس عشر الميـلادي نجد نفس التصميم الا أن بلاطات رواق الصلاة فيه تسير موازية لجدار القبلة وكل منهـــا مغطاة بقبو مستمر نصف اسطواني فوقـه بعض القباب الصغيرة مرتكزة على قوائم مفتوحـة لانارة رواق الصلاة وقد تعرض هذا المسجد للعديد من الاصلاحات •

ومن القرن الخامس عشر الميلادي نجد المسجد الازرق بتبريز وسمي بالازرق لان جدرانه مكسية ببلاطات من الخزف الازرق ونلاحظ ان تصميمه شاذ عن التصميم الايرانـي فهو متاثر بالفن البيزنطي الى حد كبير • نجد على جانبي واجهته برجين مستديريـن يحملان مئذنتين عاليتين ولا نجد به صحنا • كما يؤدي المدخل مباشرة الى غرفـــة كبيرة مربعة مغطاه بقبه كبيرة • وهذه القاعة محاطه من ثلاث جهات باروقه من بلاطـــه واحدة مغطاه بقباب صغيرة متصلة بفتحات تؤدي الى القاعة المربعة • وبهذا المسجد غرفة صغيرة مربعة مغطاه بقبه كضريح للمنشئ تقع خلف المحراب •

وفي القرن السادس عشر الميلادي رجع تصميم المسجد مرة اخرى الى التصميم الايراني كما في المسجد الكبير بساوى •

عمارة المسجد وتطورها في العصر الصـفوى : (لوحة ١١٤ ـ ١١٦)

ومن اجمل مساجد ايران من عصر الشاه عباس المسجد الملكي او جامع الشـاه باصفهان (١٦١٢ـ١٦٤٠م) وقد راعي مهندس هذا الجامع احترام واجهة المسجد للشارع والميدان الذى امامه ويقع المدخل في منتصف هذه الواجهه مكونا حنيهكبيرة

تودى الى الايوان المغطى بالقبو المستمر وفى هذا الايوان يلتقى محور المدخل مع محور المحراب وكما هى العادة نجد الايوانات الاخرى وصالة القبه خلف الايوان الكبير برواق الصلاة المقسم الى مساحات مربعة كل منها مغطاه بقبه صغيرة . كما نجد الاروقه الاخرى المكونه من عدة غرف على طابقين .

وفى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى نجد مدرسة نادر شاه تخطيطها هو نفس التخطيط الايرانى .

من هذه الدراسة نلخص فيما يلى بوجه عام تطور تخطيط المسجد فى ايران :

١ ـ الشكل العام الذى يغلب على معظم المساجد هو الشكل المستطيل المتعامد مع جدار القبله .

٢ ـ لا يخرج تصميم المساجد الاولى عن التصميم التقليدى أى صحن تحيطه أروقه من الجهات الاربع رواق القبله اكبرها . ونلاحظ فى هذا التصميم أن بلاطات رواق القبله تسير عموديه على جدار القبله كما أن البلاطه الوسطى المنتهية بالمحراب اعرض من البلاطات الاخرى . (كما فى مسجد دمغان) .

٣ ـ تعرضت تلك المنطقة لكثير من الحروب وعدم الاستقرار مما أدى الى هدم الكثير من المساجد الاولى .

٤ ـ منذ القرن الحادى عشر الميلادى ظهرت لنا الاواوين المقتبسه من عمارة تلك المنطقة فى العمارة الدينية الاسلامية . وبذلك أصبح هذا العنصر مميزا لمساجد ايران . هذا علاوة على وجود الضريح فى هذا التخطيط فى بعض المساجد .

٥ ـ وضع فى وسط كل رواق من أروقة المسجد ايوان مطل على الصحن وكان ايوان رواق الصلاه كبيرا ومرتفعا يعلو جداريه مئذنتان اسطوانيتان وغطيت هذه الايوانات بالاقبيه المستمره وحليت بالزخارف والكتابات . كما نجد خلف الايوان الكبير قبه كبيرة تغطى مساحة مربعة ومحمولة على دعائم ضخمة أمام المحراب ـ هذا التكوين

جعل بيت الصلاة مقسما الى ثلاثة أجزاء وبذلك لا نجد فيها تلك الوحدة التى وجدناها فى المسجد ذات التصميم التقليدى ولكن بالرغم من ذلك فان هذا التصميم الايرانى أعطى واجهات جميلة لاروقة المسجد وخاصة واجهة رواق الصلاة كما أن هذا التصميم أهتم وركز بدرجة كبيرة على عنصر المحراب وموقعه الهام — نجد أيضا أن الاروقه الثلاثة الاخرى تتكون من طابقين فى حين ان الايوانات التى تتوسطها تأخذ الاتفاع الكلى ٠

أما مداخل تلك المساجد الايرانية فهى مداخل تذكارية كما فى مسجد الجمعة وغيرها وهى عبارة عن ايوان مفتوح يتكون من حنية مرتفعة تنتهى بنصف قبه ومزخرفه بالمقرنصات وعلى جانبى هذا الايوان مئذنتان ٠

٦ — استعمال العقد الفارسى فى معظم المساجد الايرانية وهو العقد المدبب ذو المركزين ٠

٧ — انتشار القباب البصليه وتعتبر من أهم معالم العمارة الايرانية ٠

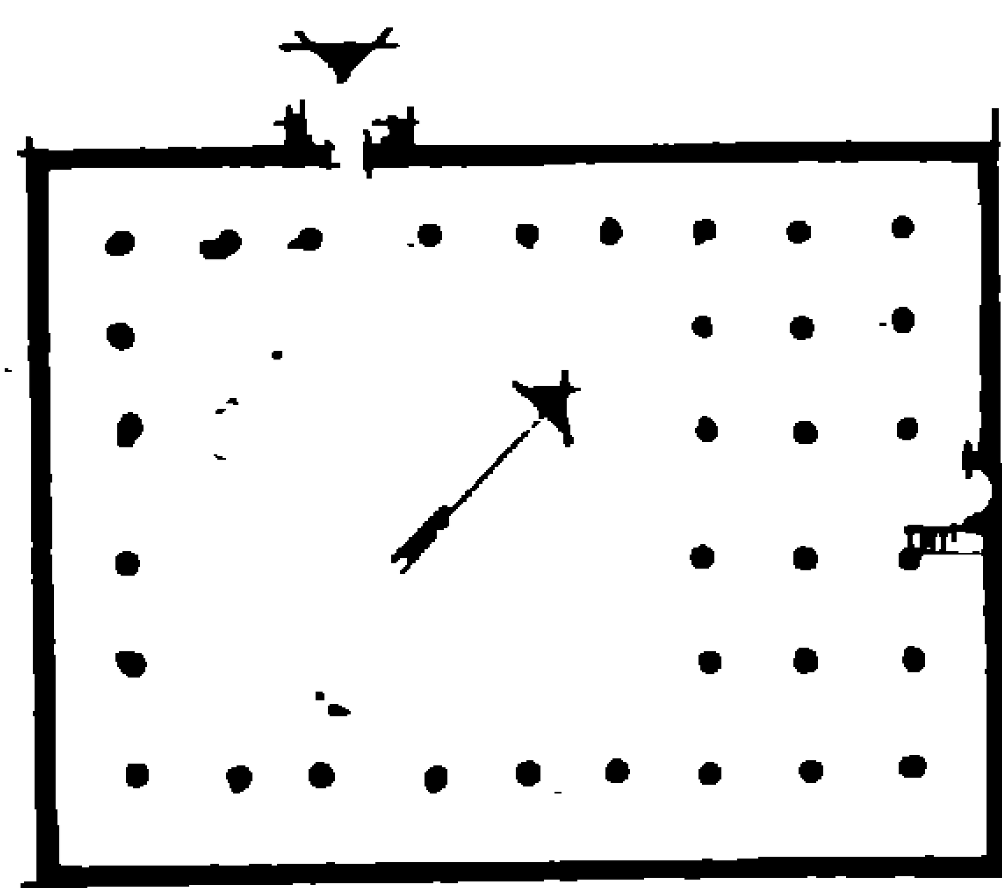
٨ — تكسيه الجدران بالموزايكو والبلاطات الخزفيه ذات الالوان البراقه من الازرق والاصفر والاخضر ٠

٩ — انتشار المآذن الاسطوانية الشكل المنتهية بالبلكون المرتكز على المقرنصات ووجود أكثر من مئذنة فى المسجد الواحد وكانت تزخرف بزخارف هندسية من الطوب أو تكسى ببلاطات من القيشانى ٠ هذه المآذن تشبه عادة مداخن المصانع أو تشبه الفنارات ولا نجد لها مثيلا فى العالم الاسلامى فمعظمها كان خاليا من النوافذ والسلالم ولذلك كان يؤدى الآذان من فوق سطح المسجد ٠

١٠— الكثير من هذه المظاهر المعمارية استعارته الهند وأواسط آسيا فى الكثير من المساجد والمبانى الاخرى ٠

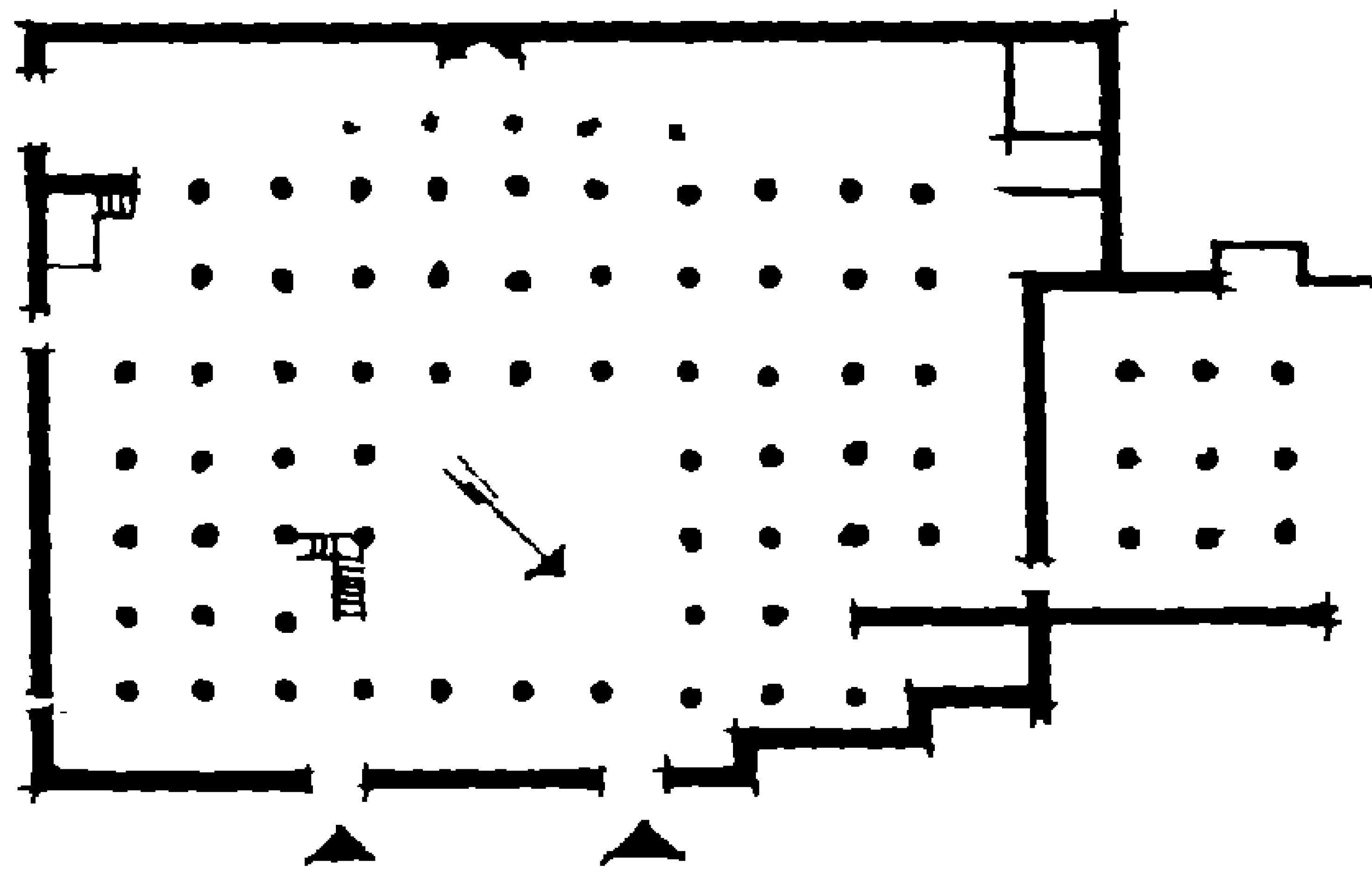
تلك هى الصورة التى اتبعت فى تخطيط مساجد ايران والتى كانت تؤدى وظيفة التدريس بجانب الصلاة ٠

لوحـه ١٠٦



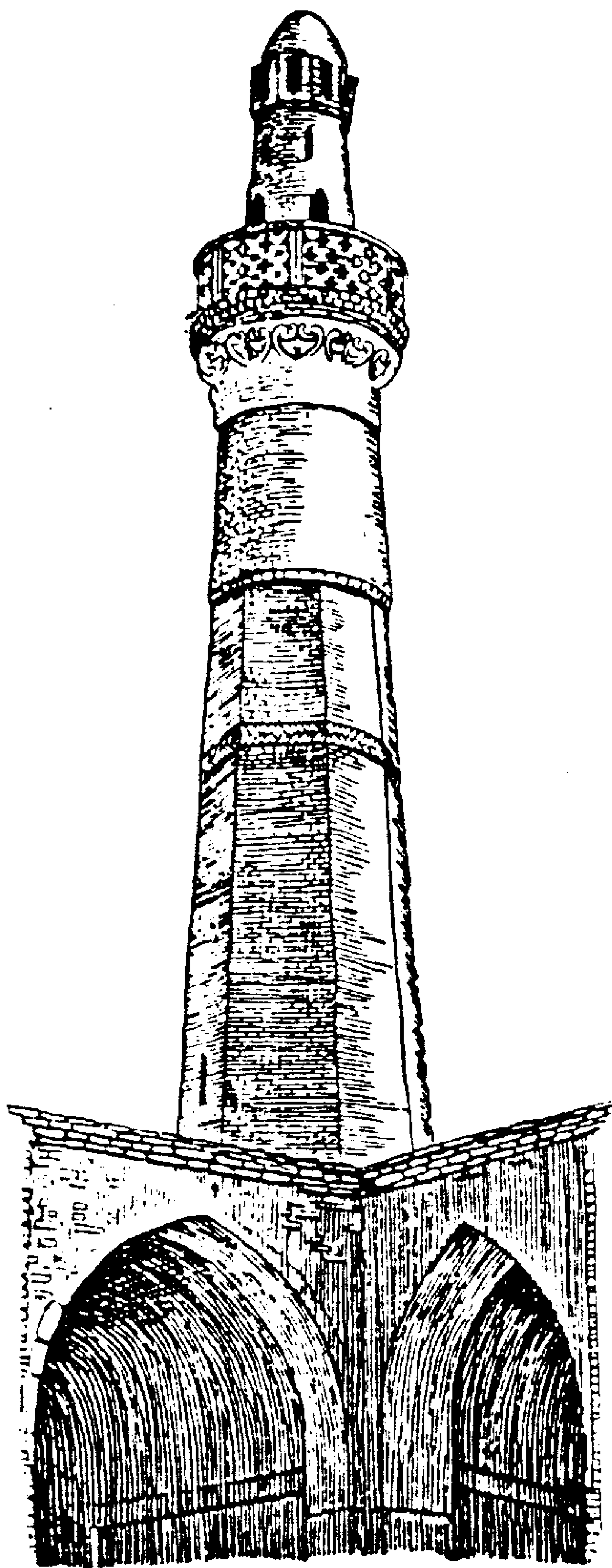
مسجد دمغان (القرن ٩ م)

لوحـــه ١٠٧



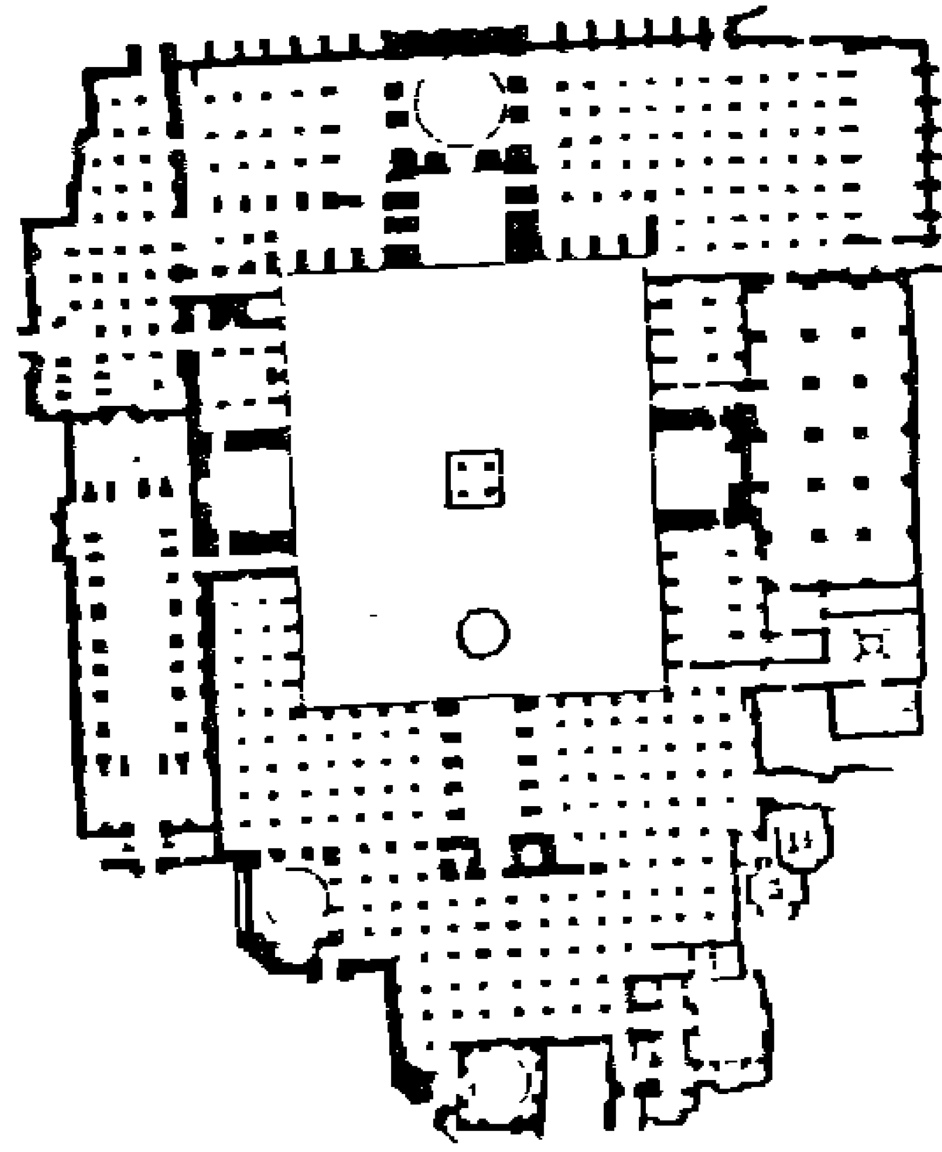
مسجد نايـــن (٩٦٠ م)

لوحه ۱۰۸



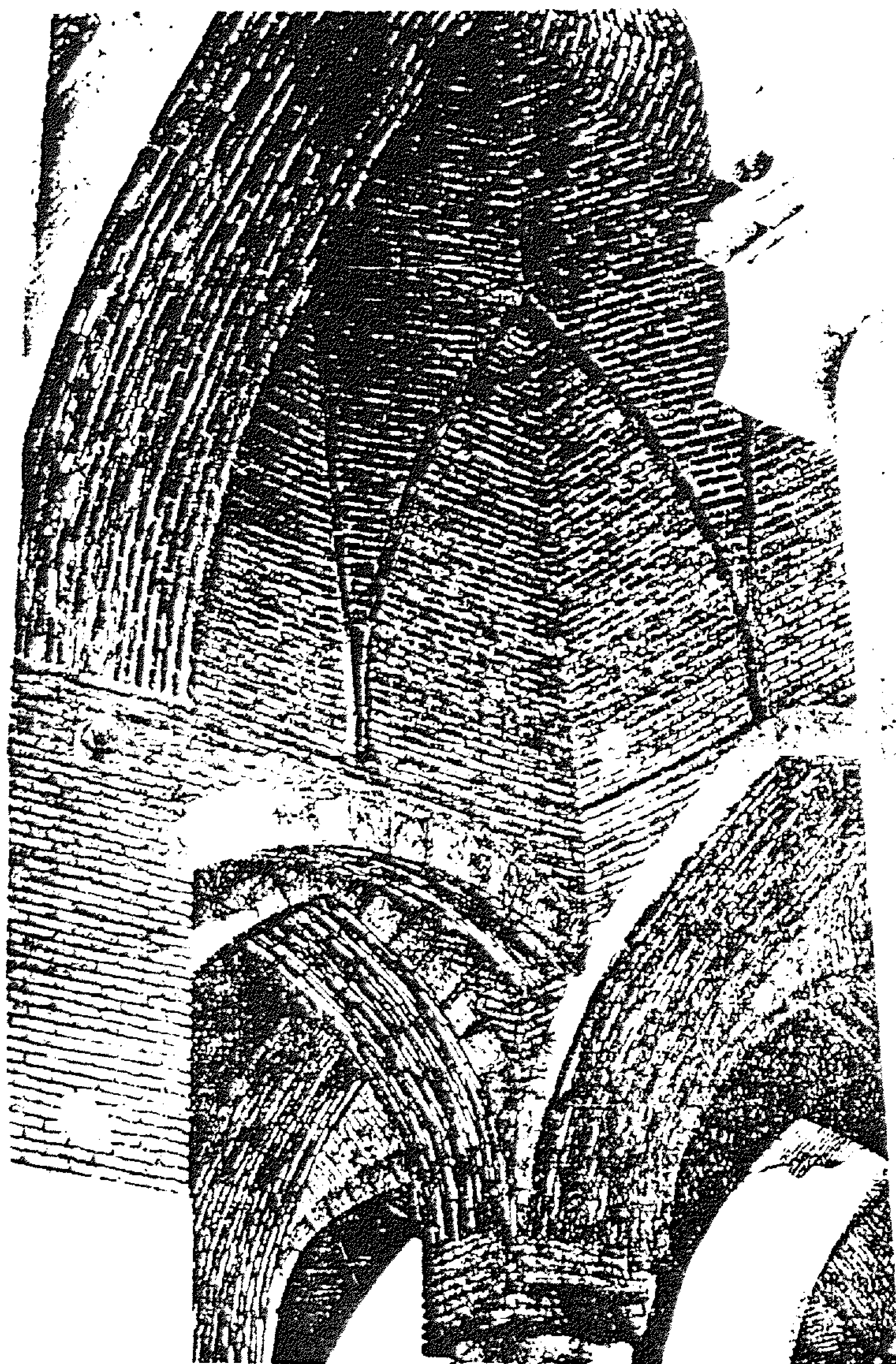
مئذنه مسجد نایین

لوحـــه ١٠٩



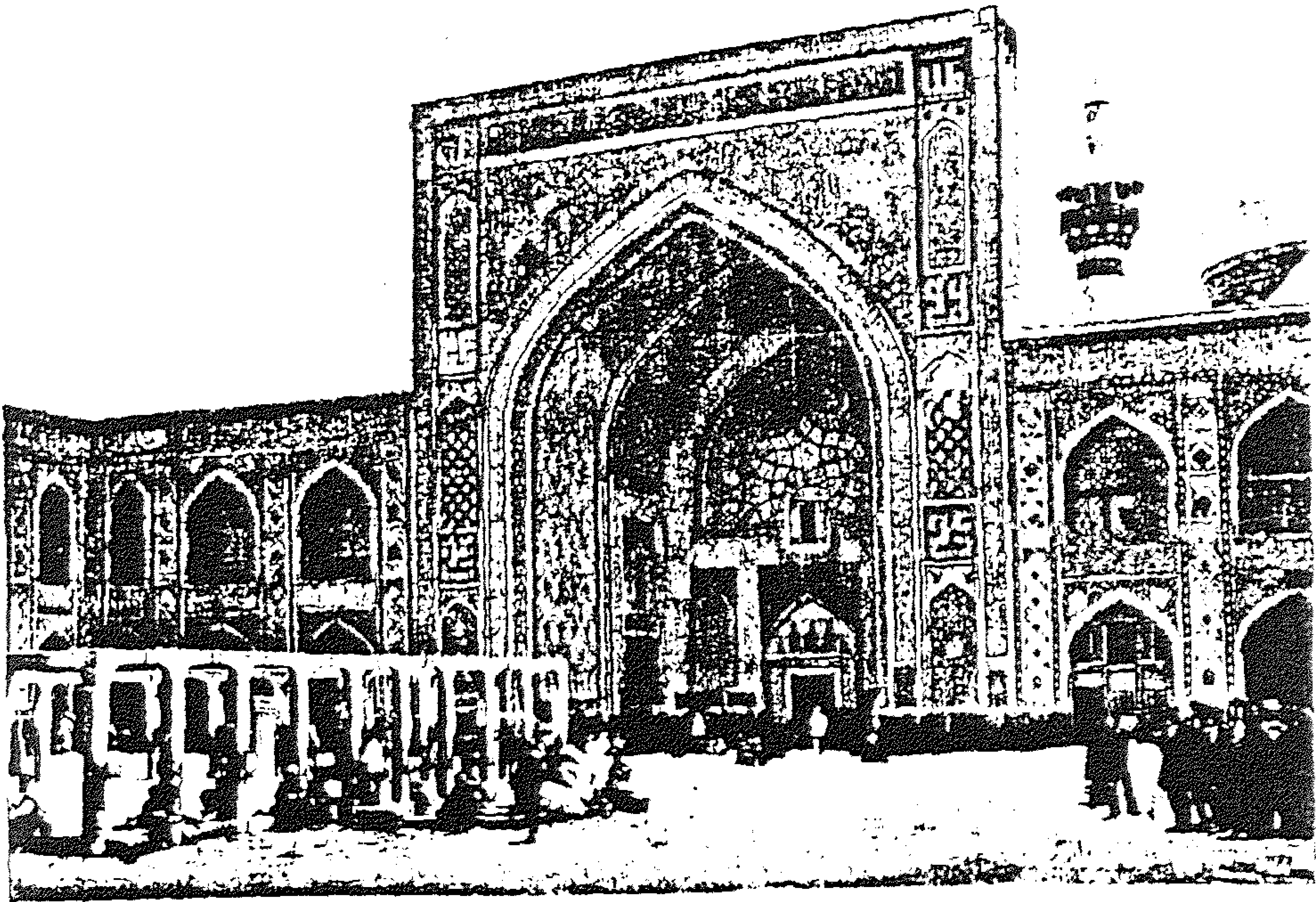
مسجد الجمعة باصفهان (القرن ٨ ـ ١٤ م)

لوحه ١١٠

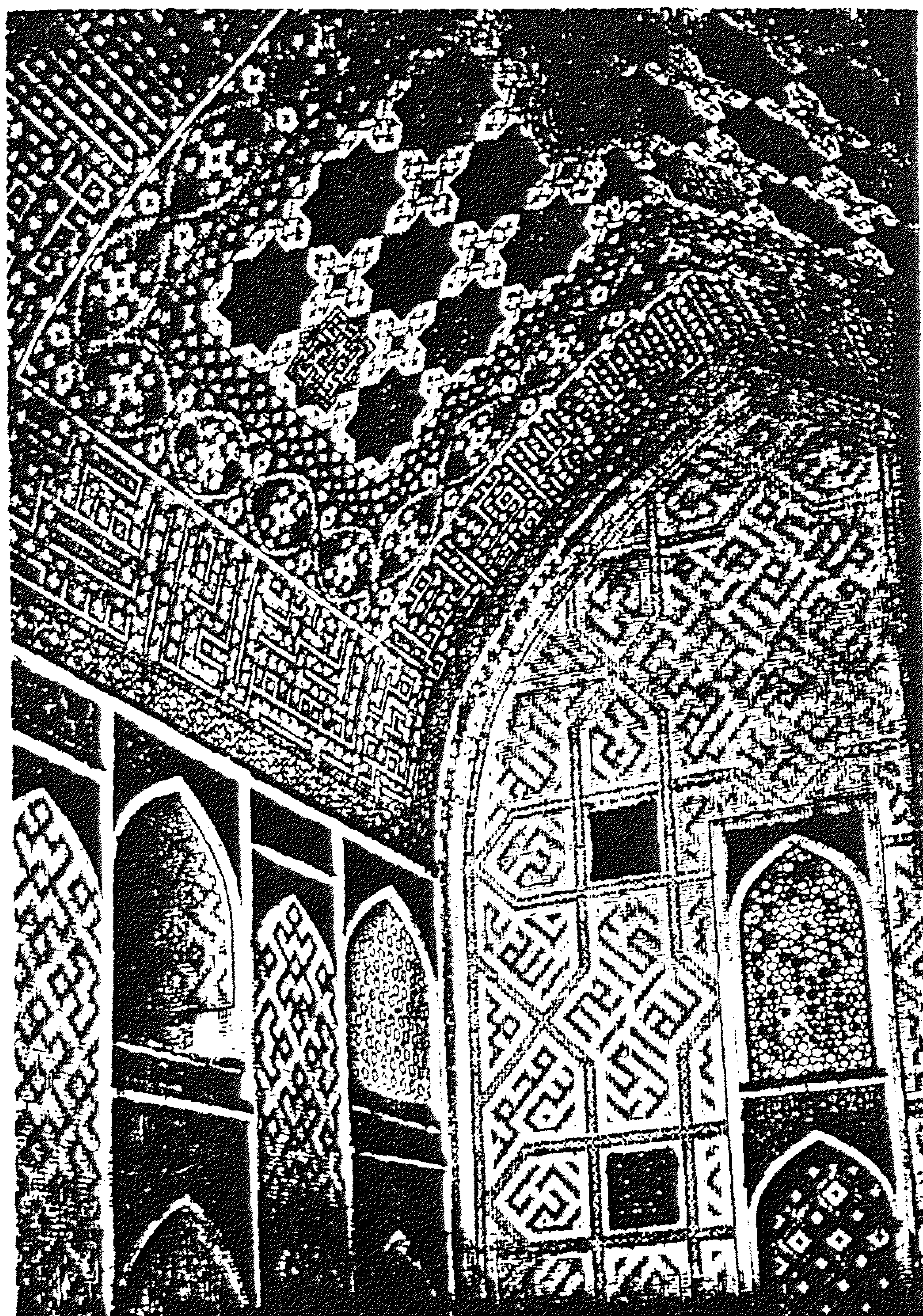


مسجد الجمعة باصفهان

لوحه ١١١

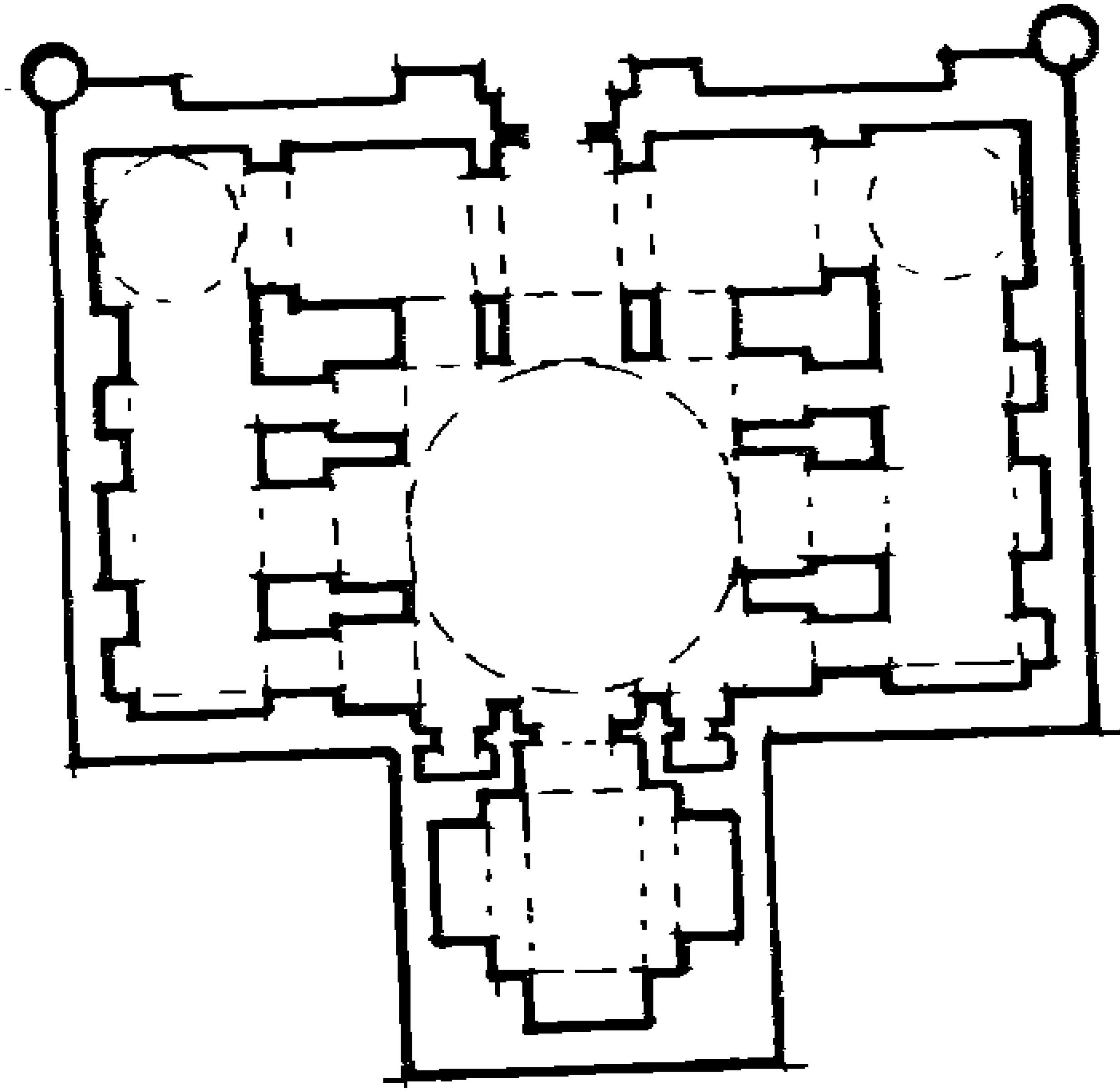


مسجد جوهرشاد ـ مشهد ايران
الايوان الجنوبي الشرقي



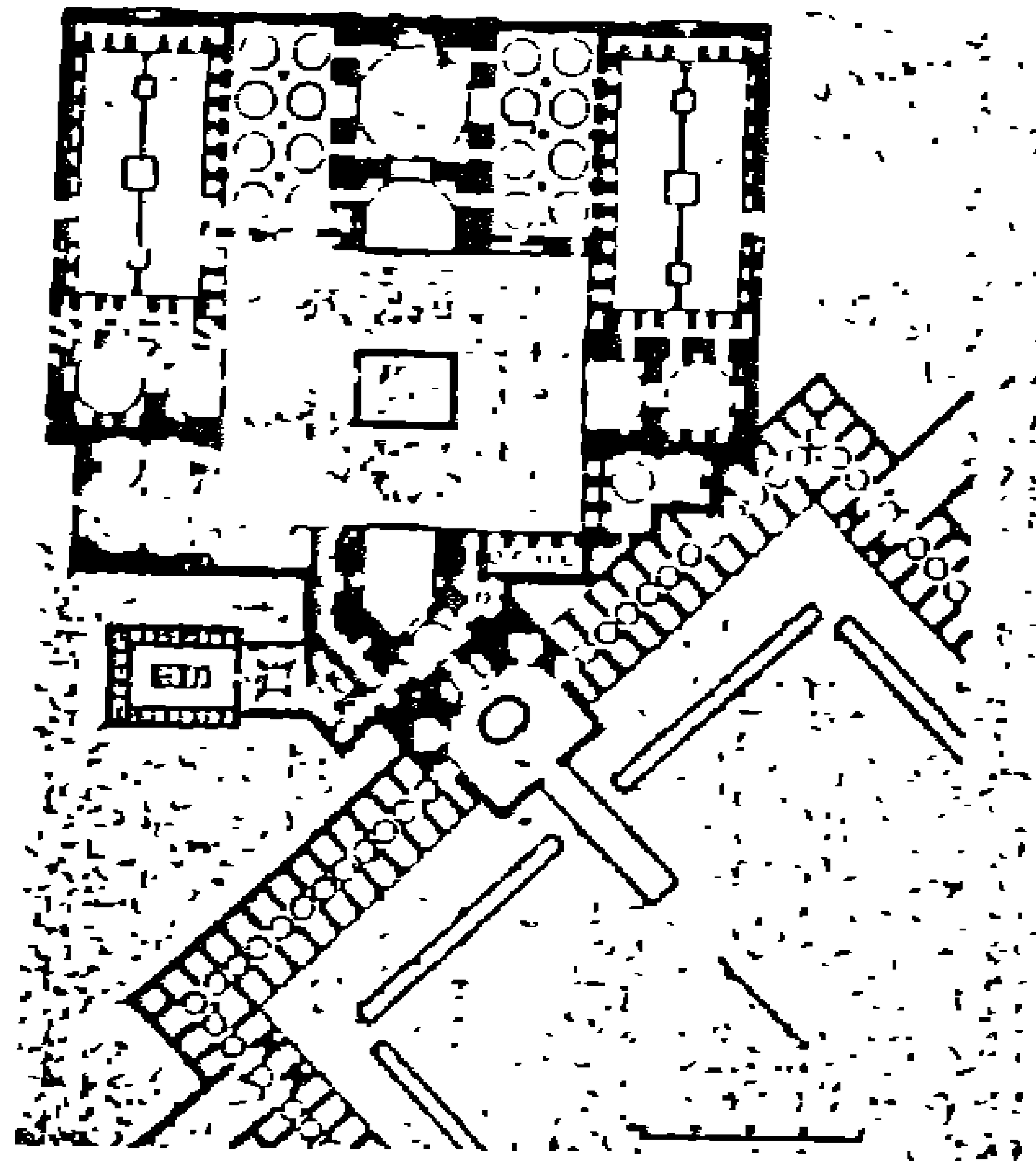
مسجد جوهرشاد ــ مشهد ايران
الايوان الشمالي الشرقي

لوحه ١١٣



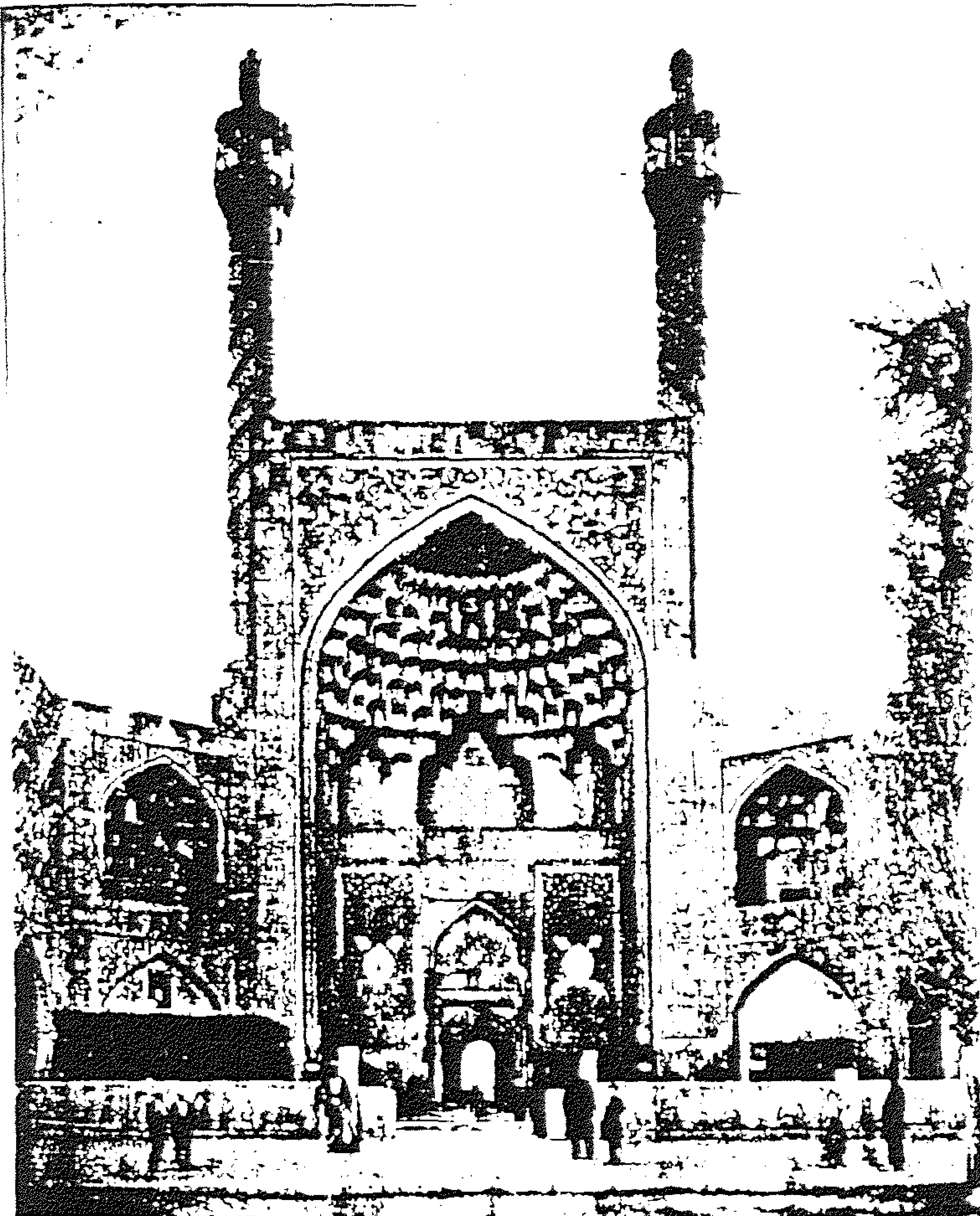
الجامع الازرق ـ تبريز (القرن ١٥ م)

لوحــة ١١٤



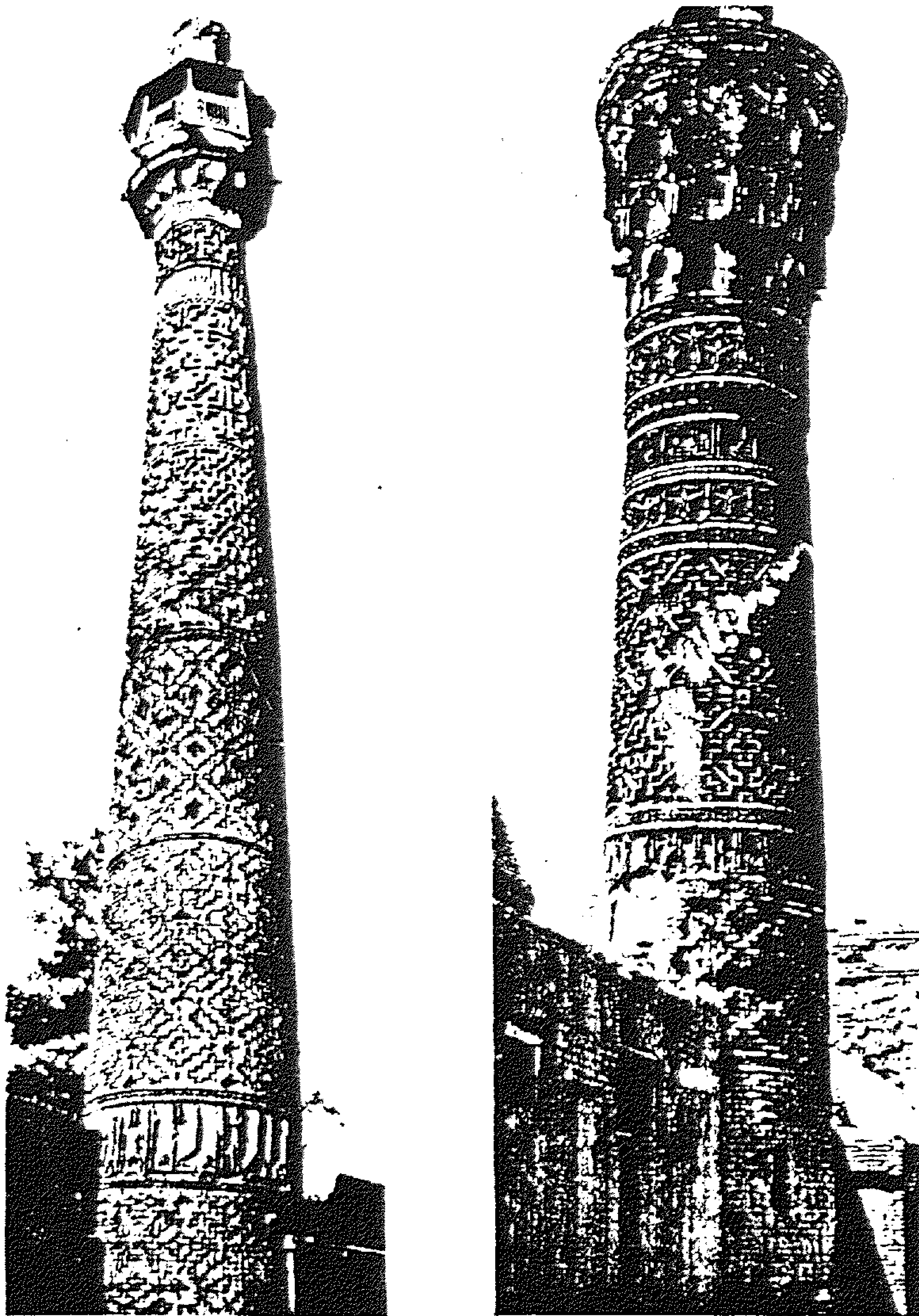
مسجد الشاه (المسجد الملكي) باصفهان
(١٦١٦ م)

لوحـه ١١٥



مسجد الشـاه _ باصفهان _ المدخل

لوحه ١١٦



مآذن ايرانيـــــة (القرن ١١ ـ ١٢ م)

٦ ـ عمارة المسجد وتطورها في تركيا

مقدمه تاريخية

انتشر نفوذ السلاجقه منذ بداية القرن الحادى عشر الميلادى فى العراق وشمال سوريه وبلاد الاناضول كما ذكرنا سابقا • وفى عام (١٠٩٧م) جعلوا مدينة قونيه عاصمة لهم بعد أن كانت بلاد الاناضول تحت الحكم البيزنطى ،وبذلك قامت فى تلك البلاد حضارة سلجوقيه متأثره بالفن الفارسى •

وفى عام (١٣٠٠م) أستطاع الاتراك العثمانيون الذين قدموا أيضا من أواسط آسيا أن يقضوا على الحكم السلجوقى وبذلك سقطت مدينة قونيه فى أيديهم وأتخذوا مدينة بورصه بالقرب من استانبول عاصمة لهم فى عام (١٣٢٤م) •

لذلك نجد فى عمارة الترك العثمانيين التأثير البيزنطى والتأثير الفارسى والتأثير السلجوقى • وكانت القباب والمآذن الاسطوانية والتكسيات بالسيراميك الملونة من أهم مميزاتها الفنية •

وفى عام (١٤٥٣م) سقطت مدينة القسطنطينية (استانبول) فى يد العثمانيين وانتقلت العاصمة اليها وبذلك تم القضاء على الدولة البيزنطيه ، ثم أتجهوا بعد ذلك الى توسيع نفوذهم فحكموا بلاد الشام والعراق ومصر وجزيرة العرب وشمال افريقيا حتى حدود بلاد المغرب • وأصبح الطراز العثمانى يسود تلك المنطقة الشاسعة وتحت حكم خليفة واحد فى استانبول •

فى هذا العصر ظهرت لنا مبانى التكايا وهى شبيهه بالخانقاوات كالتى وجدناها بمصر وقد اطلق عليها نفس التسمية فى العصر العثمانى وهى مبان دينية أهم عنصر فيها قاعة الصلاه علاوة على غرف سكنى المتصوفين وقاعات الدرس والمرافق اللازمة •

نجد فيما يلي بعض مساجد العصر العثماني

أولا : مساجد السلاجقه بالاناضول أى من القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادى

نجـد منهـا :ـ

١ ـ المسجد الكبير بقيسريـه (١١٤٠م)
٢ ـ المسجد الكبير بمدينة سيلفان SILVAN (١١٥٣م)
٣ ـ مسجد الملك نوران بديفريك DEVRIK (١٢٢٨م)
٤ ـ المسجد الكبير بمدينة سيريهيزار SIRIHISAR (١٢٣١م)
٥ ـ مسجد برماه بمدينة امازيا AMASYA (١٢٣٧م)
٦ ـ المسجد الكبير بسيفاس SIVAS (١٢٧٥م)
٧ ـ مدرسة دار الحديث بقونيا (١٢٥٨م)
٨ ـ جامع ومدرسة امازيـا (١٢٦٦م)

ثانيا : مساجد العثمانيين من القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر الميـــلادى

نجـد منهـا :ـ

١ ـ المدرسة الياقوتيه بمدينة ازوروم EZOUROUM (١٣١٠م)
٢ ـ مسجد اورهان بك ببورصه (١٣٢٦م)
٣ ـ مسجد علاء الدين باشا ببورصه (١٣٢٦م)
٤ ـ مدرسة بايزيد الاول ببورصه (١٣٩٠م)
٥ ـ المسجد الكبير ببورصه (١٣٩٥م)
٦ ـ الجامع الاخضر ببورصه (١٤١٥م)

ثالثا : مساجد العثمانيين من القرن الخامس عشر الميلادى باستانبول نجد منها :ـ

١ ـ مسجد اوتـــس شريفلى (الثلاث شرفاء بادرنه) (١٤٣٨م)
٢ ـ مسجد مراد باشا استانبول (١٤٦٦م)
٣ ـ مسجد ابراهيم باشا باستانبول (القرن الخامس عشر الميلادى)
٤ ـ مسجد عاتق على باشا باستانبول (١٤٩٨م)

رابعا : مساجد العثمانيين من القرن السادس عشر الميلادى نجد منها :ـ

١ ـ مسجد بايزيد الثانى باستانبول (١٥٠١م)
٢ ـ مسجد السلطان سليم باستانبول (١٥٢٢م)
٣ ـ مسجد مهرماه بمدينة اوسكدار (١٥٤٨م)
٤ ـ مسجد سليم الثانى (السليميه بادرنه) (١٥٥٧م)
٥ ـ مسجد مهرماه باستانبول (القرن السادس عشر)
٦ ـ مسجد السليمانيه باستانبول (١٥٥٧م)

خامسا : مساجد العثمانيون من القرن السابع عشر الميلادى نجد منها :ـ

١ ـ مسجد السلطان احمد باستانبول (١٦٠٩م)

سادسا : مساجد العثمانيون من القرن الثامن عشر الميلادى نجد منها :ـ

مسجد اوغلى على باشا باستانبول (١٧٢٤م)

ـ عمارة المسجد وتطورها فى العصر السلجوقى (مساجد الاناضول فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى) • (لوحة ١١٧ ـ ١١٩)

نستطيع ان نستخلص عمارة المسجد فى تلك الفترة كما يلى :ـ

١ ـ فى بداية هذا العصر ظهر لنا المسجد التقليدى الذى انتشر فى المشـرق العربى : التشكل العام المربع تقريبا ويحتل رواق القبله فيه الضلع الجنوبـى وامامه صحن مكشوف وليست به اروقه اخرى وبالمسجد ثلاثة مداخل تؤدى الى الصحن منها المدخل المحورى مع المحراب • ويتقدم رواق الصلاه مظله بسيطه مرتكزه على بعض الاعمدة وهذا هو تخطيط جامع سيفاس SIVAS من القـرن الحادى عشر الميلادى حيث كانت بلاطات رواق الصلاه تسير عمودية على جـدار القبله وهذا ما رأيناه فى المساجد الاولى للعباسيين والمسجد الاقصـى ومساجد افريقيا ـ كما نلاحظ وجود المئذنه تبرز من خارج الضلع الجنوبى ـ

أى من جدار القبله الذى يبرز منه أيضا بعض انصاف اعمدة متصلة بالجدار عند نهاية عقود كل بلاطه وذلك لتقاوم قوى الرفس الناتجه من العقود النهائية •

٢ ــ وجدنا العديد من المساجد المستطيلة المكونه من صالة واحدة هى قاعة الصلاه كما فى الجامع الكبير بمدينة سيلفان SILVAN (١١٥٣م) وهى قاعة مستطيلة فى اتجاه مواز لجدار القبله وتضم عدة اكتاف تحمل عقودا فى الاتجاهين وبها ثلاثة محاريب امام الاوسط قبه كبيرة وقد اقيمت المئذنه فى نهاية واجهة رواق الصلاه وربما كان يتقدم هذا الرواق صحن او مظله •

٣ ــ لانجد بعد ذلك أية صحون فى تلك المساجد واكتفى بصالة واحدة مستطيلة ندخل اليها من منتصف الضلع الصغير فى محور المحراب الذى يعلوه قبه كبيرة وبداخل الصاله عدد من الاعمدة أو الاكتاف تحمل عقودا معظمها فى الاتجاه الموازى لجدار الصلاه كما فى جامع قيسريه (١١٤٠م) حيث نجد بوسط صالته قبه اخرى صغيرة بها بعض النوافذ للانارة وتبرز مئذنته من الضلع الشرقى للمستطيل وتكون برجا مربع القطاع •

٤ ــ فى هذا العصر وجدنا تصميم المدرسة الدينية جنبا الى جنب مع المسجد وكانت تحتوى على الايوان المخصص للصلاه المفتوح بتمام عرضه على صحن مكشوف أو مغطى بقبه كما كانت احيانا بها غرف مخصصه لسكنى الطلاب واحيانا اخرى لانجد هذه الغرف • فقد كانت وظيفتها التدريس فقط وكان يلحق بالمدرسة دائما غرفة مربعة مغطاه بقبه كضريح للمنشئ • كما يقع المدخل دائما على محور الايوان مكونا مدخلا تذكاريا ويؤدى الى ردهه صغيرة • كما فى مدرسة دار الحديث بمدينة قونيه (١٢٥٨م) حيث نجد على جانبى الايوان غرفتين مربعتين وعلى جانبى الصحن المغطى بالقبه الكبيرة بعض غرف سكنى الطلاب على طابقين ــ وكذلك نجد مدرسة سيرتشالى SIRCHALI بقونيه (١٢٤٢م) ذات صحن مكشوف يتصدره الايوان وعلى جانبيه الغرفتين كما نجد على جانبى الصحن رواقين خلفهما غرف سكنى الطلاب ــ أما تلك المدارس التى يدرس فيها

فقط مع تأدية الصلاة ومن أمثلتها مسجد ومدرسة امازيا AMASYA (١٢٦٦م) وهي مكونه من صالة واحدة مستطيلة (متعامده على جدار القبله ومقسمه بالاعمدة والعقود الى ثلاث بلاطات متعامده على جدار القبله أيضا) البلاطه الوسطى اعرض وبها عقود تسير في الاتجاه الموازى والمتعامد حيث تقسمها الى مساحات مربعة كل منها مغطاه بقبة وتقع المئذنه على الجانب الغربي وغرفة الضريح على الجانب الشرقي .

ومن هذا التصميم نجد ايضا مدرسة سيفاس (١٢٧٥م) ولكن حصل بها بعض التطور حيث نجد بها ثلاثة اواوين الايوان الكبير على محور المدخل والصحن المكشوف واثنان متقابلان على جانبي الصحن ـ هذا التصميم من المدارس الغير معده لسكنى الطلاب نجده اتخذ نموذجا للمسجد كما في جامع برماه بمدينة امازيا (١٢٢٧م) حيث يتكون من صالة مستطيلة واحده متعامدة على جدار القبله ومقسمه الى ثلاثة اقسام القسم الاوسط اعرض وبواسطه العقود التى تسير في الاتجاهين غطى الجزء الاوسط من الصاله بثلاث قباب اكبرها تلك التى امام المحراب . ومدخل هذا المسجد نجده بوسط الضلع الصغير المكون للواجهه الرئيسية في محور المحراب ،وفي نهاية هذه الواجهة نجد المئذنه ـ تلك الصالات المقسمه الى ثلاثة اقسام الجزء الاوسط منها اعرض مما دعا بعض المؤرخين الى القول بان هذا التصميم أخذ من الكنيسة البازيليكية حيث نجد صحن الكنيسة العريض وعلى كل جانب منه ممشى جانبي وقد ناقشت ذلك الافتراء في مكان آخر .

عمارة المسجد وتطورها في العصر السلجوقي :

مما سبق نستطيع ان نلخص تطور عمارة المسجد في عصر السلاجقة كما يلي :ـ

١ ـ ظهر اولا التصميم التقليدى ولكن برواق واحد هو رواق الصلاه المطل على الصحن بدون اروقة اخرى وفيها البلاطات متعامده على رواق الصلاه كما في جامع سيفاس .

٢ ـ ظهرت القاعة الواحدة المستطيلة وفيها البلاطات ترتكز على عقود تسير في الاتجاهين مع عمل قبة كبيرة امام المحراب •

٣ ـ ظهرت المدارس التي يؤدى فيها الصلاة أيضا وهي اما مدارس تؤدى فيها الدراسة وسكن الطلاب واما مدارس فقط • كما نجد منها ما يتوسطه صحن مكشوف او مغطى بقبه وفي كل حالة نجد الايوان الرئيسي في محور المدخل ويتصدر الصحن وعلى جانبيه غرفتان صغيرتان • كما نجد بها دائما المئذنة تحتل أحد الاضلاع ومداخلها بارزة أى مداخل تذكارية ـ وبها غرفة الضريح •

٤ ـ ظهرت لنا مساجد عبارة عن صاله واحدة مستطيلة في الاتجاه العمودى على رواق الصلاة وقسمت هذه الصالة الى ثلاثة اقسام القسم الاوسط اعرض وغطى بالقباب • اما المئذنه فغالبا ما احتلت نهاية الواجهه الرئيسية الشمالية ويتوسطها المدخل في محور المحراب •

٥ ـ يمكن القول بانه من منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تعددت القباب في رواق الصلاه •

ـ عمارة المسجد وتطورها في القرن الرابع عشر الميلادى : (لوحه ١٢٠ ـ ١٢١)

اما في القرن الرابع عشر الميلادى فقد سيطر العثمانيون على البلاد وانتقلت العاصمة الى مدينة بورصه حيث نجد تطورا ملحوظا في مساجد ومدارس تلك الفترة وذلك قبل فتحهم للقسطنطينية •

في هذه الفترة ظهر التأثير البيزنطى بشكل واضح فالمسجد يتكون من قاعة واحدة مربعة كبيرة مغطاه بقبه كبيرة ويتقدمها ظله يتوسطها المدخل وفي نهايتها المئذنه ومن امثلتها مسجد علاء الدين ببورصه (١٣٢٦م) • ثم كبرت قاعة الصلاه وأصبحت على شكل حرف تى ⊥ مقلوبه وغطى هذا الشكل بثلاث قباب دون وضع اعمدة أو دعائم داخلية ويتقدم هذه الصالة ظله ترتكز على اعمدة تحمل عقودا ومغطاه بعدة قباب صغيرة • ومن أمثلة هذه المساجد جامع اورهان ببورصه • ثم اتسعت قاعة الصلاه اكثر واصبحت صالة كبيرة مستطيلة في اتجاه جدار القبله بداخلها الكثير من الدعائم التى تحمل عقودا في الاتجاهين تكون مساحات مربعة كل منها مغطاه بقبة

واصبح مدخلها الرئيسي يتوسط الواجهة الشمالية حيث نجد على جانبيها مئذنتين كما في الجامع الكبير ببورصه (١٣٩٥م) .

في هذا العصر ظلت المدارس موجودة ولكن غطيت صحونها بقبة كبيرة وظـل الايوان الكبير يتصدر الصحن وفي محور المدخل البارز التذكاري بوسط الواجهة التي تنتهي بمئذنتين بارزتين مثل المدرسة الياقوتية بمدينة ERZ CUROUM ونلاحظ استمرار وجود الغرفتين على جانبي الايوان . وعلى جانبي الصحن نجد الايوانين الصغيرين المتقابلين وبعض غرف سكنى الطلاب .

بنفس التصميم ولكن بزيادة كبيرة في المساحة نجد مسجد ومدرسة بايزيد الاول في بورصـه (١٣٩٠م) حيث نجد قاعة الصلاة (ايوان مربع) مغطاه بقبه كبيرة فـي محور المدخل وتتصدر الصحن المغطى بقبه كبيرة أيضا والمفتوح على جانبيه ايوانـان ويتقدم المبنى مظله على دعائم تحمل عقودا تقسمهـا الى مساحات مربعة كل منهـا مغطاه بقبـه كما نجد على طرفي المبنى عند المظله مئذنتين . ويشبه هذا التصميـم الجامع الاخضر YECHIL ببورصه (١٤١٥م) .

ونلخص تطور عمارة المسجد في القرن الرابع عشر كما يلي :ـ

١ ـ بدء المسجد بغرفة واحدة مربعة مغطاه بقبه ويتقدمها مظله مغطاه بالقباب .

٢ ـ زيد في الاتجاه الطولي الموازي لجدار القبله كما برز قاعه بها المحراب مغطاه بقبه وتكون شكل حرف تي ويتقدمها ايضا المظلة المغطاه بالقباب الصغيـرة وبها مئذنتان على جانبيهما .

٣ ـ كبرت مساحة قاعة الصلاة وبها العديد من الاعمدة تحمل عقودا تسير في الاتجاهين وتكون مساحات مربعة كل منها مغطاه بقبه ولا زال بها مئذنتان على جانبي الواجهة الشمالية .

٤ ـ اما المدارس في ذلك العصر فاحتفظت بالشكل القديم المستطيل والصحن المغطى يتصدره ايوان كبير وعلى جانبيه غرفتان،وعلى جانبي الصحن ايوانان اصغر مساحة والمئذنتان على جانبي الواجهه والمدخل التذكاري الذي يتوسط الواجهـة الشمالية وبعض هذه المدارس كان بها بعض غرف سكنى الطلاب .

— عمارة المسجد وتطورها فى القرن الخامس عشر الميلادى : (لوحة ١٢٢ — ١٢٣)

وفى القرن الخامس عشر الميلادى بعد فتح القسطنطينية وتكوين الامبراطورية العثمانية حولوا أولا كنيسة اياصوفيا الى مسجد واقاموا به أربع مآذن كما بنوا العديد من المساجد الضخمة بفضل المهندس سنان •

فى هذا القرن وجدنا تطورا ملحوظا فى تصميم المسجد حيث بقيت الغرفة المربعة المغطاه بالقبة الكبيرة واضيف اليها اباكات فى الاتجاه الشرقى والغربى لاعطاء استطالة محببه لقاعة الصلاه • وغطيت هذه الزيادات بقباب صغيرة كما عملت اضافة اخرى من الناحية الجنوبية بحوش على الجزء الاوسط وبذلك كونت شكل حرف تى (مقلوب) وغطى هذا الجزء الجنوبى بنصف قبه • كما احتفظ بالمظلة الامامية المغطاه بالقباب الصغيرة اما المئذنه فشغلت نهاية الصالة المستطيلة وهذا مانراه فى جامع عاتق على باشا باستانبول (١٤٩٨م) •

نجد ايضا تصميما آخر ظهر فى جامع الثلاث شرفاء فى اند رينوبل (١٤٣٢م) فقد وجدنا قاعة الصلاه تتكون من مستطيل واحد • الجزء الاوسط منها يكون مربعا مغطى بقبه وعلى جانبيها اربع قباب (اثنتان من كل جانب) وعمل أمام هذه القاعة فناء مكشوف على الضلع الطويل وبنفس مقاسه ومحاط برواق من بلاطه واحدة محمولة على بعض الاعمدة التى يرتكز عليها عقود قسمت هذا الرواق الى مساحات مربعة غطى كل منها بقبه صغيرة •

وهناك تصميم آخر مقتبس من جامع عاتق على باشا وذلك بزيادة مساحة الجزء البارز الجنوبى وغطى بقبة كبيرة بدلا من نصف القبة ومن امثلة هذا جامع مراد باشا ومحمود باشا باستانبول (١٤٦٤م) — كما نرى فى جامع ابراهيم باشا باستانبول (القرن الخامس عشر الميلادى) قاعة مستطيلة الجزء الاوسط منها مغطى بقبه وعلى جانبيها زيادات بسيطه وامامها المظله وعلى جانبيها المئذنة •

نلخص هذا التطوير فى عمارة المسجد خلال القرن الخامس عشر الميلادى كما يلى :—

١ ـ قاعة الصلاة هي قاعة مستطيلة مغطاه بقبه في وسطها وقباب صغيرة على جانبيها وامامها الصحن ٠

٢ ـ قاعة الصلاة هي قاعة مستطيلة كالسابقة وانما أضيفت اليها مساحة اخرى في منتصف ضلعها الجنوبي ، وغطيت هذه المساحة بقبه أو نصف قبه مع الاحتفاظ بالظلة الامامية وبالمئذنة التي تقع في جانب من القاعة كما لانجد الصحن الامامي ٠

٣ ـ قاعة الصلاة هي قاعة مربعة مغطاه بقبه كبيرة وعلى جانبيها زيادات بسيطه ليس بها قباب وأمامها الظلة ٠

عمارة المسجد وتطورها في القرن السادس عشر الميلادى : (لوحة ١٢٤ـ١٢٨)

وفي القرن السادس عشر ظهرت لنا المساجد الضخمة التأثره بكنيسة ايا صوفيا بشكل واضح ـ في بداية هذا القرن كانت المساجد تشبه لحد ما مساجد أواخر القرن الخامس عشر خاصة مسجد ابراهيم باشا ٠ فنجد مايشبهه جامعي مهرماه بأوسكدار وباستانبول وهما من بداية القرن السادس عشر الميلادى ، حيث نجد في هاذين المسجدين ان قاعة الصلاة المربعة مغطاه بقبه كبيرة وعلى جانبيها زيادات تجعل الشكل العام للقاعة مستطيلا وهذه الزيادات غطيت بقباب صغيرة او انصاف قباب ، مع الاحتفاظ بالظلة الخارجية ٠

ثم ظهرت بعد ذلك مباشرة المساجد الكبيرة التي يتقدمها الصحن المربع المحاط بالاروقه من بلاطه واحدة ، وكلها مغطاه بقباب صغيرة ٠ كما نجد بهذا الصحن ثلاثة مداخل اثنان من الجانبين وآخر محورى مع المحراب ـ أما قاعة الصلاة فأصبحت مربعة كبيرة المساحة ، لذلك وضع داخلها أربع دعائم ضخمة لتحمل قبه مركزية في الوسط يحيطها قباب وانصاف قباب ٠ ومثل هذا التخطيط وجد بمسجد السليمانية باستانبول وجامع سليم بأدرنه وهما من القرن السادس عشر الميلادى ٠ ونلاحظ بقاعة الصلاة فيهما بعض الابواب الجانبية علاوة على الابواب الموصلة الى الصحن ، كما تقع المآذن باطراف قاعة الصلاة ٠

ونلاحظ تصميما آخر ظهر في جامع السلطان سليم باستانبول وجامع بايزيد الثاني باستانبول حيث احتفظ بالصحن الامامي ببلاطاته المغطاه بالقباب الصغيرة وبابوابه الثلاثة ولكن قاعة الصلاة اصبحت تكون شكل حرف تي T مقلوبه أي من صالة مربعة في الوسط مغطاه بقبه كبيره واحدة او بقبه حولها قباب صغيرة وانصاف قباب ويبرز منها من الجوانب أي من الشرق والغرب مساحات اخرى مغطاه بالقباب ٠

ونلخص هذا التطور في عمارة المسجد خلال القرن السادس عشر الميلادى كما يلى : ـ

١ ـ بدأ المسجد بقاعة واحدة مربعة امامها ظلة كمسجد السلطان مهرماه بمدينة اوسكدار

٢ ـ ثم جاءت المساجد الكبيرة بافنيتها الاماميه وذلك بعمل مساحتين على جانبى القاعة الكبيرة (جامع بايزيد ٥ والسلطان سليم باستانبول) ٠

٣ ـ الغيت هاتان المساحتان من تكبير مساحة القاعة الرئيسية (جامع السليمانية)

٤ ـ فى بداية هذا العصر والعصور السابقة كان بالمسجد مئذنتان ثم أصبحت أربع مآذن كما كثر عدد المداخل حتى وصل الى سبعة ٥ اربعة فى القاعة الرئيسية وثلاثة فى الفناء ٠

٥ ـ تغطية القاعة الرئيسية بقبة مركزية فى بادىء الامر ثم أحيطت بالقباب الصغيرة وانصاف القباب ٠

٦ ـ المحاريب فى ذلك العصر غالبا ما كانت مستطيلة مغطاه بنصف قبه ٠

ـ عمارة المسجد فى القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى كما يلى :ـ (لوحه ١٢٩)

أما فى القرن السابع عشر الميلادى فنجد جامع السلطان احمد باستانبول ويشبه مساجد القرن السادس عشر الميلادى الكبيرة ذات الصحون الامامية وذات الدعائم الاربع فى قاعة الصلاه والتى تحمل القبه المركزيه ويحيطها من الجهات الاربع أنصاف قباب لمقاومة قوى الرفس ووضع اربع قباب صغيرة فى اركان المربع ـ ونلاحظ فى هذا القرن وخاصة فى هذا المسجد زيادة عدد المآذن الى ست ٥ اربع فى اركان قاعة الصلاه واثنتان عند نهايتى الواجهة الخارجية للصحن ٠

أما في القرن الثامن عشر الميلادي : فنجد جامع حاكم اوغلى على باشـــا باستانبول حيث الغى الصحن ورجع التصميم الى القرن الخامس عشر الميلادي أي قاعة كبيرة امامها ظلة مغطاه بالقباب الصغيرة كما كانت هذه القاعة مستطيلة في اتجاه عمودى على جدار القبله وليس موازيا لها كما كان من قبـــل والجزء الاوسط من هذه القاعـــة مغطى بقبه كبيرة على مساحة مسدسه ترتكز على ست دعائم • وفي الاركان اربعة انصاف قباب — كما برزت القبله والمساحة التي امامها وغطيت بنصف قبـــه •

من هذه الدراسة السابقه نستطيع ان نلخص بايجاز عمارة المسجد والمدرســـــة وتطورهما بوجه عام في تركيـــا كما يلـــى :—

أولا : بالنسبة للمدرسة الدينية :

١ — ظهرت هذه المدارس في العصر السلجوقي واستمرت حتى بداية القرن الخامس عشر الميلادي •

٢ — الشكل العام للمدرسة هو المستطيل •

٣ — التاكيد على المدخل الوحيد الرئيسي في منتصف الضلع الشمالي •

٤ — في محور المدخل نجد الايوان المفتوح باكمله على الصحن المكشوف او المغطى وبه المحراب •

٥ — على جانبي هذا الايوان نجد دائما غرفتين وتكونان مع الايوان الضلع الجنوبي للمستطيل •

٦ — في حالة وجود صحن مكشوف نجد على جانبيه رواق من بلاطه واحده محمولـــه على بعض الاعمدة عليها عقود نصف دائرية •

٧ — على جانبي الصحن المكشوف او المغطى نجد بعض غرف صغيرة كسكنى للطلاب احيانا على طابقين •

٨ — ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ظهر لنا ايوانـــــان صغيران آخران على جانبي الصحن علاوة على الايوان الكبير المواجه لكه •

٩ — بعض المدارس لا نجد بها غرف سكنى الطلاب وخصصت للتدريس فقط •

١٠ـ شملت هذه المدارس غرفة ضريح للمنشىء كما شملت مئذنه او انثر لتدل على ان المبنى مسجد بالاضافة الى التدريس •

١١ـ لانجد بهذا التصميم المدرسة التي يدرس فيها المذاهب الاربعة كما لانجد التخطيط المتعامد الذى رأيناه فى القاهرة •

١٢ـ ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادى لم تنتشر هذه المدارس •

ثانيا : بالنسبة لعمارة المسجد نجد :

١ ـ كان التسقيف في عصر السلاجقة بالنسبة للمدرسة والمسجد هو السقف الخشبى المستوى وكانت القبه تميز المحراب فقط ولكن عند ما اصبحت بورصه هى العاصمة بدأت تشهر القباب الكبيرة الى ان اصبحت من اهم معالم العماره الاسلامية فى العصر التركى عند ما اصبحت استانبول العاصمة •

٢ ـ ظهر فى ذلك العصر فى القرن الحادى عشر الميلادى التصميم التقليدى البسيط للمسجد والمكون من رواق الصلاه فقط امامه الصحن وبه ثلاثة ابواب •

٣ ـ فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ظهر التصميم المكون من غرفة واحدة مستطيلة والمحراب اما فى الضلع الصغير او الضلع الطويل اما البلاطات فانها تسير موازية او متعامدة او فى الاتجاهين كما يضم المسجد مئذنه اما على الضلع الشمالى لواجهة الرئيسية او على احدى الجوانب •

٤ ـ منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ظهر التصميم الذى على شكل حرف تى مقلوبه وذلك لكى يلغى الدعائم الكثيرة التى وجدت بالقاعة فى التصميم السابق علاوة على وجود قاعة الصلاه بشكل مستطيل غير عميق بأقل ما يكن من الدعائم وعملت قبه مركزيه كبيرة بالوسط مع عمل مظله او صحن يحيطه الاعمدة امام تلك القاعة

٥ ـ عدم وجود الغرفة المربعة المغطاه بالقبه كضريح للمنشىء فى تلك المساجد •

٦ ـ ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى ظهرت المساجد الكبيرة المتأثرة بكنيسة اياصوفيا من قاعة كبيرة مغطاه بالقبه الكبيرة وحولها القباب الصغيرة أو انصاف القباب ويتقدم هذه الغرفة الاتريوم او صحن المسجد المحاط برواق من بلاطة

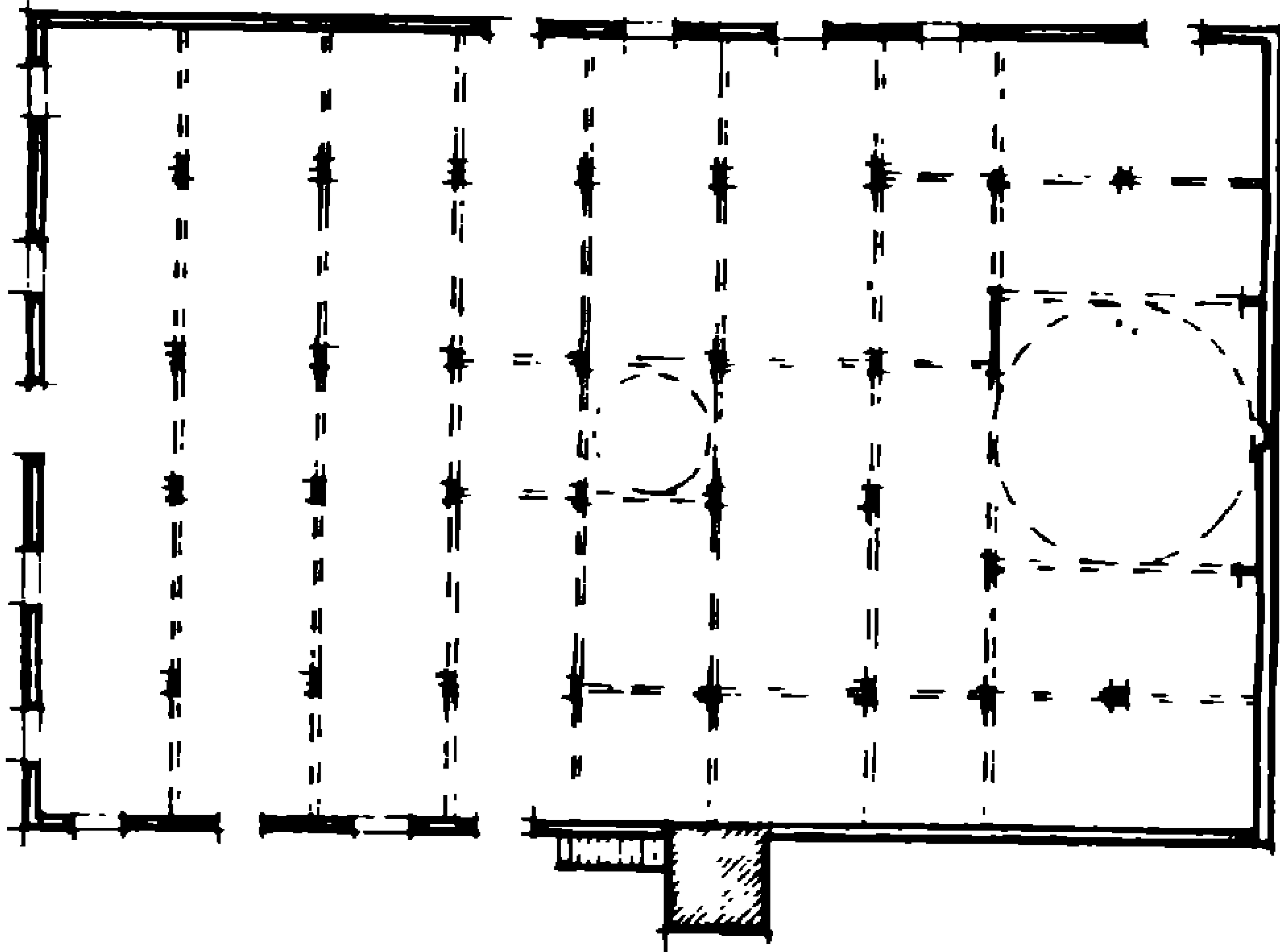
واحدة مغطاه بالقباب الصغيرة مع تعدد المآذن والمداخل •

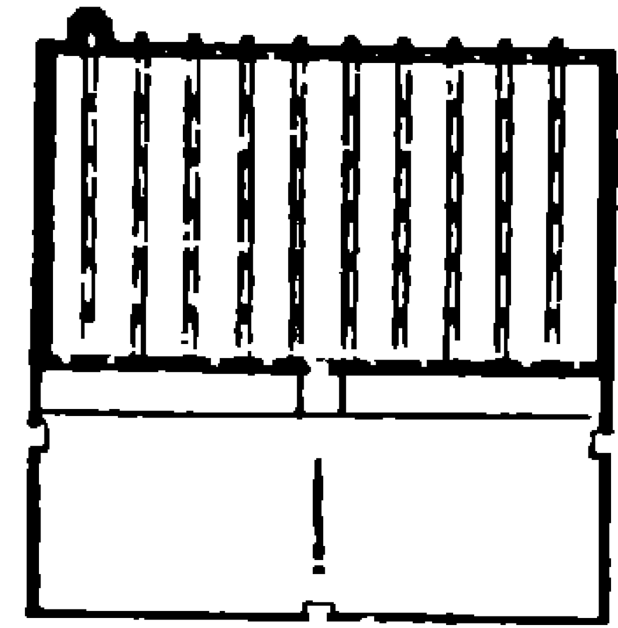
٧ ـ في القرن الثامن عشر الميلادي رجعت بعض المساجد الى التصميم البسيط المكون من غرفة واحدة مغطاه بالقبة الكبيرة وامامها المظلة وعلى جانبيهما المئذنتان •

٨ ـ لم يتطور كثيرا شكل المئذنة التركية الا في النسب وعدد الطوابق وكانت دائما يتوجها المخروط الطويل.

٩ ـ **اقام** المهندس سنان خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي عددا ضخما من المباني ومن أهم اعماله مسجد السليمانية (١٥٥٠م) الذي يعتبر المسجد النموذجي لاعمال هذا الرجل •

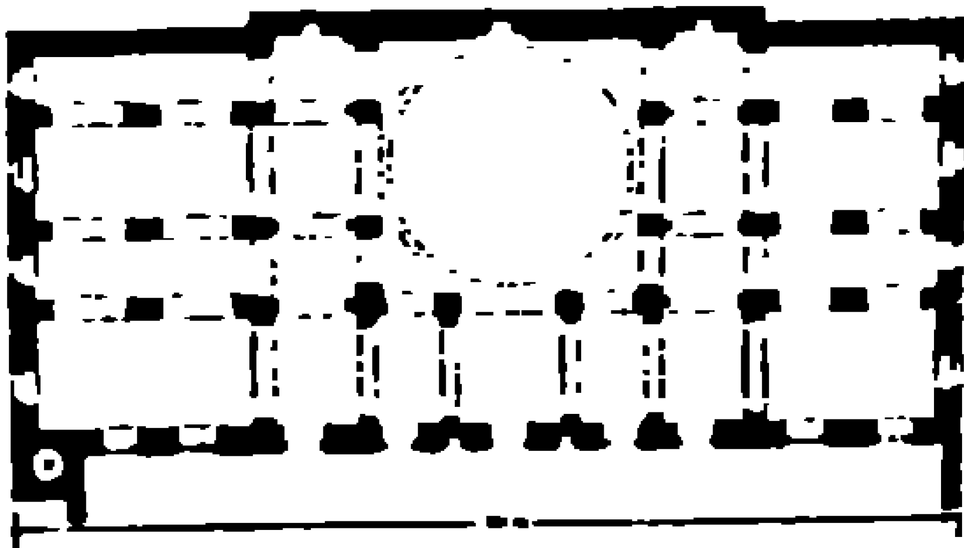
لوحة ١١٧

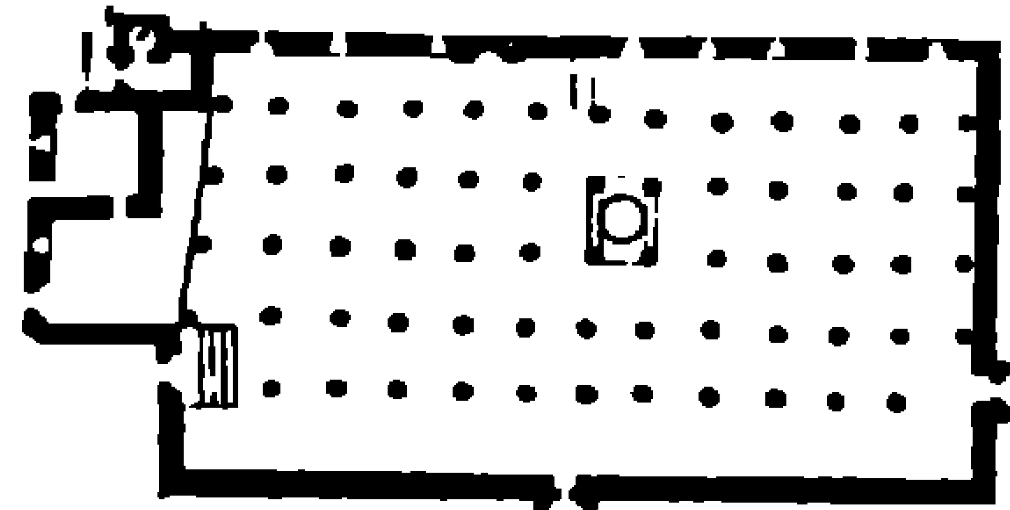




جامع سيفاس (القرن ١١ م)

جامع بصرة (القرن ١٢ م)

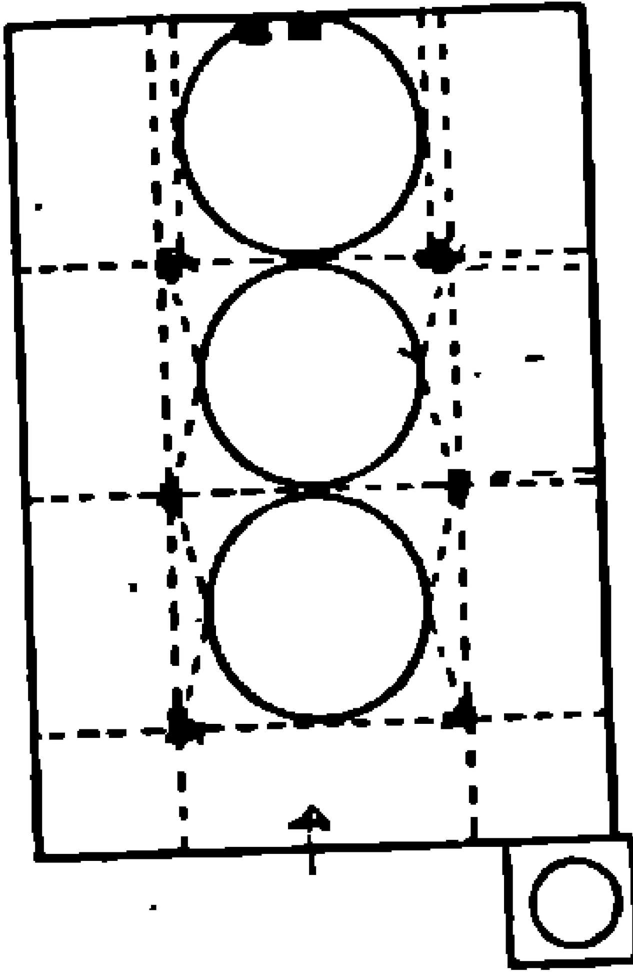




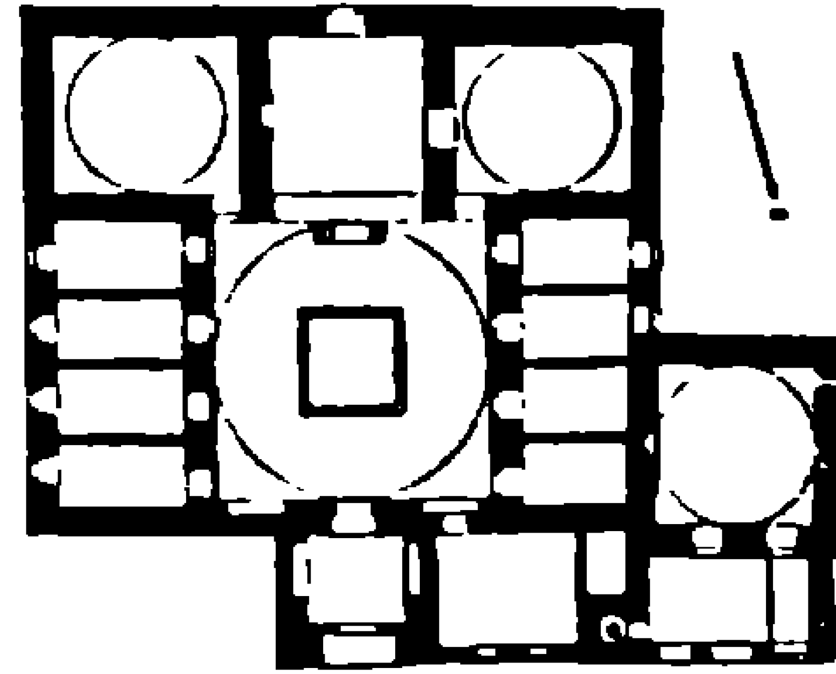
الجامع الكبير بسفريهيراز (القرن ١٢ م)

الجامع الكبير بسلفان (١١٥٣ م)

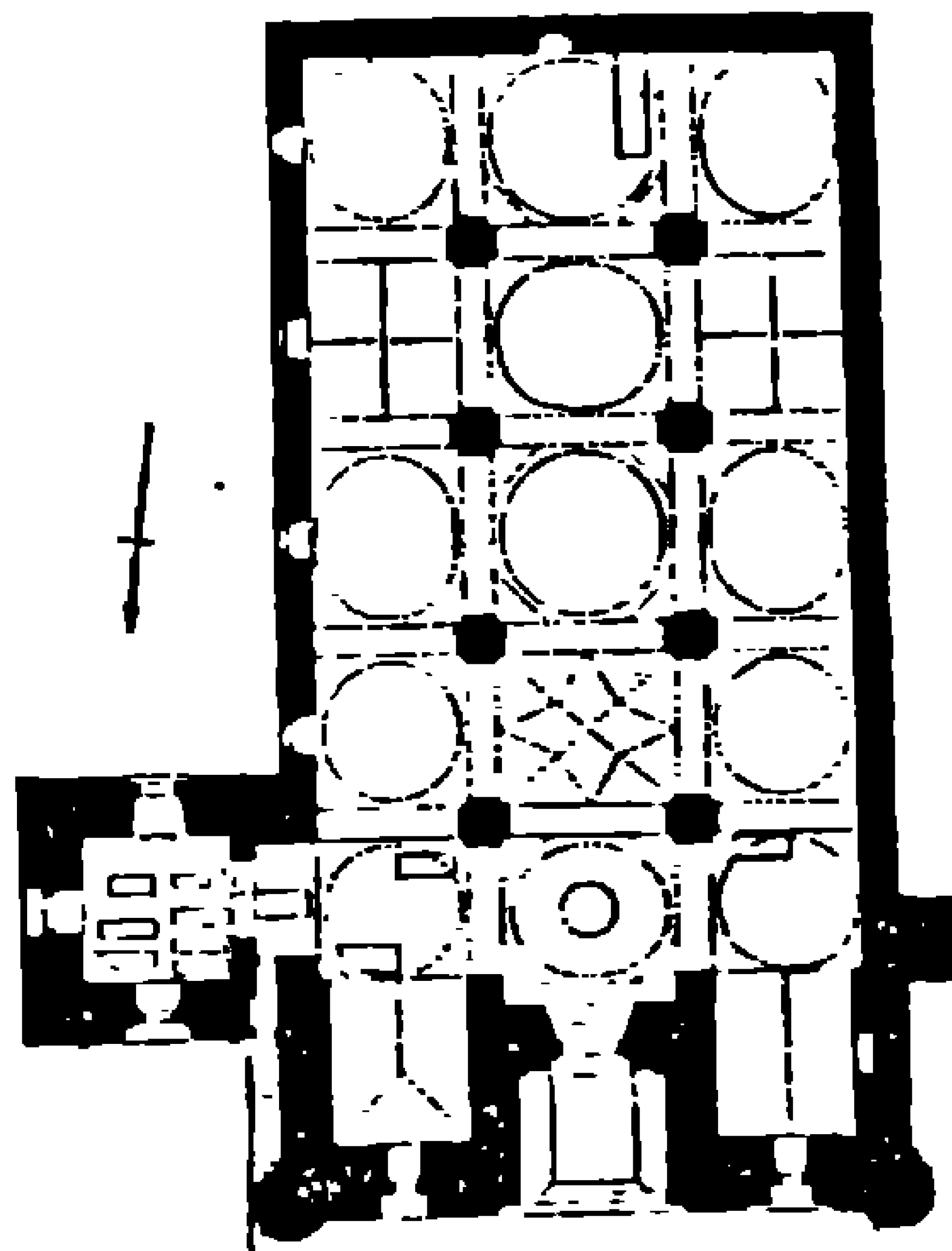
لوحة ١١٨



جامع برماه بأمازيا
(١٢٣٧ م)

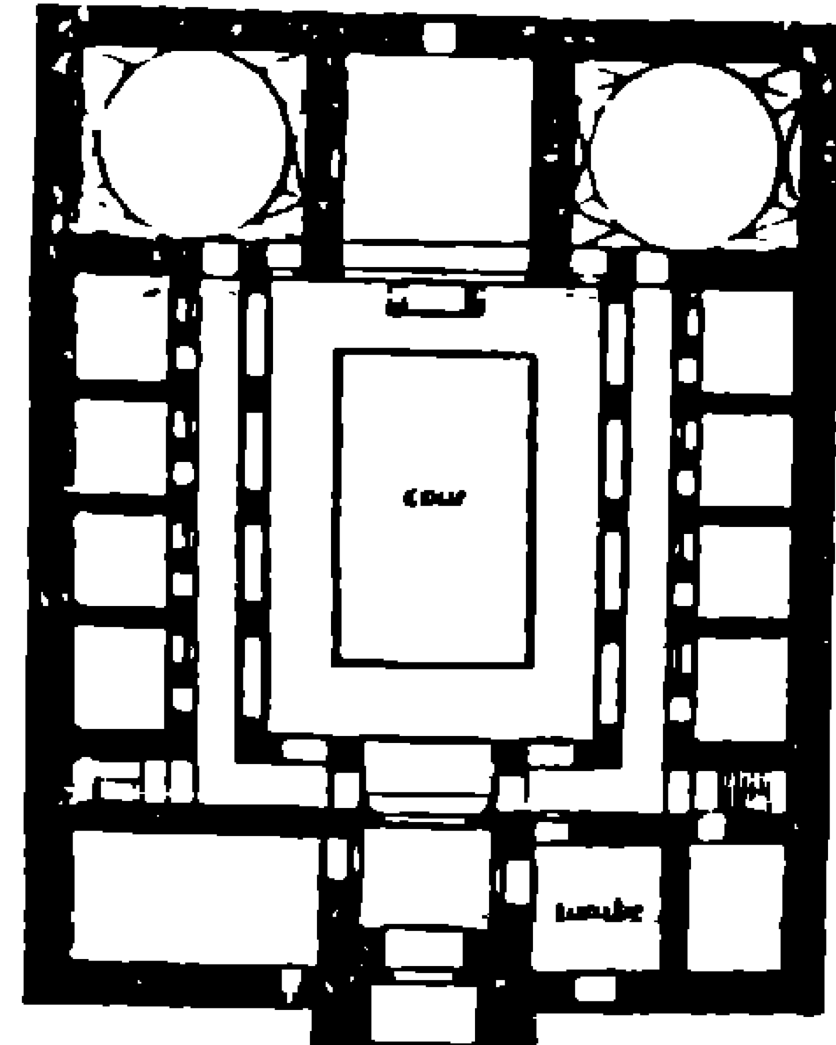


مدرسة دار الحديث بقونيا
(١٢٥٨ م)

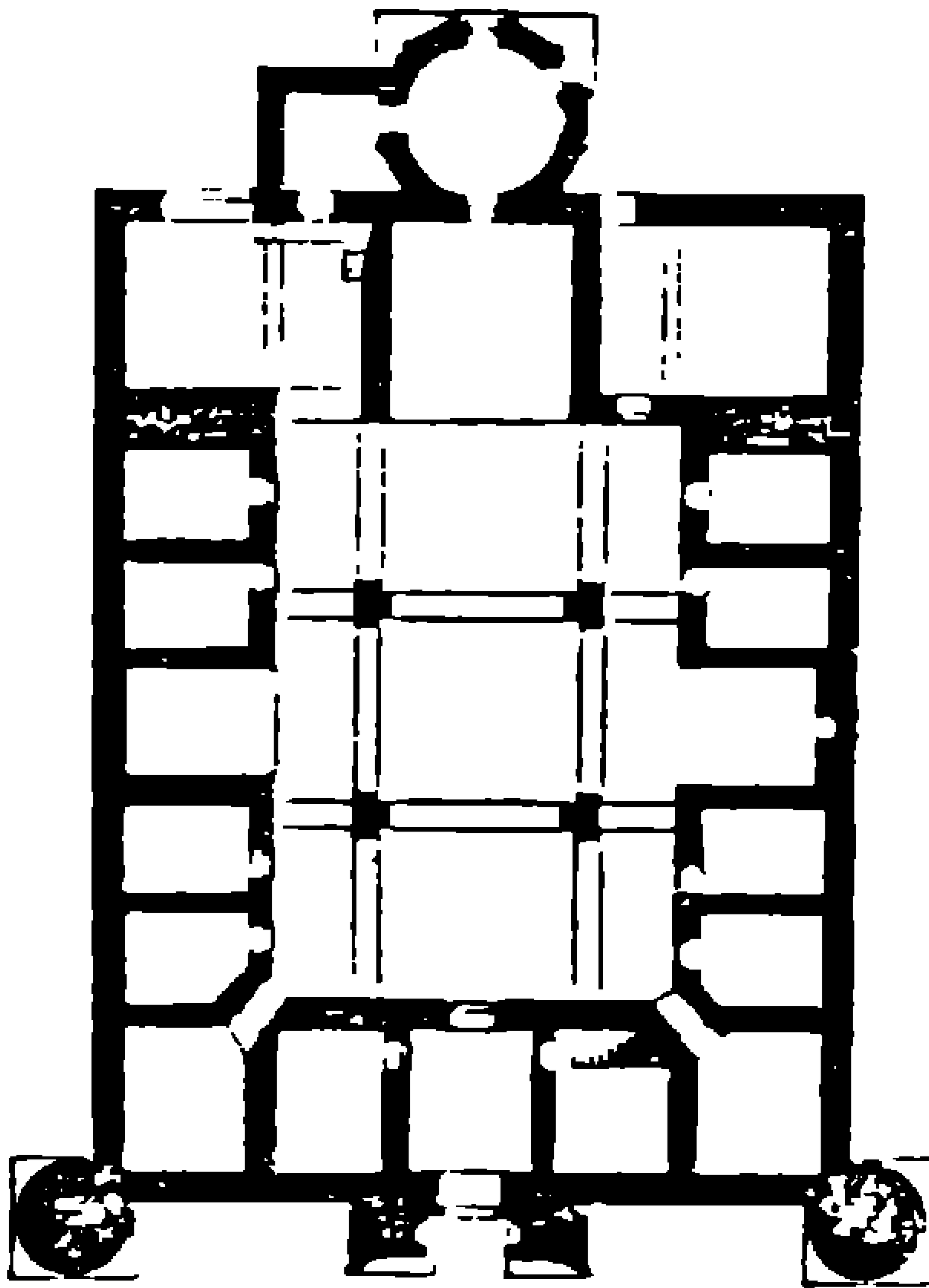


جامع مدرسة أمازيا
(١٢٦٦ م)

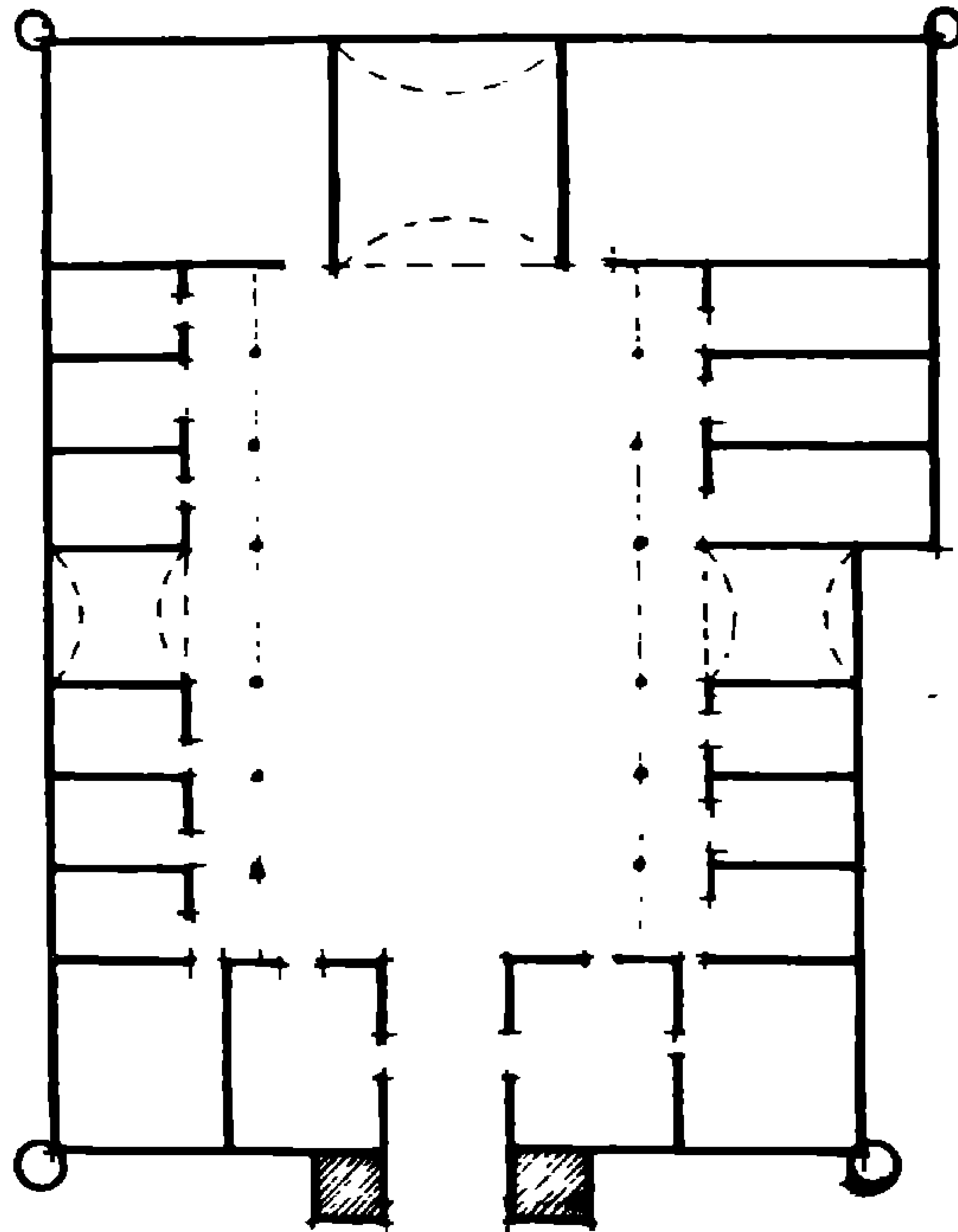
لوحه ١١٩



مدرسة سيرتشالي ـ قونية
(١٢٤٢ م)

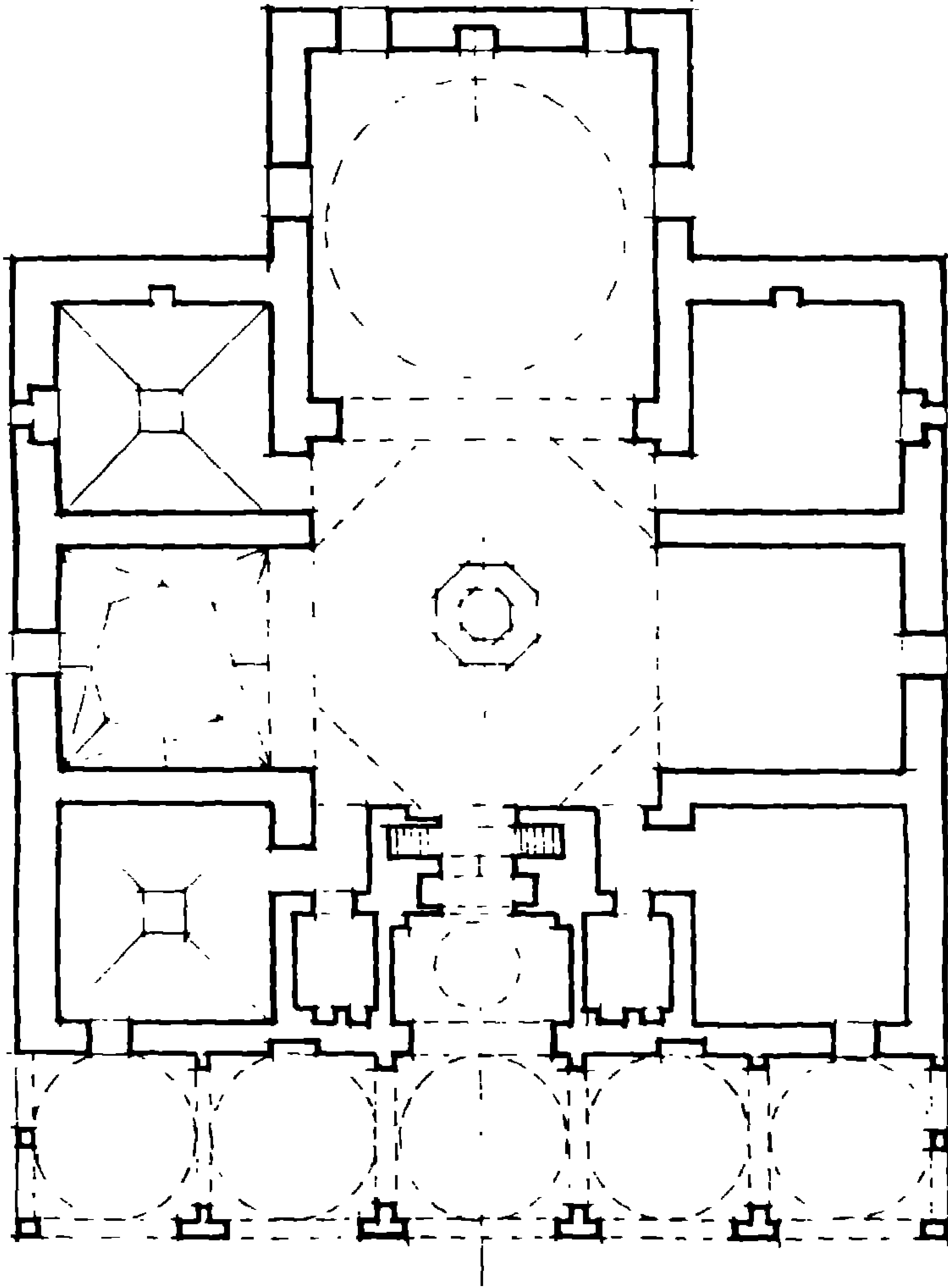


المدرسة الياقوتية ـ بورصه
(١٢٥٨ م)



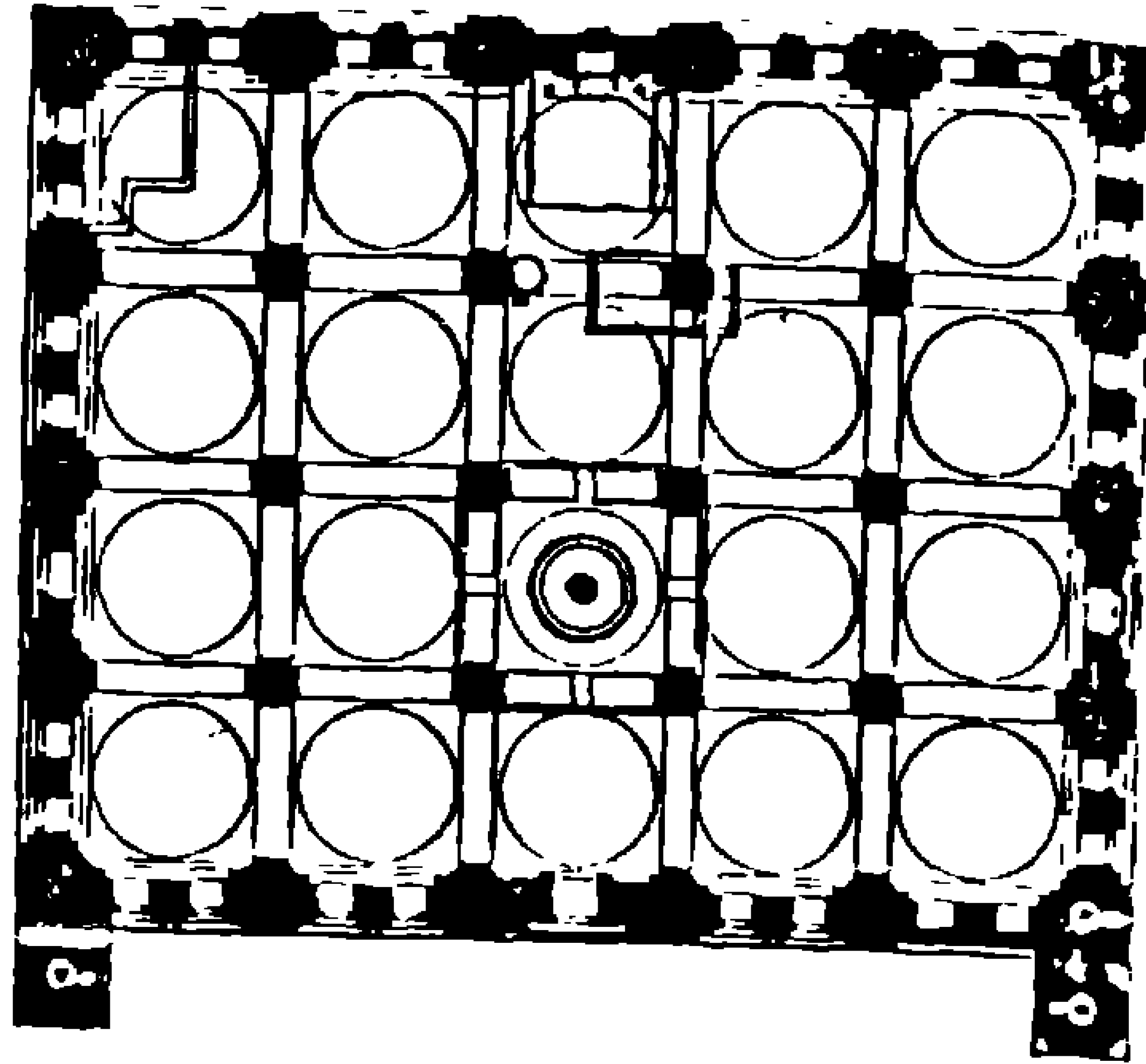
مدرسة سيفاس
(١٢٧٥ م)

لوحة ١٢٠

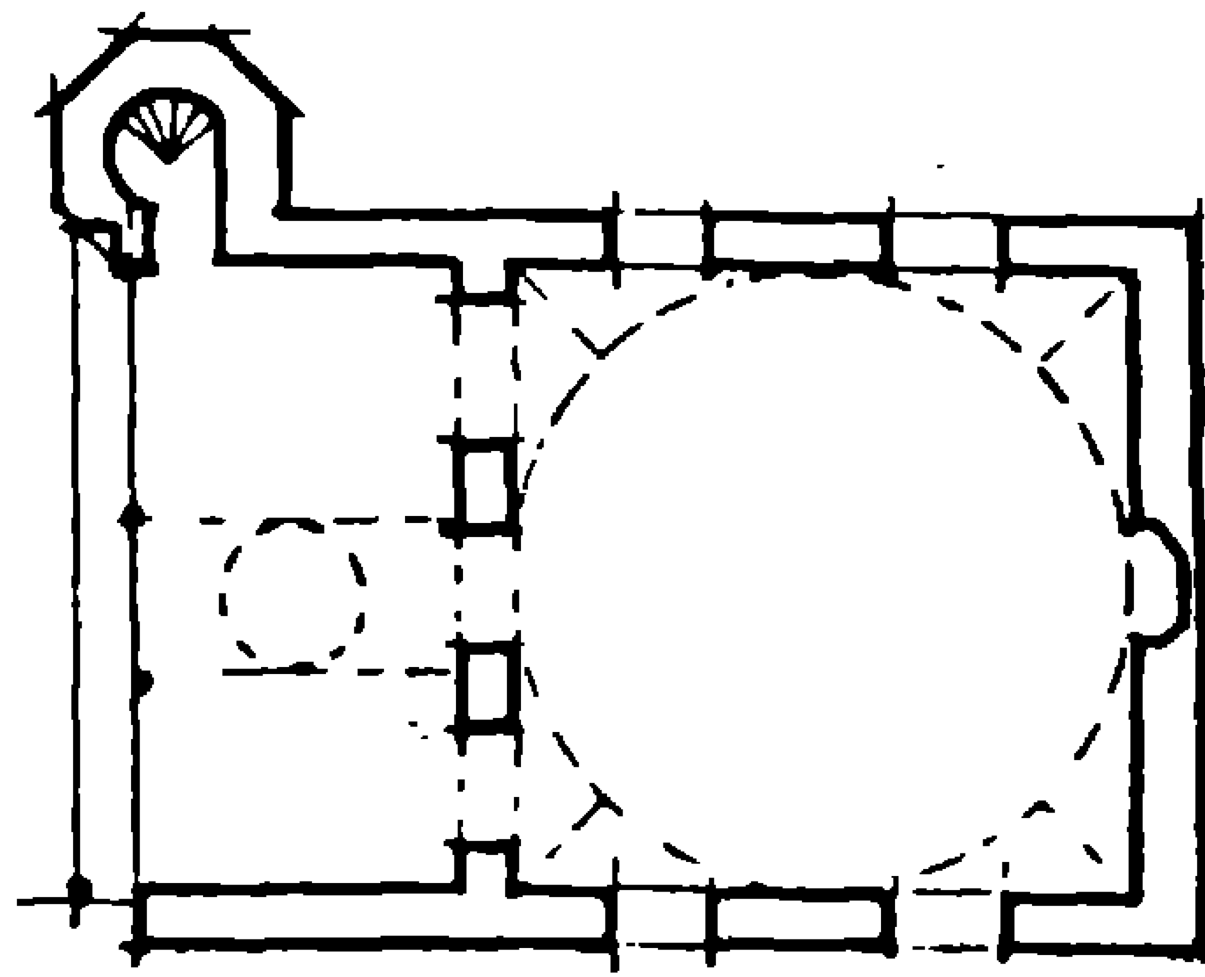


جامع اورهان ـ بورصة (١٣٢٦ م)

لوحة ١٢١

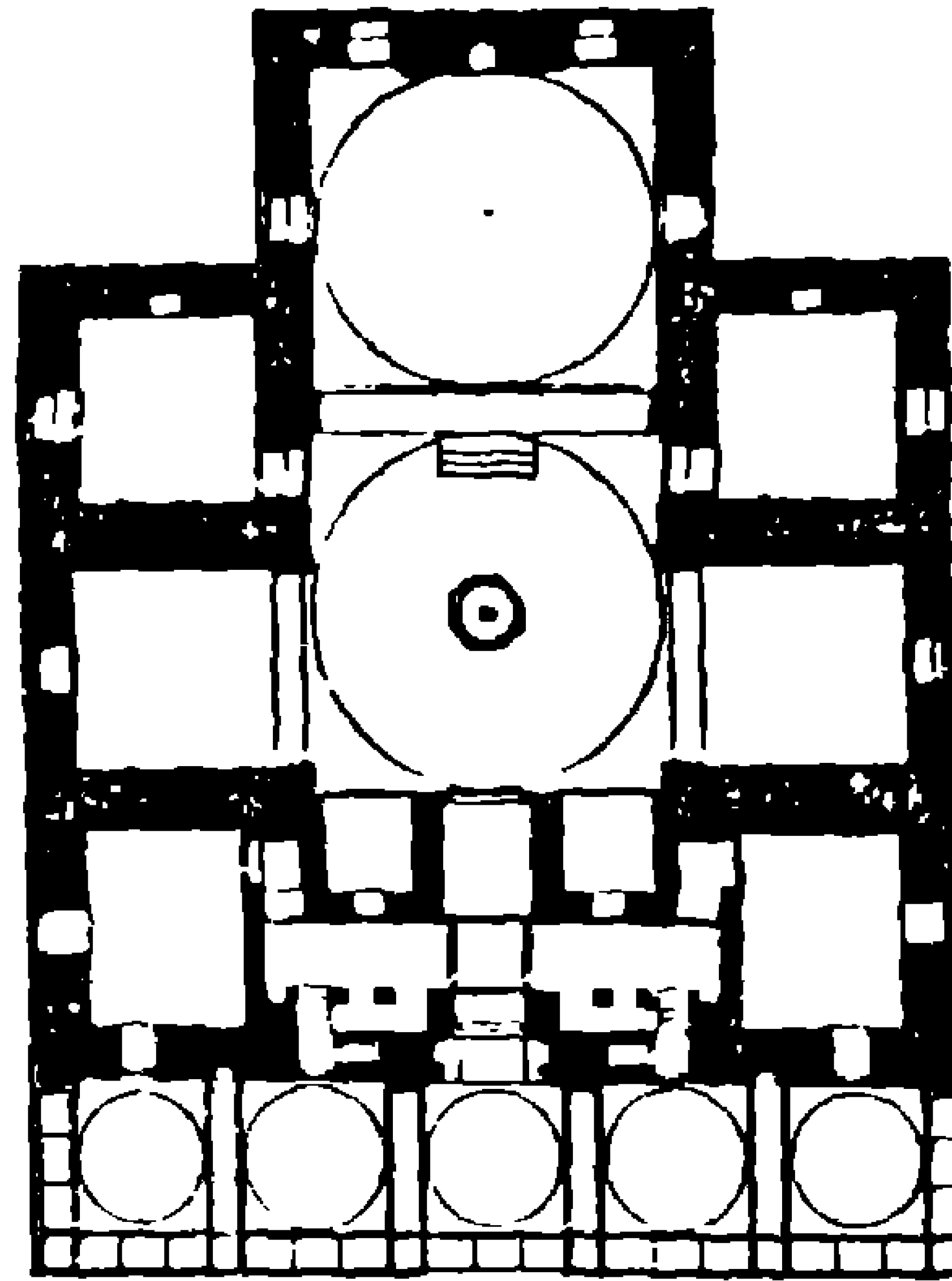


الجامع الكبير – بورصة (١٣٩٥ م)

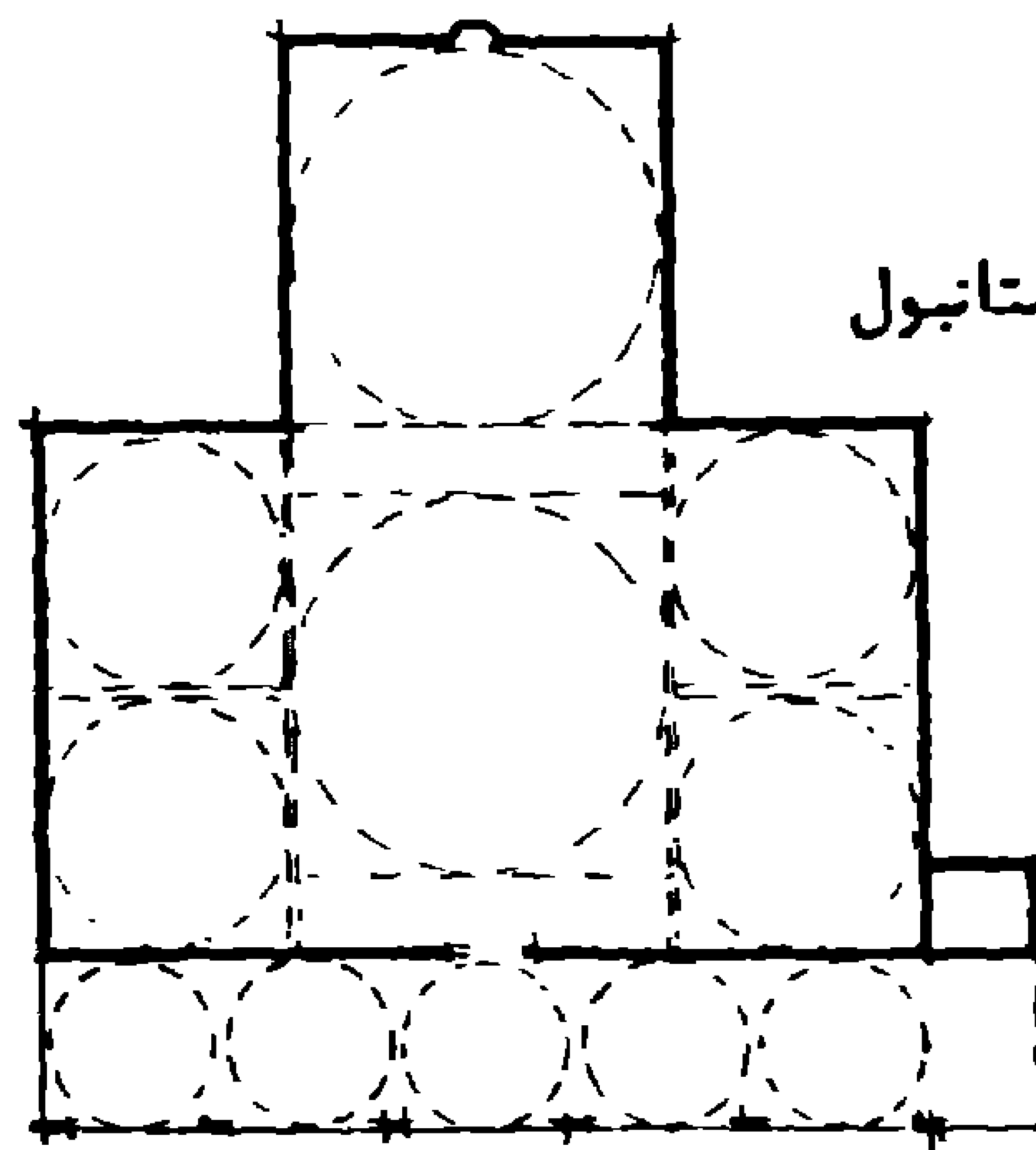


جامع علاء الدين – بورصة (١٣١٦ م)

لوحه ١٢٢

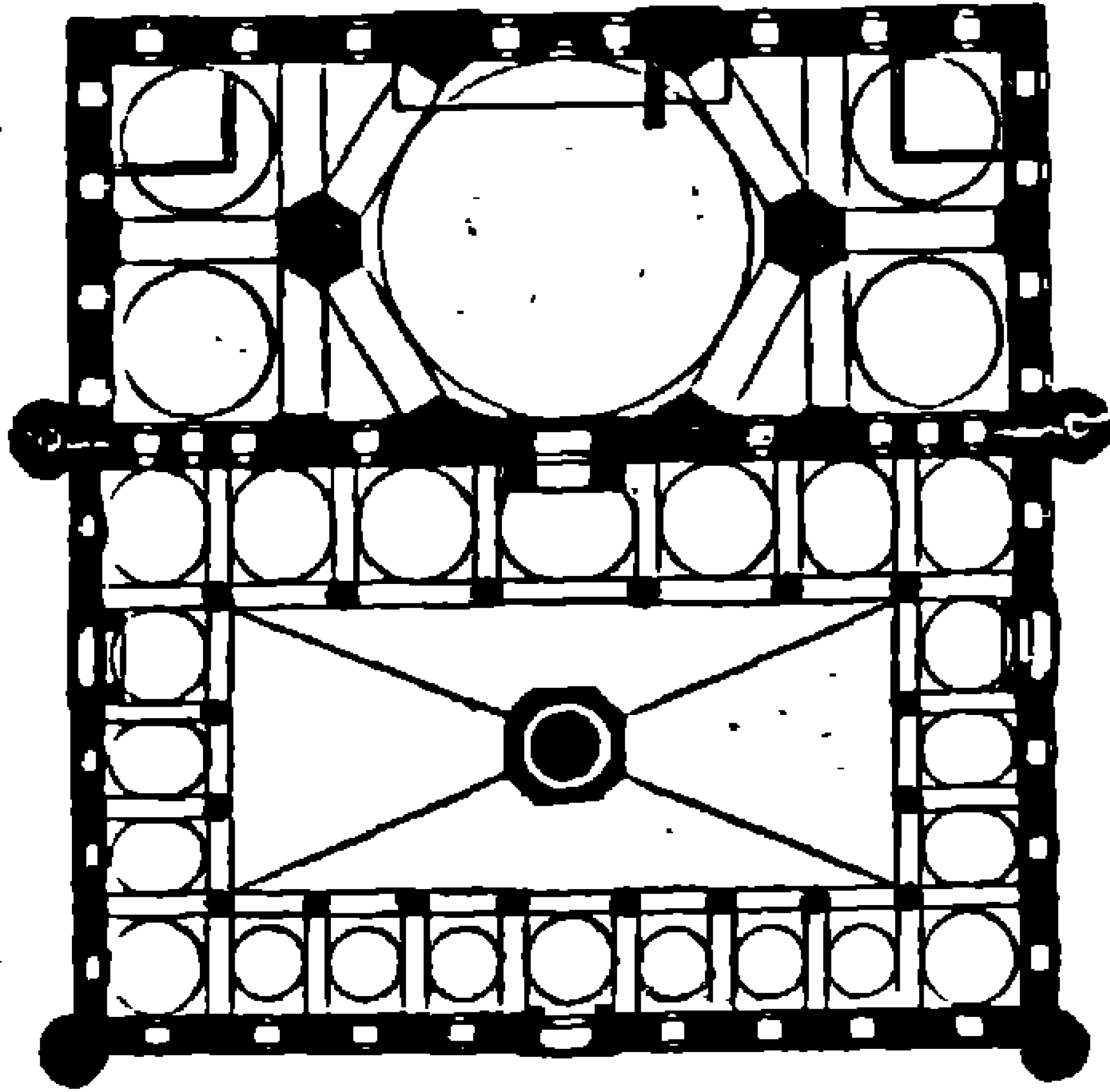


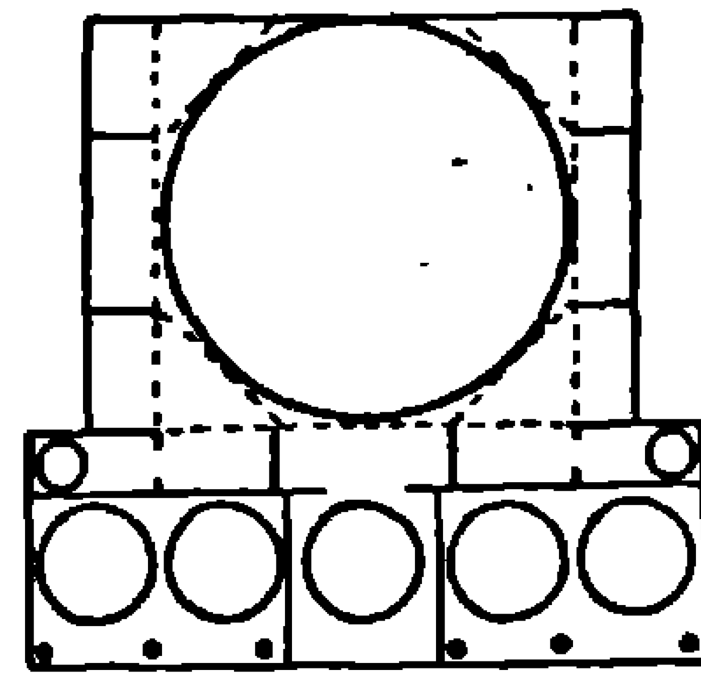
الجامع الاخضر ـ بورصه (١٤١٥ م)



جامع مراد باشا ـ استانبول
(١٤٦٤ م)

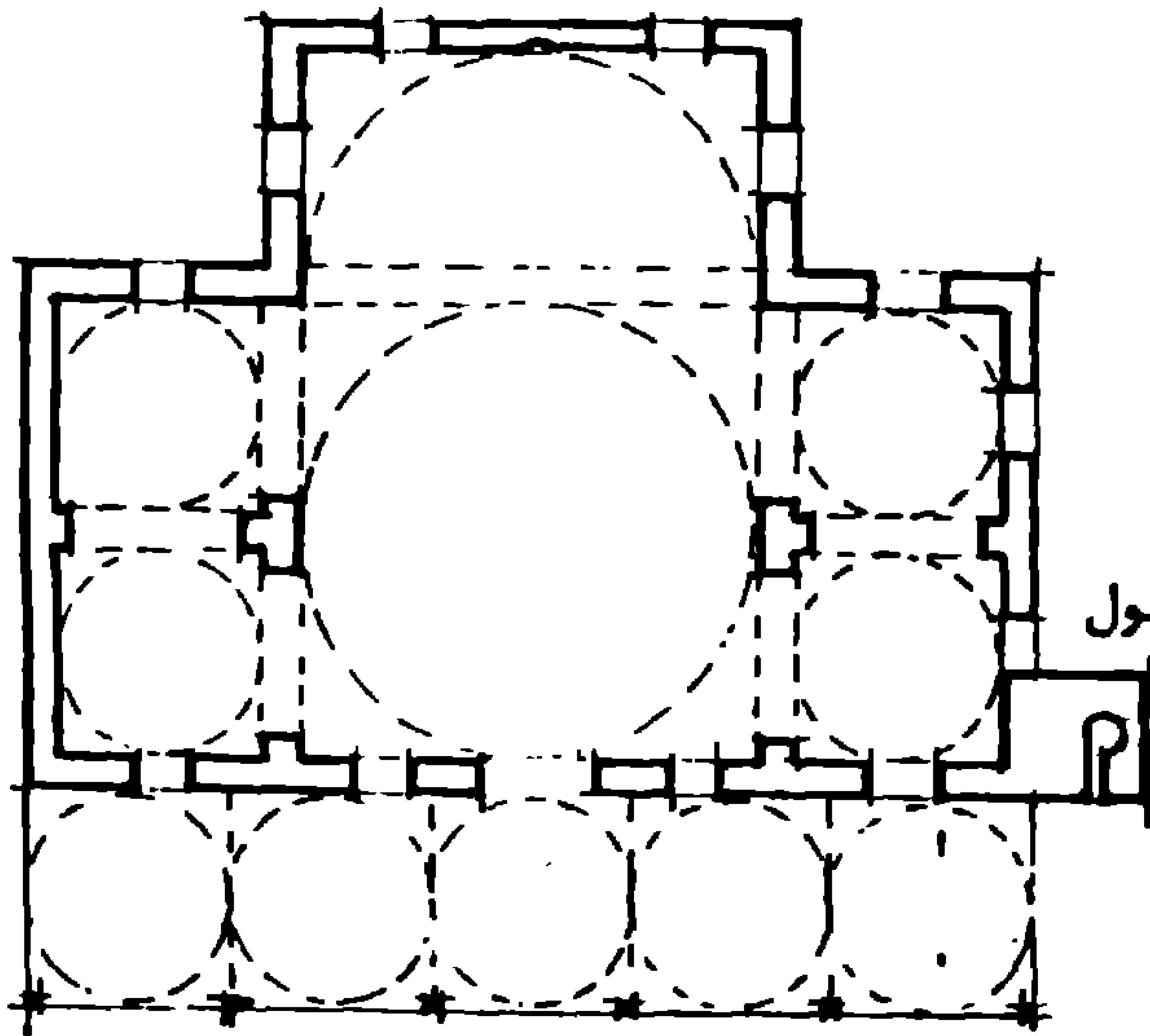
لوحة ١٢٣





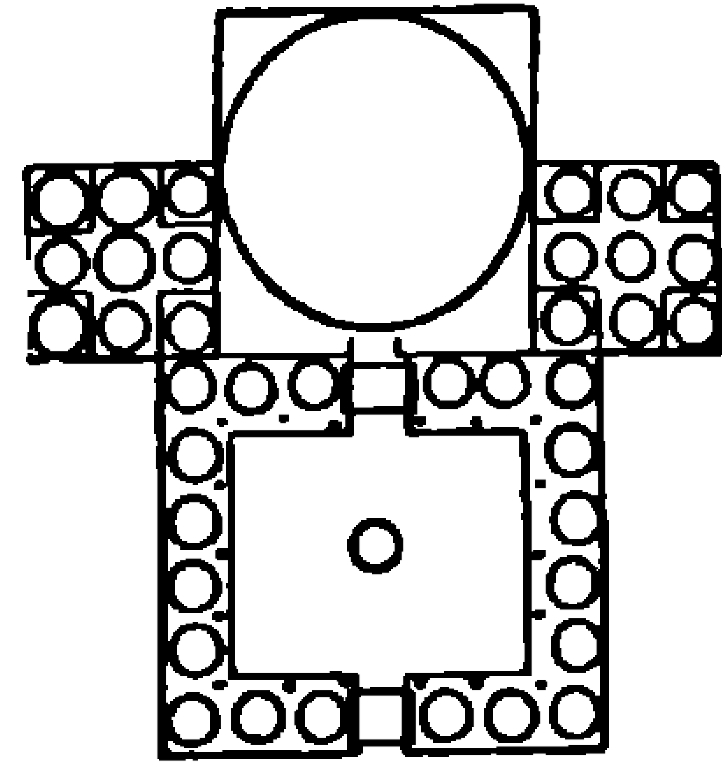
جامع الثلاث شرفاه باندرينوبل
(١٤٣٨ م)

جامع ابراهيم باشا باستانبول
(القرن ١٥ م)

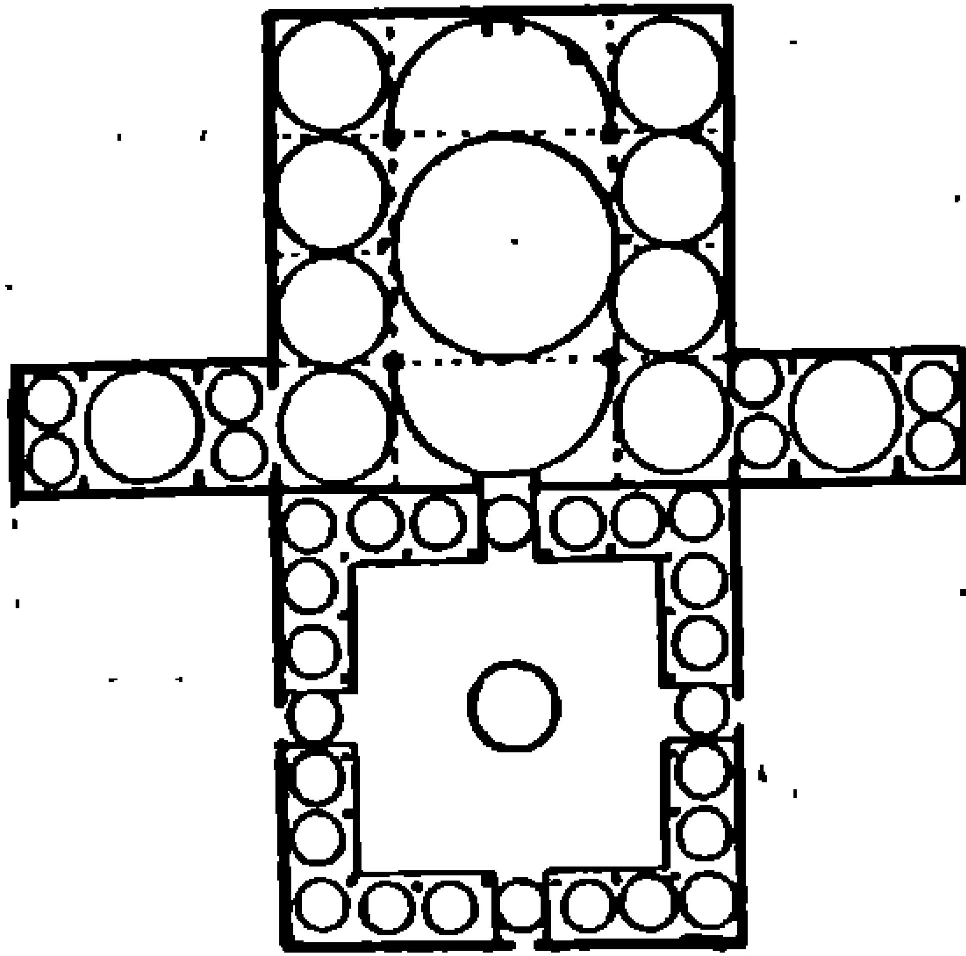


جامع عاتق علي باشا باستانبول

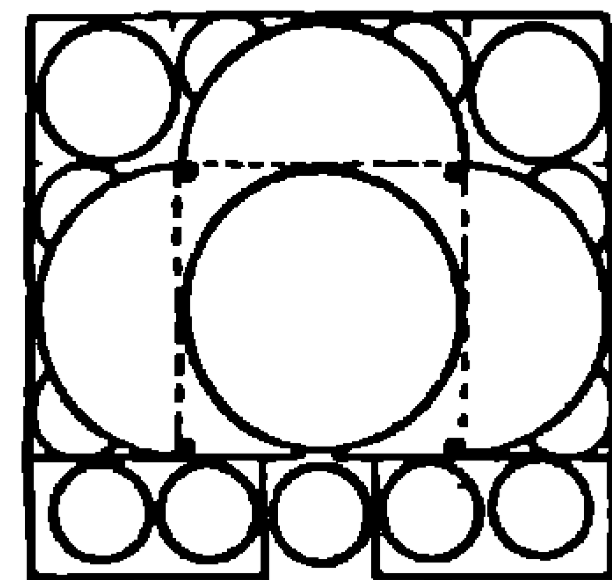
لوحة ١٢٤



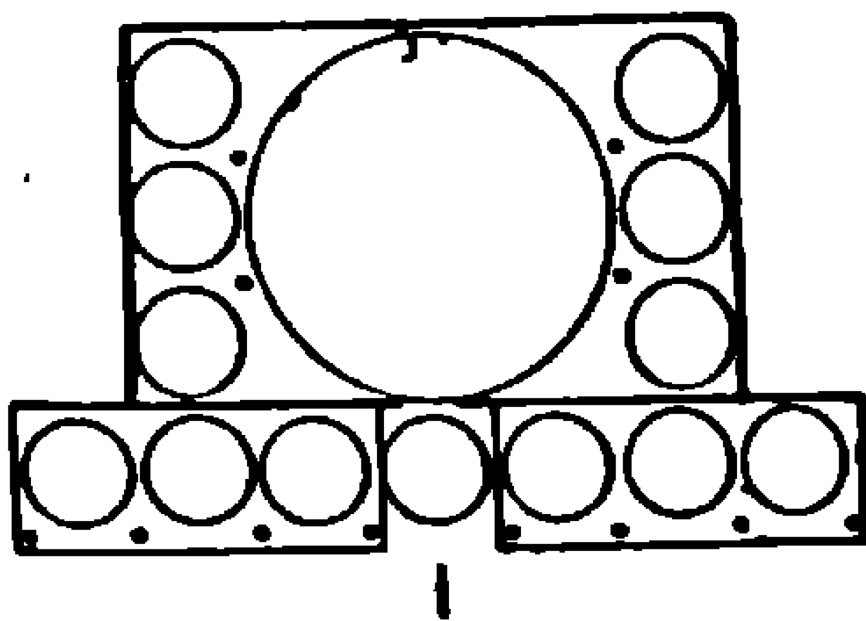
جامع السلطان سليم باستانبول
(١٥٢٢ م)



جامع بايزيد الثاني ـ استانبول
(١٥٠١ م)

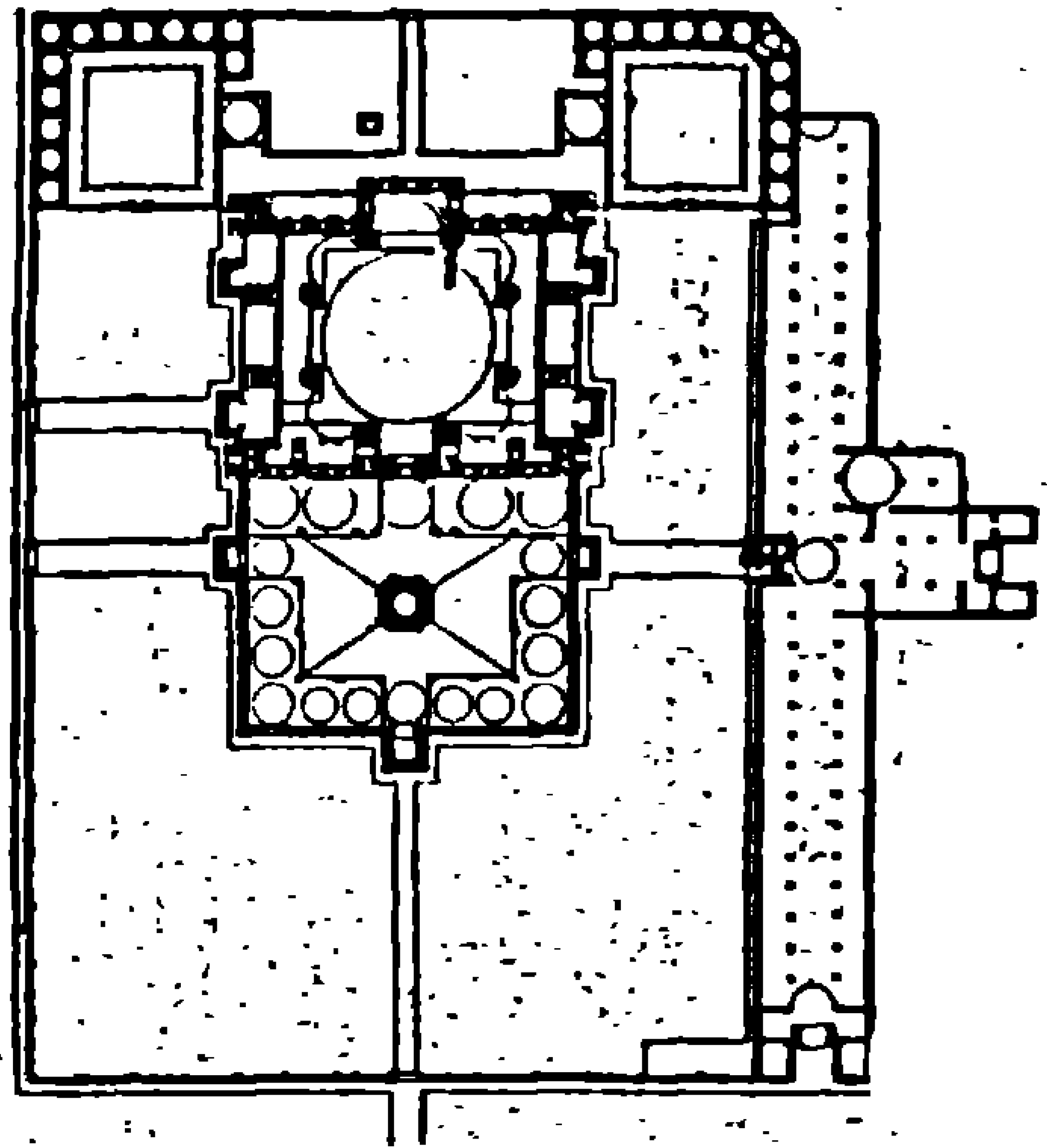


جامع مهرماه باوسكدار
(١٥٤٨ م)

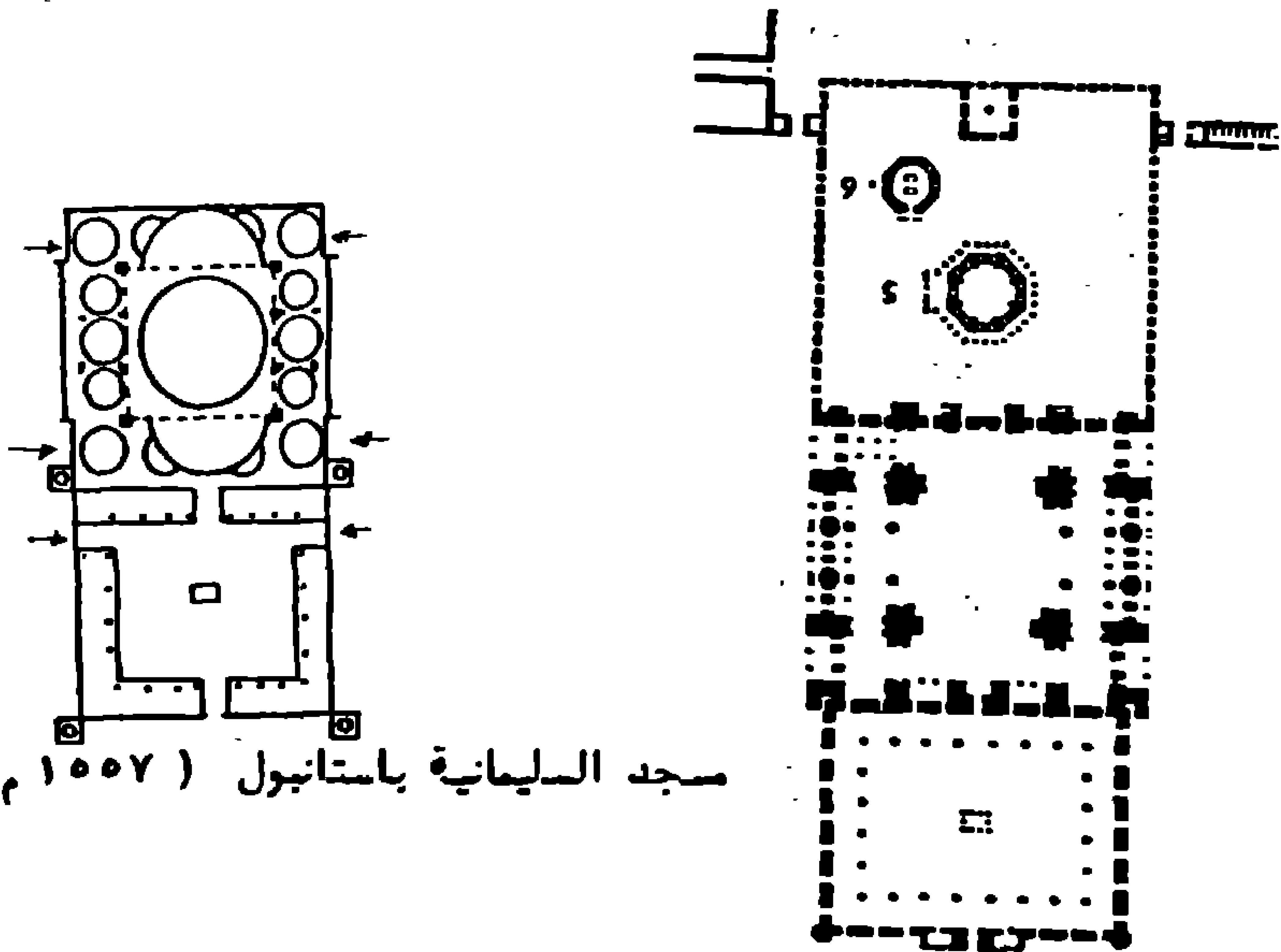


جامع مهرماه ـ استانبول
(القرن ١٦ م)

لوحه ١٢٥



مسجد سليم باشا بادرنه
(القرن ١٦ م)



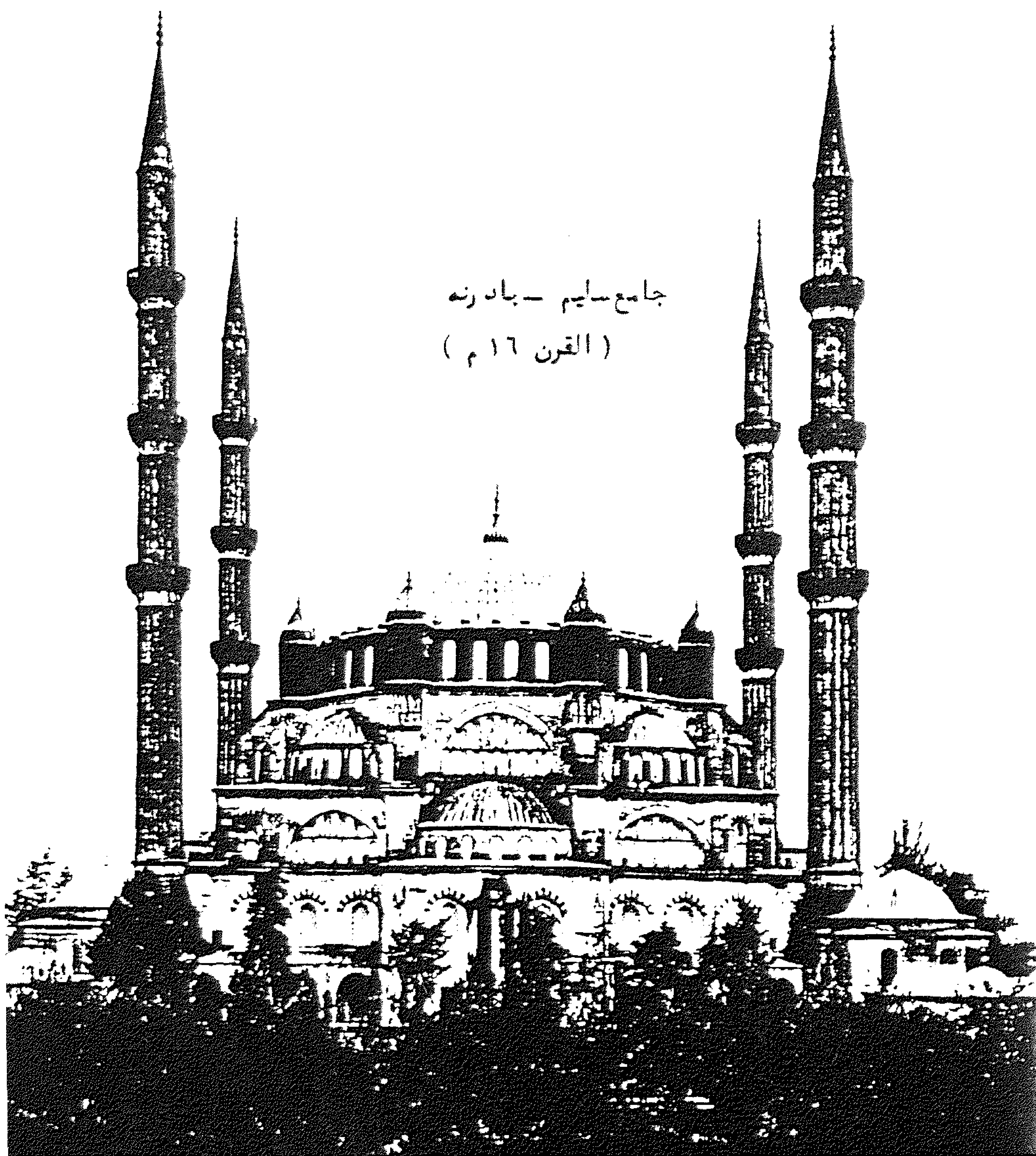
مسجد السليمانية باستانبول (١٥٥٧ م)

لوحه ١٢٦

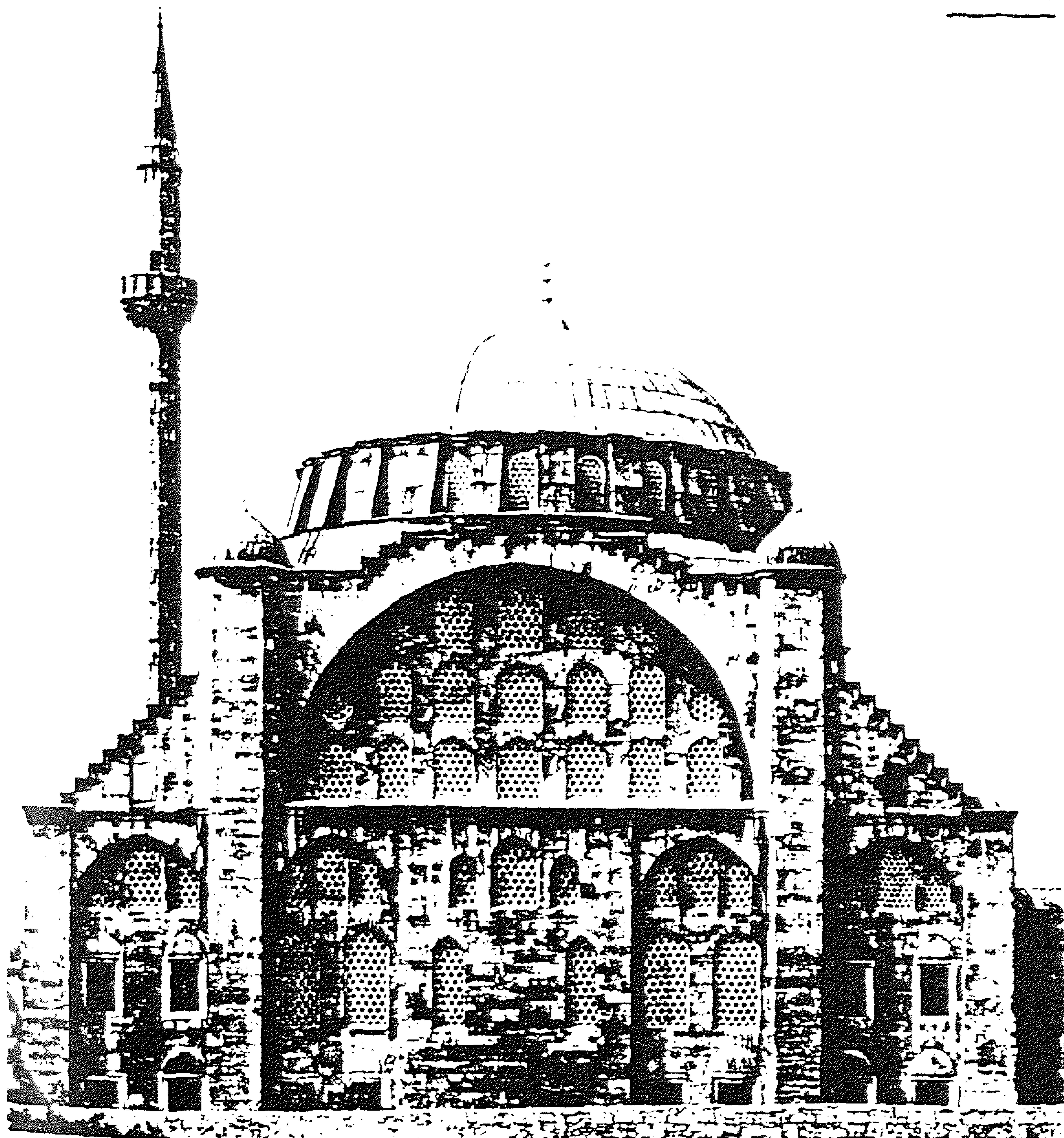


جامع السليمانية باستانبول (١٥٢٢م)

لوحـه ١٢٧

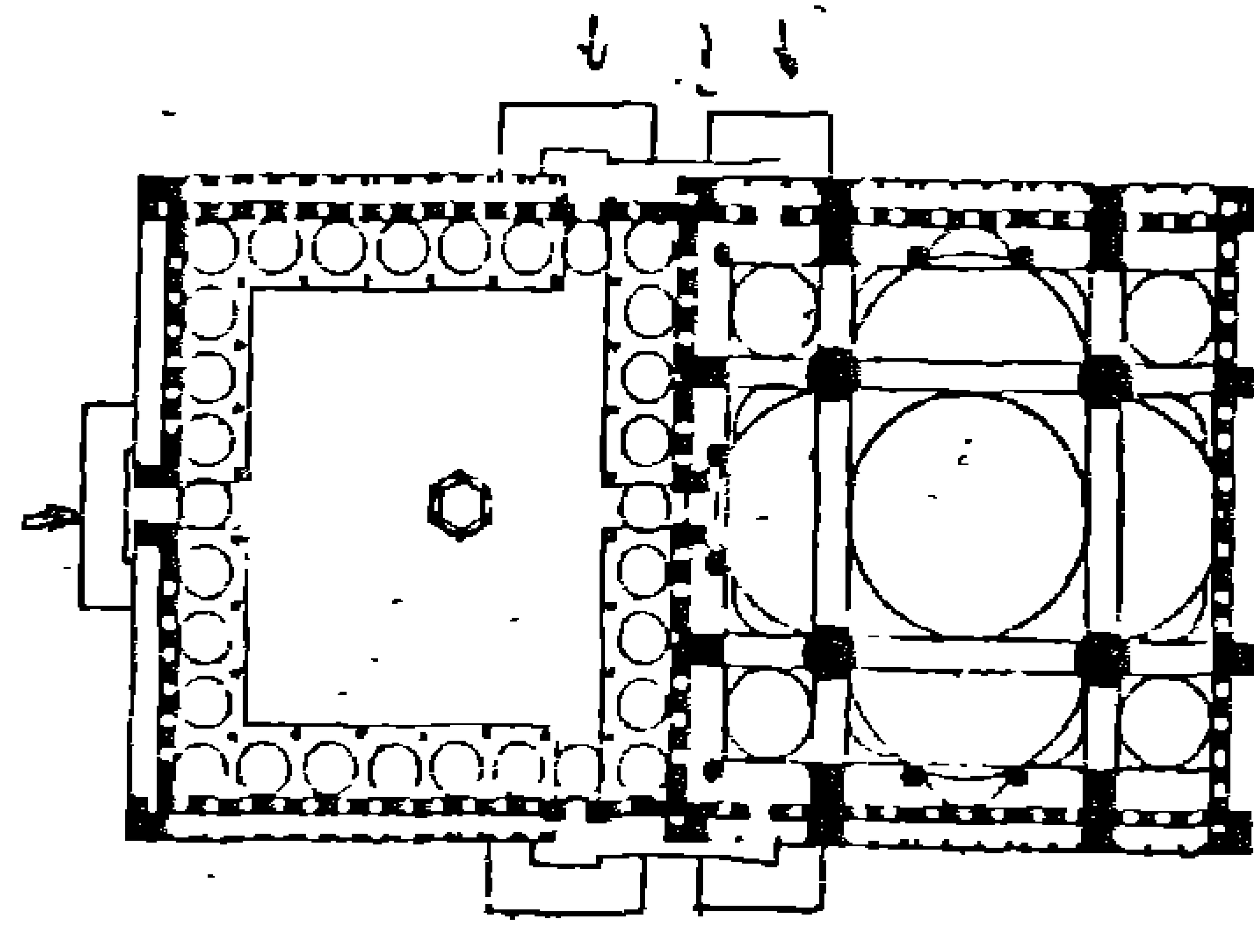


لوحـــه ١٢٨

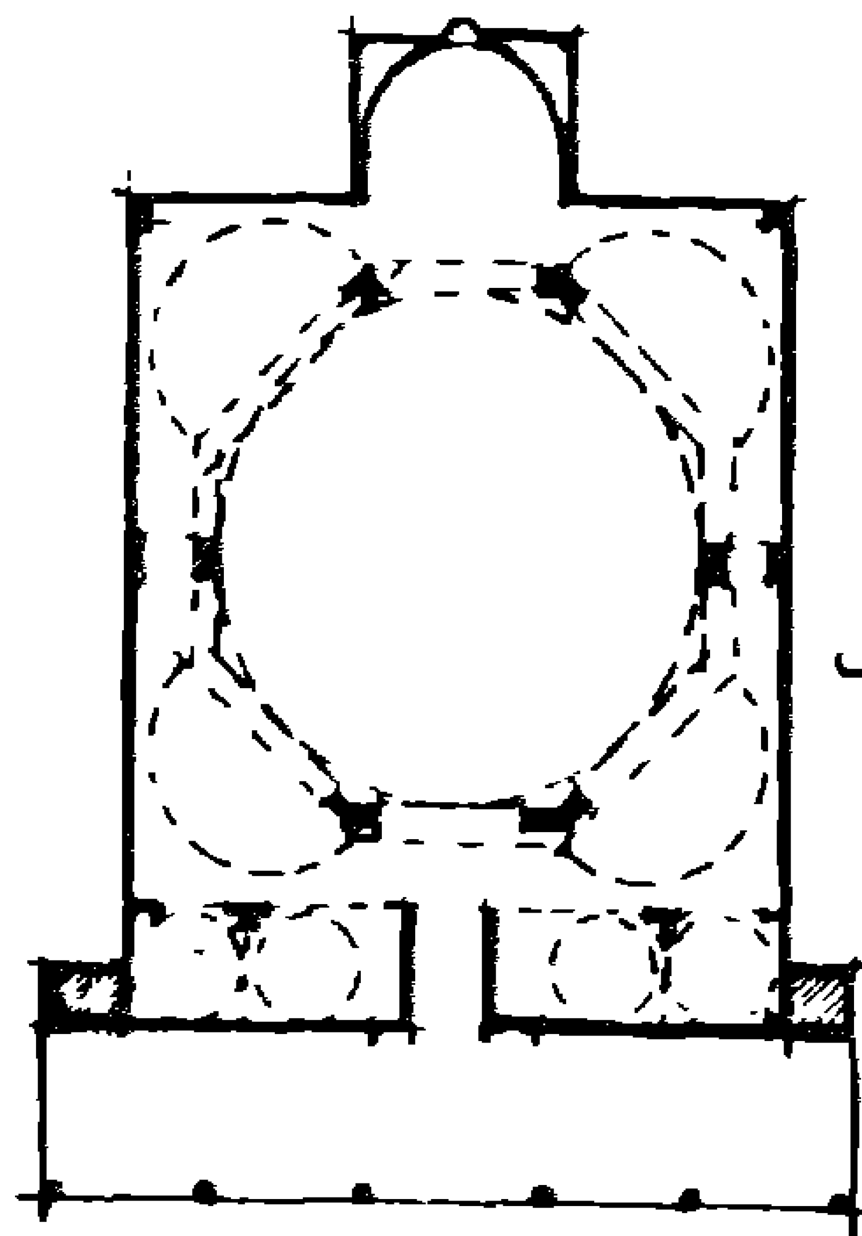


109 جامع مهرمـاه ـ استانبول (القرن ١٦ م)

لوحـــه ١٢٩



جامع السلطان احمد ـ استانبول (القرن ١٧ م)



جامع اغلو على باشا ـ استانبول
(١٧٣٤ م)

٧ـ عمارة المسجد في بلدان اخرى من افريقيا وآسيا

قبل الانتهاء من هذه الدراسة يجب أن نلقى نظرة سريعة على بعض المساجد الاخرى والتى لا تقل أهميتها عن المساجد سابقة الذكر ، حيث أن هذه المساجد بنيت فى بلاد اسلامية وبأيد اسلامية . لذلك فمن الواجب دراستها والتعرف عليها بوجه عام .

انتشر الاسلام فى مناطق عديدة من أواسط آسيا بالجمهوريات السوفيتية وحول بحر قزوين وفى بعض بلدان الصين وجنوب آسيا . كما انتشر ايضا فى الكثير من بلدان شرق وغرب أفريقيا حيث نجد العديد من المساجد فى مالى وموريتانيا وتانزانيا والصومال وغيرها. نذكر من مساجدها ما يلى : ـ (لوحه ١٣٠ ـ ١٣١)

ـ فى مالى نجد : ١ ـ مسجد جو Gao من القرن السادس عشر الميلادى بناه اسكيا حاج محمد الذى حكم البلاد من عام ١٤٩٣ م الى ١٥٢٨ م.

٢ ـ الجامع الكبير بمدينة تيمبوكتو Timbuktu من القرن الرابع عشر الميلادى .

٣ ـ وفى نفس المدينة السابقة نجد مسجد سانجور Sankore من القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى .

ولا يخرج تصميم هذه المساجد عن التخطيط التقليدى ـ المسجد الاول يشتمل على رواق واحد هو رواق الصلاة ، اما المسجدان الاخران فيشتمل كل منهما على اربعة اروقة تحيط بالصحن اكبرها رواق الصلاة . وما يسترعى النظر فى هذه المساجد انها بنيت بمواد ضعيفة جدرانها من الطوب اللبن واسقفها مستوية من جزوع النخيل والاشجار . ولاول مرة فى تاريخ المساجد نرى فى بعض مساجد هذه المنطقة حنيتين متجاورتين احداهما للمحراب والاخرى للمنبر . كما نلاحظ ان مآذن هذه المساجد برجية مربعة الشكل ذات حجم كبير جدرانها تميل الى اعلى . كذلك نجد بها جدرانا تحيط بصحونها وبها بعض الابواب تؤدى الى اروقتها . وربما كان ذلك لحماية الاروقه من العوامل الجوية .

وفى موريتانيا نجد الجامع الكبير بمدينة شينجويتى Chinguetti بناء العرب البرابره فى القرن الثانى عشر الميلادى . ولا يخرج تخطيط هذا المسجد عن المساجد السابقة فهو يحسبه الى حد كبير مسجد جو من حيث انه يشتمل على رواق واحد للصلاة والصحن الكبير والمئذنه الضخمة .

وفى تانزانيا نجد الجامع الكبير بكيلوا Kilwa من القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى وقد انشئت هذه المدينة فى القرن التاسع الميلادى . بنى هذا المسجد على مرحلتين الاولى وهى الصالة الشمالية صغيرة المساحة والشاملة لعدد من الدعائم تحمل السقف الخشبى المستوى . اما المرحلة الثانية فهى مساحه كبيرة تقع جنوب الصالة الاولى سقفه بالاقبية والقباب . وبهذه المساحة محراب آخر بالاضافة الى المحراب الاول ، وتطل هذه الصالة الاخيرة على صحن صغير .

وفى الصومال نجد مسجد فخر الدين بمقاديشيو من القرن الثالث عشر الميلادى وهو عبارة عن قاعة مربعة بوسطها دعامتان تحملان كمرات تقسم السقف الى تسعة مساحات كل منها مغطاه بقبة صغيرة وترتفع القبة الوسطى عن القباب الاخرى . وللمسجد ثلاثة ابواب تؤدى الى سقيفه مغطاه بالقباب ايضا ، الوسطى بشكل مخروطى مرتفع ، وهذه السقيفة تطل على صحن صغير مستطيل الشكل يؤدى الى اماكن الوضوء والى المدخل الرئيسى . ونلاحظ أن محراب هذا المسجد مستطيل الشكل وعميق يبرز جداره من الخلف وهو من الرخام صناعته هنديه . أما المئذنة فتقع فى احد اركان الصحن . ونلاحظ بوجه عام تقدما ملموسا فى مساجد الصومال من حيث التخطيط والانشاء عن غيرها من مساجد البلدان السابقة .

هذا عن مساجد افريقيا ،اما فى أسيا فنجد من بلدانها الاسلامية جنوب الجزيرة العربية وخاصة اليمن كذلك نجد افغانستان وغيرها من بلدان وسط اسيا (لوحة ١٢٢ـ ١٣٤ وقد شملت جنوب الجزيرة العربية واليمن العديد من المساجد وذلك منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومنها :ـ

١ ـ الجامع الكبير بصنعاء : بدأ انشاؤه فى القرن السابع الميلادى وعملت به اضافات حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وهو مسجد صغير كانت مساحته عند انشائه

حوالى ٥٥ متر٢ وفى عام ٧٠٧ م بدأ الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك فى توسعته ، وتوالت بعد ذلك الاضافات والتوسعات . وتخطيطه تقليدى أى صحن تحيطه الاروقه من الجهات الاربعة اكبرها رواق الصلاة وهو الشمالى وما يلفت النظر فى هذا المسجد ان الرواق المقابل لرواق الصلاة ازدادت مساحته حيث اعد للصلاه وعمل به محراب آخر يبرز من الصحن وكذلك الحال فى الاروقه الجانبية الاقل اتساعا ، وبذلك استعملت جميع اروقته للصلاة _ وقد اضيف فى عصور متقدمه بعض الغرف الى صحنه منها غرفة مربعة غطيت بقبة وذلك فى العصر العثمانى وعقود هذا المسجد من النوع نصف الدائرى ترتكز على اعمدة قديمة .

٢ _ جامع الباكريه (١٥٩٧ م) اقامه الحاكم العثمانى حسن باشا ويتكون من قاعة واحدة للصلاة مغطاه بقبه واحدة وفى جانبها الشرقى نجد غرفة الضريح ، وامام قاعة الصلاه رواق مغطى بثلاث قباب صغيرة يطل على الصحن بثلاثة عقود وفى نهاية هذا الصحن مكان الوضوء . وفى الجهة الشرقية من الصحن نجد المئذنه وفى الجانب الغربى نجد المدخل التذكارى المغطى بقبة .

٣ _ وفى تعز نجد مسجد الاشرفيه بناه الاشرف الاول فى القرن الثالث عشر الميلادى وادخلت عليه اضافات فى القرون التالية . قاعة الصلاه فى هذا المسجد تأخذ شكلا مستطيلا يوسطها أربع دعائم تحمل قبه وسطى كبيره وعلى جانبيها ثمانى قباب صغيرة . وتطل هذه القاعه على الصحن المربع المحاط ببعض القاعات الاخرى الخاصة بتدريس العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم . ويحيط المسجد من ثلاث جهات ممرات بها المداخل وعلى جانبى المسجد مئذنتان تذكرنا بالمآذن المصرية .

٤ _ وفى جنوب الجزيرة العربية نجد ايضا مسجد شيام Chibam بنى فى القرن التاسع الميلادى على التخطيط التقليدى مع توسعة الرواق الجنوبى المقابل لرواق الصلاه الرئيسى حيث نجد به محرابا آخر . كما نجد بهذا المسجد جدارا يحيط بالصحن وبه أبواب تؤدى الى الاروقه الاربعة لحمايتها من العوامل الجوية .

ونجد من مساجد اواسط آسيا ما يلى :-

١ - مسجد بيبى خاتوم Bibi Khanum بسمرقند بنى عام ١٣٩٩ م وقد تهدم فى زلزال وجدد فى عصور متأخره يشتمل تخطيطه الحالى على صحن مستطيل (٨٧×٦٣ متر) تحيطه اروقه بها ٤٨٠ عمود حجرى وتقطع أروقته الاربعة أيوانات خلفها ما يشبه قاعة القبة المربعة الشكل والتى رأيناها فى المساجد الايرانية والهندية . ويتوسط الواجهة (الضلع الصغير) ايوان يقع فى محور المحراب وعلى جانبيه اكتاف ضخمة تحمل مئذنتين ويعد هذا الايوان كمدخل تذكارى للمسجد . كما يتميز هذا المسجد بزخارفه المكونه من بلاطات من الموزايكو كسيت بها بعض الجدران .

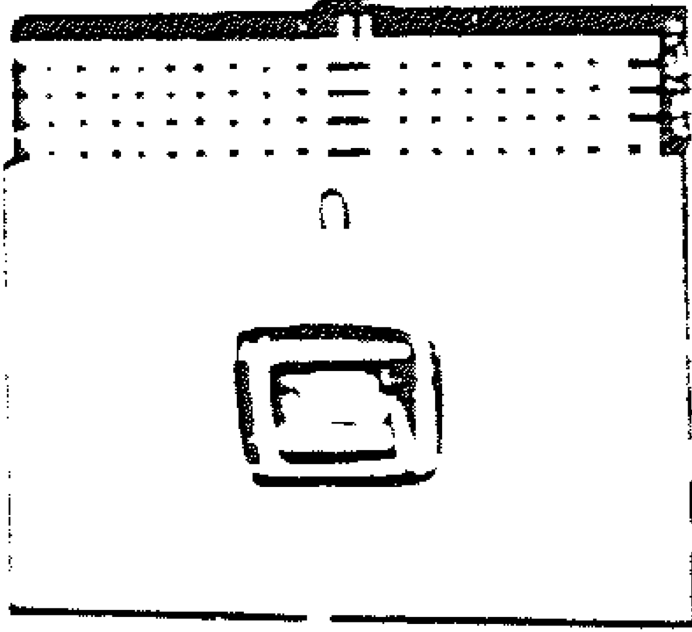
٢ - وفى افغانستان نجد مسجد بلخ ويسمى مسجد القباب التسع وهو من العصر العباسى من القرن التاسع الميلادى ، يتكون من قاعة واحدة مربعة الشكل مقسمة من الداخل بتسع مساحات مربعة كل منها مغطى بقبه ترتكز على عقود مدببه محمولة على بعض الدعائم الطوبية المحلاه بالاعمدة المتصله . وبالمسجد زخارف نباتية جصية ذات تأثير بوذى علاوة على التأثير الايرانى العراقى .

٣ - وفى بلخ ايضا نجد مسجد ابو نصر بنى فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى يتكون من غرفة واحدة مربعة الشكل تقريبا وهى قاعة الصلاة ندخل اليها عن طريق احد الايوانات الاربعة الضخمة فى محور المحراب ويعلوه المئذنة وخلفها القبه التى تغطى هذه القاعة وهى ذات شكل مدبب عديدة الاضلاع ترتكز على العقود والمثلثات الكروية المحلاه بالموازيكو والزخارف المتأثره بالفن الصينى .

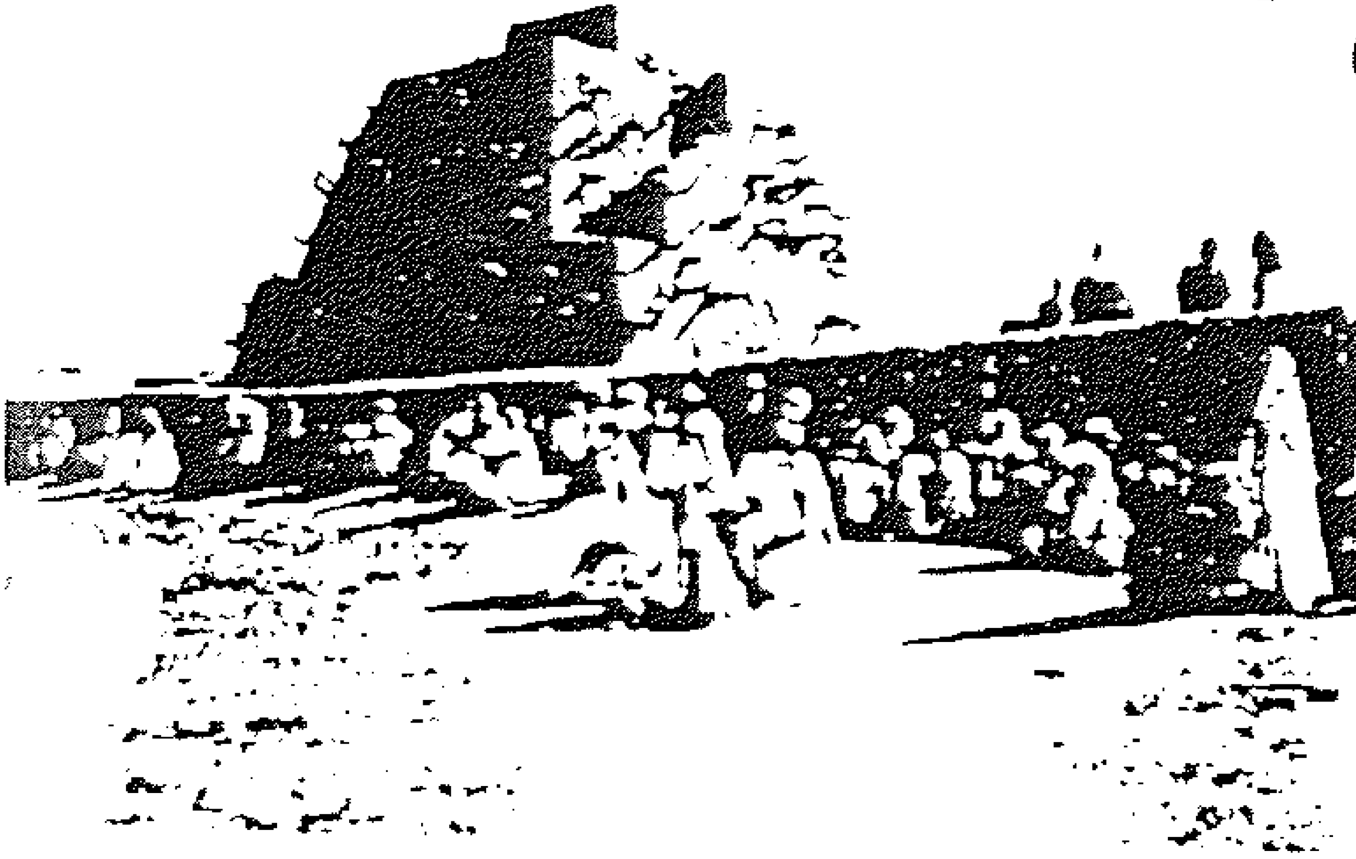
٤ - وفى بخارى نجد العديد من المساجد والمدارس منها مدرسة عبد العزيز خان (١٦٤٥ م) والتى تتميز بالايوان الكبير المفتوح على الخارج ليكون مدخلا تذكاريا وقد حلى بالمقرنصات والدلايات .

من هذا يتضح ان مساجد وسط أسيا تأثرت تأثرا كبيرا بمساجد ايران والهند أما مساجد جنوب الجزيرة العربية فقد تأثرت بالمساجد التقليدية .

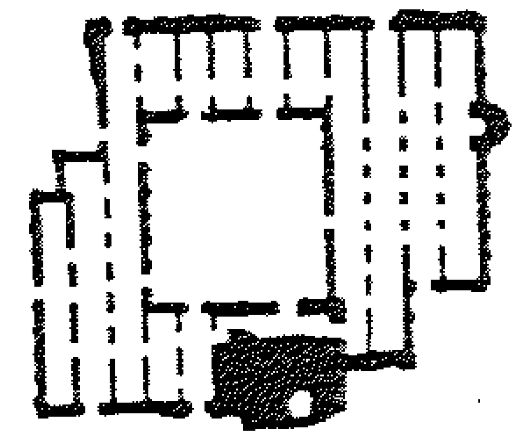
لوحـه ١٣٠

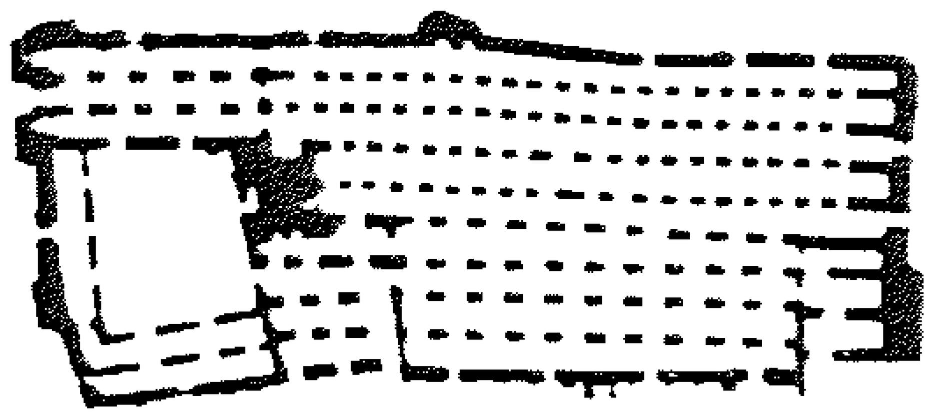


جامع اسكيا حاج محمد ـ جو ـ مالى
(القرن ١٥ ـ ١٦ م)





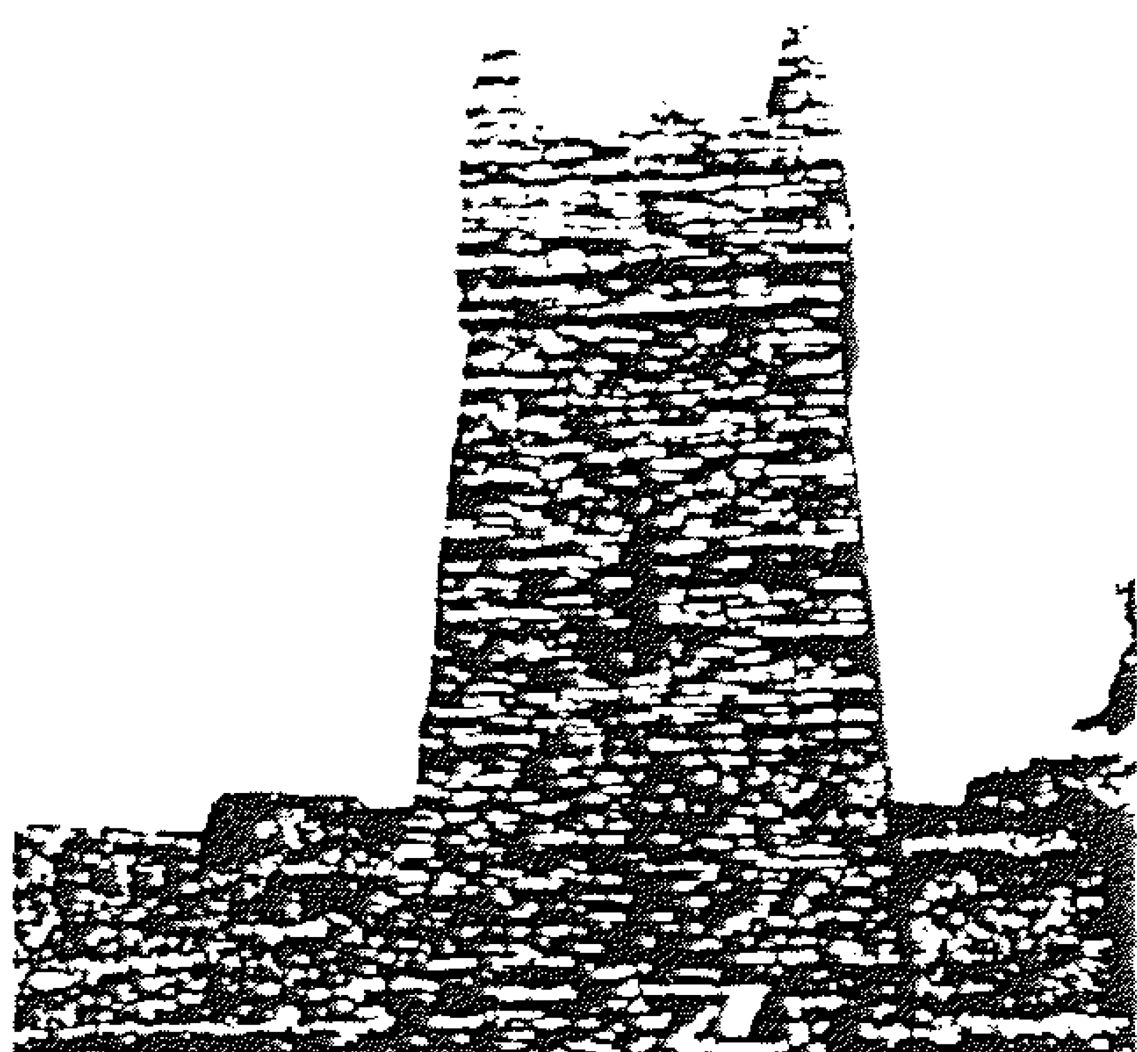


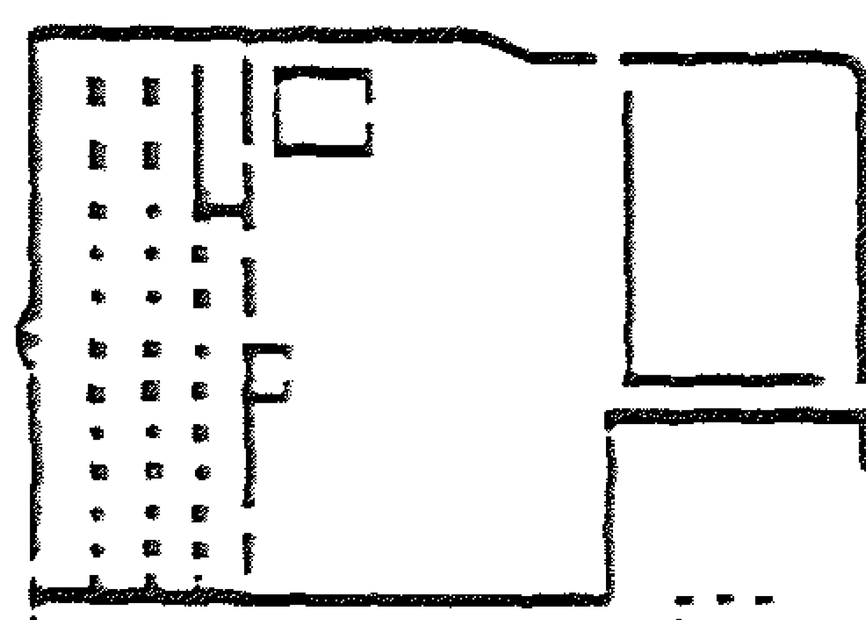


الجامع الكبير ـ تمبوكتو ـ مالى
(القرن ١٤ م)

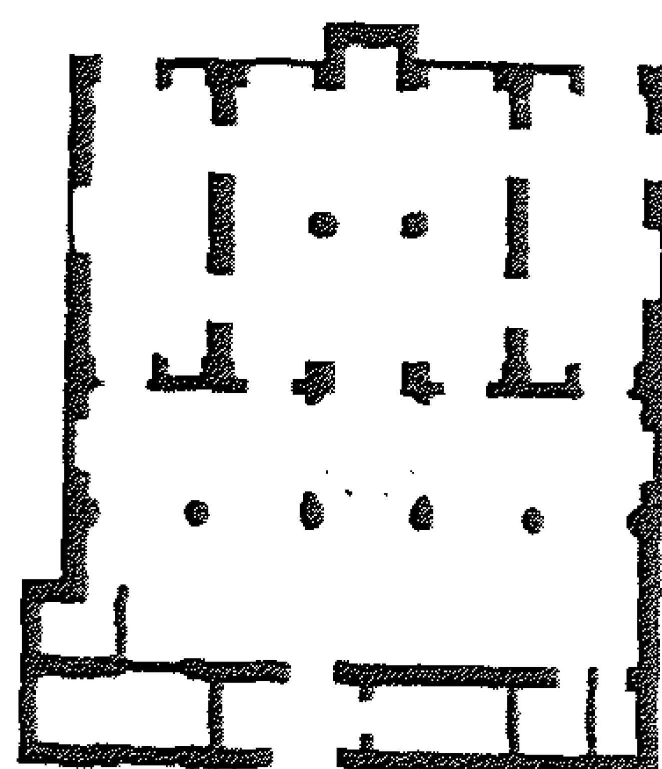
جامع سنكور ـ تمبوكتو ـ مالى
(القرن ١٤ ـ ١٥ م)

لوحة ١٣١

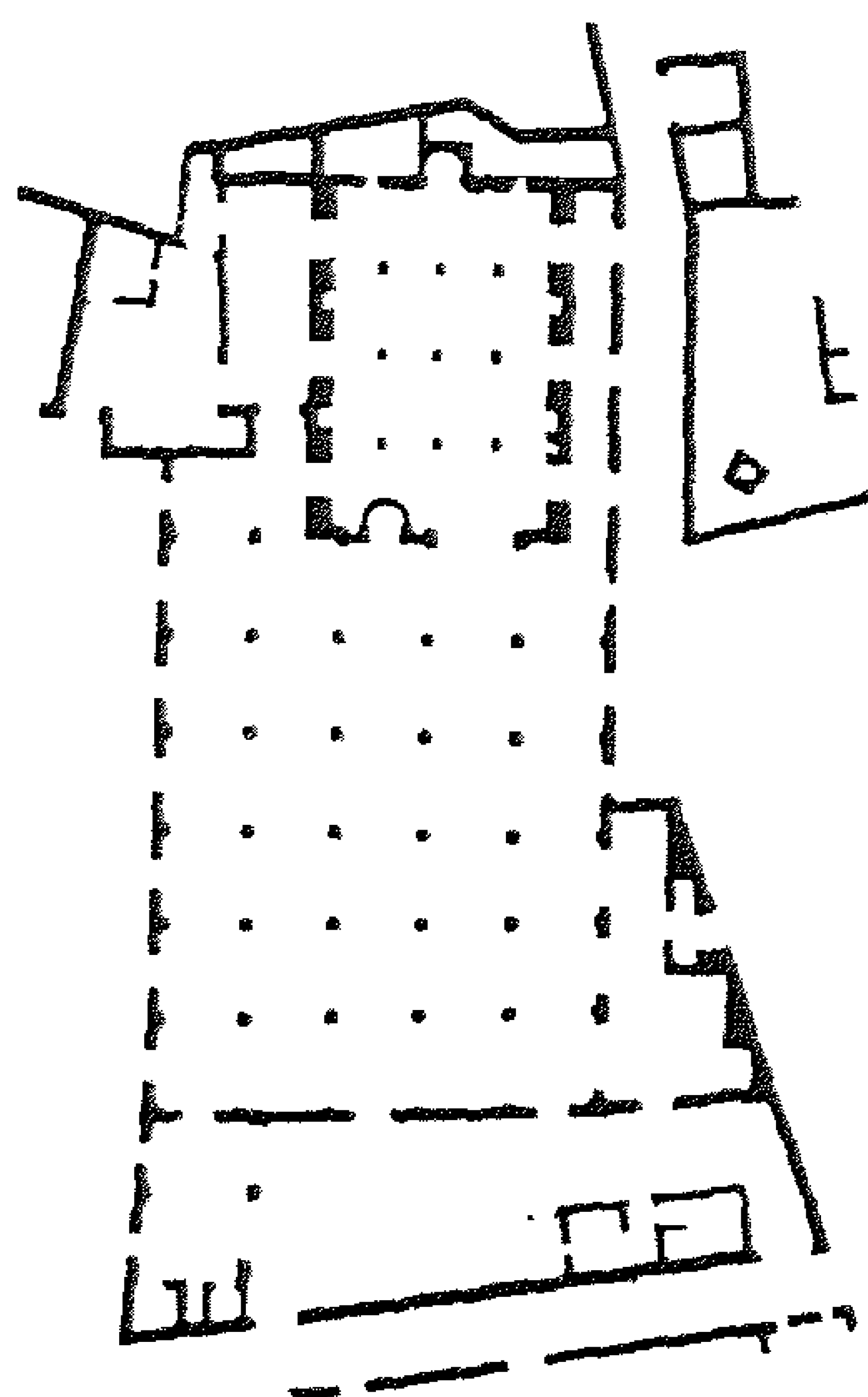




الجامع الكبير بمدينة شينجويتي ـ موريتانيا
(القرن ١٣ ـ ١٥ م)

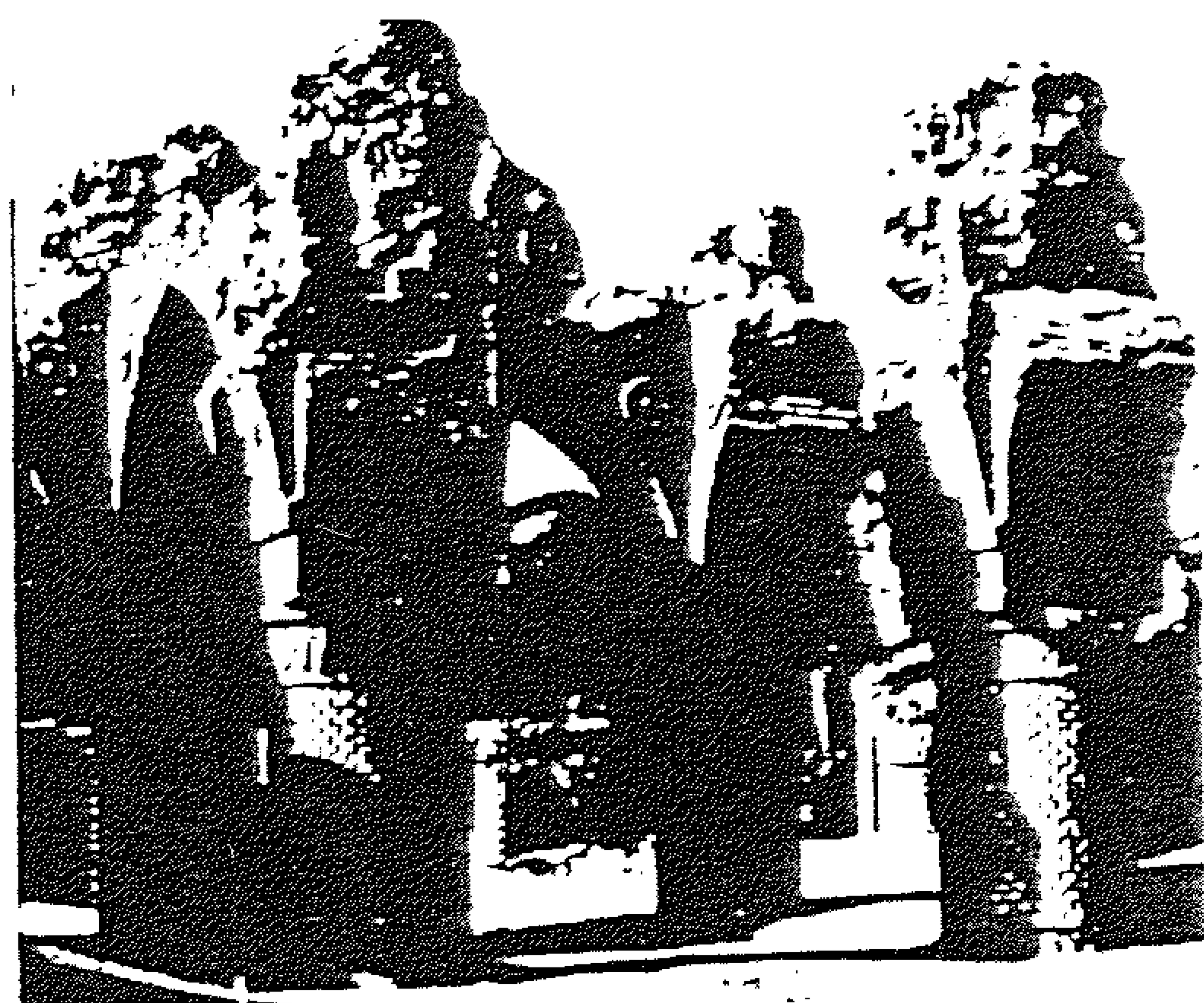


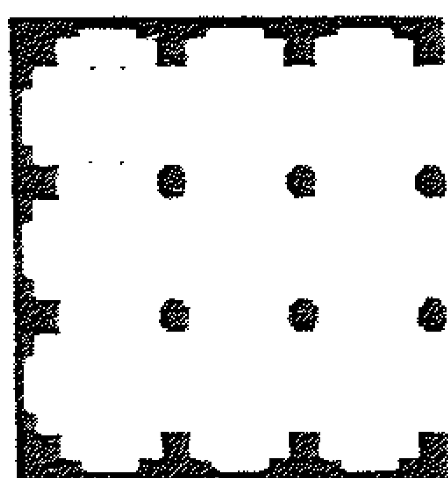
جامع فخر الدين ـ بمقاديشو ـ الصومال
(القرن ١٣ م)



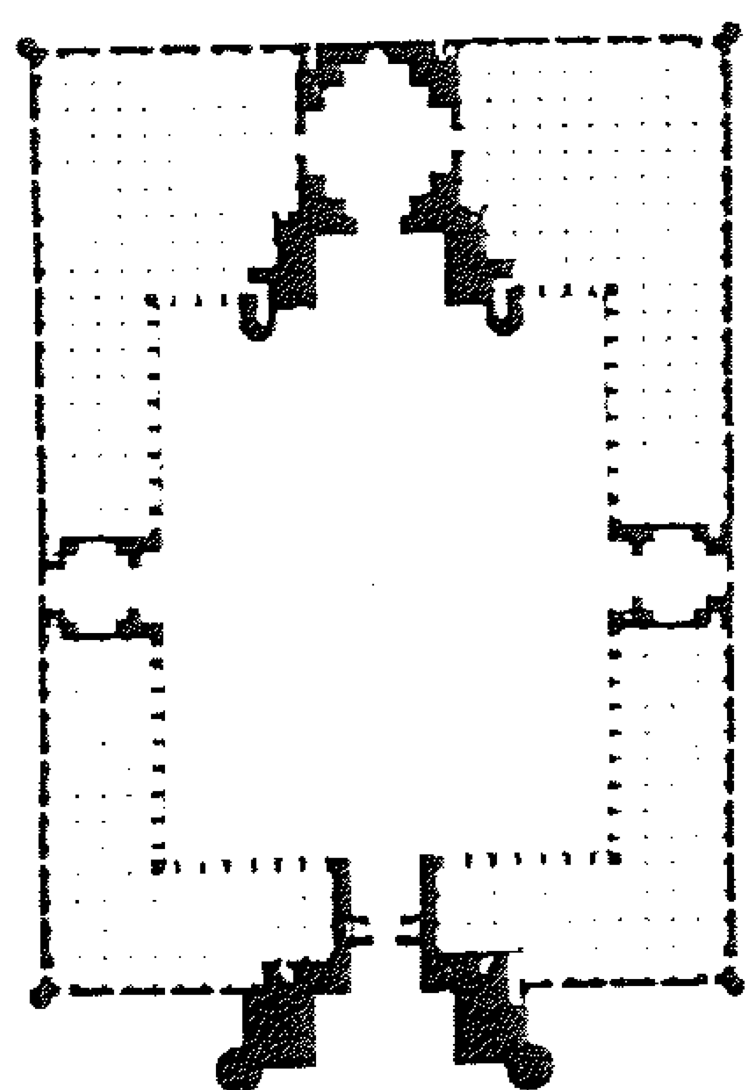
الجامع الكبير بمدينة كياوا ـ تنزانيا
(القرن ١٣ م)

لوحــه ١٣٢

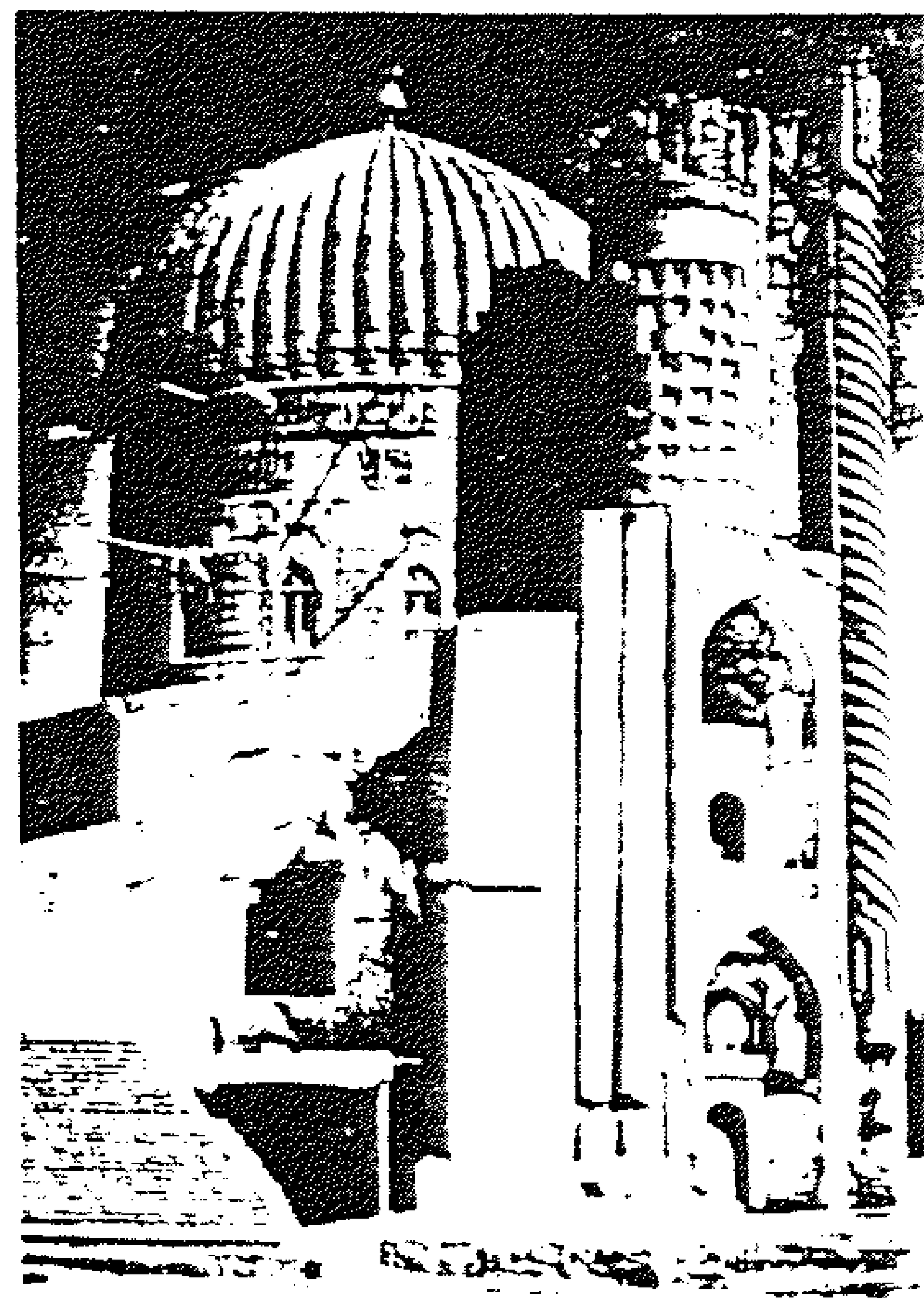


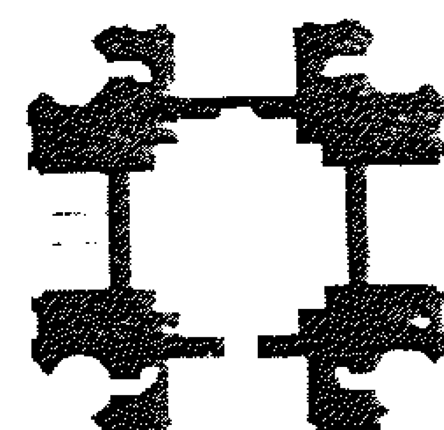


جامع التسع قبا ــ بلخ ــ افغانستان
(القرن ٩ م)



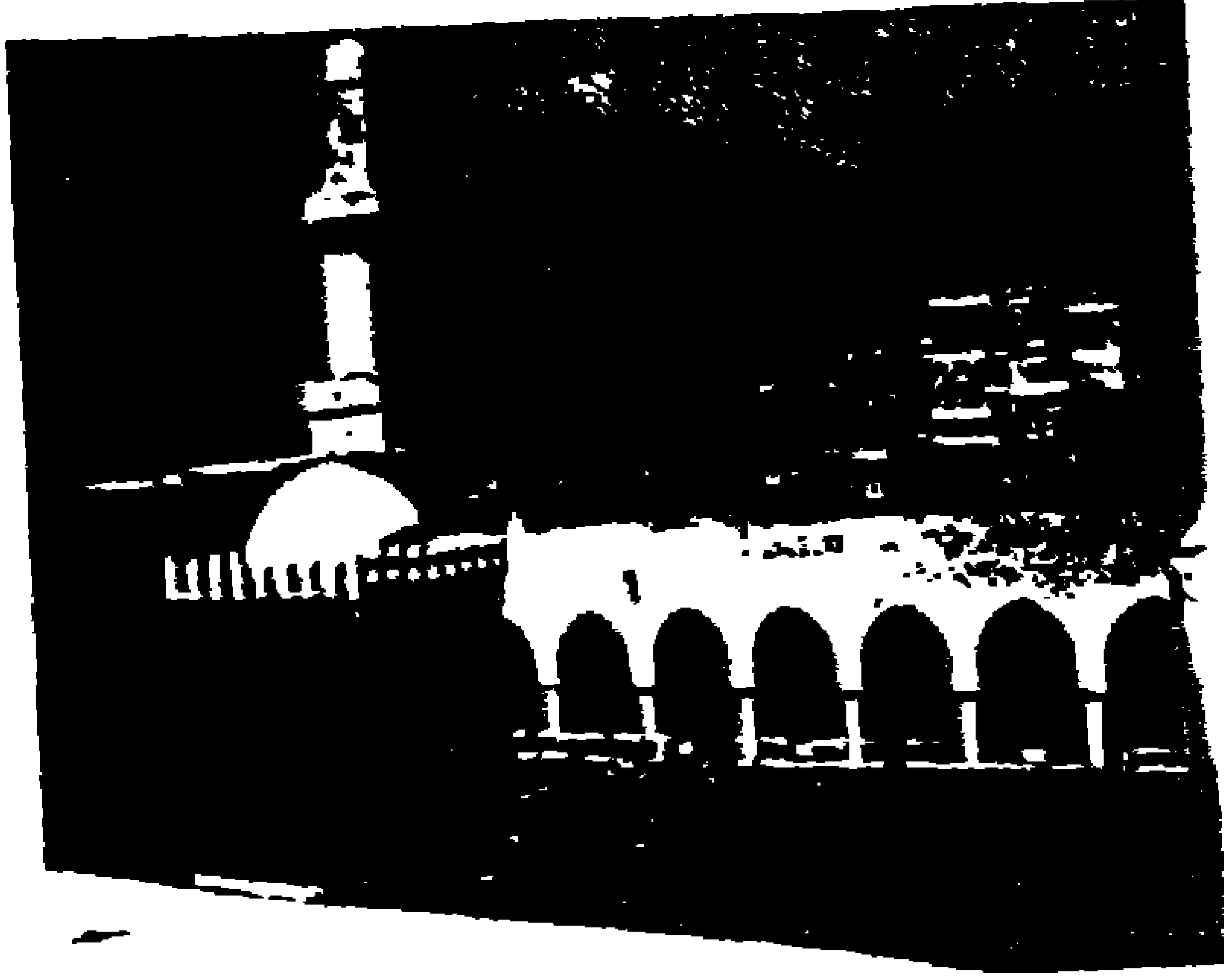
جامع بيبى خانوم ــ سمرقند (١٣٩٩ م)

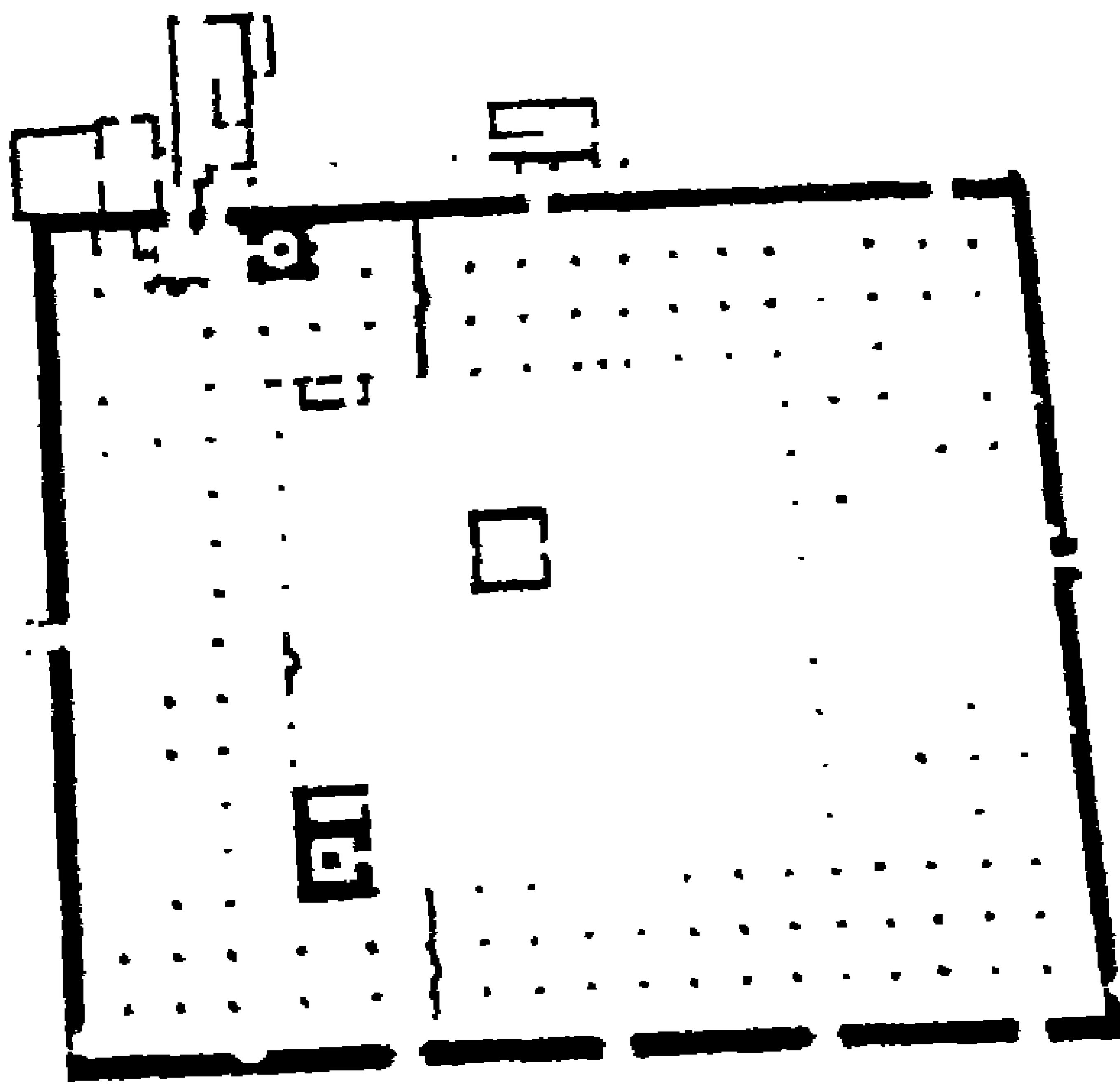




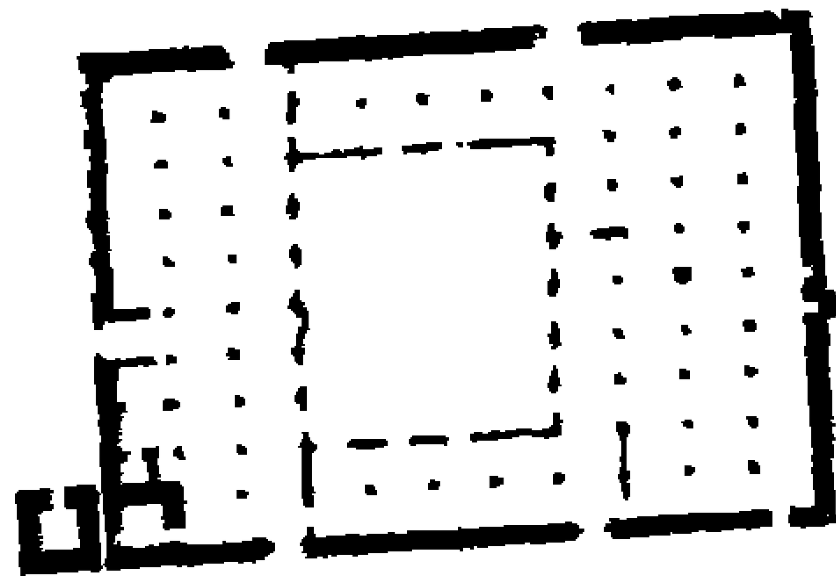
جامع ابو نصر ــ بلخ ــ افغانستان
(القرن ١٥ م)

لوحـه ١٢٣





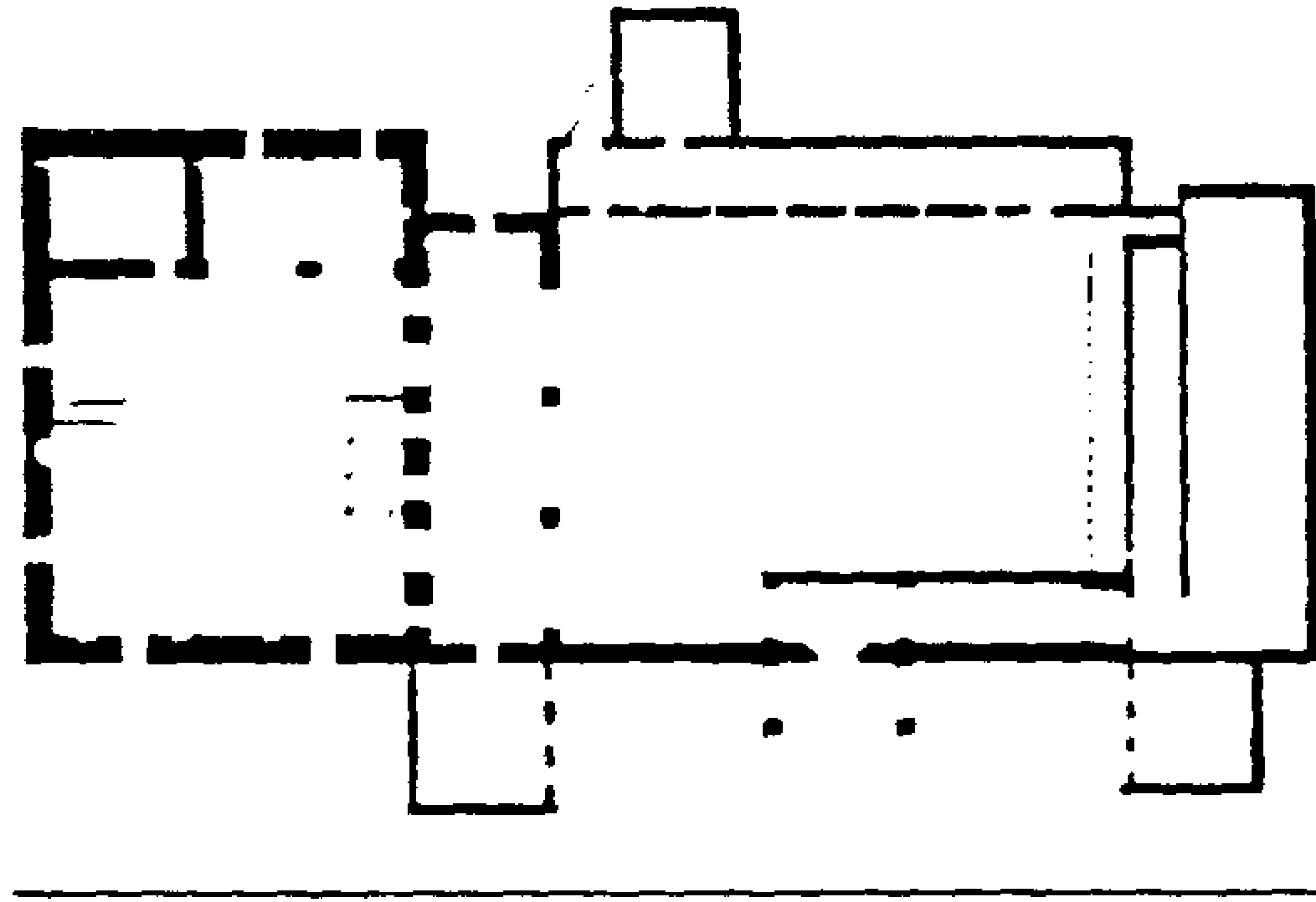
الجامع الكبير بصنعاء
اليمـن
(القرن ٧ ـ ١٢ م)



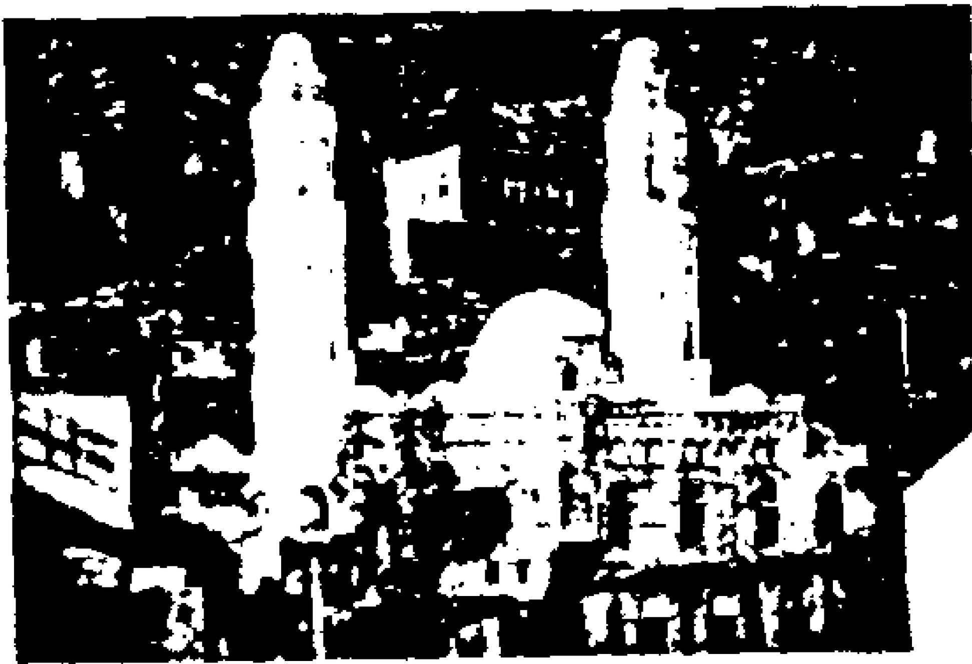
جامع شبام ـ الجزيرة العربيـــة
(القرن ٩ م)

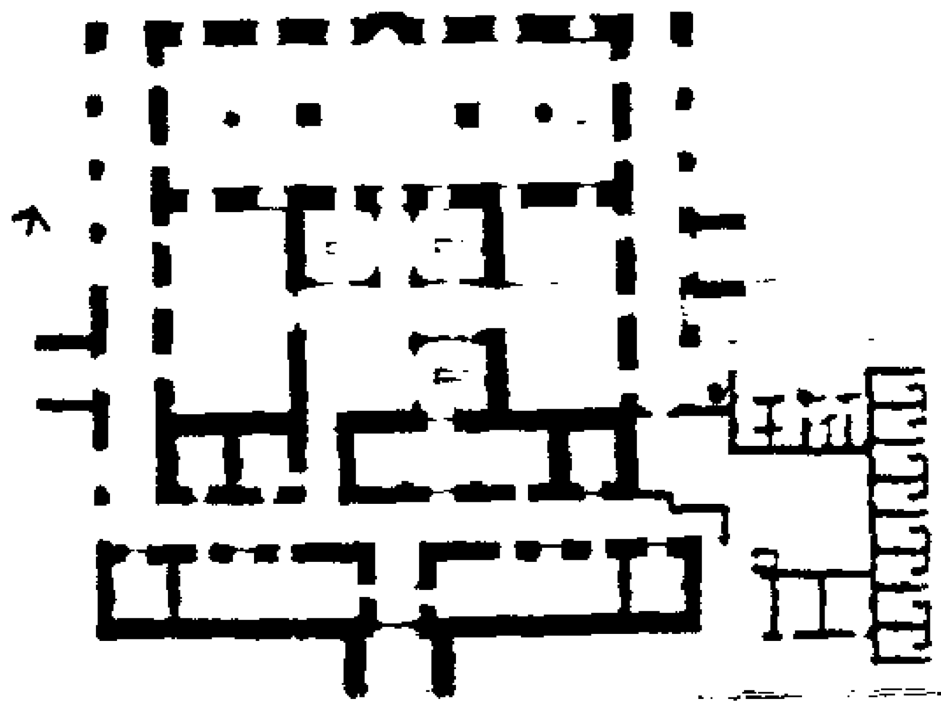
لوحه ١٣٤





جامع الباكرية بصنعاء ـ اليمن
(١٥٩٧ م)





جامع الاشرفية بتعز ـ اليمن
(القرن ١٣ ـ ١٤ م)

سابعا: العناصر المعمارية في عمارة المسجد

هناك عناصر معمارية واخرى انشائيه يتكون منها أي بناء ولكن نجد في عمارة المسجد عناصر تميز بها المسجد عن أي مبنى آخر .. تلك هي المئذنة والمحراب ـ كما ان به عناصر اخرى تعتبر من تأثيث المسجد وهي المنبر والمقصوره ودكة المبلغ .

أ ـ : المئذنة

يوجد ثلاثة أسماء للمئذنه وهي : الصومعه ـ المناره ـ المئذنة ؛ الصومعة جاءت من الصوامع البرجية التي كان يتعبد فيها النساك ،والرهبان والمنار جاءت من الفنارات التي تهدى السفن بنورها ،والمئذنة من الاذان والدعوة للصلاة .

وتعتبر المئذنه هي العنصر الوحيد التي ترمز للمدينة الاسلامية عامة وللمسجد خاصة حيث ترتفع الى السماء تشهد بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

لايوجد في بداية الاسلام أية مئذنة وكذلك لم يكن في ذلك الوقت آذان الى أن دعا الرسول عليه السلام بلال ليدعو الناس للصلاة من فوق احدى البيوت المجاورة أو أمام مسجده ولذلك كان بلال أول مؤذن في الاسلام .

وتعتبر المآذن الاربعة التي بنيت في اركان جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر في عهد مسلمه عام (٦٧٣م) والتي امر ببنائها الخليفة معاوية هي اول مآذن في الاسلام حيث كان معاوية يقوم بالصلاة في بعض الاحيان داخل المعبد الوثني المتهدم المسمى تيمونس TEMENOS والذى اصبح الجامع الاموى بدمشق فيما بعد . وكان به اربع صوامع او ابراج في اركانه . ومن المحتمل ان يكون معاويه استعمل هذه الابراج للدعوه الى الصلاه . وقد ذكر لنا المؤرخون ان صوامع جامع عمرو كانت من الخشب برجيه الشكل لها ابواب من الخارج ، ولم يبق من هذه المآذن شيئا ما ، ولكنها تعتبر اول مآذن في الاسلام .)

واقدم المآذن الموجودة الى الآن هي مئذنة جامع القيروان عام (٧٢٤م)

وهي برجية الشكل اسوة بجميع المآذن الاولى والتي لابد وانها اقتبست من الابراج التي

كانت منتشرة فى بلاد الشام وغيرها وكانت تستعمل للمراقبة أو تلك الصوامع التى فى المعابد الوثنية أو ابراج نواقيس الكنائس المنتشرة فى تلك المنطقة كما يعتقد الكثير من مؤرخى الغرب .

ربما أخذت فكرة بناء المئذنه من تلك الابراج دون تقليدها فشكل المئذنه يختلف تماما عن شكل تلك الابراج ،فهناك اشكال عديدة للمآذن سنذكرها فيما بعد ، ومنها تلك الاشكال البرجية . فاذا قارنا هذه الابراج القديمة بالمئذنة نجد اختلافا فى النسب والتفاصيل وحتى فى الشكل العام فابراج المراقبة كانت عبارة عن ابراج من طابق واحد يعلوها غرفة بها بعض الفتحات للمراقبة . اما تلك التى بالكنائس فقد كان الجزء العلوى منها مفتوح الجوانب يعلق به الاجراس ومن طابق واحد ايضا .

اما المآذن البرجية فتتكون عادة من اكثر من طابق : الطابق الارضى مرتفع يعلوه طابق آخر اقل ارتفاعا واقل عرضا ، وكثيرا ما يعلوه طابق ثالث اقل فى الارتفاع والعرض ايضا ، ثم تنتهى هذه الطوابق من اعلى بقبه صغيره . كما نجد عند الانتقال من طابق لاخر شرفه (بلكون) بارزه مغطاه بسقف خشبى يقف تحتها المؤذن للدعوة للصلاة . وربما نجد اكثر من شرفه .

ولذلك لايجوز ان ننسب المئذنه الى تلك الابراج ايا كانت .

كما ان هناك من يدعى ان المئذنه مقتبسة من فنار او منار الاسكندرية والمسمى فاروس PHAROS والتى بناها بطليموس وكان قد اصلحها احمد بن طولون ، ومن الاولى ان يقتبس هذا الوالى مئذنة جامعه بالقاهرة من هذا الفنار ، الا انه لم يفعل ذلك واراد ان يحافظ على اسلوب مآذن سامرا بالعراق حيث كان يعيش ،وهو الاسلوب الذى يطلق عليه اسم " الملويه " . وربما كانت هذه مقتبسه من الزيكورات تلك الابراج التى استخدمت للاغراض الدينية والتى كانت منتشرة فى بلاد مابين النهرين فى العصر السومرى والبابلى والاشورى . كما ان المئذنه الملويه تختلف فى تصميمها ايضا عن الزيكورات فهى اسطوانية الشكل يقل قطرها كلما ارتفعنا ويحيطها من الخارج منحدر يصعد الى اعلاها ، فى حين ان الزيكورات شكلها العام مربع او مستطيل ويتكون من طبقات فوق بعضها الطبقة الصغيرة تعلو الكبيرة ونصعد الى كل طابق عن طريق الادراج او المنحدرات .

نلاحظ أن المآذن البرجيه انتشرت فى مساجد بلاد الشام وشمال افريقيا والاندلس وربما كان ذلك بسبب الطقس ففى تلك البلاد نجد الاستضاءه ضعيفه نتيجة للضباب وكثرة الامطار ، لذلك كانت المآذن البرجيه ذات الخطوط الرأسية المحددة أنسب الى تلك الاقاليم فتظهر بوضوح عن المآذن الاسطوانية المستديرة التى انتشرت فى مصر وايران والهند . وبما ان هذه الابراج ظهرت اولا ببلاد الشام فلابد أنها انتقلت منها الى شمال افريقيا والاندلس عن طريق الامويين . وتعتبر مئذنة جامع القيروان أقدم المآذن الباقية الى الان فى العالم الاسلامى وتعتبر جدة لمعظم المآذن الاولى التى قلدتها فى طوابقها المربعة القطاع كمئذنة جامع الجيوشى بمصر بالرغم من اختلافها فى النسب والتفاصيل .

أما مئذنة جامع احمد بن طولون والتى نراها الان فقد بناها السلطان لاجين فى اوائل عصر المماليك وتتكون من برج مرتفع يعلوه طابق مستدير ونصعد الى هذين الطابقين عن طريق درج خارجى مكشوف يلف حولها ، ثم نجد طابقا مثمنا يعلوه قبه مرتكزه على بعض الدعائم الصغيرة وتشبه المبخره المعلقه بالسلاسل (بشكل مقلوب) ولذلك اطلق على هذه النهاية بالمبخره ، وقد بدأ هذا الطراز فى مآذن العصر الايوبى واستمر حتى اوائل العصر المملوكى — أما المئذنه الاولى بمسجد احمد بن طولون فربما تكون شبيهه بمئذنة جامع المتوكل بسامرا (الملويه)

واذا تتبعنا تطور المئذنة فى مصر نجد تقدما ملحوظا فى مئذنة الصالح نجم الدين ايوب والتى تعتبر حلقه الانتقال من المآذن القديمة البرجية وبين مآذن عصر المماليك والتى تعتبر نموذجا صادقا للمآذن المصرية ولانرى مثيلا لها فى أى اقليم آخر من حيث الرشاقه والزخارف والكتابات المنحوته والتكسيات الجميلة .

تتكون مئذنة الصالح نجم الدين ايوب من طابق مربع مرتفع يعلوه طابق آخر مربع قليل الارتفاع يبرز منه بلكون محمول على كوابيل خشبية ثم طابق مثمن يعلوه المبخرة وفى عصر المماليك بدأ يظهر الطابق الاول بشكل مربع او مثمن بارتفاع قليل حتى اصبح قاعدة قصيرة للمئذنة التى تتكون غالبا من طابق مثمن مرتفع يعلوه طابق آخر مستدير أو مثمن ، وبهذه الطوابق نجد الفتحات المعقود ، والحليات الصماء والزخارف والكتابات .

ويعلو تلك المآذن نهاية منتفخه بصليه الشكل ترتكز على بعض الكرانيش من المقرنصات المحموله على بعض الاعمدة الرخامية الصغيرة ويسمى هذا التكوين بالجوسق BULB ويفصل كل طابق عن الاخر بلكون بارز محمول على المقرنصات · ومن اجمل مآذن المماليك بمصر مئذنة مدرسة قايتباى بالقرافه الشرقية ·

وفى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ظهرت لنا بمصر المآذن ذات الرؤوس من رأسين أو أربع تتوج المئذنه كما فى مئذنة الغورى ·

ـ اما فى العصر العثمانى فقد اصبحت المئذنه نموذجا واحدا فى جميع الاقاليم الاسلاميه التى حكمها العثمانيون فهى عبارة عن قاعدة قصيرة يرتكز عليها عمود اسطوانى كثير الاضلاع محلى بالقنوات FLUTES التى رأيناها فى الاعمدة الكلاسيكية تقطعها بلكون او اكثر وتنتهى المئذنه بمخروط مدبب ذات ارتفاع كبير · وفى نهاية العصر التركى اصبحت المئذنه اكثر ارتفاعا كما تعددت فيها البلكونات ، واصبح للمسجد الواحد اكثر من مئذنة ·

اما فى ايران واواسط اسيا فنجد ان المئذنة اخذت طابعا خاصا بها بعيدا عن المآذن المربعة البرجية فنجدها ذات قاعدة قليلة الارتفاع مربعة او مثمنة يعلوها طابق واحد مرتفع اسطوانى الشكل قطره من اعلى اصغر من قطره السفلى وتعلوه بلكون مستدير محمول على المقرنصات ويعلوها كورنيش بارز محمول احيانا على بعض الاعمدة الصغيرة ثم تتوج المئذنه بقبه صغيرة وكانت تزخرف هذه المآذن بالعديد من النقوش والتكسيات بالقيشانى الملون ·

أما فى شمال افريقيا والاندلس فهى ذات مآذن برجية مربعة القطاع كمئذنة جامع القيروان ، ومن اجمل مآذن تلك البلاد مئذنة الكتبيه والجيرالد بجامع اشبيليه ·

وفى الهند علت المآذن الاولى منفصله عن جدار المسجد وهى عبارة عن اسطوانه يضيق قطرها من اعلى وتقطعها البلكونات كمئذنة جامع قوة الاسلام من القرن الثالث عشر الميلادى المسماه بقطب منار وهى مزينة بالكتابات والنقوش · ومنذ القرن الخامس عشر الميلادى وجدنا وضع المئذنه بشكل مزدوج على جانبى مدخل المسجد كما فى ايران

ومن اجمل تلك المآذن مآذن تاج محل بمدينة اجرا وهى اسطوانية الشكل تقطعهـــا البلكونات ويعلوها القبة البصلية ، وعلى العموم فان مآذن الهند قريبة الشكل بمـآذن ايـران ٠

ب ـ : المحـراب

اذا رجعنا الى المساجد الاولى فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كـــان المحراب مجرد علامه ما بالجدار المتجه نحو مكه ٠ ولكن بعد ذلك عملت محاريـــــب خشبية متنقلـه أو عمـل نقشا رسم على الجدار وكتب على هذا النقش بعض الايات القرآنية ٠ ثم عمل المحراب المجوف فى جدار القبله بشكل مستطيل ذات اضلاع متعامدة كما فى مسجد الاخيضر وطوان العصر العباسى الاول ٠ وكثيرا ما عمل المحراب بشكل جنيه NICHE نصف دائرية كالتى نشاهدها فى معظم المساجد فى مصر وبلاد الشام وقد يكون شـــكل المحراب مثلثا او بشكل حدوة الحصان كالتى نشاهدها بمساجد شمال افريقيا والاندلس٠ وفى كل حالة من هذه الاشكال يعلو هذا التجويف طقيه بشكل نصف كره تكون عقدا ايا كان شكله (مفصصا او مدببا او غير ذلك) ويرتكز هذا العقد غالبا على بعض الاعمـدة الرخامية الصغيرة تقع على جانبى التجويف او الحنيه ٠

حليت هذه المحاريب بالعديد من الزخارف والفسيفساء والايات القرآنية كما كانت عقودها مكونه من الصنج المزرز .JOGGELED V ذات اللونين الابيض والاسود بالتوالى ٠ كما نجد داخل هذه الطقيه اشكالا محاريه ذات اضلاع تشـع من دائـرة وسطى ومـــــن اجمل هذه المحاريب ما وجد بمصر بمسجد السيدة رقيه بالقاهرة ٠ كما نجد أقــــدم محراب لا زال الى الان ويعتبر تحفه معمارية هو محراب جامع القيروان ٠

أما منشأ هذه المحاريب فكثير من علماء الغرب ينسبونها الى الفنون المسيحيـــــة ويشبهونها بشرقيات الكنائس ولكن فى هذا القول الكثير من المغالاه ٠ فاذا قارنـــــا المحراب بالشرقيـه نستطيع ان نذكر ما يلى (١) الشرقيه دائما عباره عن تجويـــــفه او حنيه كبيرة مسقطها نصف دائرى فى حين ان المحراب صغير واشكاله عديدة (٢) الشرقية غالبـا مايصل ارتفاعها الى مستوى السقف فى حين ان المحراب ارتفاعـه قليــــــل ٠

(٣) بداخل الشرقيه نجد مقاعد مدرجة مخصصه لرجال الدين ولا نجد مثل هـذه المقاعد فى المحراب (٤) ارضية الشرقيه والصالة العرضيه ترتفع عن ارضية صاله الكنيسة وذلك لامكـان عمـل كنيسه صغيره او ضريح لاحد القديسين تحت هذا الجزء • ولا نجد مثل هذا الاختلاف فى ارضيه رواق الصلاة (٥) امام الشرقيه دائما نجـد المذبح ALTAR لان هذا الجزء من الكنيسة مخصص لرجال الدين فقط فى حيـن ان المحراب ليس امامه شئ كما انه لم يخصص لرجال الدين فحسب (٦) غالبـا مانجد عمودين او اكثر على جانبى المحراب الشئ الذى لانجده فى الشرقيـه . (٧) يبرز جدار الشرقيه بشكله النصف دائرى الكبير الحجم من الخارج فى حين ان المحراب يبرز بروزا قليلا وغالبـا ما يكون شكله الخارجى مستطيلا (٨) لا يسمـح لرجل الدين المسلم ان يصلى داخل المحراب اى داخل تجويفه الشئ الذى نـراه فى شرقيـه الكنيسه (٩) غالبا ما نجد ان الشرقيه مغطاه بنصف قبه رسم فى جدارها صورة السيد المسيح او السيدة العذراء او بعض القديسين الشئ الذى لانراه فـى المحراب حيث ينتهى المحراب باشكال عديدة •

ولماذا ننسب المحراب الى شرقيـة الكنيسة وكان من الاولى ان ننسبها الـى الحنايا NICHES التى نجدها دائما فى العمارة الرومانية • لذلك لا أرجـح اقتباس المحراب من الشرقيـه وما هو الا رمزا وعلامـه فقط لتحديد اتجاه البيت الحرام •

أما عن اول محراب مجوف فى الاسلام فقد تضاربت الاراء حول هذا الموضـوع حيث كان محل جدل بين المؤرخين الذين تناقلوا بعض الروايات ومنها تلك الـتى تزعم ان اقباط مصر هم الذين بنوا محراب مسجد المدينة ••• ولذلك لانستطيـع الاعتماد على هذه الروايات التى لاتدعمها الوثائق التاريخية •

ومن الموثوق به ان المحراب المجوف بقبة الصخرة والموجود بحائط الضلع الجنوبى من داخل المثمن يمكن ارجاعه الى عام (٦٩١م) وبذلك يمكن القول بانه من اقـدم المحاريب المجوفه والتى ظهرت فى نهاية القرن السابع الميلادى • كما نجد بقبـة الصخره محرابا اخر مستطيل الشكل تحت الصخره يمكن اعتباره اقدم محراب مستطيل لازال باقيا الى الان •

وكثيرا مانجد اكثر من محراب فى المسجد الواحد سواء كان مجوفا او غير مجوف كما فى جامع احمد بن طولون بالقاهرة .

تلك هى العناصر المعمارية التى تميز عمارة المسجد . أما المنبر ودكة المبلغ فيعتبرا من اثاث المسجد .

جـ ـ : المنبـــــر

لم نجد فى المساجد الاولى مثل تلك المنابر فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام فى بادئ الامر يجلس على الارض متكئا على جزع نخله عندما كان يجتمع بالمسلمين فى مسجده بالمدينة ثم عمل له كرسى من الخشب من ثلاث درجات وكان يجلس على الدرجة الثالثة ثم تلاه ابو بكر فكان يجلس على الدرجة الثانية ثم تلاه عمر وكان يجلس على الدرجة الاولى ويضع قدميه على الارض. وربما كان تاريخ انشاء اول منبر فى الاسلام هو منبر مسجد المدينة ولا يجب ان نأخذ بالاراء التى تنسب صناعه هذا المنبر الى احد النجارين من الحبشه او غيرها او جاء هديه من ملك النوبه ... الى غير ذلك من الاراء غير المحققه .

ويعتبر منبر جامع القيروان اقدم المنابر عامة والتى لا زالت موجودة الى الان كما عملت المنابر احيانا من الرخام ذى الزخارف والنقوش ولكن اغلبها عمل من الخشب المطعم بالصدف والابانوس مكونه زخارف اسلامية جميلة ونخص بالذكر من هذه الزخارف الاطباق النجميـة .

د ـ : المقصـــورة

لم نجد هذا العنصر الا فى المساجد الاولى فى اوائل العصر الاموى والمقصوره عبارة عن حاجز من الخشب يحيط بالمحراب او يوضع بجواره وكانت مخصصة لصلاة الوالى أو الخليفـة . واول من عمل المقصورة هو معاوية فى عام (٦٦٤م) عندما حاولوا اغتياله وبعد ان وجد ان بعض الخلفاء الراشدين قد اغتيلوا فى المساجد .

اما اقدم مقصورة من الخشب لازالت موجودة فهى فى جامع القيروان عملت فى النصف الاول من القرن الحادى عشر الميلادى .

وانى لا اوافق على مايدعيه علماء الغرب الذين اطلقوا اسم المقصورة على تلك المساحه المربعة من رواق الصدر والتى امام المحراب وقد نسوا او تناسوا ان تلك المساحة ماهى الا جزء لا يتجزأ من رواق الصلاه ، واما الدعائم الاربع التى تحدد هذه المساحة فان وظيفتها حمل القبه . ولا يمكن ان نطلق عليها لفظ مقصورة .

هـ ـ : دكة المبلغ

اما دكة المبلغ فهى عبارة عن منصه أو دكة يجلس عليها القارئ لتلاوة القرآن الكريم خاصة قبل صلاة الجمعه ، كما انها تستعمل لترديد تكبيرات الامام . وقد وجدت فى بعض المساجد بين اعمدة رواق الصلاه ويصعد اليها عن طريق سلم خشبى كما فى مدرسة السلطان حسن بمصر أو توجد فى احد اركان المسجد .

الخاتمـــــــــة

نستطيع ان نستخلص بوجه عام من هذه الدراسة الخاصة بعمارة المسجد وتطورها في العالم الاسلامي ، بعض النقاط الهندسية التالية :ـ

أولا : تخطيط المسجد (المسقط الافقي) :

نستنتج مما سبق ان هناك اربعة انواع مختلفة من تخطيط المسجد وهي :ـ

أ ـ التخطيط التقليدي :

وهو الاكثر انتشارا في العالم الاسلامي ويمكن ان نعرفه بما يلي : " صحن تحيطه اروقه اكبرها رواق الصلاه " سواء كان عدد هذه الاروقه من اربعة او ثلاثة او رواق واحد ، وسواء كانت هذه الاروقه تتكون من بلاطه واحده او اكثر أو كانت هذه البلاطات موازيــة او متعامده على جدار القبلة .
ومنشأ هذا التخطيط هو مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد اضيف ضريــح المنشئ في عصور متأخره علاوة على العناصر الاساسية للمسجد من المئذنـــة والمحراب والمنبر ودكة المبلغ . كما يجب ان نقرر حقيقة اخرى وهي ان هـــذه المساجد استعملت ايضا لتدريس العلوم الدينية منذ نشأتها . ومن أمثلة هــذا التخطيط مسجد الازهر والجامع الكبير بدمشق .

ب ـ التخطيط ذو الايوانات :

ظهر هذا التخطيط منذ عهد السلاجقه والدولة الايوبية ، وانتشر في جميع انحاء العالم الاسلامي شرقا وغربا . ظهر هذا التخطيط ليصبح المبنى مدرسة لتدريس المذاهب السنيه وعلم الحديث بالاضافة الى الصلاه وكان من الضروري تأمين صالات وايوانات للدروس علاوة على غرف سكنى الطلاب وخاصة الغرباء والمرافق اللازمـــة .
ولذلك اصبحت هذه المدارس تتكون من اكثر من طابق ، كما شملت من ايـــوان الى اربع ايوانات والايوان الكبير به المحراب ومعد للصلاه ، وخصص كل ايـــوان

لمذهب ولا نجد في العالم الاسلامي أية مدرسة بها أربعة اواوين مخصصة للمذاهب الاربعة الا في مصر • كما في مدرسة السلطان حسن • وقد يضاف الى هذا البناء ضريح للمنشيء وسبيل وكتاب ، واحيانا لاترى مئذنه بالمدرسة كما في بلاد الشام • وجميع هذه الغرف والايوانات تحيط بصحن واحد •

جـ ـ التخطيط المشـترك

نجـد في هذه المساجد بيت الصلاه التقليدى (او رواق الصلاة) علاوة علـــى ايوان أو ايوانين أو ثلاثة وقد انتشر هذا التخطيط في معظم البلاد الاسلاميـــة خاصة ببلاد الشام ، هذا بالاضافة الى العناصر الاخرى بالتخطيط السابق ومـــن امثلة هذا التخطيط ما وجد بمساجد ايران والهند •

د ـ التخطيط العثمانـي

في هذا التخطيط تغير المسقط الافقي للمسجد تغيرا تاما حيث أصبـــح بيت الصلاة ليس رواقا أو ايوانا كما في التخطيطات السابقه ، فالمسجد لايتكـون الا من غرفة واحدة كبيرة شكلها مربع او مستطيل او على شكل حرف تـــى ويتقدمها او يحيط بها من ثلاث جهات رواق • وكثيرا ما نجد امام هذه الغرفة صحنا تحيطه اروقه من بلاطه واحده ، ويعلو المبنى المئذنه التركية ذات الطابـــع الخاص • وربما نجد بالمبنى ضريحا للمنشيء • وهذا ما يتميز به المسجد فـي ذلك العصر العثماني الذى شمل جميع البلدان الاسلامية فيما عدا ايران ومراكش •

وبوجه عام فاننا نجــد في معظم المباني العامة الاسلامية قاعـــة الصـــلاة أو مسجـدا صغيـرا كما في الاربطـه والخانقاوات •

ثانيا : الواجهـــات

كـانت واجهة المسجد في بادىء الامر بسيطه خالية من أية عناصر زخرفية وكذلـك الحال في واجهة رواق الصلاة المطلة على الصحن والمكونه من مجموعة من العقود المرتكزه

على الدعائم • ثم أعتنى بوجه خاص بالمدخل الرئيسى حيث برز عن الواجهة وسمى بالمدخل التذكارى فنجده مدونا من عقد كبير تحيطه الوحدات الزخرفية • اما بالنسبة لواجهة رواق الصلاة فقد برز من منتصفها المجاز القاطع بسقفه المرتفع والذى يعلـــوه القبـــه • وبذلك اعطى هذا الوضع المعمارى تاكيدا واهمية على المحراب أهم عنصـــر فى المسجد • وبجانب الاهتمام بتلك المداخل التذكارية نجد بقيه واجهة المســـجد تشتمل على الشبابيك فى الطوابق المختلفة محصورة فى تجويفات ذات خطوط رأســـية لتحقيق الوحدة • كما تتوج الواجهة عادة بالشرافات الزخرفية وبالدرابزين البارزه مـــن المقرنصات • نجد معظم هذه المداخل يتدون من حنيه كبيرة غائرة RECESS ترتفع الى أعلى البناء وتنتهى بالعقود والمقرنصات والدلايات • ويتوسط الحنيه باب المسجد يعلوه الاعتاب المزررة JOGGELED VOUSSOIRS وعلى جانبيه بعض الاعمدة وغالبـا ما يعلو الباب احد الشبابيك المملوءه بالحشوات الزخرفية • كما فى المساجد المملوكيـــــة • وفى ايران نجد المدخل الرئيسى يتكون من ايوان مغطى بقبـــه أو بنصف قبـــه • أما واجهة رواق الصلاة والاروقه الاخرى فيتوسطها الايوانات كما يرتفع على جانبى ايوان رواق القبله مئذنتان • وعلى جوانب تلك الايوانات نجد عقود الغرف على طابقين •

ثالثا : القطاعـات :

قطاعات المسجد بسيطه ولكن مايستحق الذكر هى القطاعات الرأسيه لاروقـــة الصلاه فى بعض المساجد الهنديـة حيث يظهر فيها التدرج فى المناسيب المختلفـة والطوابق المسروقه (الميزانين) والاناره الجانبية الى غير ذلك •

رابعا : التسـقيف :

انتشر التسقيف الخشبى المستوى للاروقه فى مساجد مصر وغيرها من البلدان • وبجانب هذا نجد تغطيه بالقباب الصغيره • كما نجد التسقيف بالجمالونات الخشبيـة كما فى بلاد الشام والاندلس • كذلك نجد التسقيف بالاقبية المستمرة والمتقاطعـــة كما فى شطى افريقيا • كما وجدنا فى الاندلس التسقيف بالقباب ذات الاضلاع الـــتى تكون اشكالا زخرفيـه غايــة فى الابــداع كما فى جامع قرطبة •

اما فى العصر العثمانى فجميع المساجد التى تتبع للامبراطورية التركية كانت مغطاه بالقباب الكبيرة والصغيرة وانصاف القباب •

وعند تغطية مساحه مربعة بقبه كان الانتقال من المربع الى الدائرة أو المثمن عن طريق الحنايا الركنيه SQUINCHES كما فى القيروان والازهر وغيرهما ثم ظهرت لنا الحنيا الركنيه مع المقرنصات كما فى السيدة رقيه بمصر ثم اصبحت المقرنصات هى المنتشره بعد ذلك خاصة فى العصر المملوكى بمصر وبلاد الشام • اما فى العصر العثمانى فقد انتشرت المثلثات الكرويه لتحويل المربع الى دائرة مباشرة ترتكز عليها القبة •

خامسا : الدعائم

فى بادئ الامر كانت الاعمدة توخذ من المبانى القديمة المتهدمه أى من طرز مختلفه • وكثيرا ما استبدلت بهذه الاعمده اكتاف طوبيه حليت بانصاف اعمدة • ثم ظهرت لنا الاعمدة الاسلاميه منها الكأسيه والتى انتشرت فى مصر ومنها ذات المقرنصات والتى انتشرت فى بلاد المغرب الاسلامى •

سادسا : العقود :

كان العقد المنتشر فى المشرق العربى هو العقد المدبب والنصف دائرى • أما فى المغرب العربى فقد انتشرت فيه العقود ذات حدوة الحصان والعقود ذات الفصوص • كما نجد العقد الفارسى الذى انتشر فى ايران والهند •

المراجع العربية

(١) د . احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ـ القاهرة ١٩٦٥

(٢) جورج مارسيه : الفن الاسلامي ـ دمشق ١٩٦٨

(٣) حسن عبد الوهاب : مساجد القاهرة ـ القاهرة ١٩٤٠

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي

(٥) د . زكي محمد حسن : الفنون الايرانية ـ القاهرة ١٩٤٠

(٦) د . صالح لمعي : التراث المعماري الاسلامي في مصر ـ بيروت ١٩٧٠

(٧) علي بهجت : حفريات الفسطاط ـ القاهرة ١٩٢٨

(٨) د . فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ـ القاهرة ١٩٧٠

(٩) د . كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر ـ القاهرة ١٩٦٩

(١٠) مانويل جوميث : ترجمة لطفي عبد البديع ـ الفن الاسلامي في اسبانيا ـ القاهرة ١٩٦٨

(١١) مديرية الاثار القديمة ببغداد : حفريات سامرا ـ بغداد ١٩٤٤

المراجـــع الاجنبيــــــــــــــــــة

1- Brown, P. : Indian Architecture - Bombay 1975.

2- Briggs, M.: Mohammadan Architecture - Oxford 1924.

3- Bourgoin, J.: Précis de l'art arable - 1892.

4- Creswell - R.A.C.: Early Moslim Architecture Vol. 1 and Vol. 2 - Oxford 1932-1940.

5- ———————— : Brief Chronology - Bulletin de L'institute d'Archeologie Au Caire t XVI - Cairo 1919.

6- Coste, P. : Architecture Arabe Au Monument Du Caire- Paris 1889.

7- Choisy, A. : Histoire De L'Architure II-Paris 1943.

8- Devonshire Mrs R.L.: Rembles in Cairo - 1920.

9- ———————— : Some Cairo Mosques - London 1921.

10- Gayet, A.: L'Art Arabe - Paris 1893.

11- Gokvil V.: Turquie Ottomane - Friburg 1965.

12- Grube E. : Architecture of the Islamic World - London 1984.

13- Galal Asad Arsts : Turk Sante Tarihi.

14- Havel, E.B.: Indian Architecture, New Delhi 1955.

15- Marcais, G.: L'Art Musulman - Paris 1962.

16- Rivoira, T.: Moslem Architecture, Oxford, 1918.

17- Richmond, E.T.: Moslem Architecture (Royal Asiatic Society) London 1926.

18- Saladin, H.: Manuel De L'Art Mosulman Vol. I Paris 1907.

19- Van Berchem, M.: "Architecture"; The Encyclopedia of Islam Vol. I London 1913.

20- Wiet, G. Et Hautcuer: Les Mosque Du Caire Paris 1932.

عمارة المسجد وتطورها فى العالم الاسلامى

فهـرس اللوحـــات

لوحه ١٩ : مدرسة زين الدين يوسف (١٢٩٨ م)

لوحه ٢٠ : جامع الماردانى (١٣٤٠ م)

عصر المماليك الجراكسة : لوحة ٢١ : مدرسة الجاى اليوسفى (١٣٧٣ م)

لوحه ٢٢ : مدرسة برقوق (١٣٨٤ـ١٣٨٦م)

لوحة ٢٣ : خانقاه فرج بن برقوق (١٣٩٩ـ١٤١١م)

لوحه ٢٤ : جامع برسباى (١٤٢٧ م)

لوحه ٢٥ : جامع قايتباى بالقرافه الشرقية (١٤٧٢ م)

لوحه ٢٦ : مدرسة الغورى بالازهر (١٥٠٣ م)

العصر العثمانـــى : لوحه ٢٧ : مسجد سليمان باشا بالقلعة (١٥٢٨ م)

+ مسجد حموده بالقلعـــة (١٥٦٨ م)

لوحه ٢٨ : مسجد سنان ببولاق (١٥٧١ م)

لوحه ٢٩ : مسجد الملكة صفيه (١٦١٠ م)

لوحه ٣٠ : مسجد محمد ابو الذهب (١٧٧٣ م)

لوحه ٣١ : مسجد محمد علـــى (١٨٤٨ م)

مساجد بلاد الشـام :

العصر الامـوى : لوحه ٣٢ : الجامع الاموى بدمشق ـ مسقط افقى (٧٠٦ م)

لوحه ٣٣ : " " " ـ الصحن

لوحه ٣٤ المسجد الاموى بحلب ـ الصحن والمئذنه

(اوائل القرن الثامن الميـــلادى)

العصر العباسى الاول : لوحه ٣٥ جامع الرقـه (٧٢٢ م)

القرن الثاني عشر الميلادى : لوحة ٣٦ مدرسة ابن منصور كوشتكين ببصرى الشام (القرن ١٢ م)

لوحه ٣٧ مدرسة خان اتون بحلب (١١٦٨ م)

+ مدرسة معرة النعمـان (١١٩٩ م)

لوحه ٣٨ مدرسة نور الدين بدمشق (١١٧٢ م)

لوحه ٣٩ مدرسة شازبخت بحلب (١١٩٣ م)

القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي :

لوحه ٤٠ : المدرسة العادلية الكبرى بدمشق ـ المسقط الافقى (١٢٢٢ م)

لوحه ٤١ : " " " ـ الواجهة

لوحه ٤٢ : المدرسة السلطانية بحلب (١٢٢٤ م)

لوحه ٤٣ : مدرسة الفردوس بحلب (١٢٣٨ م)

لوحه ٤٤ : المدرسة الظاهرية بحلب (١٢١٩ م)

لوحه ٤٥ : المدرسة الكاملية بحلب (القرن ١٣ م)

لوحه ٤٦ : المدرسة الاتهوبية الطرنطائية بحلب (١٣٩٢ م)

لوحه ٤٧ : جامع الطنبوغا بحلب (القرن ١٤ م)

لوحه ٤٨ : جامع المهمندار بحلب (القرن ١٣ـ ١٤م)

\+ جامع الطروشى بحلب (١٣٩٢ م)

لوحه ٤٩ : جامع الطروشى ـ واجهة

العصر العثماني

لوحه ٥٠ : جامع أقيغا بحلب (١٤١٠ م)

لوحه ٥١ : جامع العثمانية بحلب (١٤٤٠ م)

لوحه ٥٢ : جامع العادلية بحلب (القرن ١٦ م) + جامع الخسروية بحلب (القرن ١٦ م)

لوحه ٥٣ : جامع الخشرويه ـ واجهة الصحن

لوحه ٥٤ : جامع البهرامية بحلب (القرن ١٦ م)

مساجد العراق

العصر الاموى :

لوحه ٥٥ : مسجد واسط (٧٠٦ م)

لوحه ٥٦ : مسجد مدينة اسكاف بنى جنيد (النصف الاول من القرن الثامن الميلادى)

العصر العباسى الاول :

لوحه ٥٧ : جامع بغداد (٧٦٦ م)

لوحه ٥٨ : جامع الاخضر (القرن ٨ ـ ٩ م)

لوحه ٥٩ : مسجد سامرا وابو دلف (القرن ٩ م)

لوحه ٦٠ : مسجد سامرا ـ منظور

عصر السلاجقة :

لوحه ٦١ : مدرسة الاربعين ـ تكريت (القرن ١١ م)

لوحه ٦٢ : جامع الخضر بالموصل (١١٨٣ م)

لوحه ٦٣ : المدرسة المستنصرية ببغداد الطابق الارضى (١٢٢٧ م)

لوحه ٦٤ : المدرسة المستنصرية ببغداد الطابق الاول

لوحه ٦٥ : المدرسة المستنصريه ببغداد من الداخل

لوحه ٦٦ : المدرسة الشرابيه بمدينة واسط (القرن ١٣ م)

لوحه ٦٧ : المدرسة الشرابية ـ واجهة ٠

العصر المغولى :

لوحه ٦٨ : المدرسة المرجانية ببغداد (القرن ١٤ م)

لوحه ٦٩ : بعض مآذن من العراق (القرن ١٤ م)

العصر العثمانى :

لوحه ٧٠ : جامع الحيدرخانه (القرن ١٥ م)

مساجد شمال افريقيا والاندلس

العصر الاموى :

لوحه ٧١ : جامع القيروان (٦٧٤ م)

لوحه ٧٢ : جامع القيروان ـ الصحن

لوحه ٧٣ : جامع قرطبه (٧٨٦ م)

لوحه ٧٤ : جامع قرطبه ـ السقف الافقى الحالى وتفصيله من العقود

لوحه ٧٥ : الجامع الكبير بسوسه ـ الرباط (٨٥١ م)

لوحه ٧٦ : جامع القرويين بالمغرب (٩٥٦ م)

لوحه ٧٧ : جامع صفاقس بتونس (القرون ٩ ـ ١٠ م)

لوحه ٧٨ : جامع الزيتونه بتونس (٧٣٢ م)

لوحه ٧٩ : جامع المهدية بتونس (٩١٦ م)

عصر المرابطين :

لوحه ٨٠ : الجامع الكبير بالجزائر (١٠٩٦ م)

لوحه ٨١ : الجامع الكبير بتلمسان ـ الجزائر (١٠٨٣ م)

عصر الموحدين :

لوحه ٨٢ : مسجد الكتيبية بمدينة مراكش (١١٩٦ م)

لوحه ٨٣ : مسجد تنيل بمراكش (١١٣١ م)

لوحه ٨٤ : مسجد اشبيلية باسبانيا (١١٧١ م)

عصر بني مرين :

لوحه ٨٥ : مسجد سيدى الحلوى (القرن ١٣ م)

لوحه ٨٦ : المسجد الكبير بالمنصورة بتلمسان (القرن ١٤ م)

لوحه ٨٧ : مدرسة الصهاريج (القرن ١٤) + مدرسة بوعنانية بالمغرب (القرن ١٤

لوحه ٨٨ : الجامع الكبير بفاس الجديدة بالمغرب (القرن ١٤ م)

لوحه ٨٩ : مسجد الحمرا بفاس الجديدة بالمغرب (القرن ١٤ م)

العصـــر العثمانـــى :

لوحه ٩٠ : جامع باب دوكالا بمراكش (القرن ١٦ م)
لوحه ٩١ : جامع بتشنين على بالجزائر (١٦٢٢ م)
لوحه ٩٢ : مسجد يوسف داى بتونس (١٦١٠ م)
لوحه ٩٣ : مسجد حموده باشا بتونس (١٦٥٤ م)

مساجـد الهنـد

المساجد الاولى : لوحه ٩٤ جامع قوة الاسلام (قطب منار) بدلهى القديمة (١١٩٨م)
القرن الثالث عشر الميلادى : لوحه ٩٥ مسجد مدينة اجمير (القرن ١٣ م)
القرن الرابع عشر الميلادى : لوحه ٩٦ مسجد اديناه (١٣٥٨ م)
لوحه ٩٧ مسجد كلباراجا (القرن ١٤ م)
القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر الميلادى
لوحه ٩٨ مسجد عطا الله بمدينة جانيور (القرن ١٥ م)
لوحه ٩٩ مسجد احمد اباد (١٤١١م)
لوحه ١٠٠ المسجد الجامع بمدينة شانيانير (اوائل القرن ١٦ م)
لوحه ١٠١ مسجد رانى سيبارى باحمد اباد (القرن ١٦ م)
العصر المغولـــــى : لوحه ١٠٢ المسجد الجامع بمدينة فاتح بور سيكرى (القرن ١٦ـ١٧ م)
لوحه ١٠٣ مدخل مسجد الجامع بمدينة فاتح بور سيكرى
لوحه ١٠٤ المسجد الجامع بدلهى (القرن ١٧ م)
لوحه ١٠٥ المسجد الجامع بمدينة بيجابور (منتصف القرن ١٦ م)

مساجـد ايـــران

المساجد الاولـى : لوحه ١٠٦ مسجد دمغان (القرن ٩ م)
لوحه ١٠٧ مسجد نايين (٩٦٠ م)
لوحه ١٠٨ مسجد نايين ـ المئذنه

العصر السلجوقي : لوحه ١٠٩ مسجد الجمعه باصفهان (المسجد الجامع)
(من القرن ٨ ـ ١٤ م)
لوحه ١١٠ مسجد الجمعة باصفهان ـ من الداخل

العصر التيمورى : لوحه ١١١ مسجد جوهر شاد بمدينة مشهد (الايوان الجنوبى الش
لوحه ١١٢ " " " " (الايوان الشمالى الشر
لوحه ١١٣ الجامع الازرق بتبريز (١٤٣٣ ـ ١٤٦٨ م)

العصر الصفوى : لوحه ١١٤ مسجد الشاه (المسجد الملكى) باصفهان (١٦١٦ م)
لوحه ١١٥ " " " " مدخل المسجد
لوحه ١١٦ مآذن ايرانية (القرن ١١ ١٢ م)

مساجد تركيا

العصر السلجوقي : لوحه ١١٧ : جامع سيفاس (القرن ١١ م) + جامع القيصرية
(القرن ١٢ م) + الجامع الكبير بسلفان (١١٥٣م)
+ الجامع الكبير بسفر مهيزار (القرن ١٢م)
لوحه ١١٨ : جامع برماه بامازيا (١٢٣٧م) + مدرسة دار الحديث
بقونيا (١٢٥٨م) + جامع ومدرسة امازيا (١٢٦٦م
لوحه ١١٩ : مدرسة سيرتشالى بقونيه (١٢٤٢م) + مدرسة
سيفاس (١٢٧٥م) + المدرسة الياقوتية ببورصة (٥٨

القرن الرابع عشر الميلادى : لوحه ١٢٠ جامع اورهان ببورصه (١٣٢٦ م)
لوحه ١٢١ الجامع الكبير ببورصه (١٣٩٥م) + جامع علاء الدين
ببورصة (١٣١٦م)

القرن الحادى عشر الميلادى : لوحه ١٢٢ الجامع الاخضر ببورصه (١٤١٥م) + جامع مراد باشا
باستانبول (١٤٦٤م)
لوحه ١٢٣ جامع ابراهيم باشا باستانبول (القرن ١٥ م) +
جامع الثلاث شرفاء باندرينوبل (١٤٣٨م) +
جامع عاتق على باستانبول (١٤٩٨ م)

القرن السادس عشر الميلادى : لوحه ١٢٤ جامع السلطان سليم باستانبول (١٥٢٢م) +
جامع بايزيد الثانى باستانبول (١٥٠١م) +
جامع مهرماه باوسكدار (١٥٤٨م) + جامع
مهرماه باستانبول (القرن ١٦ م)
لوحه ١٢٥ مسجد سليم الثانى بادرنه (القرن ١٦ م)
مسجد السليمانية باستانبول (١٥٥٧م)
لوحه ١٢٦ جامع السلطان سليم باستانبول ـ واجهة (١٥٢٢م)
لوحه ١٢٧ جامع السلطان سليم بادرنه ـ واجهة (القرن ١٦ م)
لوحه ١٢٨ جامع مهرماه باستانبوب ـ واجهة (القرن ١٦ م)

القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى
لوحه ١٢٩ جامع السلطان احمد باستانبول (القرن ١٧ م) +
جامع اوغلو على باشا باستانبول (١٧٣٤ م)

مساجد شرق وغرب افريقيا

لوحه ١٣٠ : جامع اسكيا حاج محمد بمدينة جو بمالى (القرن ١٥ ـ ١٦ م)
جامع سنكور بمدينة تمبوكتو بمالى (القرن ١٤ ـ ١٥ م)
الجامع الكبير بمدينة تمبوكتو بمالى (القرن ١٤ م)

لوحه ١٣١ : الجامع الكبير بمدينة شينجوتى بموريتانيا (القرن ١٣ ـ ١٥ م)
الجامع الكبير بمدينة كيلوا بتانزانيا (القرن ١٣ م)
جامع فخر الدين بمقاديشو بالصومال (القرن ١٣ م)

مساجد وسط وجنوب اسيا

لوحه ١٣٢ : جامع التسع قباب ـ بلخ افغانستان (القرن ٩ م)
جامع ابو النصر ـ بلخ افغانستان (القرن ١٥ م)
جامع بيبى خانوم بسمرقند (١٣٩٩ م)

لوحه ١٣٣ : الجامع الكبير بصنعاء ـ اليمن (القرن ٧ ـ ١٣ م)
جامع شيام بجنوب شبه الجزيرة العربية (القرن ٩ م)

لوحه ١٣٤ : جامع الباكرية بصنعاء ـ اليمن (١٥٩٧ م)
جامع الاشرفيه بتعز ـ اليمن (القرن ١٣ ـ ١٤ م)

رقم إيداع دار الكتب القومية
٣٦٦٠ - ١٩٩٠
القاهرة

دار الحكيم للطباعة

دار الحكيم للطباعة